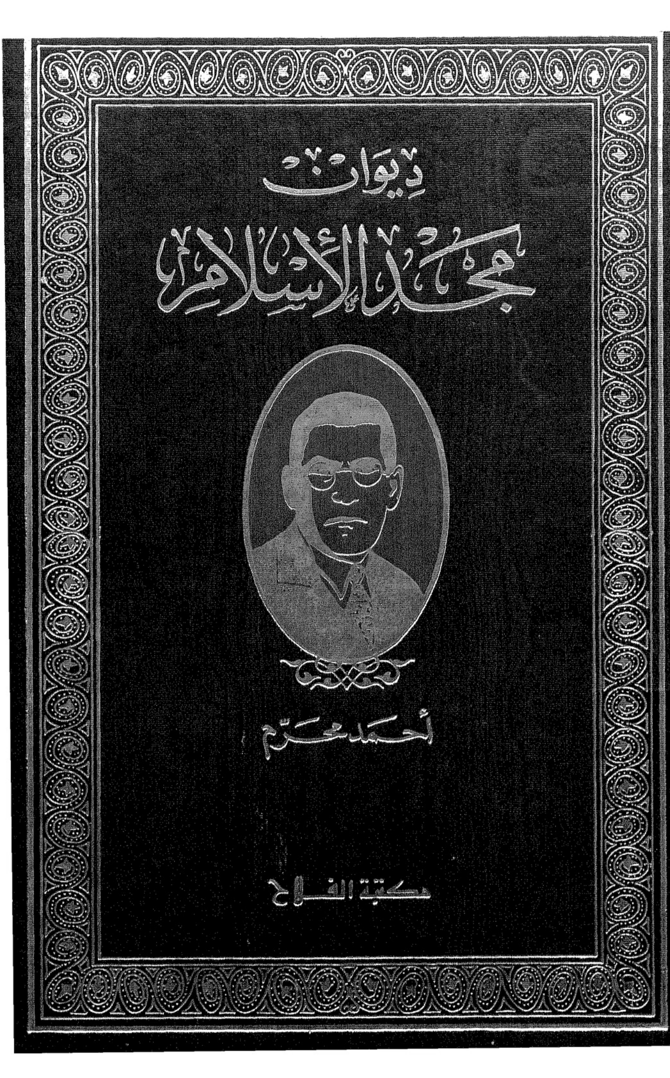
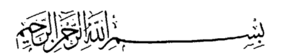

ديوان
مجد الإسلام
أحمد محرم
مكتبة الفلاح

دِيوَان

مَجْدُ الإِسْلَامِ



أحمد محرّم



حقّقه وراجعه

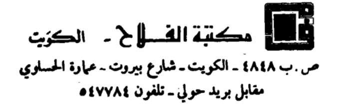
محمود أحمد محرّم



مكتبة الفلاح

الطبعة الأولى

١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م





أحمد محرم

مُقدّمَة الطبعَة الثانيَة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه وبعد ، فقد ظهرت الطبعة الأولى من ديوان مجد الإسلام لشاعر العروبة والإسلام المرحوم أحمد محرم في سنة ١٣٨٣ هجرية في مناسبة احتفال محافظة البحيرة بجمهورية مصر العربية بالمهرجان الأول للشاعر في الفترة من ٢٧ إلى ٢٩ جمادى الأولى في سنة ١٣٨٣ هـ (من ١٥ الى ١٧ أكتوبرسنة ١٩٦٣ م) ، وأشرف على تصحيحها ومراجعتها أحد تلاميذه الأوفياء الصديق الأستاذ محمد ابراهيم الجيوشي .

وبعد أكثر من سبعة عشر عاما رغبت إليّ مكتبة الفلاح بدولة الكويت في أن تتولى إعادة طبع الديوان في مناسبة احتفال العالم الإسلامي بالقرن الهجري الخامس عشر ، فقبلتُ على الفور شاكراً لها حرصها على نشر التراث الإسلامي والعمل على إشاعته بين شباب المسلمين ، ورأيتُ إتماماً للفائدة أن أراجع الديوان مراجعةً أرجو أن تكون دقيقة ، وأن أشرح ما غمض من مفرداته على القارىء العادي، كما حرصتُ على أن ألحق بهذه المقدّمة تعريفاً لصاحب الديوان مع عرضٍ سريعٍ لنماذج قليلة من شعره في بعض الأغراض التي تناولها مشفوعة بآراء بعض الأدباء والنقّادِ حسبما سمحت لي به وسائلي القاصرة من قلّة المراجع وضيق الوقت .

والله نسأل أن يُحقّق للإسلام عزّته وسيادته ومجده وأن يلهمنا السير على هداه والأخذ بشريعته الغرّاء إنّه سميع مجيب .

محمود احمد محرم

الكويت في مساء السبت ١٦ من ربيع الآخر ١٤٠١ هـ

الموافق ٢١ من فبراير ١٩٨١ م

تعريف بالشاعر

ولد أحمد محرم في يوم السبت الخامس من محرم سنة ١٢٩٤ هـ الموافق ٢٠ من يناير ١٨٧٧ م ، وظهرت شاعريته مبكرة ، فقد زاحم فحول الشعراء في عصره وهو لم يتعدّ السادسة عشرة من عمره ، يؤيد ذلك ما ورد من أن السيد أبا النصر السلاوي عنّ له أن يجمع أشعار البلغاء في سائر العالم العربي في كتاب يسميه « عكاظ الأدب » ويبيّن فيه طبقاتهم، فأظهر الجزء الأول من هذا الكتاب مُبدأ بسبع قصائد أطلق عليها إسم المعلّقات على نحو ما صنعوا في المعلقات السبع . أما أصحاب المعلّقات الذين قدّمهم وجعلهم أهل الطبقة الأولى فهم السيد توفيق البكري ، والشيخ عبد الجليل برادة المدني ، وجميل أفندي الزهاوي البغدادي ، وأحمد شوقي بك ، ومحمد ولي الدين بك يكن ، وأحمد افندي محرم ، وصاحب عكاظ ، ولم يكن شاعرنا قد تجاوز السادسة عشرة من حياته كما أثبت صاحب عكاظ في كتابه[1] . وذكر عبد الرحمن الرافعي أيضاً أن احمد محرم كان شاعراً بفطرته وسليقته ، قال الشعر وهو في سن مبكرة ، ومعلقته التي يقول في مطلعها :

منازلَ سلمى لا عدتكِ الغمائمُ وإن درست بالجزع منكِ المعالمُ

قد نظمها وهو في السادسة عشرة من عمره[2] . وكتب الشاعر أحمد الكاشف في إحدى الصحف عام ١٨٩٨ كلمة عن صاحب الديوان جاء فيها « لقد أصبح ذكر هذا الشاب الجليل أحمد أفندي محرم متداولاً على ألسن الأدباء محبوباً لديهم لما اشتهر به من علو الهمّة وبعد النظر في كتابته التي تعطرت بها الصحف ، وضربت بجودتها ومتانتها الأمثال ، فما زرت أديباً في العاصمة أو غيرها من المدن إلاّ استشهد لي بأشعاره إذا دار بيني وبينه حديث في قديم أو

(١) ديوان محرم: الجزء الأول ـ المقدمة ص ٩ .

(٢) عبد الرحمن الرافعي: كتاب شعراء الوطنية ص ١٨٩ .

حديث . ولقد يعرفه معظم أرباب الصحف ، ويقدّرونه حق قدره ، ويظنونه في الأربعين من عمره ، وأنه من سلالة عربية ، وأنه من متخرجي الأزهر أو دار العلوم مع أنه من أبوين جركسيين ، وعمره لا يتجاوز ١٨ ربيعاً ، ولم يمكث في مدارس الحكومة ولا غيرها سوى ستة شهور لم يستفد فيها شيئاً غير التدرب على مضض الغربة والوحشة لبعده عن أهله وذويه ، فتدارك والده الأمر ، وجلب له أستاذاً تقيّاً فعلّمه مبادىء القراءة والكتابة ، وبعض القواعد الدينية ، وشيئاً من النحو والصرف ، ثم تركه بعد ذلك وشأنه ، فأخذ في شراء الكتب والاشتراك في الجرائد والمجلات ، وساعدته فكرته الوقادة ، فعكف على المطالعة ، وغاص بحور الأدب ، فأحرز دررها ، وقلّد جيد نشأته بمحاسن جواهرها ، فخطب وداده أكابر علماء مصر والشام والآستانة ، وقد أخذ بمجامع قلوبهم ، فأجلّوه وأكرموه وكاتبوه بأحسن ما يكتبونه ، فنمت معارفه ، وكثرت موارد اكتسابه للآداب حتى فاضت جداولها ، فأروت رياض الإنشاء ، فزهت بعد أن أذوتها أحكام الأيام ، فطبّق ذكره الآفاق ، وعدّه الجمهور عنوان ارتقاء النشأة المصريّة . . الخ »[1] ، واقترحت لجنة الإحتفال بعيد الجلوس الخديوي عام ١٩٠١ أن يتبارى الشعراء في نظم قصائد التهنئة ففازت قصيدة صاحب الديوان بشهادة الامتياز في « المجموعة الذهبية »[2] . وكتب أديب مقالاً في مجلة المحيط عام ١٩٠٤ عن الشعر والشعراء فأبان عنّ رأيه في طبقات بعضهم وقال « إن شعراء الطبقة الأولى بحسب تقسيمي هم محمود باشا سامي البارودي ، وحافظ ابراهيم ، وأحمد محرم ، ولا أزيد عليهم أحداً » . وأيّاً كان هذا الحكم ، فالذي يهمّنا هو التأكيد على أن شاعرية أحمد محرم قد فاضت وتدفقت بالشعر الجيّد الجاد وهو في بداية مرحلة شبابه .

إتّجه صاحب الديوان منذ بدأ حياته الأدبية إلى إيقاظ الشعور الديني في العالم الإسلامي ، والتذكير بماضي الإسلام والعروبة مُشيداً بمناقب السلف الصالح وفضائل العهد الأول ـ عهد النهضة الإسلامية الكبرى التي وضع أساسها سيّد المرسلين وإمام الهداة الصالحين محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه الذين جاهدوا معه واتّبعوا سنته مُجيبين داعي الله لاعلاء كلمة الحق وإقامة صرح العدل والمساواة والحرية . وهذه نماذج من شعره هي الدليل الناطق على اتجاهه إلى أداء تلك الرسالة العظيمة ، ومدى تأثره بذلك الشعور الروحي الذي احتلّ من نفسه المحل الأرفع والمنزلة العليا .

قال من قصيدة بعنوان « شدّوا عُرى الدين » :

يا مُنزِلَ الوحِي تَهدِي الحائرين بهِ ... إلى السّبيلِ وتُحيي صالحَ السُّنَنِ

---

(١) ديوان محرم : الجزءالأول ـ المقدمة ص ١٣ .

(٢) المنجد في الأدب والعلوم . معجم لاعلام الشرق والغرب لفرديناد توتل ص ٤٨٠ .

أنـزلْ على قلمي مـا شِئتَ من حكمٍ — تمحو الجهالةَ عن قـومي وعن وطني

إلى أن قال :

بـالحقِّ أصـدعُ في أمنٍ وفـي فَـزَعٍ — والصِّـدق أتبـعُ فـي سـرٍّ وفي عَـلَنِ
مـا بعتُ ديني بـدنيـا لا بقـاءَ لهـاً — ولـو فـعلتُ وجدتُ اللّهَ فـي الـثّمنِ
البـرُّ والخيـرُ والـدُّنيـا ومـا لبستْ — من الحضـارةِ لـولا الـدّينُ لم تَكُـنِ
قُـلْ للشُّعـوبِ إذا أخـلاقُهـا وَهنتْ — وراءهـا طـائفُ الأرزاءِ والـمِحَـنِ
شُدُّوا عُرَى الدِّينِ ، فالأخلاقُ يأخـذها — مـا كـان من قُـوَّةٍ بـالـدّينِ أو وَهَنِ

ومن قصيدة بعنوان « عدل الفاروق » قال :

رأيـتُ مُلوكَ الـنَّـاسِ لا يُنصفـونـهم — وخيـرُ الملوكِ المُـنصِفُ المُـترفِّقُ
يُقِيمـونَ صَـرحَ الـظُّلمِ في كـلِّ أُمّـةٍ — إذا ملكـوا ، والعَـدلُ بـالمُلكِ أخلقُ
ثَوَى العدلُ في (الفاروقِ) وانْجابَ ظِلُّه — غَـدَاةَ انـطوتْ أعـلامُـهُ وَهْيَ تَخفِقُ
إمـامٌ أظـلَّ الأرضَ وَارِفُ عَـدلِـهِ — وجَـلَّلهـا مـنـه جـمـالٌ ورونـقُ
هَـداهُ إلـى المعـروفِ دِينٌ يُـضيئُـه — من الـذكرِ ذي الآيـاتِ أبلجُ مُشـرِق
ثَـوتْ أُمَمُ الأسلامِ مِن بعـد ما مَضَى — تُـراعُ بـأهـوالِ الـخـطوبِ وتُصـعَقُ
تحكّمَ فيهـا القـاسـطونَ ،فـأصبحتْ — تُـقـادُ بـأسبـابِ الـهـوانِ وتُـوثَـق
عَسَى العِـزُّ أن يَعتَـادَهـا ، ولعـلّهـا — تُـفَـكُّ من الأغـلالِ يـومـاً وتُـطْلَق
فَتَستَنُّ من سُبْـلِ المفـاخِـرِ مـا عفـا — وتُـدرِكُ دِينـاً ضَـاقَ منـه الـمُخَنَّق

وقال من قصيدة بعنوان « ثوبوا إلى الهدى » :

هـلِ الـدّينُ إلاّ مَعقِـلٌ نَحتَمي بـهِ — إذا دَلَفَ العَـادِي إلينـا فَـأسـرعـا ؟
هـل الـدّينَ إلاّ الـرُّوحُ تُحيِي نُفُوسَنـا — حيـاةً تُـرينـا مـاحِـلَ العيشِ مُمرعـا ؟
هـو الـدّينُ إن يَـذْهبْ فـلا عِـزَّ بَعـدَهُ — وإن جَـدَّ سَـاعينـا على إثـرِ مَن سَعَى

وعندما حمل كرومر المعتمد البريطاني بمصر على الإسلام والمسلمين قال من قصيدة طويلة مطلعها :

رويـدَكَ أيّـهـا الـجـبّـارُ فـيـنـا — فـإنَّ الـرأيَ ألاّ تـزدريـنـا
سَـلِ الأحيـاءَ والـمـوتى جـميعـاً — أكـنَّـا أُمّـةً مُـسْـتَـضْـعَـفـيـنـا ؟
لَـيـالِـيَ يَـبـعـثُ الإسـلامُ مـنّـا — عَـزائِـمَ تُخـضِـعُ الـمُـتَـغَـطْرِسِينـا
نَـثُـلُّ عُـروشَ جَـبَّـارِيـنَ غُـلـبـاً — ونَـجـتَـثُّ الـمـمـالِـكَ فـاتـحـيـنـا
وقـائـعُ تَـرجـفُ الـدّولاتُ منـهـا — ويَـذكـرُهـا القيـاصِـرُ صَـاغِـرينـا

ولما زعم هانوتو الوزير الفرنسي أنه لا دواء للتعصب الإسلامي سوى نسف قبر النبي ﷺ ووضع أنقاضه في متحف اللوفر قال من قصيدة :

أيهمُّ هانوتو بقبرِ (مُحمَّدٍ) و(يسوعُ) حولَيْهِ يطوفُ ويعكفُ ؟
أيقولُ تلكَ ، فلا تميدُ بأهلها (باريسُ) من فزَعٍ ، ويهوي المتحف ؟
ونجي على الإسلامِ ، هانَ وزلزلتْ أيدي الخطوبِ شعوبَهُ فاستُضعِفُوا

وعندما دعا قاسم أمين المرأة إلى السفور قال من قصيدة :

سلامٌ على الأخلاقِ في الشّرقِ كُلِّهِ إذا ما استبيحتْ في الخُدورِ الكرائمُ

ثم يتوجّه بالحديث إلى قاسم أمين فيقول :

أ(قاسِمُ) لا تقذِفْ بجَيشِكَ تَبتغي بِقَومِكَ والإسلامِ ما اللَّهُ عالِمُ
لنا مِن بِنَاءِ الأوَّلِيْنَ بقيّةٌ تَلوذُ بها أعراضُنا والمحارِمُ
نَبذتَ إلينا بالكتابِ كأنَّما صَحَائِفُه ممّا حَملنَ ملاحِمُ
فَفِي كلِّ سَطرٍ منه حَتفٌ مُفاجِىءٌ وفي كلِّ حَرفٍ منه جَيْشٌ مُهاجِمُ
عَفا اللَّهُ عن قومٍ تمادتْ ظُنونُهم فلا النَّهجُ مأمونٌ، ولا الرأيُ حازِمُ

ثم يقرر حقيقة لا شك فيها وهي أنّ في القرآن الكريم شفاءً لأدواء المجتمع ، :

ألا إنَّ بالإسلامِ دَاءً مُخامِراً وإنّ كتابَ اللّهِ للدّاءِ حاسِمُ

وقال من قصيدة بعنوان « أعوان الظلم » .

اليومَ يَبكِي على الإسلامِ شَاعِرُهُ ويملأُ الدّهرَ إعوالاً وَإرنانا
ضَجَّ الكِتَابُ ، وضَجَّ البيتُ مِن أسَفٍ وَباتَ فيكم رَسُولُ اللّهِ غضبانا
يا أمّةَ النّيلِ هُبّي اليومَ وَانْطَلِقِي أما تَرينَ حِمَى الإسلامِ قد هانا ؟

وقال من قصيدة في الملك فيصل بن الحسين حين طوّحت به السياسة الفرنسية عن عرش الشام :

شَقِينا بالحياةِ ، وأيُّ شَعْبٍ تَطِيبُ له حَياةُ المُسلِمينا ؟
أنُنكَبُ في الشُّعوبِ بِكُلِّ خَطبٍ ونذهبُ في البلادِ مُشَرَّدِينا ؟

وقال من قصيدة طويلة عنوانها « الحضارة الإسلامية » :

إنّ الحضارةَ دِينُ اللّهِ تَعرِفُها في مُحكَمِ الذكرِ ، لا ظُلْم ولا شَغَبُ
النّاسُ أهلٌ وإخوانٌ سَوَاسِيَةٌ في كلِّ شيءٍ ، فلا رأسٌ ولا ذَنَبُ

الحكمُ للّهِ فرداً لا شريكَ له ... ألا له المُلكُ والسُّلطانُ والغَلَبُ
أقامَ للنّاسِ ديناً من جَلالَتِه ... تهوي التماثيلُ عن رُكنَيْهِ والنُّصُب
قُلْ للملوكِ: أفيقوا من وَساوِسِكم ... زالتْ غَواشِي العَمَى ، وانْشَقَّتِ الحُجُبُ
فلا الشُّعوبُ تُسامُ الخَسْفَ من ضِعَةٍ ... ولا الحقوقُ بأيدي العَسْفِ تُغْتَصَب

ومن قصيدة بعنوان « البعث المؤمّل » قال :

أما وجَلالِ اللّهِ في مَلَكُوتِه ... وآلائِه العُظْمَى وآياتِه الكُبْرَى
لقد فَدَحَ الخَطبُ الذي هَال دِينَه ... فما يملكُ المحزون من أجلِهِ صبرا
ألا نَهضةٌ بَكريّةٌ عُمَريَّةٌ ... تُعِيدُ إليهِ مجده تارةً أخرى ؟

ومن قصيدة بعنوان « الدين والوطن » قال :

لم يَشرعِ اللّهُ ديناً في خَليقَتِهِ ... إلّا على صالحِ الآدابِ والسُّنَنِ
ولا أتتْ مِلّةُ المُختارِ فاتِحَةً ... إلّا لِتَسْتَنْقِذَ الدُّنيا من المِحَنِ
العِلمُ ليس بِمُحْيٍ أُمَّةً جَهِلَتْ ... إنَّ الحياةَ حياةُ الدِّينِ والوطنِ

وقال من قصيدة جامعة :

المُلكُ أجمعُ والجلالُ لِواحدٍ ... صَمَدٍ ، تَبارَكَ وَحدَهُ وتَسامَى
إنّا لَعمرُكَ ما نُطيعُ لغيرِهِ ... حُكماً ، ولا نُعطِي سِواهُ زِماما
نَعْصِي الوُلاةَ إذا عَتَوْا عن أمرِهِ ... ونُهِينُ في مَرضاتِه الحُكّاما
ونُجِلُّ شِيعتَهُ ، ونُكْرِمُ حِزْبَهُ ... ونَصونُ بعد نَبِيِّهِ الإسلاما
نأتمُّ بالنُّورِ المُبِيْنِ ، وَحَسْبُنا ... بالبيِّناتِ من الكتابِ إماما
مَلأَ الزّمانَ هُدىً ، وأشْرَقَ حِكمةً ... لِلعالَمِينَ ، ورحمةً وسلاما

وقال من قصيدة في رثاء محمد فريد :

مَضَتِ الحضارةُ في جَلالِ حُماتِهَا ... وَمَضَوْا بأُبّهةِ الزّمانِ الأقدمِ
الرّافِعِينَ من المَمالِكِ شأوَها ... البالغينَ فيها مَكانَ الأنجُمِ
المُتّقِينَ اللّهَ في ضُعَفائِها ... المانِعِيْنَ حِمَى الذليلِ المُسْلِمِ
الجامعين على الهدايةِ أهلَها ... الصّادِعِينَ غَياهِبَ الزّمنِ العَمِ
المُمطِرِينَ الأرضَ عدلاً كُلَّها ... المُنبِتِينَ بِها كِبارَ الأنعُمِ
في دولةٍ للّهِ عاليةِ الذُّرى ... دُعِمَتْ بآياتِ الكتابِ المُحْكَمِ

ومن قصيدة بعنوان « دين البغي وعصر الحضارة » قال :

أَلَمْ تَـرَ كيف صَـارَ البَغيُ دينـاً — لكـلِّ حُكـومـةٍ ، وبكـلِّ مِصْـرِ ؟
مَضَى الحُنَفَـاءُ في العُصُـرِ الخـوالي — فَـهَـاتِ حَـدِيثَـهـم إن كنـتَ تَـدري
وَقِفْ بي في طلولِ الشَّـرقِ وَاذكُـرْ — هُدَى (الفاروقِ) وَانْدُبْ عَهْدَ (عَمْرو)
ولا تَـصِـفِ الـحَـضـارَةَ لـي فـإنّي — أرَى عَـصـرَ الحضـارَةِ شَـرَّ عصـرِ

وقال من قصيدة بعنوان « مناجاة »

ربِّ كـن لـلشَّـرقِ وَارْزُقْ أهـلَهُ — في بني الـدُّنيـا حيـاةَ العـامليـنْ
وَابْـعَـثِ الأقـدَارَ سـلمـاً فـكـفـى — مـا أصـابتْ مِن شُعـوبِ المُسْلِمِينْ
زَلْـزَلَ الـشَّـرق قَـضَـاءُ هـائـلٌ — فَـتَـحَ الأقـطارَ لـلمُـسْـتَـعْـمِـريـن
أيضـيـعُ الـشّـرقُ ؟ وَيَـخـبـى إنّـه — حُـرمـةُ الـوَحْيِ ، وعَهـدُ المُـرسَلِين

وقال من قصيدة بعنوان« القرآن الكريم »

يـا قَـومَنـا، هـل تعـرفـون كتـابكم ؟ — أم لـيسَ فـيكـم مُـؤمنٌ يَـتـذكَّـرُ ؟
عُـذراً ، فقـد عَـظُمَ البَلاَءُ فهـاجني — حتّى لأَحْسَبُ مُهـجَتِي تَـتـفجَّـرُ
وكـأنَّ فـي كَبِـدي وبـيـن جَـوانِـحِي — نـاراً مُـؤجَّـجَـةً تَـجِـيشُ وَتَـهـدِرُ
إن تَـجهـلوهُ فـإنّـه الـسِّـرُّ الـذي — يُحيِي النُّفـوسَ إذا تَمـوتُ وتُقْبَـرُ
وهـو الحِمَى المـأمـولُ يَعصِمُنـا إذا — جَـرَتِ الأمـورُ بمـا نَخـافُ ونَحْـذَر
مـاذا نخـافُ ؟ وكـلُّ حَـرفٍ مَعقِـلٌ — ولِمَنْ نَـدِينُ ؟ وكـلُّ سَـطرٍ عسكـر
هـو قُـوَّةُ الإسـلامِ، مـا مـن قُـوَّةٍ — تُـرْمَـى بـهـا إلاّ تُـرَدُّ وتُـقْـهَـرُ

وقال من قصيدة يرثي فيها السيد أحمد السنوسي الكبير :

وارَحمـتـا لـلمُـسـلِمـيـنَ تَـفَـرَّقُـوا — وتَبَـاعَـدُوا في الأرضِ بَـعـدَ تَـدانِ
فَلَئِنْ بَكيتُ فَقـد وَجـدتُ مُـصَـابَهـم — في مَنْكِبي ، وَجَـوَانِحِي ، وجَـنَـاني
مـا بـالـدُّمـوعِ المُسْتَهِلَّـةِ رِيبَـةٌ — هِيَ في الجُفُـونِ عُصَـارَةُ الـوِجْـدَانِ
مَنْ كـانَ أبْصَـرَ خَـطْبَهُمْ فأنـا الذي — مـارسـتُـه، ولـمـستُـه بِـبـنـانـي
مـا زِلتُ أجمـعُ بـالقـريضِ شَتـاتَهم — حَتَّى انْـقَضَى أدبي ، وضَـاعَ زَمـاني

ولقد كان شاعرنا دائم الاحتفاء بالمناسبات الإسلامية مثل مطلع العام الهجري ، وذكرى المولد النبوي الشريف ، ويجعلها فرصة مناسبة لحثّ الامة الإسلامية على النهوض من كبوتها والأخذ بأسباب القوة والمنعة ، قال من قصيدة لتحية أحد الأعوام الهجرية .

طَلعتَ على بنـي الإسـلامِ نُـوراً — تَـحفُّ بـه الـبـشـائِـرُ والـسُّـعـودُ
يُـذكِّـرهـم بـابـاءٍ كـرامٍ ، — مَـيامِينٍ ، لـهـم ذِكـرٌ مَـجـيـدُ

أقـامـوا مَجْـدَهم بـالبـأسِ ، نَخْشَى ونـحـذرُ أن تُـقـاوِمَـه الأُسـود
وسَـنُّـوا الـعـدلَ إيـمـانـاً وتـقـوىً فـكـانَ لـه بِـهـم صَـرحٌ مَـشِـيـد
بـه فَتَحـوا الـممـالـكَ ثُـمَّ سَـادُوا كـذاكَ الـعـدلُ صـاحـبـهُ يـسـود
مَـفَـاخِـرُهم مَـدَى الأجيـالِ تَبـقَـى مُـخَـلَّدَةً إذا ذُكِـرَ الـخُـلود
هَـلـمُّـوا يـا بـنـي الإسـلامِ نَـسـعَـى عَـسَـى الـزَّمـنُ الـذي وَلَّـى يـعـود

وقال من قصيدة ثانية يحيّي بها عام ١٣٤٦

يـا أيّها العـامُ الجـديـدُ أمـا تـرَى أَمَمَ الكتـابِ جِيـالَ مَـهـدِكَ مُثَّـلا ؟
فَـزعـتْ إليـك تَـقُصُّ من أنبـائِـهـا مـا راعَ راويـةَ الـدُّهـورِ فـأجفـلا
وتَـسـوقُ بيـن يَـدَيْـكَ من آمـالِـهـا مـا أخلفَ الـزّمنُ العَسُـوفُ وعَـطّلا
عَبثتْ بهـا الأعـوامُ قبلكَ ، فـانجلتْ عن لاعجٍ صَدَعَ القُلوبَ ، وما انْجَلى

ومن قصيدة ثالثة في عام ١٣٥٥ قال :

بَـشِّـرْ شُعـوبَ الـمُسلِمِيـنَ بِنَـهْضَـةٍ تَـدَعُ الشُّعـوبَ النّـاهِضِينَ حَيَـارى
فَـزعـوا إلـيـكَ تهـزُّهـم أوطـارُهـم فَـانْـظُرْ : أتـقضِي تِلكُمُ الأوطـارا ؟
سَئِمُـوا حَيَـاةَ الـقـاعِـدِينَ ، وأقبلوا يَـتَـلَمّـسـونَ مـع النُّسـورِ مَـطارا
لـمّـا رأوكَ تَـذَكَّـرُوا آبـاءَهـم وتَـفَـزَّعُـوا، لا يـمـلكـونَ قَـرارا
قـالـوا : أنهـدِمُ مَجدَهم ، وهمُ الأُلى هَـدمُوا العُـروشَ ، وزلزلـوا الأقـطارا ؟
حَملوا إلـى الـدُّنيـا الحيـاةَ كبيـرةً تَـلِدُ المـمـالِـكَ والـشُّعـوبَ كِبـارا
أنُضِيـعُ مـا تـركـوا لنـا ونَخـونُهم ؟ لـسـنـا إذاً مِـمّـن يَـخـاف الـعـارا

وقال من قصيدة رابعة في عام ١٣٥٦

الأرضُ وَلْـهَى ، والـمـمـالـكُ رُجَّـفُ والنّـاسُ حَـربٌ ، والـزّمـانُ خِصَـامُ
دُنيـا تَمـوجُ بهـا الشُّـرورُ ، وعَـالَمٌ تَـطغَـى عـلى جَـنَـبـاتِـهِ الآثـامُ

وقال في وصف القرآن الكريم

هـذا كـتـابٌ لـلحـيـاةِ مُـفَـصَّـلٌ وَضـحَـتْ بـه الآيـاتُ والأحـكـامُ
مَضَتِ الـدُّهـورُ ، ومـا يَـزالُ كـأنّـه بِـمكـانِـهِ ، مـا فُضَّ عـنـه خِـتـامُ

إلى أن قال :

يـا مُنقِـذَ الـضُّعـفـاء مِـن آلامهـم أمَـمُ الـبَـسـيـطةِ كُـلُّهـا آلامُ
جَـرَحْـى على جَـرحـى تَئِـنُّ ألا يَـدٌ تـأسـو الـجـراحَ لـعـلّهـا تَـلتـامُ ؟

هـاتِ الـرسـالـةَ من يَمين (مُحمـدٍ) إنّـا نـسيـنـا الدِّيـنَ كيـف يُقـام
وإذا الـحـيـاةُ تـنـكّـرتْ أعـلامُـهـا فـالـدِّيـنُ دُسـتـورٌ لـهـا ونـظـام

ومن قصيدة في ذكرى المولد النبوي الشريف عام ١٣٥٥ قال :

هَـذا تُـراثُ الـمُسلِمينَ، فَـبعضُـه يُـزْجَى عـلانيـةً ، وبَعضٌ يُسْـرَقُ
عَـجَـز الـحُـمـاةُ ، فـنـائـمٌ مُـتـقَلِّبٌ فَـوقَ الـحَشِيَّـةِ ، أو مَغِيظٌ مُحنَقُ
القـومُ صُمٌّ في الـسِّلاحِ ، وقَـومُنـا مُسـتَصْـرِخٌ يَـغْـوِي ، وآخـرُ يَـنـعَـقُ
إن كُـنـتَ ذا حـقٍّ فَـخُـذْهُ بـقُـوَّةٍ الـحقُّ يَـخـذُلـه الـضَّـعيـفُ فَـيـزهَـقُ
لـغـةُ الـسُّيـوفِ تَحُـلُّ كـلَّ قـضيَّـةٍ فَـدَعِ الـكـلامَ لجـاهـلٍ يـتـشـدَّقُ
وكُـنِ اللَّبيبَ ، فـليس من كَـلمـاتِها (شَـرعٌ يُداسُ) ولا (نِظامٌ يُخرَقُ)(١)
الخيـلُ والـرَّهَـجُ(٢) المُثـارُ حُـروفُها والـنَّـارُ ، والـدمُ ، والـبـلاءُ الـمُـطبِقُ

وقال من قصيدة في ذكرى المولد عام ١٣٥٦ :

يـا فَـاتِـحَ الـدُّنيـا ، ومـانِـحَ أهلِهـا مـا عَـزَّ مَـرجُـوًّا ، وجَـلَّ مَـرومـا
أنـقَـذتَ هَـذي الأرضَ مـن آلامِـهـا وشَـفَيْتَ هـذا الـعـالَـم الـمحمـومـا
بـالـسّـاطعـاتِ الشّـافيـاتِ مِن العَمى يَـطفَى غيـاهِبَ ، أو يمـوجُ غُيـومـا
الـلّهُ أنـزلـهـا عـلـيـكَ دراريـاً طـلعتْ مَـعـالِمَ لـلهُـدَى وَرُسـومـا
أُوتِيتَ (بـالفُـرقـانِ) مَشـرعَ حِكمـةٍ مـا زلتَ تُـورِدُه الـنُّفـوسَ الهيمـا(٣)
فَضَّتْ عُـلومُ الـدَّهـرِ مِنـهُ جَـانبـاً وغـداً تَـفُضُّ الجـانـبَ المختـومـا
مُتَجـدِّدٌ في كـلِّ عَصـرٍ ، يَبْـتغـي أُمَـمـاً تَـجـيءُ جـديـدةً وعُـلومـا
(دُستـورُ حقٍّ) في يَمينِ (مُحمـدٍ) يَحمِي الضَّعيفَ ، ويَنصُـر الـمظلومـا
يَـتـمـلَّقُ الـمَـوْلَـى الـمُـعـظَّمُ عَبْـدَهُ فيـهِ، ويَخْشَى الحـاكِمُ المحكـومـا

إلى أن قال :

يـا (مَـولِـدَ المختـارِ) أنتَ بَعثْتَهـا ذِكـرَى تُـسـاجِـلُ دَمْعِيَ المسجـومـا
أبكي عـلى الأسـلام، يـذهَبُ عِـزُّه ويـبِيتُ مَـطْويَّ الجنـاحِ مَـضِيـمـا
نَهَضَتْ شُعوبُ الأرضِ ترفَعُ مَجدَهـا وأرى شُـعـوبَ المُسلِمـينَ جُـثـومـا

(١) تمثيل لما تقوله الامم الضعيفة .
(٢) الغبار .
(٣) الهيم : العطاش .

ومن قصيدة أخرى في الذكرى نفسها قال :

إنّ في الصّحراءِ من وَادِي الهُدَى لَبياناً سَاطِعاً للمُبْصِرِينْ
أنشَأ اللّهُ بها مدرسةً تُنشِيءُ المُلكَيْنِ مِن دُنيا ودين
يَتلقّى الدّهرُ عن أستاذِها أدَبَ التلميذِ حيناً بعد حين

وقال من قصيدة في ذكرى المولد عام ١٣٦٢ :

أسَفِي على الإسلامِ هَانَ عَرينُه وعَدَا عليهِ القاتِلُ المُستأسِدُ
إنْ الذي جمعت سُيوفُ (مُحمّدٍ) أمْسَى بأيدِي المُسلِمينَ يُبدَّدُ
ما أوجَعَ الذِكرى ، ويا لكِ لَوْعةً في قلبِ كلِّ مُوحِّدٍ تَتوقّد
يا مَولِدَ النُّورِ الذي صَدَعَ الدُّجَى فرأَى السَّبِيلَ الحائِرُ المُتَردِّد
السُّبْلُ خافيةُ المعالم ، والهُدَى قولٌ يُقالُ، ومَطلبٌ لا يُوجد
طالَ الرّجاءُ ، فهل لنا من مَوْعِدٍ ؟ واحسرتاهُ : متى يَحِينُ الموعد ؟

ومن هذا المنطلق كان أحمد محرم من دعاة الجامعة الاسلامية المناضلين عنها ، استمع اليه يدعو المسلمين جميعاً الى الالتفاف حول راية الخلافة :

هُبّوا بني الشّرقِ لا نَومٌ ولا لَعِبُ حتّى تُعدَّ القُوَى أو تُؤخَذَ الأهَبُ
ماذا تَظنُّونَ إلّا أن يُحاطَ بكم فلا يكونُ لكم مَنجىً ولا هَرَبُ
كونوا بها أُمّةً في الدّهرِ واحدةً لا يَنظُر الغربُ يوماً كيف تَحْتَرِب
ما للسياسةِ تُؤذِينا وتُبعِدُنا ممّا تَضمُّ قُوانا حين نَقْتربُ
أغرتْ بنا الخُلفَ حتّى اجتاح قُوّتَنا وطاحَ بالشّرقِ ما نَجنِي ونرتكب

ولمّا قامت الحرب التركية اليونانية عام ١٨٩٧ قال من قصيدة :

أفي مَعقلِ الإسلامِ تَطمعُ أُمّةٌ تَبِيتُ مَناياها حَيارَى تُراقِبُهْ ؟
إذا لمحتْ إيماءةً منه أجلبتْ على القومِ حتّى يَسأَمَ الشَّرَّ جالبُهْ
كتائبُ من أقوامنا (خالديّةٌ) وما الحربُ إلّا (خالدٌ) وكتائِبُهْ
مَشَتْ تأخذُ الأعداءَ ، واللّهُ قائمٌ عليها ، ودينُ اللّهِ يَعتزُّ غالِبُه
إذا لَمستْ حِصناً هَوَتْ شُرُفاتُه وإن لمحتْ طَوْداً تداعتْ مناكِبُهْ
لها في أعاصيرِ القتالِ وقائعٌ هِيَ السِّحرُ لولا أن يُزيِّفَ كاذِبُهْ
ألَمتْ (بلاريسّا) فَحلَّ رُبوعها عَذابٌ إذا ما استصرخَتْ لجَّ وَاصِبُه
رَمَتْها بِوَبْلٍ من حَدِيدٍ وأسرُبٍ تَتابَعَ يَجرِي من يد اللّهِ صائِبُهْ[1]

(١) الوبل : المطر الشديد ، والاسرب : الرصاص .

ولمّا صدر الدستور العثماني عام ١٩٠٨ قال :

يا (آل عثمانَ) من تُرْكٍ ومن عَرَبٍ ... وأيُّ شعبٍ يُساوِي التُّركَ والعَرَبا
سُوسوا الخِلافة بالشورى ولا تدعوا ... لِفتنةٍ من نواحِي المِلكِ مضطَرِبا
والمُلكُ إن رَفَع (الدُّستورُ) حائِطَهُ ... فَغايةُ العجزِ ألّا يَبلغَ الشُّهُبا
إنّ الذي كان من عَدلٍ ومن شَطَطٍ ... أمْسَى تَوارى وَراءَ الدّهرِ وَاحْتَجبا
لا تذكروا ما مَضَى من أمرِكم ودَعُوا ... ما جَرَّ بالأمسِ حُكمُ الفَردِ، أو جَلَبا
صُونوا (الهِلالَ) وزِيدوا مَجدَهُ عَلَماً ... لا مَجدَ من بَعدِهِ إن ضَاعَ أو ذَهبا

ولمّا هجمت ايطاليا على طرابلس عام ١٩١١ قال :

أين (ابنُ عمِّ رَسولِ اللّهِ) يُطفِئُها ... حَرباً على كَبِدي مِن نَارِها شَرَرُ ؟
أين (اللّواءُ) و(خيلُ اللّهِ) يَبعثُها ... (عَمْروٌ) ويَصرخُ في آثارِها (عُمَرُ) ؟
أين المقاديمُ من فِهرٍ ومن مُضَرٍ ؟ ... ومن قُرَيْشٍ ؟ وأين السّادةُ الغُررِ ؟
أين الوقائعُ تَهتزُّ العُروشُ لها ... رُعباً، وتَنْتَفِضُ التّيجانُ والسُّرُرُ ؟
أين القياصِرُ مَقهورينَ لا صَلفٌ ... يَنْأَى بجانِبِهم عَنّا ولا صُغُرٌ ؟[1]
أين الحُماةُ وقد ضاعتْ مَحارِمُنا ؟ ... أين الكُفاةُ ؟ وأين الذّادةُ الغُيُرُ ؟

إلى أن قال :

يا مُوقِدَ الحربِ بَغياً في (طَرابُلسٍ) ... بأيِّ عُذرٍ إلى التّاريخِ تَعْتَذِرُ
أذاك والعَصرُ عصرُ النّورِ عندكمُ ... فما يكونُ إذا ما اسْوَدّتِ العُصُرُ ؟
أين الأُلى زَعموا الإنصافَ شِرعتَهم ... وقَامَ قائِمُهم بالعدلِ يفتخِرُ ؟
يا أكثرَ النّاسِ إنصافاً ومعدلةً ... العدلُ يُصعقُ، والإنصافُ يحتضِرُ
نِعمَ الشّريعةُ ما سَنّتْ حضارتُكم ... الحقُّ يُخذَلُ، والعُدوانُ يَنْتَصِرُ

وقال من قصيدة اخرى في حرب طرابلس :

هل الحربُ إلّا أن تَطيرَ الجماجِمُ ؟ ... أمِ البأسُ إلّا ما تجيءُ الضراغِمُ ؟
بأيِّ سلاحٍ يَطلبُ النّصرَ هالكٌ ... سِلاحُ المنايا قاصفٌ منه قاصِمُ
فيا ربَّ بالبيتِ العَتيقِ، وما ثَوَى ... بِيَثْرِبَ من قَبرٍ لـه الرُّوحُ خادمُ
تَولَّ شُعوبَ المُسلِمينَ بِرَحمةٍ ... تُؤَلِّفُ فيما بينهم وتُلائمُ

---

(١) الصغر: الذلّ والضيم .

أيُـرضِيــكَ ربّي أن يُقـادُوا لحتفـهم   قِيـادَ الأسَـارَى أوثَقَتهَـا الأداهـم ؟[1]

ومن قصيدة يحثّ فيها المواطنين على معاونة طرابلس في محنتها قال :

حـاشـا لِقَـومِيَ أن تُـرجَى مَعـونَتُهم   فَيبخلوا ، أو يُعـابوا بـالـذي بَـذلـوا
إنّي أرى المـالَ جمًّـا في خَـزائِنهم   ومـا عَـهِـدتُ بهـم بُخـلاً إذا سُئِلوا
أيـَمنَـحُ البـائسُ المسكينُ بُـردَتَـه   ويَمنـعُ المالَ مُثرٍ عَيشُه خَضِـلُ ؟[2]
يـا قـومِ إنّ لكم من مـالكِم بَـدَلٌ   ومـا لـكم أبـداً من مُلكِكـم بَـدَلُ

وقال من قصيدة عام ١٩١٢ يندّد فيها بالسلطان عبد الحفيظ بعد توقيع المعاهدة التي قبل فيها وضع بلاده مراكش تحت حماية فرنسا بعنوان « سرير المغرب » :

هَـفَتِ الـعُـروشُ ، وزُلـزِلَتْ زلـزالا   عَـرشٌ هَـوى ، وقَـدِيـمُ مُلكٍ زالا
رِيعَت لمصـرعِـه المشـارِقُ إذ مَشَى   فـيهـا الـنَعِيُّ ، وأجفـلَتْ إجفـالا
سَلبَ المُـغيـرُ حَيـاتَـه واسْتَـأصَلَت   أيـدي الجـوائـح[3] عِـزَّه استئصـالا

إلى أن قال :

أخـليـفـةٌ يُـعـطي الـبـلادَ وآخـراً   يهـوى القيـان ، ويعشق الجـريـالا ؟[4]
أغـرورُ مفتـونٍ وصبـوةُ جـاهـلٍ ؟   بِئسَ (الـخـلائـف) سـيـرةً وفِـعـالا

ولما وصلت الأنباء بهزيمة الأسطول البريطاني في موقعة غاليبولي في ٨ يناير ١٩١٦ نظم الشاعر قصيدة مطولة بلغت ٢٢٩ بيتاً قال فيها :

طَـربَ الحـطيمُ ، وكبَّـر الحَـرَمـانِ   واعـتـزَّ ديـنُ الـلّهِ بـعـد هَـوانِ
قـامتْ سُيـوفُ الـفـاتِحينَ بنصـره   والـنّصـرُ بـيـن مُـهـنَّدٍ وسِـنَانِ
ظَمِئَتْ جَـوانِحُـه الى حَـرِّ الـوغَى   فَسَقَتْـهُ شُؤبـوبَ النَّجيـع القـاني[5]
تَـعـدُو الـذّئـابُ على مُمنَّـعِ غِيلِه   والأسْـدُ غَضْبَى ، والسُّيـوفُ عَـوانِ
لا قُـبّـةُ الإسـلامِ قـائـمـةٌ ، ولا   مُـلكُ الـخـلائـفِ ثـابـتُ الأركـانِ
يَـمضِـي تُـراثُ المُسلِمينَ مُـوزَّعـاً   والـمُـسـلِمـونَ نَـواكِسُ الأذقـانِ

---

(١) القيود .

(٢) الخضل : النديّ المبتل كناية عن النعمة والخصب، وفي البيت اشارة الى فقير جاد بلباسه متبرعاً للهلال الأحمر .

(٣) المصائب : العظيمة المهلكة .

(٤) القيان : المغنيّات جمع قينة ، والجريال : الخمر .

(٥) الشؤبوب : الدفعة من المطر ، والنجيع : دم الجوف ، والقاني : الشديد الحمرة .

مـا بَيْنَ مِصْر، إلى طَـرابلسٍ، إلى عَـدَنٍ، الى القُـوقـازِ، فـالبلقـانِ
كَـرُّ الصَّليبُ عليـه كَـرَّةَ حـانـقٍ ضَـرِمِ العـداوةِ، ثـائِـر الشَّـنـآنِ
مُـتَـوثِّـبٍ مـن خَـلفـهِ وأمـامِـه مُـتَـألِّـبٍ يـلقـاه كـلَّ أوانِ

إلى أن قال :

إنّـا بـنـو الـقـرآنِ والـدّيـنِ الـذي صَـدَعَ الشُّكـوكَ، وجـاءَ بـالتبيـانِ
ضـاعت حُقـوقُ العـالَمِينَ، فَـردَّهـا وأقـامـهـا بـالـقِـسطِ والـمـيـزانِ
ظَـلَمَ الـعـزيـزُ فَـهـدَّهُ وأهـانَـهُ وحَمَى الـذَّليـلَ، فَبـاتَ غَيْـرَ مَهـانِ
نعفـو، وما اسْتَفتِ السّيوفُ، ولا هفا بِصُـدورِهـا شَـوقٌ الى الأجـفـانِ[1]

وفي عام ١٩٢٣ نشر قصيدة ضافية بلغت ٥٧٧ بيتاً في كتيّب بعنوان « النصر المبين في الأناضول » يصف فيها هزائم اليونان وجرائمهم في الحرب اليونانية التركية الأخيرة وما تلى ذلك من مؤتمرات بعد ان وضعت الحرب العالمية الاولى اوزارها قال فيها :

رِدُوا غَـمـراتِـهـا فـي الـوارِديـنـا وسِيـرُوا في الممـالـكِ فـاتحيـنـا
لـكم مـا اسْتعـمَـر الأعـداءُ مـنـهـا ومـا استلَبَت أكُـفُّ الـغـاصـبـيـنـا
ومـا مُـلـكُ الـهـلالِ بِـمُـسـتـبـاحٍ وإن غَـفَـتِ الـقَـواضِـبُ عنـه حِيـنـا
لـهـا خُلُقُ الصَّـواعقِ حِيـنَ تَـغْـفَـى فـمـا يُـمْـسِـكْـنَ حتّـى يـرتـمـيـنـا

ولمّا سقطت الخلافة الاسلامية عام ١٩٢٤ قال ينعي على المسلمين تخليهم عن الخلافة ومؤازرتهم للمستعمرين أعداء الدين :

ومـا نَفْـعُ (الخـلافـةِ) حِينَ تُـمْسِي حَـديـثَ خُـرافـةٍ لـلـهـازلـيـنـا ؟
ثَـوتْ تـتـجـرّعُ الآلامَ شَـتَّـى عـلـى أيـدي الـدُّهـاةِ المـاكـريـنـا
تُـغِيثُ المُـسلِـمِيـنَ إذا استـغـاثـوا وتـنصـرُهـم عـلى الـمـسـتـعـمـريـنـا
فـلمّـا جَـدَّ جِـدُّ الـحـربِ كـانـوا قُـوَى الأعـداءِ تـرمِي النّـاصـريـنـا
مَـنـعـنـا الـظُّلمَ أن يَـطغَى عـلـيـهـم فـخـانـونـا، وكـانـوا الـظّـالـمـيـنـا
نُـصـابُ لأجلِهـم، ونُـصـابُ مـنـهـم فـإن تَـعجَـب، فـذلـكَ مـا لَقِـيـنـا

ولمّا برزت قضية فلسطين على مسرح السياسة ارتفع صوت شاعرنا مُدوّياً، مُنبهاً الى خطر الزحف الصهيوني وحاثّاً الشعوب العربية على مناصرة فلسطين والدفاع عنها بالنفس والنفيس . قال من قصيدة بمناسبة مرور مائة يوم من أيام جهادها :

---

(١) جمع الجفن : وهو غمد السيف .

صُونِي(فلسطينُ) الذِّمارَ، وجاهِدِي | ما للحياةِ سِوَى الجهادِ عِمادُ
صُوني ذِمارَكِ، إنّه لكِ موقفٌ | فَصلٌ ، ويومٌ منكِ ليس يُعادُ
هو آخر الأيّام، إمّا مَطلعٌ | عالٍ، وإمّا مَصرعٌ وحِدادُ
طَغَتِ الخطوبُ عليكِ، لا مُتَوقِّدٌ | يَخبو ، ولا مُتمرِّدٌ ينقادُ

إلى أن قال :

عَرَبٌ إذا غضبوا لأمرٍ طارقٍ | غَضبتْ على بيضِ الظُّبَى الأغمادُ
واهتاجتِ الجُرْدُ العِتاقُ ،وأقبلت | صُوَرُ المنايا ما لهنّ عِدادُ
وجَرَى الدمُ المَسْفُوح يَشهدُ أنّهم | سُئِلوا الجزيلَ من الفِدَاء فجادوا
جُودوا حُماةَ (القُدسِ) ما بكرامكم | بُخلٌ، ولا للمكرماتِ نَفادُ
اللّهُ أكبرُ يا خلائفَ (يَعْرُبٍ) | أتضيعُ أوطانٌ لكم وبلادُ ؟

وقال مندّداً بوعد بلفور :

يا قومُ تِلكَ شَريعةٌ ما سَنَّها | من قبلُ ذَبّاحٌ وَلا جَلّاد
(بلفورُ)أنزلَها وبَاءَ بإثمِها | والظُّلمُ إثمٌ كلُّه وفسادُ
هلّا تَبيَّن وهو يَقْضِي أمرَه | أيُباعُ شَعبٌ، أم يُباعُ جَماد ؟

وفي ١٣ نوفمبر سنة ١٩٣٣ نشرت جريدة البلاغ قصيدة بعنوان « نكبة فلسطين » قدمت لها بقولها « صيحة عالية يرسلها الشعر الحيّ في ممالك الشرق وشعوبه ، رحمةً بفلسطين الجريحة ، وعظة لها ولغيرها من هذه الاقطار الوالهة والممالك الحزينة ، تلقاها (البلاغ) من ناظمها الاستاذ أحمد محرم شاعر الوطنية المصرية والجامعة الشرقية، فنحن نذيعها كعنصر قوي من عناصر الأدب والتاريخ والسياسة » جاء فيها :

في حِمَى الحقّ ، ومن حَوْلِ (الحرْم) | أمّةٌ تُؤذَى ، وشَعبٌ يُهتَضَمْ
فَزِع (القُدسُ) وضَجّتْ (مَكّةٌ) | وبكتْ (يثربُ) من فَرطِ الألمْ
ومَضَى الظّلمُ خَلِيًّا ناعِماً | يَسحبُ البُردَيْنِ من نارٍ ودَمْ

وبعد أن أشار الى دور انجلترا في توطين اليهود ونزع الأراضي من العرب قال مخاطباً اليهود :

(شَعْب اسرائيلَ) ما بالُ الأُلى | حَفظوا العهدَ، وبَرُّوا بالقَسَمْ ؟
ذكروكم ونَسوا ما عَقَدُوا | لِسواكم من عُهودٍ وذِمَم
أُذكروا (بلفورَ) في (تُلمودِكم) | واغفروا اليومَ (لعيسى) ما اجترم
هَدَمَ (التّيهُ) قديماً مُلككم | فَبَنى (بلفورُ) منه ما هدم

ثم توجّه بالحديث الى مصر قائلا :

(مِصرُ) ناجي من (فلسطينَ) الرُّبى ... وابْعَثِي صوتَكِ من أعلى (الهرم)
وإذا أعوزَ هَمٌّ أو أسىً ... فَاسْتَمِدِّي الهمَّ من هذا القَلَمْ
وخُذِي مَعنَى الأسَى عنه فما ... لَكِ من مَعناهُ إلّا ما نَظم
نَبِّئِيها أنّنا من وَجدِها ... نَجِدُ العَلقمَ في العذبِ الشَّبِم[1]

ولمّا قُتل القائد الفلسطيني محمد سعيد بن العاص في معركة غير متعادلة عام ١٩٣٦ قال :

نَظَم المجدَ لأبطالِ الحِمَى ... ونَظمتُ الشّعرَ ناراً ودما
بَطلٌ أبصرتُ مَجَرى دَمِهِ ... في جَبين الشّرقِ لمّا وجما
رَفَع السَّيفَ على هامِ السُّهَى ... أفلا أرفعُ فيه القلما ؟

وقال في ذكرى وعد بلفور عام ١٩٣٧ :

تِلْك العُروبةُ جُرحُها يَجرِي دَما ... من يَمنعُ الإسلامَ أن يتألّما ؟
هذا تُراثُ (مُحَمدٍ) في قومِه ... أمْسَى بأيدي النّاهبين مُقَسَّما
أثَرُ السُّيوفِ عليه والدمُ حوله ... حَرّانُ يَصرخُ: أين أبطالُ الحِمَى ؟
أين الأُلَى وَرثوا الممالكَ حُرّةً ... تَقضِي القضاءَ على القياصِر مُبرَما ؟
تَرْمِي ، فتهدمُ كلَّ أرعنَ[2] شاهقٍ ... ويَخافُها رَيْبُ الزمانِ إذا رمى
تَتلفّتُ الدُّنيا إذا رَفَعت يداً ... وتَطيرُ من فَزَعٍ إذا فتحت فما
دَارَ الزّمانُ، فَعاثَ في أرجائها ... من كان ينزلُها فيَمشِي مُحرِما

ثم توجّه إلى شعوب المسلمين بقوله :

إيهٍ شُعوبَ المُسلِمينَ تَنبَّهُوا ... وتَدَاركوا أسبابكم أن تُجذَما[3]
اللّهَ في إخوانكم وبلادِكم ... أفما تَرَوْنَ الخطبَ كيف تهجَّما ؟
حفظوا التُراثَ لكم، وصانوا عِرضَكم ... أفتكرهون لِعرضكم أن يسلما ؟
لا تخذلوهم والملائكُ شُهَّدٌ ... بالمسجدَيْنِ ، كفى بذلك مأثما
إنّي وَفَيْتُ لهم ، ولستُ بمُسلِمٍ ... إن خُنتُ في دُنيايَ شَعباً مُسلما
أتَبيتُ أولى القِبلَتَيْنِ حَزِينةً ... وأبِيتُ وَسَنانَ الجُفونِ مُنعَّما ؟

---

(١) البارد .
(٢) الأرعن : الجبل ذو الرعان الأنوف .
(٣) تُقطع .

وقال عام ١٩٣٨ من قصيدة مطلعها :

خُلقُ العُروبةِ أن تَجِدَّ وتدأبا | وسَجِيَّةُ الإسلامِ أن يتغلَّبا
مَن ذا يَرى دَمَهُ أعزَّ مكانةً | مِن أن يُخضِّبَ من (فِلسطينَ) الرُّبى
وَطنٌ يُعذَّبُ في الجحيمِ ، وأُمَّةٌ | أعْزِزْ علينا أن تُصابَ وتُنكَبا
بِقُلوبِنا الحرَّى ، وفي أحشائنا | ما شبَّ من أشجانِها وتَلهُّبا

ثم توجّه إلى العرب قائلا :

يا (آل يَعْرُبَ) من يُريني (خالداً) | يُزجي الخميسَ ، ويَستحِثُّ المِقْنَبا[1]
مَن شاءَ منكم فليكنه ، ولا يَقُلْ | ذَهَبَ القديمُ ، فإنّه لن يذهبا
السِّرُّ باقٍ ،والزّمانُ مُجدِّدٌ | والسّيفُ ما فَقَدَ المضاءَ ولا نبا
رُدُّوا المَظالِمَ عن مَحارمِ أُمّةٍ | رَدَّتْ ظُنونَ ذَوِي الجهالةِ خُيَّبا

وفي ديسمبر من نفس العام (١٩٣٨) قال من قصيدة :

أفِي (المسجدِ الأقصى) يَعِيثُ الأُلَى أبَوْا | سِوَى المالِ طُولَ الدّهرِ ربًّا ومسجدا ؟
أيُمسِي (عبيدُ العجلِ) لِلنّاسِ سادةً | وما عرفوا منهم على الدّهرِ سيّدا ؟
لهم من (فِلسطينَ) القُبورُ، ولم يكن | ثَراها لأهلِ الرِّجسِ مَثوىً ومَرقدا

ومن قصيدة نشرت في ديسمبر سنة ١٩٤٤ قال :

هو يا (فلسطين) النّضالُ ، وهل نجا | من حَتفِه وَطنٌ بِغيرِ نِضالِ ؟
لا تُنكِري شِيَمَ النّفوسِ ، وأبشِري | بِأحبِّ مُنقلَبٍ ، وخيرِ مآلِ
وثِقي بِربّكِ ، إنّه لكِ ناصِرٌ | ما مِثلُهُ من ناصرٍ أو والِ
قولي(لروزفلت) المؤمّل عَدلُه | (رُوزفلتُ) ما للظالِمينَ ومالي ؟ !
أعَليَّ إيواءُ (الشّريدِ) ومن دمي | يُسْقَى ويُطعَمُ بعدَ قتلِ عِيالي ؟
شَرُّ القُضاةِ سَجيّةً وأضرُّهم | قاضٍ يَرى الإنصافَ غيرَ حلالِ

وأشار في قصيدة اخرى إلى أن هجرة اليهود الى فلسطين ما هي إلاّ تجميعٌ للشرّ في مكان واحد حيث يسهل اجتثاثه والقضاء عليه :

أودَى بأهلِ التيهِ من أوهامِه | تِيهٌ عَواقِبُهُ أضرُّ وأشأمُ
نَشرتُهم الأقدارُ شرّاً شائعاً | أمْسَى على يدِهِ يُضَمُّ ويُنْظَمُ[2]

(١) الخميس : الجيش ، والمقنب : جماعة الخيل تجتمع للغارة .

(٢) الضمير في يده : عائد الى بلفور .

يُحيي مَطامِعهم ، ويَلأمُ صَدعَهم والقومُ هَلْكَى صَدْعُهم لا يُلأم
كالدّاءِ منتشراً تَجمّعَ كلُّه في مَوضعٍ يُجتَثُّ منه ويُحْسَمُ

ولمّا اشتدت الحركة الوطنية في مصر على يد مصطفى كامل وظهر من يدعو للقومية المصرية خالصة نرى احمد محرم يلبّي الدعوة قوياً صريحاً جريئاً شأن المؤمن الذي لا يرهب إلا الله ، ولا يُبالي أصابه الضرّ فيما يقول أم الخير وطالما تغنّى بحب مصر وأمجادها بعد أن يئس من تركيا وتحطّم المثل الأعلى في نفسه وتقطعت الاسباب بعد اعلان الحماية على مصر ثم زوال الخلافة نفسها[1] .

فإن يسألوا ما حبُّ مِصرَ فإنّه دَمي وفُؤادي والجوانِحُ والصّدرُ
أخافُ وأرجو ، وهي جهدُ مَخافتي ومَرمَى رجائي ، لا خَفاءٌ ولا نُكْرُ
هي القَدَرُ الجاري ، هي السُّخطُ والرِّضَى هِيَ الدّينُ والدّنيا ، هي النّاسُ والدهرُ

وقد وقف من الاحزاب المصرية موقف الناصح الأمين ، لا يميل به الهوى الى حزب دون آخر ، يمحضهم النصح ، ويستحثهم على الوحدة والتمسك بالأهداف القومية : استمع اليه ينصح الوفد المصري حين ذهب الى اوربا للدفاع عن القضية المصرية :

وَفدَ الكنانةِ ، هل حملتَ رَجاءَها أم قد حملت أمانةَ الأزمانِ ؟
الدّهرُ عينٌ ، والنّيلُ قلبٌ دائمُ الخفقان والممالكُ ألسُنٌ
قُلْ للألى وزَنوا الشّعوبَ : تذكّروا في مِصرَ شعباً رَاجحَ الميزان

لقد تميّز أحمد محرم دائماً بالجرأة ، فلما رأى من الخديوي عباس انحرافاً عن الجادة ، ومهادنةً للانجليز،واستنزافاً لمال الشعب،وانصرافاً عن الإصلاح،لم يتردد في أن يقول فيه ما كان يُعدُّ في ذلك الوقت جريمة :

أَضرُّ النّاسِ ذو تاجٍ تولّى فما نَفعَ البلادَ ولا أفادا
وكان على الرعيّةِ شرَّ راعٍ وأشأمَ مالكٍ في الدّهرِ سادا
وتدعوه الرعيّةُ وهو لاهٍ فتَصدعُ دُونَ مَسمعِه الجمادا
حياةٌ تُوسِعُ الأحياءَ عاراً وذِكرٌ يملأُ الدّنيا سوادا

وقد قال بيته المشهور يعرّض بعباس وقد سمن على دماء الشعب :

وأعجبُ ما أرى شعبٌ نحيفٌ يَسوسُ قَطيعَهُ راعٍ بَدينُ

ولمّا عُيّن اللورد جورج لويد معتمداً لبريطانيا في مصر سنة ١٩٢٥ قال :

---

(١) عمر الدسوقي : في الأدب الحديث ـ الجزء الثاني ص ١٥٤، ١٥٥ .

عَمِيدَ (الغاصبين) نزلتَ أرضاً — يَبيدُ الغاصبونُ ولا تَبِيدُ
يَذودُ الواحِدُ القهّارُ عنها — إذا قَهرتْ جُنودُكَ من يذود

ثم أشار الى وفود الزعماء الذين يستجدون رضاء الانجليز على حساب الشعب :

إذا سَعَتِ (الوفودُ) إليكَ فاحْذَرْ — عواقِبَ ما تقولُ لكَ الوفودُ
فما أحدٌ بمالكِ أمرِ مِصرٍ — وما بالشَّعبِ جُبنٌ أو جمود
مضَتْ دُنيا القيودِ وتلك دُنياً — تُذمُّ بها وتُحتَقرُ القيود
حَمْينا ما حَمَى الآباءُ قِدْماً — وصانَ لنا وللنّيلِ الجدُود
بلادٌ ما تُباعُ وباقياتٌ — من الآثارِ مَعدِنُها الخلود

ولمّا عاد اعضاء الوفد يعرضون على الأمة مشروع (ملنر) صاح صيحة قوية حذّر فيها المصريين من نفاق الانجليز :

يا أيّها القومُ ماذا في حقائبكم — إنّي أرى الشَّعْبَ قد أودَى به القلقُ
جئتم إلينا فبَاتَت مِصرُ راجفةً — ممّا حملتم، وكاد النّيلُ يحترق
لقد أقاموا طويلاً بين أظهرنا — فما وثقنا بهم يوماً ولا وثقوا
لا يَعبثِ اليومَ باستقلالكم أحدٌ — ولا يغرّكمُ التضّليلُ والملق

وحين تصدعت وحدة الأمة قال :

ألستَ ترى بنيها في شقاقٍ — فما يَرجونَ ما عاشوا اتّحادا ؟

وقال يسدي لهم النصيحة في أن يتحدوا ويرأبوا الصدع ويجمعوا الصفوف :

يا قومِ ماذا يُفيدُ الخُلفُ فاتّفقوا — وقَوِّموا أمرَكم بالحزمِ يَسْتَقِمِ
صونوا العهودَ وكونوا أُمَّةً عرفت — مَعنى الحياةِ فلم تَعسفْ ولَم تَهِمِ
يا قومِ لا تغفلوا إنّ العدوَّ له — عينٌ تُراقبُ منكم زَلَّةَ القَدَمِ

« ولعمري إن هذه النفس التي تحترق وطنية وألماً لما نكبت به مصر في بنيها كانت جديرةً بأن تتبوأ مكانتها اللائقة في عالم الأدب ، لقد حظي حافظ بالشهرة في عالم الوطنيات ، مع أنه من عرفتَ ، ولم يقف لحرّ الوطنية ، وما يلاقيه الوطنيون في سبيل مبادئهم إلاّ أمداً يسيراً ، وهو في شعره الوطني لا يشعرك بتلك الحرارة التي يبعثها في نفسك شعر أحمد محرم ، ولكن عيب أحمد محرم أنه آثر العزلة بالريف حين فسدت الحياة في القاهرة ، واختلف الناس فيما بينهم على المبادىء السامية ، وكان في محرم زهد وعفّة ، وإيمان قويّ ، فلم يتملّق رئيساً ، أو يعرف في الحق ليناً أو مواربة . وكان حافظ رجل دنيا كثير الاختلاط بالناس فالتمس

له أصدقاؤه المعاذير حين قصّر ، وأغدقوا عليه عاطر الثناء حين وفّق . أما أحمد محرم فقد بقي حتى اليوم محروماً القلم القوي الذي يعرض دوره بين الناس ويعرّف به قومه ، وهو الذي آثر الوحدة والحرمان في سبيل مبدئه ، وكان شاعراً صاحب رسالة ، وكان من أقوى الشعراء ديباجةً وأنصعهم بياناً . كان عيب أحمد محرم أنه يمثّل الفريق الجاد من الأمة ، الذي يشعر بآلامها المبرّحة وأدوائها المستعصية ، وكان صاحب مثل أعلى في أمّة هازلة تطرب للعبث ، ويفتنها زبرج الحضارة الغربية . كان شاعر مصر سياسياً واجتماعياً ، ؛ وكان شاعر العروبة والإسلام ، متعدّد النواحي الأدبية ، ومع ذلك كان عاثر الجدّ في حياته ، لأنه لم يتسلّق العظماء فيمدحهم بالباطل ، ويرثيهم إذا ماتوا ، بل كان شاعراً صادق الشعور في كل ما ينطق به ، لا نظّاما يقول في المناسبات ، فلم يجد من يدفعه إلى عالم الصدارة كما وجد سواه من الشعراء . . . »[1] .

أما فيما يختص بشعر احمد محرم الاجتماعي فهو مشتق من إنسانيته نابع منها ، وله قصائد عديدة في مشكلة الفقر والغنى ، ومشكلة الزواج والطلاق ، والتعليم وغير ذلك من المشكلات الاجتماعية ، ومن خلال ذلك اهتم شاعرنا اهتماماً بالغا بحال الفلاح والعامل والدعوة إلى إنصافهما . استمع اليه وهو يتحدث عن حال البائسين وما يلاقونه من شظف العيش وما يخيّم عليهم من فقر :

تـردّد فـي الـدُّجى نَـفَسٌ لـهـيـفٌ	تـعـلّقَ بـالـمـدامعِ يـمـتـريـهـا[2]
نفضتُ لـه الكـرى عن ذاتِ قَـرحٍ[3]	أُكـاتِـمُـهـا الـغـلـيـلَ وأتّـقـيـهـا
وقـمـتُ أجـرُّ أوصـالاً ثِـقـالاً	تُـعـانِي الـموتَ ممّـا يـعـتـريـهـا
نَصبتُ السَّـمـعَ ، ثم بَعثتُ طَـرفِي	وَراءَ الـبـابِ ، أعترفُ[4] الـوُجـوهـا
رأيـتُ الـهـولَ يـنـبـعـثُ ارتـجـالاً	فـتـنـصـدع الـقـلـوبُ لـه بـديـهـا

وفي عام ١٩١١ نظم قصيدة ، ضافية بعنوان « الغنى والفقر » قارن فيها بين ما يلاقيه الفقير من عنت ومشقة وإهمال وما يلقاهُ الغني من تبجيل وتعظيم جاء فيها :

قَسَتِ القلوبُ ،فمـا يـرى ذُو فـاقـةٍ	عَـطفاً ، ولا يَجِدُ الضَّعِيفُ مَصـادا[5]
قـومٌ يـعـدّون الـرَشَـادَ عَـمـايَـةً	والـدِيـنَ كُـفـراً ، والـتُّـقـى إلـحـادا

---

(١) عمر الدسوقي : في الأدب الحديث ـ الجزء الثاني ص ١٥٩

(٢) يستدرها .

(٣) عين مقروحة

(٤) أتعرّف .

(٥) المصاد : الملجأ والملاذ .

صُـمٌّ إذا بَلَغَ الـطوى مِـن مُقـتـرٍ فـدعـا يـنـاجِي الـرّاجِمِينَ ونـادى
أخـذوا الـحـيـاةَ عـداوةً وقـطـيـعـةً وأرى الـحـيـاةَ مَـحـبّـةً ووِدادا

ولمّا أصابت مصر أزمة مالية عام ١٩٣٢ نظم قصيدة ذكر فيها :

الحقُّ أن تَجمـعَ الأقـوامَ مَـنـزلـةٌ لا تَتركُ الجمعَ دُونَ الجمعِ مُنفَرِدا
وأن يكـونَ لهم في العيشِ مَـورِدُهم يَسقِي الجماهيرَ إن صاباً وإن شُهُدا

ومن قصيدة بعنوان « رحلة عابسة » سنة ١٩٤٠ وقد مرّ ببعض القرى قال :

ويلي على فـلّاحِ مِـصـرَ أمـا كفى مـا ذاقَ مـن عَـنَـتٍ ومـن إرهـاقِ ؟
يُـغنِي أُلـوفَ الـمُـتْـرَفِيـنَ بـمـالِـه ويَـعـيشُ فـي فـقـرٍ وفـي إمـلاقِ

وله قصيدة غير مسبوقة بعنوان « الحقوق الضائعة » بلغت ١٢٥ بيتا نشرها في كتيِّب عام ١٩١٩ جاء فيها :

يـا مُـدمِنَ الأعمـالِ في طلبِ الغِنَى لا تَـظلمـنَّ العـامِـلَ الـمـسـكـيـنـا
مـا ضَنَّ يـومـاً بـالحيـاةِ يُـذِيبُـهـا وأراك مُـطَّرِدَ الـجُـمـودِ ضَـنِـيـنـا
أطـعمتَ من دَمِـهِ الـخـزائِنَ جَـمّـةً ولـبـثـتَ تُـطعِـمُـهُ الـبـلاءَ فـنـونـا

إلى أن قال :

مَـهـلاً مَـوالِـيـنـا أيجـمـعُ واجِـدٌ مـا لـو تَفَـرَّقَ جـاوزَ المـلـيـونـا ؟
ونَـظلُّ لا نـرجـو نـظامـاً صـالحـاً يَقْضِي الحُقوقَ ، ولا نـرى قـانـونـا ؟

وإذ تميّز شاعرنا عن جلّ شعراء جيله بشعره الإجتماعي فقد تميّز أيضاً بشعره النفسي والتأمّلي الذي لم يطرقه أحد منهم إلا مطران في بعض قصائده واسماعيل صبري في بعض مقطوعاته ، وهذا اللون من الشعر كان لوناً جديداً في عهد الرّواد الذين دارت أشعارهم حول النواحي السياسية والوطنية والاجتماعية والخلقية ، وشعر محرم النفسي والتأمّلي هو شعر فني ممتاز برزت فيه براعته وتجلّت عبقريته . ومن خير قصائده فيه قصيدته الشفّافة « وجودي » التي تعبّر عن قمة مأساته الحياتية وعن تماوجه بين شك وحيرة وهم وشجن ، وترقّب للموت ، ونجد في هذه القصيدة موسيقى وفورة نافذة إلى القلب ، وقد جمع فيها بين التعبير عن وجوده العام في اطلاق ، ووجوده الذاتي في تحديد وقد استهلّها بقوله:[1]

وجُـودي لستَ لـي، فَلِمَـنْ تكـونُ ؟ أَسِـرٌّ أنـتَ عـن نَـفـسِـي مَصـونُ ؟

(١) من مقال للأديب مصطفى عبد اللطيف السحرتي بمجلة الثقافة .

يُصيبُ حَقائِقَ الأشياءِ عِلمي وتَعصِفُ بي حَوالَيْكَ الظُّنونُ
أَمِن نَفْسي على نَفْسي غِطَاءٌ فكيفَ أنا ؟ أشكٌّ أم يَقينُ ؟

وبعد هذا التساؤل عن وجوده يكشف عن حيرته وتخبطه في أمواج الحياة :

وجُودي ما عَرفتُكَ غيرَ معنى تَغلغَلَ في الخفاءِ ، فما يَبينُ
غَريقٌ في الظّلام ، ولاَ مَناصٌ ولا جِسْرٌ يُلاَذُ بِهِ أمِينُ
أُقيمَ عليه سُورٌ من عُبابٍ تَضِلُّ على جوانبِهِ السَّفِينُ
أُطِلُّ ، ويَضرِبُ التيّارُ وجهي فأين أنا ؟ أحُرٌّ أم سَجِينُ ؟

ثم يرفع الغطاء عما يثور في نفسه من هموم :

وجُودِي ، أين أنتَ ؟ ألا سَبِيلٌ إليكَ ، فيهدأُ العاني الحزين ؟
ومَن أنا في بَني الدُّنيا ؟ وما لي ولِلدُّنيا ، وما وَعَتِ القُرون ؟
أتشغَلُني الحياةُ بكلِّ حَيٍّ وتُولِعُني بمن طَوَتِ المَنون ؟
أُريدُ هَوادةً ، وَتَثُورُ حَوْلي هُمومٌ ، ما لِعَاصِفها سُكون
وتَسلُبني خُطوبُ الدّهرِ نفسي فما خَطبِي ؟ أحيٌّ أم دَفِينُ ؟

ويستطرد في بيان هذه الهموم ويعقّب بعدها بأبيات رائعة يتحدّث فيها عن حالته الأليمة مع ما أنجب من نفائس أدبية وما تخلّق به من خلق كريم :

ظَمِئتُ ، وفي فَمِي الأدبُ المُصَفَّى وَضِعتُ ، وفي يَدِي الكَنزُ الثَّمِينُ
ظَلَمتُ أبي وَنَفْسِي إنَّ مِثلي لَغالٍ في النَّوابِغِ لاَ يهونُ
كريمٌ تَدفعُ الأخلاقُ عنه ويَمنعُ رُكنَهُ الأدبُ الحصينُ
أقولُ فَيفزَعُ الشعراءَ صَوْتي وما أنا في بني وطني ظَنِينُ
لِرَبِّي ما عَمِلتُ ، وعِندَ قَومِي دُيوني ، حين تُلتَمَسُ الدُيونُ
أمِن أدبي تَبِيتُ الطيرُ تبكي ؟ فما أدبي ؟ أشدوٌ أو رنين ؟

ولأحمد محرم شعر في الطبيعة يتميّز عن شعر الرواد أمثال حافظ وشوقي بأنه يمتزج بروحه وعواطفه، وعلى العكس من ذلك فقد كان شعر حافظ أو شوقي شعراً حسّياً ووصفهما للطبيعة وصفاً مُجرّداً. ومن شواهد ذلك قصيدته في البحر التي يقول فيها[1] :

---

(١) من مقال السحرتي .

الشِّعْـرُ شِعـرُكَ مَن يقـولُ سِـوَاكـا ؟ قُـلْ فـالـممـالـكُ كلُّهـا نجـواكـا
هـل ثَورةُ الأمـواجِ فِيـكَ لـواعـجُ تُـذكي فؤادَكَ ، أو تُـذِيبُ حَشَـاكـا ؟
أم أنتَ من أَلَـمِ الصَّبـابَـةِ صَـارِخٌ تَشكـو الهَـوى ، وتَضِـجُّ من بلواكـا ؟
أم تـلك آمـالٌ يُـقـالُ لـهـا اهْـدَئي فتثـور غَضْبَى ، مـا تَمـلُّ عِـراكـا ؟
هي ثـورةُ الـدُّنيـا ، وحَيْـرةُ أهلِهَـا مَـثَّلتَـهـا لـلنّاسِ فـي دُنـيـاكـا

وقد انعكست حالات الشاعر النفسية من فرح وترح ، ورضى وجزع على أبناء الطبيعة وبناتها،فهو حينا يُبدي فرحته وبهجته بآلاء الطبيعة وجمال الربيع كمثل قوله :

أنـا بـين الـريـاضِ أنْضَـرُ عَيْشـاً مِـن ريـاحيـنهـا ، وأنـعـمُ بـالا

وأحياناً أخرى يبدي ألمه وحزنه ، ونذكر من ذلك قصيدته ، « الزهرة الباكية » حيث يقول :

أهـذي دموعُ الطَلِّ أم هاجَكِ الهَـوى فـأنتِ لِفَقـدِ الألِفِ تبكِينَ من وجـدِ ؟

وقصيدته عن « الزهرة الذابلة » التي جاء فيها :

جَـفَّـتِ الـزّهـرةُ حُـزنـاً فَـجَـرى دَمْـعُ الـغَـديـرِ
كـيـف لا يـبـكـي لـخـطـبٍ حَـلَّ بـالـرّوضِ الـنـضـيـرِ ؟
هَـاجَـهُ الـبُـلـبُـلُ لـمَّـا رِيـعَ لـلخـطـبِ الـكـبـيـرِ
بـات مـحـزونـاً يُـوالِـي أنَّـةَ الـقـلـبِ الـكـسـيـرِ
والـنّـسـيـمُ الـرطـبُ أمـسـى دُونَـهُ حَـرُّ الـهـجـيـرِ
طَـلَـعَ الـفـجـرُ عـلـيـهـا فـي أنـيـنٍ وزفـيـرِ
وَتَـولّـى الـشّـمسَ حُـزنٌ لـيس بـالـنَّـزرِ الـيـسـيـرِ
زَهـرةٌ جـفَّـتْ فـمـاتَـتْ فـي صِـبـا الـحُـسْـنِ الـمُـنِـيْـرِ

ونختتم هذا التعريف بما قاله المؤرخ عبد الرحمن الرافعي في كتابه « شعراء الوطنية » عن أحمد محرم :

« شاعر ملهم ، من شعراء الوطنية والأخلاق ، كان أدباء الجيل يضعونه في صف شوقي وحافظ ومطران ، وكان شيخ الشعراء اسماعيل صبري يتغنّى بشعر هؤلاء الأربعة ويطيب له التحدث عنهم ، وامتاز محرم إلى جانب مكانته الشعرية بحرارة العاطفة ، وتذوّقه للفن والجمال ، وقوّة إيمانه ، وتأمّلاته العميقة الفلسفية ، واستمساكه طول حياته بمبادئه الوطنية ،

فكان شعره كلّه وقفاً على هذه المبادىء ، لم ينحرف عنها يوماً في قصيدة أو في أي بيت من الشعر ، ظلّ مقيماً عليها وفيّاً لها في السراء والضراء ، فكان حقّاً مثلاً أعلى في الشعر والوطنية ، وكان مصطفى كامل يعجب به وبشعره ، ويشيد به على صفحات (اللواء) ويسمّيه (نابغة البحيرة) . وبقي أحمد محرم على صلته به ووفائه له ولذكراه ، كما ظلّ وفيّاً لمبادىء الوطنية إلى أن توفّاه الله في ١٣ من يونيو سنة ١٩٤٥ » .

« محمود احمد محرم »

الكويت في مساء السبت ١٦ من ربيع الآخر ١٤٠١

٢١ من فبراير ١٩٨١

مُقدّمة الطبعة الأولى

من يطالع الصحف والمجلات المصرية منذ ثلاثين عاما ـ خاصة المعنية بالشؤون الإسلامية والقضايا الأدبية ـ مثل الفتح ـ والبلاغ وأبولو ، يجد آثار فرحة غامرة تملأ جوانب هذه الصحف ، ويتناقلها كتابها وأدباؤها ابتهاجا بالبشرى التي أعلنها صاحب الفتح عن اضطلاع شاعر مصر الكبير الأستاذ أحمد محرم بتسجيل أمجاد العروبة ومفاخر الإسلام .

واتسع مجال هذه الفرحة حتى شمل أنحاء كثيرة من العالم الإسلامي في الهند والعراق أن هيأ الله للإسلام شاعراً مثل أحمد محرم يسجل مفاخره ويشيد بأمجاده .

كان ذلك منذ ثلاثين عاما يوم أن كان الديوان فكرة وليدة لم تكد تطلع على الناس إلا تباشيرها الأولى .

ولكن متى نشأت هذه الفكرة ؟ ومن صاحبها الأول الذي أوحى لمحرم بها ؟

إن أحمد محرم يتولى بنفسه الإجابة عن هذين السؤالين بما عثرنا عليه في أوراقه الخاصة تحت عنوان : الفكرة الأولى في نظم الديوان ، وهو كتاب من السيد محب الدين الخطيب صاحب مجلة الفتح بعث به إلى الشاعر يقترح عليه فكرة الديوان ، ويدعوه إلى الاضطلاع به وكان ذلك في ٢٥ من ربيع الأول سنة ١٣٥٣ هـ . وهذا هو نص الخطاب :

سيدي الأستاذ الجليل مفخرة البيان العربي وشاعر مصر الكبير الأستاذ أحمد محرم :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فإن دلائل رضاء الله عز وجل عن حركة الجهاد الضئيلة ، لوقف هذا الطغيان على الفضائل انشراح صدركم لتأييده ، وتصدقكم ببعض الوقت للوقوف في صفوفه ، ورب فارس واحد خير من ألف .

وكنت هممت غير مرة أن أكتب إليكم أقترح عليكم مشروعا كنا نحاول إقناع شوقي بك رحمه الله به ، ولكن خشيت أن يصرفكم ذلك عن معاني الجهاد الأخرى ، وهذا المشروع هو

إرسال نظركم الكريم بين حين وآخر إلى مفاخر التاريخ الإسلامي الخلقية والعمرانية والسياسية والإصلاحية والحربية الخ ، ونظم كل مفخرة منها في قطعة خالدة تنقش في أفئدة الشباب ، فإذا ذخر أدبنا بكثير من هذه القطع ، على اختلاف أوزانها وقوافيها أمكن بعد ذلك ترتيبها بحسب تاريخ الوقائع وتأليف إلياذة إسلامية من مجموعها .

أليس من العار أن يكون للفرس الذين حفل تاريخهم زمن جاهليتهم بالشنائع ديوان مفاخر يغطي فيه البيان على العيوب ويلون ذا الوجهة منها بألوان زاهية ويسلط على ضئيل الخير منها شعاعاً قوياً مكبراً بأعظم المكبرات فتكون من ذلك « شاهنامة الفردوسي » وأن يكون لليونان زمن وثنيتهم وأوهامهم الصبيانية ديوان مفاخر كالإلياذة تتغنى بها الإنسانية إلى يوم الناس هذا ، والإسلام الذي لم تفتح الإنسانية عينيها على أعلى منه رتبة ، وأعظم منه محامد يجتهد مؤرخوه في تشويه صفحاته والحط من قدر رجاله ، لأن الذين دونوا تاريخ الإسلام كانوا أحد رجلين ، رجل جاء بعد سقوط دولة فتقرب إلى رجال الدولة الجديدة بتسويء محاسن الدولة القديمة ، ورجل اتخذ من الشموس الأربعة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي مثلا أعلى ، فكل قمر من أقمار العرب مذموم عنده ، موصوف بالضآلة والنقص. لأنه لا يراه إلا على نور تلك الشموس التي هي فوق الإنسانية ، ولا تقاس مواهب البشر بمواهبهم : بل إن عثمان وتضحياته وأخلاقه الملائكية ، محيت فضائلها من أدمغة المسلمين لسوء بيان المؤرخين ، ومعاوية الذي تتمنى أية أمة من عظام الأمم أن يكون لها رجل يتصف بعشر مواهبه وفضائله صرنا نسمع ذمه من أقذر الناس ، وأحط السوقة ، والأمين الذي كان يعدُّ من أفصح قريش في زمانه رسموا له في أذهان الناس صورة قبيحة ؛ بل يزيد الذي كان كبار الصحابة يجاهدون تحت قيادته طائعين مختارين لصقت به أكاذيب تقرب الكثيرون بها الى الله جهلا وتعصباً .

أقول هذا وأنا علويّ ، لكنني أخاف أن يقوض المسلمون صروح فضائلهم وأن يهدموا قلاعا هي من دواعي الفخر . بينما أبناؤنا يتعلمون من الأوربيين وصنائعهم تمجيد رجال لو كشف الغطاء عن تاريخهم الحقيقي لشممنا نتنه .

مَنْ مِنْ شبابنا يعرف مسلمة بن عبد الملك كأنه معاصر له ، ويعرف قتيبة ابن مسلم كأنه مجاهد في جيشه ؟

إن الذي قصر فيه المؤرخون لا يستطيع أن يستدركه إلا الشعراء وأكثر شعرائنا مشغولون بجمال المرأة . ومصروفة عقولهم عن الخير ، وهم يسرقون من د واوين شعراء الإنجليز . فليس عندهم وقت لمراجعة تاريخ العرب والإسلام . وقراءة ما بين سطوره واستنباط المفاخر من أصعب مواقفه التي قد يخيل إلى قصير النظر من الناس أنها مواقف اندحار ، مع أن ما يبذل فيها من جهاد العباقرة قد يكون أعظم وأمجد مما يبذل يوم تكون الرياح مؤاتية والنجم في طالع السعد .

أكثرت عليكم . ولكني لم أجد قلباً أفضي إليه ببعض ما في قلبي غير قلبك وقد يكون أن أختصك الله بهذا الفضل فألهمني أن أشغل هذه الصفحات وهذه الدقائق بالافاضة إليك به .

والسلام عليكم ورحمة الله .

٢

كان ذلك منذ ثلاثين عاما حينما اتضحت معالم الطريق لإقامة ذلك البناء الأدبي الشامخ ، وأخذ محرم يعلن على العالم الإسلامي بواكير هذا العمل الفني الضخم .

ومضى محرم في طريقه وهو واضع نصب عينيه أن يقدم خلاصة نقية للتاريخ الإسلامي في قالب شعري مكتمل الفن واضح الأداء قوي التعبير ، حتى يلفت الشباب إلى مفاخر تاريخهم وعظمة آبائهم ويدفع عنهم عقدة النقص التي جعلتهم ينظرون إلى آثار الأمم الأخرى كما ينظر الأقزام إلى العمالقة .

وحشد محرم كل طاقاته الفنية وعكف على التاريخ الإسلامي يستخلص حقائقه ويستوعب مفاخره ويسجلها فنا عاليا يسنده صدق الواقع وتؤكده حقائق التاريخ وقد تهيأ له عاملان رئيسيان كان لهما أكبر الأثر في نجاحه وبلوغه بالفكرة غايتها المنشودة وأملها المرجو .

أولهما : شاعرية أصيلة ناضجة وقوة فنية قادرة على استيعاب الحقائق وتمثل التجارب الإنسانية تمثلا حيّاً يعيش في ظلالها وينفعل بها .

وثانيهما : إخلاص شديد وإيمان عميق وحب جارف واقتناع لا حدّ له بالإسلام ومبادئه ونصاعة تاريخه وبطولات رجاله .

وبفضل هذين العاملين استطاع محرم أن يمضي في عمله الأدبي الشاق لا يحفل بالعقبات ولا يلقي بالا إلى المصاعب،وأن يعرض الروح الإسلامية عرضاً فيه صدق الواقع ونقاء الفن وجمال الصورة .

وقد تحدث أحمد زكي أبو شادي في هذا المعنى فقال « طبيعة أحمد محرم الأدبية طبيعة فنية ناضجة-فتاريخه ليس مجرد تاريخ إنما هو عرض فني شائق للروح الإسلامية العالية التي فتحت الأقطار ونشرت العدل واستوعبت الثقافة ، ودعمت الحضارة ، وزادتها تأنقاً على تأنق وليس كل شاعر قدير كفؤا لتسجيل ذلك تسجيلا زاهياً هو اللباب النضر الحيّ ، وليس القشور الجافة والتواريخ الميتة .

هذا الشاعر العظيم الإيمان العظيم الشمم يمثل بأدبه آخر حلقة من التطور الإسلامي

الفني ، فهو على شيخوخته في قوة الشباب الذهنية ، وفي توثب الشباب الجرىء ، وهو هو الشاعر الإسلامي الذي يستطيع بمواهبه أن ينصف روح الإسلام وسيرته ، وأن يكون القدوة لغيره من الفنانين والمصورين ، والنحاتين وسواهم لتخليد روح الاسلام الفتية في آثارهم كما يخلدها هو في شعره لتربية الجيل الناشىء والأجيال التالية تربية إسلامية عالية . . .

مجلة الفتح ٢٦ من شوال سنة ١٣٥٣

٣

وكان المنتظر أن يجد هذا العمل تشجيعاً من الدولة . وتأييداً من الهيئات المعنية بالأمور الثقافية . وأن تقدم للشاعر من العون المادي ما يعينه على المضي في سبيله ، وييسر له التفرغ لعمله هذا غير أن الواقع كان غير هذا ، ولولا همة محرم العالية وقدرته على الصمود لشغلته مطالب الحياة وقعدت به عن الوصول إلى نهاية الطريق . وتعالت صيحات الكتاب والأدباء تدعو إلى أن توفر الدولة أو الهيئات الثقافية للشاعر ما يساعده على المضي في طريقه إلا أن ذلك لم يجد أذنا صاغية .

فبدأ الشاعر يدق أبواب المسؤولين ويطلب إليهم القيام بطبع الديوان . سواء عن طريق المقابلات الشخصية أو الخطابات حتى يمكن أن يطلع عليه الشباب ويراه المثقفون ما دامت قد عجزت موارده المادية عن تحقيق هذه الغاية ، ويحدثنا محرم في أوراقه . أنه اتجه إلى القصر الملكي بعد أن أتم الجزء الأول من الديوان يعرض عليه فكرة طبعه حرصا على تحقيق الفائدة منه ، وأن رئيس الديوان بعث إليه بخطاب بعد عام يخبره أن الديوان أحيل إلى وزارة المعارف لتحقيق رغبة الشاعر في طبعه وأن عليه أن يتصل بوزير المعارف ، وفي لقاء بينه وبين وزير المعارف الدكتور محمد حسين هيكل ينمو الأمل في نفس محرم ويوشك أن يتحقق له ما يريد ، ولكن لم تكد تنتهي حرارة اللقاء حتى يلف الصمت الديوان ، ويبدأ الأمل يذوي ، ويخرج هيكل من الوزارة، ويظل الديوان حبيس الأدراج ، ثم يعود مصحوبا بالاعتذار عن طبعه إلى الشاعر ويقدم محرم بعد ذلك الديوان إلى وزارة الأوقاف ثم إلى مشيخة الأزهر فلم يكن حظه معهما خيراً من سابقهما .

ثم يقرأ أن مجمع اللغة العربية يعتزم القيام بتشجيع المؤلفات الأدبية فيبعث بخطاب إلى رئيس المجمع - محمد توفيق رفعت - يعرض عليه فكرة طبع الديوان فيرد عليه بنص المشروع الذي وضعه المجمع وهو قاصر على منح جوائز لما طبع للممتازين في خلال عامين، أو إقامة مباراة تعقد بين الأدباء في موضوع تعينه اللجنة في النقد والأدب والتاريخ .

وتتابعت محاولات أصدقاء محرم ومحبي أدبه ترتاد كل طريق عساها أن توفق إلى إخراج

هذا الديوان فلم يقدر لواحدة منها النجاح . وكانت أمنية الشاعر أن يرى عمله هذا بين يدي الناس قبل أن تودعه الحياة إلا أن الله لم يرد ذلك ، وودع الشاعر الحياة في يونيه سنة ١٩٤٥ ولما يزل الديوان حبيس المخطوطات .

٤

وبعد وفاة الشاعر قام المرحوم ابراهيم نعيم أحد تلامذته والمقربين إليه بجمع تراثه ومحاولة عرضه على الهيئات الثقافية والإسلامية مجدداً المحاولة عساه أن يحقق لأستاذه بعد موته ما لم يتحقق له في حياته وكل ما استطاعه أن قدم نماذج منه نشرت في مجلة الرسالة والأزهر على فترات متتابعة ، وقد علمت في أثناء بحثي عن آثار محرم أن الأستاذ نعيم قدم نسخة من الديوان إلى المؤتمر الإسلامي ، وحاولت جهدي أن أعثر عليها فلم أوفق .

ثم التقيت بأحد أبناء الشاعر الأستاذ سليمان محرم فوجدت عنده الجزء الثاني والثالث من المخطوط وسجلا أثبت فيه الشاعر خطوات الديوان من يوم أن بدأ فكرة إلى أن صار عملا فنيا مكتملا ، وكذلك المحاولات التي قام بها لطبعه وما كتبه الأدباء في الصحف والمجلات حول موقف الهيئات من الديوان وقيمته الفنية .

ثم عثرت بعد هذا على نسخة مصورة من الديوان على « ميكرو فلم » في دار الكتب رقم (٣٧٤) وتفيد البيانات المسجلة عليه أن تصويره تم سنة ١٩٥٢ ثم قامت دار الكتب بتصوير الديوان في نسخة من حجمه العادي تسهل قراءته وتوجد النسخة المصورة تحت رقم (٢٩٤٦٨ ب) وفي العام الماضي تجدد الأمل في طبع ديوان مجد الإسلام وبدئت محاولة مع وزارة الثقافة والارشاد القومي وقدم تراث الشاعر إلى إدارة إحياء التراث بالوزارة في يوليو سنة ١٩٦٢ ، وبعد مضي سبعة أشهر لم تصل الإدارة إلى نقطة حاسمة في سبيل البدء في إخراج التراث فاتجه ابن الشاعر الأستاذ محمود محرم إلى دار العروبة واتفق معها على طبع ديوان مجد الإسلام . وأذن الله لهذا الأمل أن يتحقق بعد أن ظل حائراً ثلاثين عاما .

٥

وكان اعتمادنا في مراجعة الديوان على نسخة مصورة منقولة من نسخة دار الكتب ومقابلتها على مخطوط بيد الشاعر نفسه للأجزاء الثلاثة الأولى من الديوان أما الجزء الرابع فلم نعثر على مخطوط له واضطررنا إلى الاكتفاء بنسخته المصورة .

وقد وجدتْ بعض اختلافات طفيفة في ترتيب القصائد وتتابع بعض أبياتها أشرنا إليها في مواضعها .

ونحب أن نشير إلى أن النسخة المصورة مكتوب على غلافها ما يشير إلى أن الشرح

والتعليق من عمل الأستاذ ابراهيم نعيم . إلا أن الأجزاء المخطوطة التي عثرنا عليها بيد الشاعر نفسه تفيد أن الأصل والشرح والتعليق من عمل الشاعر وجهده لا جهد سواه .

قسم الشاعر ديوانه مجد الإسلام إلى أربعة أجزاء تجد في الصحيفة الأولى من كل جزء آيات تحث على الجهاد وفي الصحيفة الثانية كلمات لبعض أئمة التابعين في علم المغازي والسير .

وتحدث الشاعر في الجزء الأول عن حياة الرسول ﷺ في مكة ثم عن هجرته ثم عن استقراره بالمدينة ومؤاخاته بين المهاجرين والأنصار وموقفه من اليهود والمنافقين ثم تحدث عن الغزوات وما وقع فيها من أحداث وبطولات . استغرق بقية الجزء الأول والجزأين الثاني والثالث .

وفي الجزء الرابع : تحدث عن الوفود التي وفدت على النبي ﷺ ، ثم تحدث عن الكتب والرسل التي بعث بها إلى الملوك والحكام .

ثم تحدث بعد ذلك عن السرايا التي أرسلها النبي ﷺ إلى مختلف أنحاء الجزيرة العربية وختمها بآخر عمل قام به النبي ﷺ قبل لحاقه بالرفيق الأعلى وهو إرساله أسامة على رأس جيش إلى غزو بلاد الروم .

٦

أطلق كثير من الكتاب على ديوان مجد الإسلام اسم . .«الإلياذة الإسلامية»وتعرض بعض الكاتبين المتحمسين لموازنات ومقارنات بين إلياذة هوميروس والإلياذة الإسلامية ، غير أن الكتابة على هذا النحو لم تكن قائمة على أساس سليم ، ذلك أن محرما لم يقصد بعمله هذا أن يكتب إلياذة كإلياذة هوميروس تتوفر لها الصفات الفنية التي تتوافر في الإلياذة بمعناها المفهوم عند الأوربيين .

وإنما أراد محرم أن يسجل أمجاد العروبة ومفاخر الإسلام في لوحات فنية رائعة تكون نماذج ومثلا للشباب ، يعرف عن طريقها مجد آبائه ، وبطولات أجداده ، فإن جاء بعد ذلك من أطلق على هذا العمل اسم الإلياذة فليس معنى هذا أن نتطلب من محرم في ديوانه مجد الإسلام ما نتطلبه في الإلياذة من خصائص فنية .

والإلياذة تعتمد على الأسطورة والبطولة ، ويسمح صاحبها لخياله أن يضفي على شخصيات أبطاله ما يشاء من صفات تجعلهم في مصاف الآلهة ، ولا يهمه بعد ذلك أن يلتقي مع حقائق الواقع أو يصادمها ، ما دامت قد أكتملت له صورته الفنية .

أما محرم وإن اعتمد في ديوانه على البطولة ، فإنه قد التزم صدق التاريخ وتقيد بحقائقه ، وكان حريصا كل الحرص على أن يعرض أبطاله في إطار مضيء من صدق الأحداث وحقائق التاريخ ، وكان نصب عينيه دائماً أنه يجول في ميدان يحتل من قلوب الملايين وعقولهم مكان التقديس والإجلال ، ولعل هذا هو السر في أن محرما يأتي بين يدي كل قصيدة بمقدمة نثرية تتناول الخطوط العريضة لأفكارها .

وبعد . فهذا هو ديوان مجد الإسلام وتلك هي قصته التي استغرقت أحداثها ثلاثين عاما أوجزناها في هذه السطور ، أما قيمة الديوان الفنية فمن حق الأدباء والباحثين في العالم العربي والإسلامي أن يعرضوها على موازينهم الأدبية ، وحسبنا أن ألقينا الضوء على المراحل التي سار فيها الديوان حتى أصبح بين أيديهم مادة للبحث والدرس .

وبالله التوفيق

محمد إبراهيم الجيوشي

حدائق القبة ـ القاهرة في مساء الأحد ١٠ من المحرم ١٣٨٣ هـ
الموافق ٢ من يونيو ١٩٦٣

بسم الله الرحمن الرحيم

لا إله إلا الله محمد رسول الله

﴿ يا أيها النبي حرِّض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ، وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قومٌ لا يفقهون ﴾ .

* * *

﴿ يا أيها النبي جاهِد الكفَّار والمنافقين واغلُظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير ﴾ .

* * *

﴿ الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسِهم أعظمُ درجة عند الله وأولئك هم الفائزون ﴾ .

* * *

﴿ انفروا خفافا وثِقالا وجاهِدوا بأموالكم وأنفسِكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾ .

* * *

﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسَهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويُقتلون وعدا عليه حقّاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله ﴾ .

* * *

﴿ ولا تحسَبَنَّ الذين قُتِلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يُرزَقون ﴾ .



فى علم المغازى خيرُ الدُنيا والآخرة .

"الزهرى"

كُنَّا نُعَلَّمُ مَغازى رَسُولِ اللهِ صلّى الله عليه وسلم

كما نُعَلَّم السُوَر من القرآن .

" زين العابدين بن الحسين بن على "

كان أَبى يُعَلِّمُنَا المَغازِى وَالسَرايا

وَيقُول : يا بنىَّ إنهـا شَرفُ آبائِكم

فَلا تُضيعُوا ذِكرَها .

"إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبى وقاص"



مَطلَعُ النُّورِ الأوّل

مِنْ أُفُقِ الدَّعْوَةِ الإِسْلَامِيَّة



مطلع النور الأول

من أفق الدعوة الإسلامية

إملإِ الأرضَ يا مُحَمّدُ نُورا وَاغْمرِ النّاسِ حِكمةً والدُّهورا
حجبتكَ الغيوبُ سِرّاً تَجلَّى يكشفُ الحُجْبَ كلَّها والسُّتورا
عَبَّ سيلُ الفسادِ في كلّ وادٍ فتدفَّقْ عليه حتّى يغورا[1]
جِئتَ ترمي عُبابَهُ بِعُبابٍ رَاح يَطوِي سُيولَهُ وَالبحورا
يُنقذُ العالَمَ الغريقَ ويحمي أُمَمَ الأرضِ أن تذوقَ الثُّبورا[2]
زاخرٌ يَشملُ البسيطةَ مدًّا ويَعُمُّ السَّبعَ الطِّباقَ هديرا[3]
أنت معنى الوجودِ، بل أنت سِرٌّ جَهِلَ النّاسُ قبله الأُكسيرا[4]
أنت أنشأتَ للنُّفوسِ حَياةً غَيَّرتْ كلَّ كائنٍ تغييرا
أنجبَ الدَّهرُ في ظلالِكَ عصراً نابهِ الذكرِ في العصور شهيرا
كيف تَجزِي جَميلَ صُنعِكَ دُنيا كُنتَ بَعثاً لها، وكنتَ نُشورا ؟
وَلدتكَ الكواكِبُ الزُّهرُ فَجراً هاشميَّ السَّنا، وَصُبحاً منيرا
يَصدعُ الغيهبَ المُجَللَ بالوحـ ـيِ المُلَقَّى، ويَكشِفُ الدّيجورا[5]

---

(١) غار الماء ذهب .
(٢) الثبور الهلاك .
(٣) مدّ النهر سال، والهدير الصوت والغليان .
(٤) الاكسير ما يلقى على الفضة ونحوها ليحيله الى ذهب خالص .
(٥) الديجور الظلام .

منطقُ القدرةِ التي تُرهِقُ القا   درَ عجزاً، والعبقريَّ قُصورا
كُلُّ ذِمرٍ رَمَى النُّفُوسَ بِوِترٍ   مِن خَطاياهُ رَدَّه موتورا[1]
خَرَّتِ العُربُ من مَشارِفها العُلـ   ـيا تُوالِي هُويَّها والحُدورا
بات فيها مُلكُ البيانِ حَريباً   يُسلِمُ الجندَ وَالحمى وَالثُّغورا[2]
أنكرَ النّاسُ رَبَّهم وَتَولَّوْا   يَحسبون الحياةَ إفكاً وَزورا
أين من شِرعةِ الحياةِ أُناسٌ   جعلوا البغْيَ شِرعةً والفجورا ؟
تلك أربابُهم : أتملك أن تنـ   ـفَع مِثقالَ ذرّةٍ أو تَضيرا ؟
قهروها صِناعةً ، أعجبُ الأرْ   بابِ ما كان عاجزاً مقهورا
ما لدى « اللاّتِ» أو«مُناة» أو « العُزَّ   ى » غَنَاءٌ لمن يَقيسُ الأمورا[3]
جاءَ دِينُ الهدى وَهبَّ رسولُ اللَّـ   ـهِ يَحمِي لواءَهُ المنشورا
ضَرَبَ الكُفَر ضَربةً زلزلته   فَتداعى ، وَكان خطباً عسيرا
جَثمتْ حوله الحُصونُ ، وظنَّ الـ   ـقومُ ظنَّ الغرورِ أن لن تطيرا
هَدَّها ذو الجلالِ حِصناًفحصناً   بالحصونِ العُلَى ، وَسُوراً فسورا
بالرسولِ الهادي، وبالصفوةِ الأمـ   ـجادِ يَقضون حقَّه الموفورا
يُهرقون النّفوسَ تَلْقَى الرَّدَى المُهْـ   ـراقَ مثل الغديرِ يَلقى الغديرا[4]
إنّ في القتلِ للشعوبِ حياةً   وَارفاً ظِلُّها ، وخَيراً كثيرا

---

(١) الذمر الشجاع والوتر الثأر أو الظلم فيه وأكثر ما يستعمل في العداوة بسبب القتل وحظاياه جمع حظية وهي السريّة المكرمة، والمعنى منصرف إلى فرسان البلاغة وما يجوّدونه من كلامهم .

(٢) الحريب السليب .

(٣) اللات احدى آلهات العرب في الجاهلية كان لها صنم ومعبد بالطائف، والمناة صنم من الأصنام المؤنثة بين مكة والطائف كانوا يعتبرونها إلّهة القضاء والقدر ومنها المنيّة اي الموت المحتوم، والعُزّى من معبوداتهم أيضاً كان مقامها بين مكة والطائف .

(٤) أهرق الماء صبّه .

ليس مَن يـركبُ الـدّنيّـةَ يَخشى	مَـركَبَ المـوتِ بـالحياةِ جـديـرا
أمِنَ الـحـقِّ أن تَـصُـدّ قُـريشٌ	عن فتـاهـا وأن تُـطيـلَ النّكيـرا ؟
سَلْ « أبا جَهلها »، وَقوماً دعاهم	فـاستجـابـوا جَهـالـةً وغـرورا
أولعـوا بالأذى ، فـألفـوا رسـولَ ا	للهِ جَـلْداً على البـلاءِ صبـورا
كُلمـا أحـدثـوا الـذُّنـوبَ كِبـاراً	وَجـدوهُ لِـكُـلّ ذنـبٍ غـفـورا
مـا بـهِ نَفْسُـه فيغضبُ يُـرضيـ	ـهـا وَتُـرضيـهِ نـاعمـاً مسـرورا
إنّـه اللهُ ، لا سِـواهُ ، وَدِيـنٌ	مَلَكَ النّفسَ، وَاستـرقَّ الشُّعـورا
يَجِـدُ النّـاسَ وَالمقـاديـرَ فـيـهِ	وَيـرى مـا عـداه شيئـاً يسيـرا
مـا زكـا سـابقٌ من الـرُّسـلِ إلاّ	هـو أزكى نَفْساً ، وأصفَى ضميـرا
جـاءه عـمُّـه يَقـول: أتـرضى	أن يُقيمـوك سيِّداً أو أميـرا ؟[1]
وَيَصُبُّـوا عليـكَ من صفـوةِ المـا	لِ حَياً ماطـراً، وَغيثاً غـزيرا[2] ؟
قـال: يـا عمِّ مـا بُعثتُ لـدنيـا	أبتغيهـا ، وما خُلِقتُ حَصورا[3]
لـو أتـوني بـالنيّـرين لأعـرضـ	ـتُ أريهم مـطالبي والشُّقـورا[4]
إن يُشيـروا بمـا علمتَ ، فـإنّي	لأدُعُّ الهوى ، وأعصي المشيرا[5]
دَونَ هَـذا دَمي يُـراقُ ، وَنفسِي	تُـطعَمُ الحتفَ رائعـاً محـذورا

(١) في البيت ومايليه إشارة الى مجيىء أبي طالب عم النبي ﷺ إليه يبلغه رسالة قريش ويفاوضه في شأنهم وشأن آلهتهم وقوله : «ياعم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله تعالى أو أهلك فيه ما تركته » .

(٢) الصفوة من كل شيء خالصه وخياره، والحيا المطر .

(٣) الحصور هنا الضيّق الصدر، والهيوب المحجم عن الشيء .

(٤) الشقور الحاجات والأمور الملتصقة بالقلب المهمة له . جمع شقر .

(٥) دعّه دفعه دفعاً عنيفاً .

المطعم بن عدي

خرج الرسول الكريم من مكة الى الطائف بعد موت عمه أبي طالب وتألُّبِ الكفار عليه ليدعو ثقيفاً الى الإسلام فلقي فيه أذى شديداً . وبعث إلى المطعم بن عدي يقول: إني داخل مكة في جوارك . فأجابه الى ذلك . وكان يلبس السلاح هو وبنوه يحرسون النبي ﷺ في طوافه بالبيت . وبقي المطعم بن عدي كافراً إلى أن مات ، وقد قال النبي ﷺ في أسارى بدر : « لو كان المطعم بن عدي حيًّا ثم كلمني في هؤلاء النتنى لتركتهم له :

ما رأينا كالمطعم بن عَديٍّ ... جافياً واصلاً، هَيوباً جَسورا

آثر الكُفر مِلّةً ، وأجارَ الدّ ... ينَ مُستضعفاً ، يَدوُر شَطيرا[1]

رَامَ بالطائِف المُقامَ . فأعيا ... فانثنى يَطلبُ الأمانَ حَسيرا[2]

وَكّلَ اللهُ بالنُّبوَّة منه ... أسداً يَملأُ الفضاءَ زَئيرا

قائماً في السّلاحِ يَجمعُ حوليـ ... ـهِ شُبولاً تَحمِى الحِمَى وَنُمورا

يَمنعُ القومَ أن يصدّوا رسولَ ا ... للّهِ عن بيتِه ويَأبَى الخُفورا[3]

نَقضَ الحِلفَ من قريشٍ فأمسَى ... أسلمتْهُ العُرَى ، وكان مَريرا[4]

---

(١) الشطير الغريب والبعيد .

(٢) حسيرا كالًّا متعبا .

(٣) الخفور نقض العهد والغدر .

(٤) المرير ما اشتد فتله من الحبال . وحلف قريش هذا هو الذي عقدوه ضد بني هاشم وعبد المطلب لإبائهم أن يخلوا بينهم وبين الرسول الكريم ليقتلوه ويؤ دواديته مضاعفة . فتعاهدوا على منابذتهم وإخراجهم من مكة إلى شعب أبي طالب ومنعهم من حضور الأسواق لتجويعهم . وألا يصاهروهم أو يبيعوا لهم أو يشتروا منهم أو يقبلوا لهم صلحاً إلا إذا أجابوهم الى طلبهم وكتبوا بذلك صحيفة علّقوها في الكعبة فجهدوا حتى لكانوا يأكلون الخبط وورق الشجر، وكانت مدة إقامتهم بالشعب ثلاث سنين . وقيل سنتان . وكان الذين سعوا في نقض هذه المعاهدة خمسة رجال منهم المطعم بن عدي، وقيل إنه هو الذي مزّق الصحيفة .

عجبـاً للغـويِّ يُعـطيـكَ منـه عَمـلاً صـالحـاً، ورأيـاً فـطيـرا[1]
مـا رأينـا من ظنٍّ بـالـزرعِ شَـرّاً فحمَى أرضَـهُ . وصـان البـذورا
لـو جَزَى الله كـافراً أجـرَ ما أحـ ـسنَ يَـومـاً لَـخِلتَـهُ مـأجـورا

في غار حراء

ظـلَّ مُسـتخفِيـاً بغـارِ حِـراءٍ يَعبـدُ الله عـائـذاً مُستجيـرا
يَسمرُ القومُ في الضّـلالِ ويُمسِي للذي أطلعَ النُّجـومَ سميـرا[2]
رَاكِعـاً سـاجِـداً يُسبِّـحُ مَـولا هُ ، ويُـزجِي التَّهليـلَ والتّكبيـرا
تَهتِفُ الكـائناتُ ، يـأخذُهـا الصّو تُ ، تُحيِّي مكـانَـهُ المهـجـورا
نَـالَ منهـا مَحلَّةً لـم يَـنلْهـا صَـوْتُ دواد حِينَ يَتلو الـزَّبـورا
نَـبـراتٌ قُـدسيـةٌ تَـتَـوالَـى نَغَمـاً رائـعـا ، وتَمضِي زَفيـرا
ربِّ . طَالَ الخَفاءُ ، والدّينُ جَهرٌ رَبِّ فـاجعلْ مـدَى الخفاءِ قصيـرا
مَـاجتِ الأرضُ حـولـه، وتجلَّى ا للّهُ يَنهَـى بُـركـانَهـا أن يـفـورا
أُوذِيَ الدّينُ في الشِّعابِ ، وَردّتْ يَـدُ (سعـدٍ) عَـدوَّه مـدحـورا[3]
رَقمتْ فـي الكتـابِ أولَ سـطرٍ وأتـمَّ الـدَمُ الـمُـراقُ الـسُّـطورا
أدبـر القـومُ مُحنَقِين ، فـلولا اللّهُ كادتْ رَحَى الوغَى أن تدورا[4]

---

(١) بديهّي من غير رويّة .
(٢) يسمرون : يتحدثون .
(٣) سخر قوم من المشركين بالمسلمين وهم يصلّون مستخفين في بعض شعاب مكة فضرب سعد بن أبي وقاص . وكان معهم رضي الله عنه ـ رجلا منهم بلحى بعير فشجه ، وكان أول دم أريق في الإسلام . ومدحورا مطرودا .
(٤) محنقين من الحنق وهو الغيظ والوغى الحرب .

أزمعَ الضَّيفُ أن يَؤُمَّ سِواهُ منزلاً كان صالحاً مبرورا[1]

حَلّه الوحْيُ رَوضةً شاعَ فيها رَونقاً ساطعاً، وفاحَ عَبيرا

في دار الأرقم بن أبي الأرقم

ودعا « الأرقمُ » استجِبْ ، تلكَ داري تَسَعُ الدِّينَ مُحرَجاً محصورا

وافِها، واجمعِ المصلّينَ فيها عُصبةً إن أردتَ، أو جُمهورا[2]

وأتى « ابنُ الخطابِ » يُؤمنُ با لله ويختارُ دِينَهُ المأثورا

قال: كلَّا. لن يُعبَد اللّهُ سِرًّا ويُرَى نُورُ دينهِ مستورا

أَخْرُجوا في حِمَى الكتابِ أُسوداً وَاطْلُعوا في سَنا النبيِّ بُدورا

ذلكم بَيتُكم ، فَصَلُّوا وطُوفُوا لا تخافُنَّ مُشِركاً أو كفورا[3]

إرادة قتل الرسول وهجرته إلى المدينة

أجمعوا أمرهم . وقالوا: هو القتـ ـلُ يُميطُ الأذى، ويَشفِي الصُّدورا[4]

كذبوا . ما دمُ الهِزبرِ أما نيُّ مَهاذيرَ يُكثِرونَ الهريرا[5]

لا ورَبِّي، فإنّما طَلبَ الكفّـ ـارُ بَسْلاً، وحاولوا محظورا[6]

---

(١) أزمع عزم ويؤم يقصد .

(٢) كانوا تسعة وثلاثين رجلا فتموا أربعين بإسلام عمر رضي الله عنه .

(٣) لم يكن المسلمون يطوفون بالبيت أو يصلّون ظاهرين قبل إسلام عمر .

(٤) أماط الشيء أبعده ونحاه .

(٥) الهزبر الاسد، ومهاذير جمع مهذار وهو الذي يكثر من الهذر، والهرير صوت الكلب دون النباح .

(٦) البسل الحرام .

إنّ نفسَ الرسولِ أمنعُ جاراً مِن طواغيتِهم، وأقوى مُجيرا
ما لهم؟ هل رَمَى النبيُّ تُراباً أم عَمىً في عيُونِهم مذرورا؟
ذَهلوا مُدّةً، فلما أفاقوا أنكروها دَهْياءَ عزّتْ نظيرا
يَنفُضون الترابَ، مَن مَسَّ منّا كُلَّ وجهٍ فَردَّهُ مَعفورا؟
أين كُنّا؟ ما بالُنا لا نَراهُ؟ ما لأوصالِنا تُحسُّ الفُتورا؟
أمِنَ الحادثاتِ ما يُذهِلُ العا قِلَ عن نفسِه، ويُعمِي البصيرا؟
أين وَلّى؟ لقد رمانا بِسحرٍ فَسَكِرْنا، وما شَرِبنا الخمورا
يا له مُصعَباً لو أنّا أصبنا هُ على غِرّةٍ لَخَرَّ عقيرا[1]
رَاحَ في غِبطةٍ، ورُحنا نُعاني أملاً ضائعاً، وَجَدًّا عَثورا[2]
خَيْبةٌ تترُكُ الجوانحَ حَرَّى يا لها حَسرةً تُشَبُّ وتُورى[3]
رَبِّ آتيتَه على القومِ نَصراً فتباركتَ حافظاً ونصيرا
أنت نجيّته فهاجرَ يقضِي الـ حقَّ، لا خائفاً ولا مذعورا
يومَ ضَجّتْ جِبالُ «مكّةَ» ذُعراً وَتَمنَّتْ هِضابُها أن تمورا[4]
تتنزَّى أسىً، وتُمسِكُها تمـ نعُها من وَرائِه أن تسيرا[5]
هِيَ لولاكَ لارتمتْ تقذفُ الصّخـ رَ وتُزجِي هَباءَها المنشورا
هاجها من جَوى الفِراقِ وَحَرِّ الـ وجدِ ما هاجَ بيتَكَ المعمورا[6]
كاد يهفو فَزِدْتَهُ مِنكَ رُوحاً فانْثنى راجِحَ الجلالِ وَقورا

---

(١) العقير والمعقور بمعنى، والمصعب الفحل وبه سمّي الرجل مُصعباً.
(٢) جداً عثورا حظا عاثرا.
(٣) تورى تشتعل.
(٤) تموج وتضطرب أو تجري على الأرض كما يجري الماء أو الدم.
(٥) تتنزى تسيل.
(٦) جوى الفراق ألمه وشدته.

يـا لـهـا من مُـحَّمـدٍ نـظراتٍ زَخـرتْ رَحمةً ، وجـاشتْ سعيـرا
نـظراتٌ شـجيّـةٌ لا تَـعـدُّ الـ أهـلَ أهلاً، ولا تَـرى الدُّورَ دورا
قال: ما في البلادِ أكرمُ من مكـ ـةَ أرضـاً ، ولا أحـبُّ عـشيـرا
فَاسْكُنِي يا همومَ نَفِسيَ، إن اللّـ ـهَ أمـضـى قَـضـاءَهُ الـمقـدورا
إنـنـي قـد نَـذرتُ للهِ نـفـسـي والتقـيُّ الـوفيُّ يـقضِي النُّـذورا
نَقـطعُ البِيـدَ بعـد صَحبٍ كـرامٍ قَـطعـوا غـارِبَ العُبـاب عُبـورا[1]
كـم رشـيـدٍ آذاه فـي اللهِ غـاوٍ زاده طـائـفُ الهـوى تـخسـيـرا
ضَرب الصّحبُ في البلادِ فـأمسوا لا يُصيبـون صاحبـاً أو سجيـرا[2]
في ديـارٍ لـدى« النجـاشيِّ » غُبْـرٍ ظـلَّ فيهـا سَـوادُهـم مغـمـورا
وتَـولَّـى ولـلأمـورِ مـصـيـرٌ يشتـري رَبَّـهُ ، ويـرجـو المصيـرا
يومَ يَمِشي « الصِّدِّيقُ » في نوره الزا هـي يُـوالِي رواحـه والـبُـكـورا
يَنصُـر الحقَّ ثـائـراً يمنـعُ البـا طِـلَ أن يـستـقـرَّ أو أن يـثـورا
لا يُبـالي غَيْظَ القلوبِ ولا يَحْـ ـفِـلُ في اللهِ لائمـاً أو نـذيـرا

* * *

أقبـلَ القومُ يسـألون : أتحتَ التُّـ ربِ، أم جاورَ الطريـدُ النُّسورا ؟
نَفضوا الهَضْبَ والجِبال وشَقّوا الـ أرضَ طُـرَّاً رِمـالَهـا والصُّخـورا
وَيحَ « أسماءَ » إذ يجيءُ أبو جهـ ـلٍ عَلَى خـدرها المصـون مغيرا
صـاحَ : أسمـاءُ أين غَـابَ أبـوبكـ ـرٍ، أجيبي، فقـد سـألنـا الخبيـرا

---

(١) إشارة إلى هجرة المستضعفين من المسلمين إلى أرض الحبشة وغارب العباب أعلاه والبيد الصحاري .
(٢) السجير الخليل الصفي .

قَالتِ : العِلمُ عنده ما عَهِدْنا أجَمَ الأُسْدِ تَستشيرُ الخدورا[1]
فرماها بلطمةٍ تُعرِضُ الأجْـ ـيالُ عن ذكرِها صَوادفَ صُورا[2]
قذفتْ قُرطها بَعيداً ورضّتْ من وُجوهِ النبيِّ وَجهاً نضيرا[3]

في الغار الأكبر غار ثور

غارَ ثَوْرٍ، أعطاك ربُّكَ ما لم يُعطِ من روعةِ الجلالِ القُصورا
أنت أطلعتَ للممالكِ دُنيا ساطعاً نُورها، وديناً خطيرا
صُنتَهُ من ذخائرِ الله كَنزاً كان من قبلُ عنده مذخورا
مَخفرُ الحقِّ لاجئاً يَتوقَّى قام فيه «الروحُ الأمين» خفيرا
وقفتْ حوله الشّعوبُ حَيارى من وراء العصورِ، تدعو العصورا
يا حيارى الشعوب، ويحكِ إنَّ الـ ـحقَّ أعلى يداً وأقوى ظهيرا[4]
لا تخافي، فتلك دولته العُظـ ـمَى تناديكِ: أن أعِدّي السريرا
جاءكِ المنقذُ المحرر لا يتـ ـرك قيداً، ولا يغادر نيرا[5]
ورثَ المالكينَ والرُّسلَ الهادين بالحق أولا وأخيرا
الحكيمُ الذي يَهدُّ ويَبني فيجيدُ البناءَ والتدميرا
والزعيمُ الذي يَسنُّ ويقضِي لبني الدهرِ غُيَّباً وحضورا
تترامى الأجيالُ بين يديه تتلقَّى النظامَ والدُّستورا

---

(١) الأجم جمع أجمة والأجمة بيت الاسد. والخدور جمع خدر، وخدر المرأة خباؤها، والمعنى أنه لم تجر العادة أن يستشير الرجال النساء.
(٢) من الصدوف والصَّوَر، وهما بمعنى الميل والانصراف.
(٣) رضّت بمعنى دقّت أو كسرت.
(٤) الظهير- المعين.
(٥) النير الخشبة توضع على عنقي الثورين ليجرا ما يراد جره.

ليس في النـاسِ سـادةٌ وعبيـدٌ كَبُـرَ العـقـلُ أن يَـظلَّ أسيـرا
خُلِقَ الكـلُّ في الحقـوق سـواءً مـا قـضى الله أمـره مَبْتـورا[1]
كَـذبَ الأقـويـاءُ مـا ظلَمَ (اللّـ ـهُ) ، وما كان مُسرِفاً أو قَتـورا[2]
دَبَّـرَ المُلكَ للجميع فَسـوَّى الْـ أمـرَ فيـه ، وأحكـمَ التـدبيـرا
يـا نصيرَ الضِعـاف ، حَرِّرْ نفـوساً تـتمـنّى الـفكـاكَ والـتَّحـريـرا
ضجّتِ الكائناتُ : هـل من سفيرٍ يتلافى الدُّنى ؟ فكنتَ السفيـرا[3]
رَبِّ آتـيـتـنـا هُـدَاك وأنـزلْـ ـتَ علينـا كتـابـكَ المسـطورا
فَـلكَ الحـمـدُ وَافـراً مُستـمِـراً ولَـك الفضـلُ بـاقيـاً مـذكـورا

أبو بكر وحية الغار

صَـاحِبَ القـائِم المتـوّجِ بـالفُـر قـانِ ، بُـوركتَ صـاحبـاً ووزيـرا
أنـتَ واليـتـهُ ، وعـاديـتَ فـيـه من توخّى الأذى ، وأبدى النفورا[4]
أوَ لـم تَـتَـخـذْ أبـاك عَـدوًّا وتُـذِقْهُ الهـوان كيمـا يحـورا ؟[5]
إذ يقول النبيُّ : لا تضربِ الشيـ ـخَ وإن سبّني ، ودعـه قـريـرا[6]
إنـمـا نِـلتَ بـالـمسـاءةِ منـه والـداً مُـدبِـراً، وشيخـاً ضـريـرا

* * *

---

(١) مبتورا مقطوعا .
(٢) القتور البخيل .
(٣) يتلافى الشيء يتداركه، والدنى جمع الدنيا .
(٤) واليته ناصرته .
(٥) يحور يرجع .
(٦) يعني مطمئنا .

لـيت شـعــري : أصبتَ حيّــةَ وادٍ تَنفُثُ السُّمَّ ، أم أصبت حريرا ؟[1]

نَفثتْ سُمَّهــا فمـا هَــزَّ رِضْــوى من وقــارٍ ، ولا استخفَّ ثَبيـرا[2]

خِفْتَ أن تُـوقِظَ النبيَّ ، فمـا يُـر ضِيكَ أن تضعفَ القُوَى أو تخورا

أكــرم الله رُكـبتيــك، لقــد أعـ ـطـاك سُبحانـه، فـأعـطى شَكـورا

أيَّ رأسٍ حَملت يا حاملَ الإيمـ ـانِ سمحاً ، والبرَّ صَفْواً طَهورا ؟

سُرَاقة بن مالك يُريد قتل النبي

جعل كُفّار قريش لمن يقتل النبي ﷺ أو يأسره مائة ناقة فذهب سُراقة في أثره ، قال سراقة ـ بعد أن ساخت قوائم فرسه مراراً وبعد ان اعتذر الى النبي الكريم : يا محمد إني لأعلم أنه سيظهر أمرك في العالم وتملك رقاب الناس . فعاهدني على أن تكرمني إذا جئتك يوم ملكك . فأمر عامر بن فهيرة ـ وقيل أبا بكر ـ فكتب له العهد الذي طلب ـ أسلم بالجعرانة رضي الله عنه . قال له النبي عند منصرفه : « كيف بك يا سراقة إذا تسورت بسوارَيْ كسرى »، وقد ألبسه عمر إياهما في خلافته لما فتحت بلاد فارس .

إتــقِ الله يــا ســراقــةُ وانــظر هـل تـرى الأمـر هيّناً ميســورا ؟

أم تــظنُّ الجــواد تُمسكــه الأر ضُ وتلوي عنــانــه مـسحــورا ؟

أم هــو الله ذو الـجــلالِ رمــاه يُمسـك الشرَّ راكضـاً مستـطيـرا ؟

غــرّك القـومُ، فــانـطلقت تُـرجّيـ ـه خسيســاً من الجـزاءِ حقيــرا

وَضــحَ الحقُّ ، فـاعتــذرتَ وأولا كَ الـرســولُ الأمين فضــلاً كبيـرا

---

(١) وضع النبي ﷺ رأسه في حجر الصدّيق فنام على ركبته وقد بقي في الغار شق لم يسد فوضع الصديق قدمه فيه فلدغته الحية فاحتمل أذاها وكره أن يتحرك فيوقظ النبي . وقيل إن عينه دمعت فسقـط الدمع على وجهه الشريف فأيقظه .

(٢) رضوى وثبير جبلان .

فُـزتَ بـالعهـدِ فَـاغْتَنِمْـهُ وَأَبْشِـرْ بِسِوارَيْ كِسْـرَى فُـدِيتَ البشيـرا
قُـلْ لأهلِ النِّيـاقِ: أوتيتُ أجرِي جَللاً ، فَـابْتَغـوا سِـوَايَ أجيـرا[1]
لـيس مَـن رامَ رِفـعـةً أو سنـاءً مِثْـلَ من رامَ نـاقـةً أو بعيـرا[2]

بُرَيْدَة بن الحُصَيْب

وأصحابه يأتون بعده

وأَتـى بَـعْـدهُ بُـريـدَةُ يـرجـو أن يَنـالَ الغِنَى ، وكـان فـقيـرا
يركبُ اللّيلَ والنّهـارَ ، ويَطوِي الـبِيـدَ غُبْـراً سُهـولهـا والـوُعـورا
في رجـالٍ من صحبهِ زَعمـوا الـإغراءَ نُصحاً . واسْتَحسنوا التَّغريرا
آثـروا اللهَ والـرسـولَ فـفـازوا وَارْتَضَـوْهـا تجـارةً لن تبـورا[3]
أسلمـوا ، وَارْتَـأى بُـريـدةُ رأيـاً ألـمعيّـاً، وكـان حُـرّاً غيـورا
قـال: ما يَنبغِي لمثـلِ رَسـولِ اللهِ أن يَـأْلُـوَ الـبـلادَ ظُـهـورا
كيف تمشي بـلا لـواءٍ ، وقـد أُوتِيتَ من ربِّكَ المقامَ الأثيـرا ؟[4]
ليس لي من عمـامتي ومن الـرمـحِ عَـذيـرٌ إذا التمستُ عـذيـرا
إخفقي يـا عمامتي واعـلُ يـا رمـحي فقـد خفت أن تعود كسيـرا
ومشـى بـالـلواءِ بيْـن يـديـه يـتلقّـى السنـا البـهـيَّ فـخـورا

في خيمة أُمّ مَعبد

مـا حـديثُ لأمِّ معبـدَ تَسْتَسْـقِيه ظمأى النفوسِ عذباً نميرا ؟[5]

---

(١) جللا عظيما .
(٢) السناء الرفعة .
(٣) تبور تكسد .
(٤) المقام الأثير الأول . (٥) النمير الزاكي من الماء .

سـائـل الشّـاةَ كيف دَرّتْ وكـانت كزّةَ الضَّـرعِ لا تُرجّى الدُّرُورا ؟[1]
بـركـاتُ السَّمـح المؤمَّـلِ يَقـرِي أُمَمَ الأرضِ زائـراً أو مـزورا[2]
مـظهـرُ الـحقِّ لـلنبـوّةِ سبحـا نـكَ ربًّا فـرد الجلال قـديرا

في قُبَاءٍ

يـا حيـاةَ النُّفـوسِ ، جِئتَ قُبـاءً جِيئـةَ الـرُّوحِ تَبعثُ الـمقبـورا
إرفـعِ المسجـدَ المبـاركَ وَاصْنَـعْ لِلبـرايـا صَنِيعَـك الـمشكـورا
مَعقِـلٌ يَعصِمُ النُّفـوسَ ، ويـأبى أن يَميـلَ الهـوى بهـا أو يجـورا
أوْصِهَـا بـالصَّـلاةِ ، فَهْيَ عِـلاجٌ أو سيـاجٌ يَـذودُ عنهـا الشُّـرورا
غَـرسَ اللهُ دَوْحَـةَ الـدّينِ قِـدمـاً وقَـضـاهـا أُرُومـةً وجـذورا[3]
لو أردتَ النُّضارَ لم تَحملِ الأحـ ـجارَ، تُوهِي القُوىَ وتَحنِي الظُّهورا[4]
أرأيتَ ابنَ يـاسـرٍ كيف يَبنِي ؟ أرأيـتَ الـمُـشَيَّـعَ الـشِّمِّـيـرا ؟[5]
أرأيـتَ الـبـنَّـاءَ يَسْـتَبِقُ الـقـو مَ صعوداً ، ويَزدهيهم سُؤورا ؟[6]
أرأيـتَ الـفَـحـلَ الأبـيَّ جَـنيـبـاً في يَد اللهِ ، والهِزبرَ الهَصورا ؟[7]

---

(١) يابسة الضرع. والدرور مصدر من در .
(٢) يقري يطعم .
(٣) الأرومة الأصل.
(٤) كان ﷺ يحمل الحجر العظيم فيسأله أحد أصحابه أن يتركه له فيقول ـ لا ـ خذ مثلها ـ وتوهي تضعف . النضار الذهب .
(٥) هو عمار بن ياسر رضي الله عنه . أسس النبي المسجد وأتمه هو . والمشيّع الشجاع والشمير الماضي في الأمور المجرب .
(٦) السؤور الوثوب والارتفاع .
(٧) الجنيب والمجنوب ما يقاد من الخيل ونحوها . والهزبر الأسد .

يَنصبُ النّحـرَ للحجارةِ والـطّيـ ـنِ يُغِيرُ الحِلَى ، ويُغْرِي النُّحورا[1]
مـا بنَى مِثلَهُ على الـدَّهـرِ غِـرٌّ رَاحَ يَبنِي خَـوَرْنقـاً أو سَـديـرا[2]
يَجِـدُ الحقُّ في البنـاءِ حُصـونـاً ويَـرى الطّيـرُ في البنـاءِ وكـورا[3]

حيّ بني عمرو بن عوف

نزل النبي ﷺ في قباء على كلثوم بن الهرم كبير بني عمرو بن عوف ، وهم من الأوس ، وكان الموضع الذي بنى فيه المسجد مربداً له .

بُـورِكَ الحيُّ حَيُّكم يـا بني عمـ ـروِ بن عَوْفٍ ، ولا يَزلْ مَمـطورا
كُنتَ فيه الضّيفَ الذي يَغمُر الأنـ ـفسَ والـدُّورَ نِـعـمـةً وحـبـورا
مـا رأت مِثلكَ الـديـارُ، ولا حيَّـ ـا لكَ القومُ في الضّيـوفِ نـظيـرا
كَـرِهُـوا أن تَبِينَ عنهم ، فقـالـوا أمَـلالاً أزمعتَ عنّـا المسيـرا ؟[4]
قُلتَ: بل يثـربَ انتـويتُ ومـا أُلْـ ـفَيْتُ نفسي بغيـرهـا مـأمـورا
قـريـةٌ تـأكـل القُـرَى ، وتُـربهـا كيف تَلقى البِلَى، وتشكو الدُّثورا[5]
طَـرَبَـتْ نـاقتي إلى لابَـتيْـهَـا فَدَعُوا رَحْلَهـا ، وخَلُّوا الجريـرا[6]
رَحـمـةُ اللهِ والسَّـلامُ عـليكـم آلَ عَـوْفٍ ، كبيـركم ، والصَّغيـرا

---

(١) الحِلى جميع الحِلية ما يزين به من مصوغ المعدنيات أو الحجارة الكريمة ، ويغيرها يحملها على الغيرة .

(٢) الغر من لم يجرب الأمور والخورنق والسدير قصران للنعمان .

(٣) إشارة إلى قول الشاعر في بعض الابنية العظيمة .

شـاده مرمـراً وجـلّله كِـلْـ ـساً فـللطيـرِ فـي ذُراه وُكـورُ

(٤) تبين تبعد أزمعت عزمت .

(٥) الدثور الهلاك .

(٦) الجرير الزمام ، واللّابة الحَرّة وهي الأرض ذات الحجارة السود أو هي الحجر وفي الحديث أن النبيّ ﷺ حرّم ما بين لابتيّ المدينة وهما حرّتان تكتنفانها .

من قِبَاءٍ إلى المدينة ﷺ

أقبِــلْ، فتلك دِيـارُ يَثـربَ تُقبِـلُ ... يَكفيـكَ من أشـواقها مـا تَحمِـلُ

طــالَ الـتّلَوُّمُ والـقـلوبُ خَـوافـقٌ ... يهفو إليكَ بهـا الحنينُ الأطولُ[1]

القــومُ مُـــذ فـــارقتَ مكّــةَ أعينٌ ... تأبى الكرَى ، وجَوانحٌ تَتملمـلُ[2]

يَتـطلّعون إلى الفجـاجِ ، وقـولُهُمْ ... أفمـا يُطالِعُنـا النبيُّ المُرسَـلُ[3] ؟

أقبلتَ في بِيضِ الثّيـابِ مُباركــاً ... يُــزجي البشائـرَ وجهُكَ المتهلِّلُ[4]

يـا طِيبَ ما صَنَـعَ الزُّبيرُ وطَلحةٌ ... ولَـصَنعُكَ الأوفى أجـلُّ وأفضــلُ

خفَّ الرِجالُ إليكَ ، يَهتفُ جمعُهم ... وقلوبُهم فَـرَحــاً أخفُّ وأعجــلُ

هي في رِكَابِكَ ، ما بها من حاجةٍ ... إلّا إليــكَ، ومــا لهــا مُـتحــوَّلُ

هَجـرتْ مَنـازِلَهـا بيثـربٍ وَانْتَحتْ ... أُخـرى بِمكـةَ دُورُها مـا تُؤهَـلُ

وفـدان ، هذا من ورائِـكَ يـرتَمي ... عَجِلاً، وهذا من أمامِكَ يَنسِلُ[5]

أُنـظُر بني النَّجـارِ حَـولـك عُكّفـاً ... يَرِدُونَ نُورَكَ حِينَ فَاضَ المنهلُ[6]

---

(١) التلوّم التمكّث والانتظار .

(٢) الكرى - النوم . تتململ تتوجّع من طول الانتظار كانوا يخرجون كل غداة إلى الحَرَّة ينتظرونه ﷺ حتى يردّهم حَرُّ الظهيرة .

(٣) الفجاج جمع فج وهو الطريق الواسع .

(٤) هي الثياب التي كساه إياها الزبير وطلحة في قفولهما من الشام بتجارتهما .

(٥) ينسل يسرع .

(٦) كان معه في قدومه من قباء إلى المدينة ملأ من بني النجار متقلدين سيوفهم، وهؤلاء غير الذين لقوه واحتفلوا بمقدمه . ويردون من ورد الماء إذا قصده للشرب .

لم يُنزِلوكَ على الخُؤولةِ وحدَها كـلُّ المـواطنِ للنّبـوّةِ مَنـزلُ
نـزلوا على الإسـلام عندَك . إنّـه نَسَبٌ يَعُمُّ المُسـلِمينَ ويَشـمـلُ

***

مـا للديـارِ تهـزُّهـا نَشَـواتُهـا ؟ أهي الأنـاشيدُ الحِسـانُ تُرَتَّلُ ؟[1]
رفَّتْ نَضـارتُهـا . وطـابَ أريجُهـا وتـردّدَتْ أنفـاسُهـا تَتسلسَـلُ[2]
فكـأنّمـا في كـلِّ مَغنىً رَوضـةٌ وكـأنّمـا في كـلِّ دارٍ بُـلبُلُ
هُنَّ العـذارَى المؤمنـاتُ أقمنَـهُ عِيـداً تُحيِّيـهِ الملائِـك من عَـلُ
فـي مَـوكـبٍ للهِ أشـرقَ نـورهُ فيـه ، وقـام جـلالـهُ يَتمثَّـلُ
جَمـعَ النّبيِّينَ الكِـرَام ، فـآخـذٌ بيـدِ الإمامِ ، وعـائـذٌ يتـوسَّـلُ[3]
يَمشِي به الرُّوُح الأمينُ مُسلِّمـاً وجـبينُـه بفـمِ النـبيِّ مُقَبَّـلُ
إيـهٍ بني النّجـارِ إنَّ محمَّـداً لأشـدُّ حُبّاً لِلَّتي هي أجْمَـلُ[4]
خلُّوا سبيـلَ اللهِ ، مـا لـرسولِـه عمَّـا أعـدَّ من المنـازلِ مَعْـدِلُ
ذَهبتْ مَـطيّتُه ، فقيـل لهـا : قِفي هذا مَناخُك ، لستِ ممّن يَجهلُ
النَّاسُ في طَلَبِ الحياةِ ، وها هنا سِـرٌّ لهـا خـافٍ ، وكنزٌ مُقفَـلُ
أعطِي أبا أيّوب رَحْلَكِ . وَاحْمَدِي من أمرِ ربّكِ ما يجيءُ ويَفعلُ

---

(١) فرح النساء والعذارى كما فرح الرجال بمقدمه، ومما قيل في ذلك .
نحن جَـوارٍ مـن بنـي النّجـارِ يـا حبّـذا محمـد مـن جـار
(٢) رفت برقت وتلألأت ، والأريج الرائحة الطيّبة ، وتسلسل الماء جرى في حدور .
(٣) عائذ: لاجىء .
(٤) كان ﷺ كلما مرّ في طريقه إلى المدينة بقوم سألوه أن ينزل فيهم فيقول:«خلّوا سبيلها ـ يعني ناقته القصواء ـ فإنها مأمورة » فلما بلغ دار عدي بن النجار قال له بنوه: نحن أخوالك . لا تجاوزنا : فقال. خلّوا سبيلها، فذهبت حتى بركت عند دار بني مالك بن النجار بمقربة من باب أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، وذلك في محل المسجد، واستأذن أبو أيوب النبي في حمل رحلها إلى داره فأذن له ونزل رسول الله ومعه زيد بن حارثة رضي الله عنه على أبي أيوب . وقال: المرء مع رحله. فمكث عنده حتى تم بناء المسجد .

وَدَعِي الـزِّمـامَ لأسعـدِ بن زُرارةٍ فـاليـهِ بعـد اللهِ أَمْرُكِ يُـوكَـل[1]
لمَّـا حملتِ الحقَّ أجمعَ والهـدى أمسى بحبلِ اللهِ حَبلُكِ يُـوصَـلُ
يتنـافسُ الأنصارُ فِيـك ، وما دروا لِمنَ الـمفـازُ ، وأَيُّـهُمْ هـو أوّلُ
هِيَ كيميـاءُ الـحقِّ لـولا أنّـهـا تَهـدِي العقـولَ لَخِلتُها لا تُعقَلُ
دُنيـا من العجبِ العجـابِ ودولـةٌ يَهوِي النُّضارُ بها ، ويعلو الجَندلُ[2]
أرأيتَ أهـلَ الكهفِ لـولا سِـرُّهـا هل كان يُكـرَمُ كلبُهم ويُبجَّلُ ؟[3]
شُكـراً أبـا أيّـوبِ فُـزتَ بنعمـةٍ فيهـا لنفسِـكَ مـا تُـريـدُ وتَسَـأَلُ
ما مِثلُ رِفْـدِكَ في المواطنِ كلِّهـا رِفدٌ يُضاعَفُ ، أو عطَاءٌ يُجزَلُ[4]
للهِ دارُكَ مـن مَـحـلَّةِ مُـؤْمِـنٍ نَـزلَ الحِمَى فيها، وحَـلَّ المعقلُ
نَـزلَ النبيُّ بهـا ، فحـلَّ فِنـاءَهـا مَجـدٌ يُقيمُ ، وسؤددٌ مـا يَـرحـلُ
مجـدُ النُبوّةِ في ضيـافـةِ مـاجِـدٍ سَمحِ القِرَى، يُسدِي الجزيلَ ويبذُلُ[5]
وَسِعَتْ جِفـانَ المُـطعِمين جفـانُـه كرماً ، فما يأبى ، ولا هِيَ تبخلُ[6]
أضفى على السَّعدينِ بُرْدَ سمـاحةٍ فـاهتزَّ جُـودُهما ، وأقبـلَ يرفـلُ[7]
جـذلانَ مُحتفـلاً ، يقـرّبُ منهمـا للهِ مـا يـرضَـى ، ومـا يتـقبَّـلُ
جَعـلَ القِـرَى سَبباً إلى رضـوانِـه والبِـرُّ والإيمـانُ فيـمـا يَـجعَـلُ

---

(١) أخذ أسعد بن زرارة رضي الله عنه ناقة النبي إلى داره .
(٢) النضـار: الذهب، والجندل: الصخر .
(٣) جاءت قصتهم في سورة الكهف من القرآن الكريم، ويُبجَّل: يُعظَّم .
(٤) الرفد العطاء والصلة، والجزل الكثير .
(٥) القرى ما يقدم للضيف، الجزيل الكثير .
(٦) كان المسلمون يتنافسون في حمل الجفان إلى دار أبي أيوب كرامة للرسول الكريم ومساهمة منهم في شرف ضيافته . وكانت توافيه جفنة سعد بن عبادة . وجفنة أسعد بن زرارة رضي الله عنهما كل يوم، وكانت جفنة سعد بعد ذلك تدور معه ﷺ في بيوت أزواجه رضي الله عنهن .
(٧) هما سعد وأسعد على قاعدة التغليب .

جفنة أم زيد بن ثابت

كان أول طعام أهدي إلى النبي ﷺ في المدينة ـ قال زيد له : هذه قصعة أمي ، فقال : بارك الله فيها .

يا زيدُ من صنع الثَّريدَ ، وما عسى ... تـرجو بمـا حَملتْ يداك وتـأمُل ؟
بعثتـك أمُّـك تبتغي في دينهـا ... مـا يبتغي ذو الهمَّـةِ المتـعمِّـل
شكـر النّبيُّ لهـا ، وأطلق دعـوةً ... صعدت ، كما شقَّ الفضاءَ مُجلجِلُ(١)
أطيب بتلك هـديّـةً يسعى بهـا ... في اللهِ سـاعٍ بـالجـلال مُـظلَّل
لـو أنَّهـا وُزِنَتْ بـدنيـا قيصـرٍ ... رَجحتْ، وأين من الخِضَمِّ، الجدول ؟(٢)
هي إن عييت بوصفها مـا يُجْتَنى ... من نعمـةِ الإسلامِ ، لا مـايؤُكل
مـا فـي جهادكِ أمَّ زيـدٍ ريبـةٌ ... نار الوغى احتدمت ، وأنتِ الجحفل(٣)
شَرَعٌ سرابيلُ الحروب، وما اكتسى ... من سابغاتِ الخيرِ من يتسربـل(٤)

المهاجرون في ضيافة الأنصار

يا معشر الأنصارِ ، هل لي عندكم ... نـادٍ يَضُمُّ النـابغين ومـحفـل ؟
عنـدي لشـاعـركم تحيةُ شـاعـرٍ ... يَسِمُ القـوافِيَ وسمـه يَتنخَّل(٥)
تنميـهِ في دُنيـا البيـانِ رَوائـعُ ... منهـا رواكدُ مـا تَرِيمُ ، وجُفَّـل(٦)

---

(١) المجلجل السحاب الراعد المطبق بالمطر .
(٢) الخضم ـ البحر ـ والجدول ـ النهر الصغير .
(٣) الوغى الحرب الجحفل الجيش الكبير .
(٤) شرع سواء .
(٥) يختار .
(٦) ما تريم ـ ما تبرح وما تزول .

الثّاويـاتُ على هُـدىً من ربّهـا   والسّـابحـاتُ السّـائحـاتُ الْجُـوَّل
شُغِلَتْ بها الدُّنيا . وما هي بالتّي   تُعْنَى بـدنيـا الجـاهلين وتُشغَـلُ
تـأبى القـرارَ بكـلّ وادٍ مُمحِـلٍ   وتحلُّ بالوادي الذي لا يُمحـل[1]
حسّانُ أبلغُ من يقول. وليس لي   منـه إذا ادّعَتِ المصاقـعُ مِقْوَل[2]
أنـتم قـضـيـتـم لـلنَّـبـيِّ ذمـامــه   ونصـرتُم الحقَّ الـذي لا يُخـذل
وصنعتُم الصّنـعَ الجميـل كـرامـةً   لمهـاجـرين همُ الفـريقُ الأمثـل
فعرفتُ موضعكم ، وكيف سما بكم   مجدٌ لكم في المسلمين مؤثّل[3]
وأذعـتُـه نـبـأً لـكـم مـا مـثـله   نبـأٌ يُـذاعُ ، ولا حـديثٌ يُنقـل
الـقــومُ قــومُ الله مــلء ديــاركم   وكأنهم بـديـارهم لم يـرحلوا[4]
الدينُ يعطفُ ، والسمـاحةُ تحتفِي   والحبُّ يـرعَى ، والمـروءةُ تكفـل
والله يـشكـرُ، والـنّـبـيُّ بـغـبـطـةٍ   والشركُ يصعقُ، والضلالـةُ تذهـل
دِينُ الهـدى والحقِّ في أعـراسِـه   والجـاهليَّـةُ في المـآتـم تُعـوِل
إن هالها الحَدثُ الذي نُكِبَتْ بـه   فلسـوف تُنكَبُ بالـذي هو أهـول
زُولي مُعطِّلةَ العقولِ، فمنَ قَضى   أنّ البصـائـر والعقـولَ تُعـطَّل ؟
ألقِي السِّلاحَ، فما لخصمكِ دافعٌ   ودَعِي الكفِاحَ ، فما لجندِكِ موئِل[5]
أزرَى بكِ الفشلُ المبـرّحُ وارتمى   بِحُمـاتكِ القَـدرُ الـذي لا يفشَـل
السَّهلُ يصعبُ إن تـواكلتِ القُـوَى   والصعبُ إن مَضتِ العزائمُ يسهل

---

(١) أمحل المكان أجدب فهو ممحـل .

(٢) ادعت انتسبت لإظهار فضلها وشرف سابقتها، والمصاقع جمع مصقع . البليغ العالي الصوت لا يرتج عليه في كلامه . والمقول هنا من أسماء اللسان، وحسان بن ثابت أول من نظم الشعر الديني في الاسلام ولقب « بشاعر النبي » .

(٣) المجد المؤثل، العالي .

(٤) تفرق المهاجرون ضيوفاً كراماً في دور الأنصار .

(٥) موئل ـ ملجأ .

أرسى المعاقلِ مؤمنٌ ، لا نفسُه تهفـو ، ولا إيمـانُـه يتـزلـزل[1]
هذا النّذيرُ ، فإن أبيتِ سوى الأذى فـالأرضُ بالـدّمِ لا محالـةَ تُغسل
علقت بِمَقْتَلِكِ السّهامُ، وما عسى يَبقَى الرَّمِيُّ إذا أُصِيبَ المَقتَلُ ؟[2]
الله أكبـرُ، كـلُّ زُورٍ يَنـقـضِـي مَـرَّ السَّحاب ، وكـلُّ إفكٍ يَبـطُلُ

مسجد المدينة

المسجـد الثّـاني يُقـامُ بيثـربٍ ومحمـدٌ البـاني يَجِـدُّ ويعَمـلُ[3]
عَمّـارُ أنتَ لهـا ، وليس ببـالـغٍ عُليا المراتبِ مَن يَكِلُّ ويَكْسَلُ[4]
إن يَثْقُـلِ العِبءُ الـذي حُمِّلتَـهُ فَلمـا يُحمَّلُ ذو التَّبـاعـةِ أثقـل[5]
مـاذا بَلغت من السَّنـاءِ على يـدٍ أدنَى أنـامِلها السِّمـاكُ الأعـزل[6]
مَسَحَتْـه ظهـراً مِنـكَ طـالَ مُنيفُـه حتَّى تَمنَّى لـو يكونـكَ يـذبُـل[7]
هـذا رسـولُ اللهِ في أصحـابِـه لا يَشتكِي نَصَبـاً ، ولا يَتمهَّـل[8]
يَـأتِـي ويـذهبُ بينـهم ، فَمُلَثَّمٌ بـالتُّربِ يَغْشَى وَجْهَـهُ ، ومُكَلَّل[9]

---

(١) هفت النفس استطيرت أي ذُعرت .
(٢) الرميّ الصيد يُرمَى .
(٣) كان النبي صلى الله عليه وسلم ينقل اللبن بنفسه فيدأب المسلمون ويقول قائلهم :
لئـن قعـدنـا والـنبيُّ يعـمـلُ لَـذاك منّـا العـمـلُ المـضـلَّلُ
(٤) كان الرجل يحمل لبنة لبنة وعمّار بن ياسر يحمل لبنتين لبنتين فقال له الرسول الكريم. ألا تحمل كما يحمل أصحابك . قال: لبنة.عنّي يا رسول الله ولبنة عنك . فنفض ﷺ التراب عن رأس عمار ومسح ظهره .
(٥) التباعة : الرغبة .
(٦) السناء: المجد والشرف. والسماك الأعزل: اسم نجم .
(٧) يذبل اسم جبل في بلاد العرب. والمنيف العالي .
(٨) النصب: التعب .
(٩) المكلل: المحفوف بالنور .

مِن كُلِّ قَوّامٍ على أثقالِه ... سامٍ، له ظهرٌ أشمُّ وكَلْكَلُ[1]

ما كان أحسنَها مقالةَ راجزٍ ... لو كان يَعرفُ حُكمَها المُتَمثِّلُ[2]

هَتفَ الإمامُ بها، فَراحَ يُعيدها ... ثُمَّ انْثَنى مُتَلَطِّفاً يَتنصَّلُ

عمّارُ، يا لكَ إذ تُلامُ، ويالَهُ ... مِن ذِي مُحافظةٍ يَلومُ ويَعذِلُ

هِجْتَ ابنَ مَظعونٍ فأقبلَ غاضباً ... حَنِقاً، يجيش كما يَجيشُ المِرْجَلُ[3]

ولقد يَحيدُ عن التُّرابِ إناقةً ... مَن لا يَحيدُ عن الضِّرابِ ويَنْكُلُ

مَهْلاً أبا اليقظانِ قِرنُكَ باسلٌ ... وأخوكَ في جِدِّ الوغَى لا يَهْزِلُ[4]

ولئن أهابَ الله: يَالَ مُحمّدٍ ... صُونوا الحِمَى، لَهْوَ الأشدُّ الأبسلُ

السيْفُ يَعْجَزُ أن يَنالَ غِرارُه ... ما ليس يَعجزُ أن ينالَ المِعْوَلُ[5]

---

(١) الكلكل: الصدر.

(٢) كان عثمان بن مظعون رضي الله عنه إذا حمل اللبنة يجافي بها عن ثوبه لئلا يصيبه التراب. فإن أصابه شيء من التراب نفضه. فنظر اليه علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وأنشد يفاكهه.

لا يَستوِي مَن يَعمرُ المساجدا ... يَدأَبُ فيها قائماً وقاعدا

ومن يُرى عنِ التُّراب حائدا

فسمعه عمّار بن ياسر وأخذ يُرَدِّد قوله وهو لا يدري من يعني به، فغضب عثمان وأغلظ له القول. وكان معه حديدة قال: لَتكفَّنّ أو لأضربنَّك بها.

(٣) الحنق الغيظ يجيش يتحرك المرجل القدر إذا فار ماؤه.

(٤) كنية عمار وقرن الرجل كفؤه ومن يقاومه في الشجاعة وغيرها. والباسل الشجاع.

(٥) غرار السيف حده.

أبو بكر يؤدي ثمن الحائط الذي أُدخل في المسجد

أراد النبي ﷺ أن يضمّ إلى المسجد حائطاً ليتيمين من الأنصار كانا في كفالة أسعد بن زرارة ـ وقيل معاذ بن عفراء ـ وهما سهل وسهيل ، وقد عرض أبو أيّوب الأنصاري أن يؤدي الثمن إليهما فأبى النبي ، وابتاع الحائط بعشرة دنانير أُدِّيَتْ من مال أبي بكر الصديق .

وقال الغلامان : نَهَبُهُ لك يا رسول الله فأبى ، وأراد رجال من الأنصار أن يعوّضوهما عن الحائط فلم يكن سوى أداء الثمن .

وجاء أنه ﷺ وضع اللبنة الأولى في المسجد ، ثم دعا أبا بكر فوضع لبنته ، وهكذا فعل عمر وعثمان بن عفان ، وقيل إن المراد بذلك ترتيب الخلافة .

إيـهٍ أبا بكـرٍ ظَفِـرتَ بصفقـةٍ ... شَتّى مَغـانِمُهـا لمن يَتـأمَّـلُ

القـومُ عنـد إبـائهم وسَخـائِهِم ... لـو يبذلـون نفـوسَهُم لم يَحفِلوا

لا يقبلـون لحـائِطٍ ثمنـاً . ولا ... يَـبـغـونَها دُنـيـا تُـذَمُّ وتُـرذَلُ

الـلّهُ يَطلُبُهُ لِنُـصـرَةِ ديـنِـهِ ... والـدِّينُ هُم أنصارُه ، ما بـدّلـوا

قـالـوا : أمِنّـا يـا محمـدُ يُبتَغى ... مـا ليس يَخلُقُ بـالأُبـاةِ ويجمـلُ ؟

إنّـا لـعمـرِ اللّهِ نَعـرِفُ حَـقَّـهُ ... ونُـعِـزُّ مِلَّتـه الـتي نتـمـلَّلُ[1]

نُعـطِي اليتيمين الكِفَـاءَ ، وإن هما ... أَبيـا ، ونَتَّبِـعُ التي هي أنبـلُ[2]

خُذْ ما أردتَ ، فلن نبيعَكَ مسجداً ... يَـدعـوهُ فيـه مُكَبِّرٌ ومـهـلِّلُ

هـو رَبُّنـا ، إن نـالنـا رِضـوانُـه ... فلنـا المثـوبـةُ والجـزاءُ الأكمـلُ

* * *

(١) تملّل الملة دخل فيها .
(٢) كِفاء الشيء ما يساويه .

إيـهٍ أبـا بكـرٍ خليـلُكَ مُـطرِقٌ يـأبى، وأنتَ بما يُـريـدُ مُـوَكَّـلُ
لا بـدَّ مـن ثمـنٍ يَكـونُ أداؤُهُ حَكَـماً يُطاعُ، وشِرعـةً ما تُهمَـلُ
لـولا الـرسـولُ ومـا يُعلِّمُ قـومَـه جَهَـلَ المحجّةَ ظـالمٌ لا يَعـدِلُ[1]
وإذا قَضَى أمـراً ، فما لقضـائـهِ رَدٌّ ، ولا في غـيـرِهِ مُـتـعـلَّلُ
الحقُّ مـا شَـرَعَ النبيُّ ، وبـاطـلٌ مـا يـدَّعِي المـرتـابُ والمتـأوِّلُ
لا بـدّ من ثمنٍ ، ولستَ بـواجـدٍ في القومِ من يَضِحُ الصّوابُ فَيَغفلُ[2]
أمـر الـرسـولُ بـه ، فـدونـك أدِّهِ ولأنت صاحبُهُ الكـريمُ المفضِـلُ
يـا بـاذِلَ الأمـوالِ ، نِلتَ ببـذلِها مـا لم يَنَـلْ في المسلمـين مُمَـوِّلُ
أتبعتَ نفسَكَ ما ملكتَ، فمهجةٌ تَـنهـالُ طيّعـةً ، وكَـفٌّ تَهـطلُ

بلال يؤذن للصلاة

أذَّنْ بِـلاَلُ لكَ الـوَلاَيـةُ ، لم تُتَـحْ لِسوَاكَ إذ تـدعـو الجموع فَتُقبِـلُ
اللّهُ ألبسَـكَ الكرامـةَ ، وَاصْطَفَى لـك مـا يُحبُّ المؤمنُ المتـوكِّـلُ
يـا طولَ مـا عُذِّبتَ فيـه فلم تَمِلْ تَبغِي الّتي اتَّبـعَ الغُـواةُ المُيَّـلُ[3]
أَحَدٌ إلهُكَ ، ما كَذبتَ ، ومـا لمن يـرجـو النّجـاةَ عـلى سـواهُ مُعَـوَّلُ
أرِني يَـدَيْـكَ : أفِيـهـا لأميَّـةٍ وِردٌ من الموتِ الذُّعافِ مُثمَّلُ ؟[4]

---

(١) المحجّة جادّة الطريق أو وسطه .

(٢) مضارع وضح .

(٣) كان أميّة بن خلف يُخرِج بلالا إذا حميت الظهيرة بعد أن يُجيعَهُ ويعطشه ليلة ويوماً فيطرحه على ظهره في الرمضاء ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى فيأبى . وكانوا يدفعونه الى الصبيان فيربطونه بحبل ويطوفون به في شعاب مكة وهو يقول(أحَدٌ أحد) وقد رقّ له أبو بكر فاشتراه من أمية بن خلف ثم أعتقه ، وكذلك فعل رضي الله عنه بكثيرين كانوا يُعذّبون في الله .

(٤) الموت الذعاف السريع، والمثمّل المنقع .

لَلسَّيفُ سَيفُ اللَّهِ أَهْوَلُ موقعاً ... من صَخرةٍ تُلقَى ، وحبلٍ يُفتَلُ
لك في غدٍ دَمُه إذا التقتِ الظُّبى ... تحتَ العَجاجةِ ، والرِّماحُ الذُّبَّلُ(١)
أذِّنْ فإنَّ الدِّينَ قامَ عَمُودُه ... وَرَستْ جَوانبُهُ ، فما يَتَقَلقَلُ
هَبَطَ الجزيرةَ ، فاحتوى أطرافَها ... وَانْسَابَ في أحشائِها يَتَغَلْغَلُ
فكأنَّما طَرَدَ السَّوائِمَ ضَيغمٌ ... وكأنما ذَعَرَ الحمائِمَ أَجْدَلُ(٢)

* * *

خَفَّ الرجالُ إلى الصَّلَاةِ وإنَّها ... لأَجلُّ ما تَصِفُ الصُّفوفُ المُثَّلُ
عَنَتِ الوجوهُ ، فراكِعٌ مُتخشِّعٌ ... يخشى الإلَهَ ، وساجِدٌ مُتَبَتِّلُ(٣)
صَلُّوا بني الإسلامِ خَلفَ نبيِّكم ... وخُذوا بما شَرَعَ الكتابُ المنزَلُ
اللَّهُ أيَّدكم به ، وأمدَّكم ... منه بنورٍ ساطعٍ ما يأفلُ
آثرتُمُ السَّنَنَ السويَّ ، فجدُّكم ... يَعلو ، وجَدُّ ذوي العَمايةِ يَسفُلُ(٤)
هل يَستوِي الجمعانِ : هذا صاعدٌ ... يبني ، وهذا ساقطٌ يَتهيَّلُ ؟(٥)
يَتألَّفون على الهَوى ، وقلوبُهم ... شَتَّى ، يَظلُّ شَعاعُها يتزيَّلُ(٦)
نَصرٌ على نصرٍ ، وفتحٌ بعده ... فتحٌ يَغيظُ المشركينَ مُحجَّلُ(٧)
إنَّ امرأً جمحتْ به أهواؤُه ... من بعدِ ما وضَح الهُدى لَمُضَلَّلُ
الحقُّ بابُ اللَّهِ : هل من داخلٍ ؟ ... طُوبَى لمن يَبغِي الفَلَاحَ فيدخلُ(٨)

---

(١) قتل بلال رضي الله عنه أمية بن خلف يوم بدر فهنأه الصديق بقوله :

هنيئاً، زادك الرحمنُ خيراً ... لقد أدركتَ ثأرَكَ يا بلالُ

والظبى السيوف ، والعجاجة كدرة الجو وغبار المعركة والذبّل الرماح الطويلة .

(٢) السوائم جمع سائمة، الماشية تذهب في المراعي . والضيغم الأسد. والأجدل الصقر.

(٣) عنت خضعت . (٤) الجد الحظ . (٥) يتهيّل : يتصبّب .

(٦) الشعاع القطع المتفرقة، ويتزيّل يتفرق . (٧) محجل : مضيء ، مشرق .

(٨) الطوبى الغبطة والسعادة والعيش الطيّب .

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

كانت المؤاخاة بعد بناء مسجد المدينة ـ وقيل وهو يُبنَى ـ وكان المراد منها إزالة الوحشة وشدّ الأزر في سبيل الدعوة الإسلامية، وكانت تُوجِب ان يرث كلُّ أخٍ أخاه دون ذوي الارحام ، فلما عزّ الإسلام وقويتَ شوكته أُبطِلَ هذا الحكم بقوله تعالى : ﴿ وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ﴾ ، وكان نزول هذه الآية الشريفة في وقعة بدر، ولم يكن قد عمل بهذا الحكم ، قبل ذلك . وكانت المؤاخاة بعد الهجرة بخمسة أشهر، وقيل غير هذا .

عن زيد بن أبي أوفى قال : دخلتُ على رسول الله ﷺ في مسجد المدينة، فجعل يقول: « أين فلان، أين فلان. فلم يزل يتفقدهم ويبعث إليهم حتى اجتمعوا عنده فقال ـ إني مُحدّثكم بحديث فاحفظوه وعوه وحدّثوا به مَن بعدكم . إنّ الله تعالى اصطفى من خلقه خلقاً، ثم قرأ ﴿ الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس ﴾ قال : وإنّي أصطفي منكم من أُحبّ أن أصطفيه وأؤاخي بينكم كما آخى الله تعالى بين ملائكته . قم يا أبا بكر فقام فجثا بين يديه الشريفتين ، فقال: إن لك عندي يداً الله يجزيك بها، ولو كنتُ متخذاً خليلاً لاتخذتك ، فأنت منّي بمنزلة قميصي من جسدي . وحرّك قميصه بيده ، ثم قال: أُدْنُ يا عمر فدنا ؛ فقال: قد كنتَ شديد البأس علينا يا أبا حفص فدعوتُ الله أن يُعزّ بك الدّين أو بأبي جهل ففعل الله ذلك بك وكنتَ أحبّهما إلى الله ، فأنت معي في الجنّة ثالث ثلاثة من هذه الأمة . وآخى بين المهاجرين والأنصار فجعلهم أخوين أخوين .

وكانوا خمسين من هؤلاء ومثلهم من هؤلاء . وقيل: كانوا تسعين ، وكانت المؤاخاة في دار أنس بن مالك، وهي دار أبي طلحة زوج أم أنس ، واسمه زيد بن سهل .

هِيَ الأواصرُ أدناها الدَّمُ الجاري ... فــلا محــالــةَ من حُــبٍّ وإيثــارِ
الأُسرةُ اجتمعتْ في الدّارِ واحـدةً ... حُيِّيتِ من أسرةٍ ، بُوركتِ من دَارِ

مَشَى بها من رسولِ اللهِ خيرُ أبٍ ... يَدعو البنينَ، فلبَّوا غيرَ أغمارِ[1]

تَأكّدَ العهدُ مما ضَمَّ أُلْفَتهم ... وَاسْتَحصدَ الحبلُ من شَدٍّ وإمرارِ[2]

كُلٌّ له من سَراةِ المسلمينَ أخٌ ... يَحمي الذِّمارَ، ويرعى حُرمَةَ الجارِ

يَطوفُ منه بحقٍّ ليس يَمنعُه ... وليس يُعطيه إن أعطى بمقدارِ

يَجودُ بالدمِ، والآجالُ ذاهلةٌ ... ويبذلُ المالَ في يُسرٍ وإعسارِ

همُ الجماعةُ، إلاّ أنّهم بَرزوا ... في صُورةِ الفردِ، فانظر قُدرةَ الباري

صَاحَ النبيُّ بهم: كونوا سَواسِيَةً ... يا عُصبةَ اللهِ من صَحبٍ وأنصارِ[3]

هذا هو الدِّينُ، لا ماهاجَ من فِتَنٍ ... بين القبائلِ دينُ الجهلِ والعارِ

رِدُوا الحياةَ، فما أشهى مَواردَها ... دُنيا صَفَتْ بعد أقذاءٍ وأكدارِ

الجاهليَّةُ سُمٌّ ناقعٌ وأذىً ... تَشقى النّفوسُ بداءٍ منه ضَرّارِ

تأهّبوا، إنَّ ديناً قام قائمُه ... يُومِي إليكم بآمالٍ وأوطارِ[4]

أما تَرَوْنَ رِياحَ الشِّركِ عاصفةً ... تَطغَى على أُممٍ شَتَّى وأقطارِ؟

لن أتركَ النَّاسَ فوضَى في عقائِدهم ... ولن أُسالمَ منهم كلَّ جبَّارِ

أكلّما مَلكَ الأقوامَ مالكُهم ... رَمى الضّعافَ بأنيابٍ وأظفارِ؟

الشرُّ غطَّى أديمَ الأرضِ فارتكستْ ... أقطارُها بين آثامٍ وأوزارِ[5]

أخفى محاسنَها الكبرى، فكيف بكم ... إذا تَكَشَّفُ عن وجهٍ لها عارِ؟

لأُنزِلنَّ ذوي الطُّغيانِ مَنزلةً ... تستفرغُ الكبرَ من هامٍ وأبصارِ

ظنُّوا الضّعافَ عبيداً، بئس ما زعموا ... هل يَخلقُ اللّهُ قوماً غيرَ أحرارِ؟

---

(١) غير أغمار: غير حاقدين.

(٢) استحصد: قوي، والإمرار الفتل.

(٣) سواسية: سواء.

(٤) الأوطار الحاجات، ويومي يشير.

(٥) اديم الأرض وجهها، ارتكس الرجل والشيء انتكس.

ما غرَّهم إذ أطاعوا أمرَ جاهِلِهم ... بـواحـدٍ غـالبِ السُّلطانِ قهَّارِ ؟

يَرمي العروشَ إذا استعصتْ ، ويبعثُها ... مَبثوثةً في جَناحَيْ عاصفٍ ذارِ[1]

بُعِثْتُ بالحقِّ ، يهدِي الجامحين كما ... يَهدِي الحيارى شُعاعُ الكوكبِ السّاري

أدعـو إلى اللهِ بـالآيـاتِ واضحـةً ... تَهـدي الغَويَّ ، وتنهَى كـلَّ كَفّـارِ

فمن أبى فَدُعائي كُلُّ ذي شُطَبٍ ... ماضي الرسالةِ في الهاماتِ بَتّارِ[2]

اللهُ أكبـرُ، هـل في الحقِّ مَعتبـةٌ ... لِمُستخِفٍّ بعـهـدِ اللهِ غَـدّارِ ؟

ألم يكن أخـذَ الميثـاقَ من قِدَمٍ ... فمـا المقـامُ على كُفـرٍ وإنكـارِ ؟

إنّ الألى اتّخـذوا الأصنـامَ آلهـةً ... على شفَا جُرُفٍ من أمرِهم هارِ[3]

يَستكبرونَ على مَن لا شريكَ له ... ويسجـدونَ على هُـونٍ لأحجـارِ

راحوا يُجلّونها من سوءِ ما اعْتقدوا ... واللهُ أوْلَـى بـإجـلالٍ وإكـبـارِ

لِكـلِّ قـومٍ إلَـهٌ يُؤمـنـونَ بـه ... مـا يتبغِي اللّهُ من إيمانِ فُجّارِ ؟

النـارُ أعـظمُ سُلطانـاً ومقـدرةً ... في رأيِ عُبّادها ، أم خالقُ النّارِ ؟

سُبحـانـه مِن إلَـهٍ شَـأنُـه جَللٌ ... يَهـدي النُّفوسَ بـآيـاتٍ وآثـارِ

لأَكْشِفَنّ عن الأبصـارِ إذ عَميتْ ... ما أسْدَلَ الجهلُ من حُجْبٍ وأستارِ

مـا للسـراحين بُـدٌّ من مصارِعهـا ... إذا انتضتْ سطواتِ الضيغمِ الضّاري[4]

ضُمُّوا القوى، إنّها دنيا الجهادِ بدت ... أشـراطُها، وتـراءى زَندُهـا الواري

لا بـدَّ من غـارةٍ للحقِّ بـاسلةٍ ... وجَحفـلٍ من جُنـودِ اللهِ جَـرّارِ

خَيرُ الذخائرِ أبقـاها، ولن تَجِدُوا ... كـالعهـدِ يَـرعـاهُ أخيـارٌ لأخيـارِ

لا تَنْقُضـوا العهدَ، إنّ اللهَ مُنزِلُه ... على لسـانِ رَسـولٍ منـه مُختـارِ

---

(١) من ذرت الريح إذا هاجت التراب .

(٢) الشطب الطرائق في السيف، والبتار القاطع .

(٣) شفا الجرف حرفه وحدّه، وهارٍ ضعيف ساقط .

(٤) السراحين الذئاب، والضيغم الضاري الأسد المفترس .

قـالوا: عليـكَ صـلاةُ اللهِ، إنّ بنـا ... مـا اللهُ يعلمُ من عَـزْمٍ وإصــرارِ
آخيتَ بين رجـالٍ يَصـدقـون إذا ... زَلَّتْ قُـوى كلِّ خـدّاعٍ وخَتّـارِ[1]
جُنودُ رَبِّكَ، إن قلْتَ: اعْصِفُوا عَصَفوا ... يَرمونَ في الحربِ إعصاراً بأعصارِ[2]
مِن كلِّ مُنغَمِسٍ في النَّقْعِ مُرتَجِسٍ ... وكـلّ مُنبَجِسٍ بـالبـأسِ فَـوّارِ[3]

---

(١) الختار الغدار .
(٢) الإعصار الريح العاتية تثير السحاب، أو التي يكون فيها برق ورعد .
(٣) ارتجست السماء رعدت، والسحاب صوّت . وانبجس الماء ونحوه تفجر، والنقع الغبار يثور من حدة المعركة .

اليهود والمنافقون

لمّا آخى النبيّ ﷺ بين المهاجرين والأنصار دعا اليهود وصالحهم على ترك الحرب والأذى، لا يحاربهم ولا يؤذيهم ، ولا يعينون عليه أحداً، وإن دهمه عدو ينصرونه ، ثم أقرّهم على دينهم وأموالهم . فلما انتشر الإسلام كرهوا ذلك فانتقضوا ، وفي ذلك نزل قوله تعالى : ﴿ قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر ﴾ ، ولما نزلت ﴿ من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له ﴾ الآية ـ قال قائلهم ـ حُييّ بن أخطب في رواية ـ يستقرضنا ربنا ، وإنما يستقرض الفقير الغني . فأنزل الله تعالى : ﴿ لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء ﴾ الآية ـ وكانوا يسألون النبي عن الروح ويقولون له : مم خلق الله ـ أنسب لنا ربك ـ يريدون تعجيزه وإثارته .

وكان من عظمائهم وأحبارهم حُيَي ، وأبو ياسر، وجديّ بنو أخطب، وسلام بن مشكم ، وكنانة بن الربيع ، وكعب بن الأشرف، وعبد الله ابن صوريا ، ولبيد بن الأعصم ، وشاس بن قيس ، وعبد الله بن سلام . وكان حُيَي بن أخطب عظيم بني النضير، وهو أبو السيدة صفية أم المؤمنين رضي الله عنها، كانت من سبايا النبي في غزوة خيبر بعد قتل أبيها وزوجها كنانة بن الربيع ، جعلها النبي عند أم سليم ـ أم أنس ـ حتى اهتدت وأسلمت ثم أعتقها وتزوجها . وقد انضم المنافقون من أهل المدينة إلى اليهود، وكان عبد الله بن أُبيّ بن سَلول كبيرهم، كان من أعظم أشراف أهل المدينة، وكانوا يريدون تتويجه ملكاً عليهم ؛ فلما ظهر الحق على يد الرسول الكريم خاب أمله، وعظم غيظه وحقده .

والمنافقون قوم من اليهود دخلوا في الإسلام لما قوي أمره خشية القتل وبقي هواهم مع قومهم .

دعا ، فأجابوا ، والقلوبُ صَوادِفُ ... وقالوا: اسْتَقمنا . والهَوى مُتجانِفُ[1]
مَضَى العهدُ، لا حربٌ تُقامُ، ولا أذىً ... يُرامُ، ولا بَغْيٌ عنِ الحقِّ صَارِفُ
لهم دَمهُم ، والدِّينُ، والمالُ ما وَفَوْا ... فإن غَدروا فالسَّيف وافٍ مُساعِفُ
سياسةُ من لا يخَدعُ القولُ رأيَهُ ... ولا يَـزدهيـهِ بـاطـلٌ منـه زَائِفُ
رَسولٌ له من حكمةِ الوَحْيِ عاصمٌ ... ومن نُورهِ في ظُلمةِ الرأيِ كاشِفُ
يُســالِمُ من أحبـارِهم وسَـراتِهـم ... رِجالاً لهم في السِّلمِ رأيٌ مُخالِفُ
يَغيـظهُم الإسـلامُ، حتَّى كـأنَّما ... هُوَ الموتُ، أو عادٍ من الخطبِ جَارِفُ
إذا هَتفَ الـدَّاعي بهِ اهْتَاجَ نَاقِمٌ ... وأعْوَلَ مَحزونٌ ، وأجْفَلَ خائِفُ[2]
إذا ما تَردَّى في الضَّـلالةِ جـاهِلٌ ... فما عُذرُ مَن يأبىَ الهُدَى وَهْو عَارِفُ ؟
يَقولونَ قَوْلَ الزُّورِ ـ لا عِلَم عِندَنا ... كَفَى القومَ عِلماً ما تَضُمُّ المصاحِفُ
لهم من سَنا التَّوراةِ هادٍ، وللعَمى ... رُكـامٌ على أبصـارِهم مُتكـاثِفُ
دَنا الحقُّ من بُهتانِهم، ورَمَى بهم ... إلى الأمـدِ الأقصَى هَوىً مُتقـاذِفُ
عَنا ابْنَ أُبيٍّ من هَوى التَّاج لاعجٌ ... وطافَ به من نَشوةِ المُلكِ طائفُ[3]
جَرى راكِضاً مِلءَ العنانَيْنِ ، فانتحى ... لـه قَـدرٌ ألقَى بـه وَهْـوَ راسِفُ[4]
فمـا مِثلُه في مَشهدِ الإفـكِ فارحٌ ... ولا مِثلهُ في مَشهـدِ الحقِّ آسِفُ
ظُنــونٌ يُعفِّيهـا اليـقيـنُ، ودَولـةٌ ... من الوهمِ تذروها الرياحُ العواصِفُ[5]
يُهيبُ بـأضغـانِ اليهـود يَشُبُّهـا ... عَـداوةَ قـومٍ شـرُّهم متضـاعف

---

(١) المتحانف المائل .
(٢) أجفل انزعج أو هرب مسرعا .
(٣) اللاعج الهوى المحرق .
(٤) رسف الرجل مشى مشي المقيد .
(٥) يعفيها يمحوها، من عفت الريح المنزل .

وما بَرَح الحَبْرُ السَّمينُ يَغرُّهم ... ويأكلُ من أموالِهم ما يُصادِفُ[1]
أعدُّوا له المرعَى فَراحَ مُهبَّلاً ... كَظَنِّكَ بالخِنزيرِ واتاهُ عَالِفُ[2]
يَنوءُ بِجَنْبَيهِ ويرتجُّ ماشياً ... إذا اضطربتْ منه الشَّوَى والرَّوانِفُ[3]
رَماهم بها عَمياءَ لم يَرْمِ مَعشراً ... بأمثالِها أحبارُهم والأساقِف
فقالوا: غَوى ابنُ الصّلتِ وانفضّ جمعهم ... يُريدون كعباً وَهْوَ خَزيانُ كاسِفُ
رَمَى الصادقُ الهادِي لَفِيقَة نفسِه ... بصادعةٍ تَنشقُّ منها اللّفائفُ[4]
فأما لَبيدٌ فاسْتعانَ بسحرِه ... رُويداً أخا هاروتَ تلك الطرائفُ[5]
أعندك أن السِّحر لله غالبٌ ... تأمَّلْ لبيدُ أيَّ مهوىً تُشارِفُ[6]
وَشاسُ بنُ قيسٍ هاجَها جاهليَّةً ... تَطيرُ لِذكراها الحلومُ الرَّواجِفُ[7]

---

(١) هو مالك بن الصلت من أحبارهم. كان يبغض النبي بغضاً شديداً. ويُلَبِّس على اليهود فيأخذ أموالهم، قال له ﷺ أنشدك الله. أليس في التوراة أن الله يبغض الحبر السمين. إنك الحبر السمين. سمنت من المال الذي يطعمك اليهود. فغضب والتفت الى عمر قائلا: ما أنزل الله على بشر من شيء. فكان هذا كفراً منه بموسى ومحمد وغيرهما من الأنبياء والمرسلين. وعلم اليهود فنزعوا عنه الرياسة وجعلوا مكانه كعب بن الإشرف.

(٢) المهبل الكثير اللحم.

(٣) الشوى اليدان والرجلان والاطراف. والروانف أسافل الألية للقائم.

(٤) جمع لفيفة ما يلف به الرجل وغيره والمعنى ظاهر والصادعة من صدع بالحق إذا جهر به أي أن قول الرسول قد كشف أمره أمام قومه.

(٥) لبيد بن الأعصم، قيل إنه عمل سحراً للنبي اتخذ له مثالا على صورته من شمع ـ وقيل من عجين ـ ثم غرز فيه إحدى عشرة عقدة. وكان للنبي خادم يهودي حمل شيئاً من شعره الشريف إلى لبيد فصنع السحر ووضعه في بئر ذروان ونزل جبريل فأخبر النبي فأرسل عليا وعمار بن ياسر فاستخرجاه من البئر.

(٦) شارف الرجل الشيء اطلع عليه من فوق.

(٧) كان شديد الطعن على المسلمين، شديد الحسد لهم. مر يوماً على الأنصار وهم مجتمعون يتحدثون فغاظه ما رأى من إلفتهم بعد ما كان بينهم من العداوة. فقال: قد اجتمع بنو قيلة. والله ما لنا معهم إذا اجتمعوا من قرار، ثم أمر فتى من اليهود فقال له: اعمد إليهم فاجلس =

يُقلِّبُ بين الأوسِ والخزرجِ الثَّرى	وقد وَشجتْ فيه العُروقُ العواطِف[1]
يُـذكِّرهُم يـومَ الـبُعاثِ ومـا جَنْت	رِقاقُ المواضِي والرماحُ الرواعِفُ[2]
غَلتْ نَخواتُ القومِ ممّا استفزَّهم	وراجعَهم من عازبِ الرأيِ سالِفُ[3]
وخَفّـوا يُـريـدونَ القِتـالَ، فَـردَّهـم	نبيٌّ يَـردُّ الـشَّـرَّ والشَّـرُّ زاحِـفُ
دعاهم إلى الحُسنَى، فأقبلَ بعضُهم	يُعـانِقُ بعضاً، والـدُّموعُ ذوارِفُ[4]
أتى ابنُ سـلامٍ يُؤثِـرُ الحقَّ مِلّةً	وينظرُ ما تأتي النُّفُوسُ العوازِفُ[5]

= معهم، ثم اذكر يوم بعاث ـ يوم الحرب التي كانت بينهم ـ وما كان فيه وأنشدهم ما كانوا يتقاولون به من الأشعار ففعل، وثارت نفوسهم فتأهبوا للقتال. ونادى هؤلاء يا للأوس، وهؤلاء يا للخزرج . ثم خرجوا وقد أخذوا السلاح واصطفوا للقتال، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين حتى جاءهم ؛فقال ـ يا معشر المسلمين الله الله . أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله إلى الإسلام وألفكم به ؛ وقطع عنكم أمر الجاهلية، واستنقذكم به من الكفر إلخ . . فعرف القوم إنها نزعة من الشيطان وكيد من عدوهم، فبكوا وعانق الرجال من الأوس الرجال من الخزرج، ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ . فأنزل الله تعالى في شاس بن قيس﴿ يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجاً ﴾ ـ الآية .

(١) وشجت اشتبكت .

(٢) رقاق المواضي هي السيوف. والرواعف من رعف الدم إذا سال .

(٣) عازب: غائب .

(٤) ذوارف: من ذرف الدمع إذا سال .

(٥) جاء النبي في دار أبي أيوب فأسلم وكتم إسلامه عن اليهود، ورجع فقال: لقد علموا أني سيدهم وابن سيدهم . وأعلمهم وابن أعلمهم. فاخبئني يا رسول الله قبل أن يدخلوا عليك ثم ادعهم فاسألهم عني وخذ عليهم ميثاقاً إني أذا اتبعتك وآمنت بك اتبعوك وآمنوا. فأرسل إليهم فجاءوا وقال لهم يا معشر يهود ويلكم اتقوا الله فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أني رسول الله حقا وأني جئتكم بحق، أسلموا، فأبوا، قال: فأي رجل فيكم ابن سلام. قالوا سيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا ، قال أرأيتم إن شهد أني رسول الله وآمن بالكتاب الذي أنزل علي تؤمنوا بي .قالوا نعم . فدعاه فقال يا ابن سلام اخرج عليهم فخرج وأظهر إسلامه ثم دعاهم إلى الإسلام وطفق يؤنبهم لإنكار ما علموا من أمر النبوة في التوراة فقالوا كذبت. أنت شرنا وابن شرنا ونزلت في ذلك ﴿ قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به =

تسلّلَ يستخفي ، وأقبـلَ قـومُـه … وللؤمِ منهم ما تَضمُّ الملاحِفُ[1]
فقيل: اشهدوا، قالوا عرفناه سيّداً … تجـلُّ مَسـاعيـه، وتعلو المـواقفُ
هو المرءُ لا نأبَى من الدّينِ ما ارْتَضى … ولا نَـدَعُ الأمـرَ الـذي هـو آلِفُ
فلّمـا رأوهُ خـارجـاً يَنـطُق التي … هي الحقُّ قالوا: عاثِرُ الرأيِ عاسِفُ[2]
ظننّا بهِ خَيراً، ولا خيرَ في امرىءٍ … أبـوه أبو سُـوءٍ على الشرِّ عـاكِفُ
ظلمناهُ ، لم يُوصَفْ بما هو أهلُه … فماذا له إن أخطأ الرُّشدَ واصِفُ ؟
تَـرَامَـوْا بـألقـابٍ إذا مـا تتـابعْت … تتابعَ شُؤبوبُ من الذمّ واكِفُ[3]
أهـابَ أبـو أيـوبَ رُدُّوا حُلومَكم … أعِندَ رسولِ اللهِ تُلقَى المـآزفُ[4]
وقال الرسولُ اسْتَشعِرُوا الحلمَ ، إنّما … يَسودُ ويستعِلي الحليمُ المُلاطِفُ[5]
أتُؤذونَ عبدَ اللهِ أن يتبعَ الهُدى ؟ … فيا ويحَهُ من مؤمنٍ ـ ما يُقارِفُ[6]؟
أهذا هو العهدُ الذي كـان بيننا ؟ … أهذا الذي يَجْنِي العقيدُ المحالِفُ[7] ؟
تَولّوا غِضاباً ، مـا تَثوبُ نُفـوسُهم … ولا تَرْعَوي أحقـادُهم والكتائِفُ[8]
يُذيعونَ مكروهَ الحديثِ، وما عَسى … يقولون ، والفُرقانُ بالحقِّ هاتِفُ[9]

= وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم . إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾ـ الآية . العوازف جمع عازف وهو المنصرف .

(١) الملاحف جمع الملحفة وهي اللباس فوق ما سواه .

(٢) من عثر زلّ وكبا، وعسف سار على غير هدى .

(٣) الألقاب المكروهة يتنابز بها القوم . والشؤبوب الدفعة من المطر، وواكف من وكف إذا سال .

(٤) الأقذار .

(٥) استشعر الرجل الشيء جعله شعاره .

(٦) قارف الذنب خالطه .

(٧) المعاقد والمعاهد .

(٨) ثاب رجع بعد ذهابه . والكتائف جمع كتيفة وهي السخيمة والحقد .

(٩) الفرقان القرآن الكريم .

إذا بَعثـوا من باطـلِ القولِ فتنـةً — تَلقَّفها من صادِق الـوحيِ خاطِفُ
يُشـايِعهُم في القـومِ كـلُّ مُنـافقٍ — إلى كلِّ ذِي مَشنَوءةٍ هـو دالِفُ[1]
شَديدُ الأذى يُبدِي من القولِ زُخرفاً — وكالسَّمِّ منه ما تُواري الـزَّخارفُ
زَحـالفُ سُـوءٍ مـا يَكفُّ دبيبُهـا — وأهونُ شيءٍ أن تَدُبَّ الزّحالِفُ[2]
أقاموا على ظُلمٍ كأنْ لم يكنْ لهم — من العدلِ يوماً لا محالةَ آزفُ[3]
لكـلِّ أُناسٍ يعكفـون على الأذى — مَعـاطِبُ من أخـلاقِهم ومتـالفُ
رُويدَ يَهودٍ . هل لها في حُصونِها — مِنَ البأسِ إلا ما تَظنُّ السّلاحِفُ ؟
يَظنُّونَ أنْ لنْ يَنسِفَ اللّهُ مـا بنوا — ولن يثبتَ الـبنيـانُ واللّهُ نـاسِفُ
سَيلقَـوْنَ بُؤسـاً بعـد أمنٍ ونعمـةٍ — فلا العيشُ فَيّاحٌ ، ولا الظّلُّ وارِفُ[4]

---

(١) المشنوءة. البغض والعداوة ـ دالف: ساع .
(٢) الزحالف دواب صغار لها أرجل تمشي شبه النمل .
(٣) آزف من أزف بمعنى قرب .
(٤) الفياح الواسع: وورف الظل اتسع وطال وامتد .

غزوة بدر الكبرى

كان عدد الغزوات ثلاثين غزوة شهد النبيّ ﷺ تسعاً وعشرين منها وغاب عن واحدة هي غزوة مؤتة ، فأما التي شهدها فهي : غزوة ودان ـ العشيرة ـ سفوان ـ بدر الكبرى ـ بني سليم ـ بني قينقاع ـ السويق ـ قرقرة الكدر ـ ذي امر ـ بحران ـ أحد ـ حمراء الأسد ـ بني النضير ـ ذات الرقاع ـ بدر الآخرة ـ دومة الجندل ـ بني المصطلق ـ الخندق ـ بني قريظة ـ بني لحيان ـ ذي قرد ، الحديبية ـ خيبر ـ وادي القرى ـ عمرة القضاء ـ حنين ـ الطائف ـ تبوك ـ فتح مكة . وقد استثنى الناظم من هذه الغزوات ما لا مجال فيه للقول .

كان خروج المسلمين لغزوة بدر يوم السبت (الثاني عشر من رمضان) وهو الشهر التاسع عشر بعد الهجرة ، وكان عددهم ٣١٣ وقيل ٣١٤ وقيل ٣١٥ رجلا ، وكان عدد الكفار ٩٥٠ وقيل ألفاً قتل منهم ٧٠ وأسر ٧٠ رجلا، فأما المسلمون فقد استشهد منهم ١٤ رجلا ستة من المهاجرين ، وثمانية من الأنصار .

ما للنفوسِ إلى العَمـايةِ تجنـحُ ؟ — أتظنُّ أنَّ السيفَ عنها يَصفحُ[1] ؟

داويتَ بـالحسنَى فلجَّ فسـادُهـا — ولديك إن شِئْتَ الدواءُ الأصلحُ[2]

الإذنُ جـاءَ فقـل لقـومِكَ . أقبلوا — بالبيضِ تَبرقُ ، والصّوافِنِ تَضبحُ[3]

---

(١) تجنح تميل .

(٢) الخطاب للرسول الكريم ﷺ .

(٣) كانت الآيات التي نزلت بمكة تحضّ على الصبر واحتمال الأذى ، فلما قويت شوكة الإسلام بعد الهجرة نزلت الآيات بالقتال. وكان مبدؤها في الثاني عشر من شهر صفر من=

أفيطمعُ الكُفّارُ ألا يُؤخذوا ؟ بل غرّهم حِلمٌ يُمَدُّ ويُفسَحُ
أَمِنُوا نَكالكَ، فاستبدَّ طُغاتُهم أفكنتَ إذ تُزجِي الزواجرَ تَمزحُ[1] ؟
لا يَستحون ، ولو تأذّنَ ربُّهم عَرفوا اليقينَ، وأوشكوا أن يستحوا
أملَى لهم . حتّى إذا بلغوا المدَى ألْوَى بهم خَطبٌ يجلُّ ويَفدحُ[2]
مِن ناقضٍ عَهداً . ومن مُتمّردٍ يُمسِي على دِينِ الغُواةِ ويُصبِحُ
لمّا استقامَ الأمرُ لاحَ بشيرُها غُرٌّ سوافِرُ من جَبينِكَ تُلمحُ
ظَمِئَتْ سيوفُكَ يا مُحمّدُ فاسْقِها من خيرِ ما تُسقَى السُّيوفُ وتُنضَحُ[3]
فَجِّرْ يَنابيعَ الفُتوحِ فَريُّها ما تَستبيحُ من البلادِ وتَفتحُ
الظلمُ أوردَها الغليلَ، وإنَّهُ لأشدُّ ما تَجِدُ السُّيوفُ وأبْرَحُ[4]
اليومَ تُورِدُها الدّماءَ فترتوي وتردُّها نَشَوى المُتونِ فتفرحُ
المشركونَ عَمُوا ، وأنتُ مُوكَّلٌ بالشِّركِ يُمحَى، والعَمايةِ تُمسَحُ
خُذهم ببأسِكَ، لا تَرُعْكَ جُموعُهم فَلأنتَ إن وزنوا الكتائِبَ أرجَحُ
ضَلّوا السَّبيلَ، وفي يمينِكَ ساطعٌ يَهدِي النفوسَ إلى التي هي أوضَحُ
هَفتِ العَشْيرَةُ إذ نَهضَت تُريدها والعِيرُ دائبةٌ تَشُطُّ وتنزَحُ[5]

= السنة الثانية وأولها ﴿ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير ﴾ وقيل إن الآية الأولى هي﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم ﴾ وكان الصحابة يأتون النبي بمكة بين مضروب ومشجوج فيقول: اصبروا فإني لم أومَرْ بالقتال. والضبح صوت الخيل دون الصهيل، أو عدوها . والصوافن الخيل .

(١) النكال ما صنعته بشخص عبرةً لغيره .

(٢) أملى له أمهله وطول له، ألوى بالرجل وبالشيء ذهب به .

(٣) بمعنى تسقى .

(٤) الغليل حرارة العطش .

(٥) العشيرة موضع لبني مدلج بينبع، خرج إليها النبي في جمادى الأولى. وقيل الثانية على رأس ١٦ شهراً من الهجرة في ١٥٠ وقيل في ٢٠٠ رجل من المهاجرين يريد عيراً لقريش سارت من مكة الى الشام للتجارة كانت الف بعير تحمل ما قيمته خمسون ألف دينار. وكان =

تَمشِي مَواقِرَ في غَوارِبها العُلَى ... أمـوالُ مكّةَ فَهْيَ مِيلٌ جُنَّحُ[1]
عُدْ باللواءِ، وَقُلْ لِحمزةَ إنّهم ... رَهْنٌ بِمُرْزِمَةٍ تَسُحُّ وتَدْلَحُ[2]
تَهوِي غَداةَ الرَّوْعِ في طُوفانِها ... مُهَجُ الفوارسِ، والمنايا تَسبَحُ[3]
هـذا الفتى الفِهريُّ أقبلَ جامحاً ... يغزو المدينةَ، والمضلَّلُ يَجمحُ[4]
ولّى يَسوقُ السَّرْحَ لو لم تُولِه ... سَعةً لضَاقَ به الفضاءُ الأفيحُ[5]
دعه. فإنّ له بمكةَ مشهداً ... يُرضيكَ، والشهداءُ حولكَ تُطرَحُ[6]
ذَهَبَ ابنُ حربٍ في تجارةِ قومِه ... ولَسوفَ يَعْلَمُ من يَفوزُ ويَربحُ[7]
نَسرٌ مضى مُتصيِّداً، ووراءه ... يومٌ تُصادُ به النُّسورُ وتُذبَحُ

= قائدها أبو سفيان بن حرب ومعه مخرمة بن نوفل. وعمرو بن العاص. فلم يدركها النبي. فلما عادت من الشام خرج إليها. قيل إنها كانت سبباً لوقعة بدر. وكان اللواء في العشيرة لحمزة بن عبد المطلب. وفي هذه الغزوة عقدت معاهدة بين الرسول الكريم وبين بني مدلج وكانوا حلفاء بني ضمرة. وتشطّ تبعد.

(١) مواقر محملة أحمالا ثقيلة.

(٢) من أرزم الرعد إذا اشتد صوته. والمراد غارة أو وقعة هذه صفتها. يقال: سحابة تدلح إذا كانت كثيرة الماء، وأصله أن يمشي الرجل أو غيره منقبض الخطو لثقل حمله.

(٣) الروع بمعنى الحرب وأصله الفزع.

(٤) هو كرز بن جابر الفهري، كان من رؤساء المشركين أغار على سرح من الإبل والمواشي كان بالمدينة بعد رجوع النبي من العشيرة بليال. فخرج ﷺ يطلبه. فلما بلغ سفوان ـ موضع من ناحية بدر ـ فاته كرز، وكان اللواء بيد علي بن أبي طالب ـ أسلم كرز وصحب وأُمّر على سرية، وقتل في فتح مكة رضي الله عنه.

(٥) الأفيح الواسع.

(٦) إشارة الى إسلام كرز بن جابر واستشهاده.

(٧) كان أبو سفيان يتجسس أخبار النبي فلما علم بخروجه مع الجيش أرسل ضمضم بن عمرو الغفاري يستنفر قريشاً بمكة واستأجره بعشرين مثقالا على أن يأتي مكة ويجدع أنف بعيره. ويشق ثوبه من قبل ومن دبر ثم يصرخ ببطن الوادي على بعيره. اللطيمة اللطيمة ـ هي العير تحمل الطيب والبز ـ أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد، إنكم إن أصابها لن تفلحوا أبدا، الغوث، الغوث فنفر الناس وتخلف أبو لهب.

بَيْنَا يَجِيدُ عن السّهامِ أصابَهُ … نَبأُ تُصابُ به السّهامُ فتُجرَحُ

بَعثَ ابنَ عمروٍ: ما لكم من قُوّةٍ … إنْ مالُكم أمسىَ يُلَمُّ وَيُكسَحُ[1]

وَاهاً قُريشٌ إنّه الدمُ، فاعلموا … من دونِ بَيْضَتِكم يُراق ويُسفَحُ[2]

تَردونَ بَرْدَ الأمنِ، والنّارُ التي … أنتم لها حَطبٌ تُشَبُّ وتُقدَحُ

إن كنتُ لم أُفصِحْ لخطبٍ هالَني … فسلوا بعَيري إنّه هو أفصَحُ

وخُذُوا النّصيحَةَ عن قَميصِي إنّه … لأَجَلُّ من يَعِظُ النّيامَ ويَنصحُ

إنّي صَدقتكمُ البلاغَ لِتعلموا … وجبالُ مَكّةَ شُهّدُ والأبطُحُ

جَفلتْ نفوسُ القومِ،حتى ما لها … لُجُمٌ تَرُدُّ ،ولا مقاوِدُ تَكْبَحُ[3]

وأبَى أبو لَهَبٍ مَخافةَ ما رأتْ … في النّومِ عاتكةُ فما يتزحزحُ[4]

---

(١) يكسح يؤخذ كله .

(٢) البيضة ما يجب حمايته، ويُسفح يُسال .

(٣) جفلت انزعجت، وكبح الدابة جذبها إليه باللجام لكي تقف ولا تجري، والمقود الحبل .

(٤) نفر الناس للقتال وتخلّف أبو لهب لرؤ يا رأتها عاتكة ابنة عبد المطلب عمّ النبي (مختلف في إسلامها) بعثت عاتكة إلى أخيها العباس فلما جاءها قالت بعد أن أوصته بالكتمان خوفا من كفار قريش ـ رأيت راكبا أقبل على بعير له حتى وقف بالأبطح ثم صرخ بأعلى صوته ـ ألا انفروا يا آل غدر إلى مصارعكم في ثلاث فأرى الناس اجتمعوا اليه، ثم دخل المسجد والناس يتبعونه، فبينما هم حوله رأيت بعيره مثل به على ظهر الكعبة ، ثم صرخ بمثلها . ثم مثل به بعيره على رأس ابي قبيس فصرخ بمثلها. ثم أخذ صخرة فأرسلها فأقبلت تهوي ، حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفضت فما بقي بيت من بيوت مكة ولا دار إلا دخلها منها فلقة ..

قال العباس: إنها لرؤ يا عظيمة فاكتميها .وخرج فلقي الوليد بن عقبة وكان صديقاً له فذكرها له واستكتمه. فذكرها الوليد لأبيه . فتحدث بها وفشا الحديث. ومر العباس على أبي جهل وهو في رهط من قريش يتحدثون بهذه الرؤ يا فقال له : يا أبا الفضل إذا فرغت من طوافك فأقبل إلينا. فلما رجع قال له أبو جهل -يا بني عبد المطلب متى حدثت فيكم هذه النبية ؟ أما رضيتم أن يتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤ كم ؟

جاء ضمضم بن عمرو الغفاري إلى مكة بعد هذه الرؤ يا بثلاثة أيام وفعل ما فعل فكان ذلك =

وأرى أُميَّةَ لو تأخَّرَ حَيْنُهُ	لرآهُ عُقْبَةُ ثاوياً ما يبرَحُ[1]
يَرميهِ بالهَذْرِ القبيحِ يَلومُهُ	ويَسُومُه الخُلُقَ الذي هو أقبَحُ
غَشَّاهُ سَعدٌ رَوعةً ما بعدها	لِذَوي المخافةِ في السّلامةِ مَطمحُ[2]

* * *

نَفَروا يُريدونَ القِتالَ وغرَّهم	عَبثُ اللواتي في الهوادجِ تَنبحُ[3]
غَنَّتْ بهجوِ المسلِمِينَ، وإنّها	لأضلُّ من يَهجو الرجالَ ويمدحُ
الضّارباتُ على الدُّفوفِ، فإن هُم	ضَربوا الطُّلَى ، فالنّادباتُ النُّوَّحُ[4]
تِلكَ المآتِمُ ، ما تزالُ ثِقالُها	تَمشي الوئيدَ بها المطايا الطُّلَّحُ[5]
أخذوا السّلاحَ، وقد أغار لأخذهم	جُندٌ بآياتِ الكتابِ مُسلَّحُ
فيهم من الأنصارِ كلُّ مُشيَّعٍ	يَمضي إذا نَكصَ اليَراعُ الزُّمَّحُ[6]

= مصداقاً لها ـ بعث أبو لهب مكانه العاص بن هشام بن المغيرة وكان له أربعة آلاف درهم ديناً عليه ثم عجز عن ادائها فجعلها أجراً له ـ وقد قتل العاص في غزوة بدر بيد عمر بن الخطاب .

(١) أمية بن خلف، أراد التخلف وكان شيخاً ثقيلا فجاءه عقبة بن أبي معيط وهو جالس مع قومه بمجمرة فيها بخور ثم وضعها بين يديه وقال له: استجمر فإنما أنت من النساء . وكان أبو جهل هو الذي دعا عقبة إلى ذلك . ومن قول أبي جهل لأمية: إنك سيد أهل الوادي فإن تخلفت تخلفوا ـ فتجهز وخرج. والحين الموت والثاوي المقيم .

(٢) سعد بن معاذ، قدم مكة معتمرا فنزل على أمية كما كان ينزل هو عليه بالمدينة في طريقه إلى الشام فأخبره أن النبي سيقتله ـ والمراد جند النبي ـ فكان هذا سبب خوفه وكراهته للخروج .

(٣) خرجت قريش ومعها النساء يضربن على الدفوف ويغنين بهجو المسلمين، وكان من زعمائهم أبو جهل، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة. وحكيم بن حزام (أسلم بعد ذلك) وأبو البختري بن هشام، وزمعة بن الأسود، والنضر بن الحارث . والعباس بن عبد المطلب، وأبي بن خلف، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج . وكان حامل لوائهم السائب بن يزيد (أسلم) .

(٤) الطلى الأعناق أو أصولها جمع طلية أو طلاة .

(٥) الوئيد المشي في بطء . وطلحت المطايا أعيت .

(٦) اليراع الجبان، والزمح الضعيف .

كـانـوا على عهـدٍ مضى فـأتمّـهُ لإلهِهِمْ عهـدٌ أبـرُّ وأسـمـحُ[1]
سَعـدٌ يُهيبُ بهم، وسعـدٌ قـائمٌ تحت اللواءِ بسيفـهِ يتـوشّـحُ[2]
مـا أصدقَ المِقـدادَ حين يَقـولُها حَرَّى، وبعضُ القولِ نارٌ تَلْفَحُ[3]
إنّـا وراءكَ يـا مُـحَمَّـدُ نَبتَغِي مـا اللهُ يُعـطِي المتَّقِينَ ويَمنَـحُ
لسنا بقومِ أخيكَ مُوسى إذ أبَـوْا إلا القُعـودَ ، وسُبَّةً مـا تُضـرَحُ[4]
هـذا عليٌّ في الـلّواءِ، ومُصـعبٌ والنّصـرُ في عِـطْفَيْهمـا يَتـرنَّـحُ[5]
حَمَـلا لِوَائَيْهِ ، فلو صدحَ الهُـدى في مَشهـدٍ جَللٍ لأقبـلَ يَصـدحُ
هـذا رسـولُ اللهِ مَن يـكُ مُؤمناً فـإليـهِ إنّ طـريـدَه لا يُـفـلِحُ
المـوتُ في يـدِه،وعنـد لـوائِـه رِيـحُ الجِنانِ لِمَنْ دَنـا يَسْتَرْوِحُ[6]
إن يَملكِ المـاءَ العدوُّ فقـد هَمَى سَيْـلٌ جَـرى شُؤبـوبـهُ يتبـطَّحُ[7]

---

(١) خرج الأنصار في هذه الغزوة ولأول مرة لأنهم حين بايعوا النبي ﷺ بالعقبة قالوا له ـ إنا براء من ضمانك أي مناصرتك ـ إلا أن تكون في دارنا. فلما كانت غزوة بدر أراد معرفة ما عندهم فقال سعد بن معاذ سيد الأوس كما قال المقداد بن عمرو الملقب بابن الأسود ـ يا رسول الله إمض لما أمرك الله فنحن معك . لسنا نقول لك ما قال بنو إسرائيل لموسى عليه السلام: ﴿ إذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون ﴾ ولكنا نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك إلى آخر ما قال .

(٢) الأول سعد بن عباده كان يأتي دور الأنصار يحضهم على الخروج، وقد لدغته ـ رضي الله عنه ـ حية فتخلف وقال النبي . لئن كان سعد لم يشهدها (الغزوة) لقد كان عليها حريصاً . ثم ضرب له بسهمه وأجره، والثاني سعد بن معاذ، وتوشح بسيفه تقلد به .

(٣) لفحته النار أحرقته .

(٤) ضرح الشيء دفعه ونحاه .

(٥) عقد النبي لواء أبيض ودفعه إلى مصعب بن عمير، وكان أمامه ﷺ رايتان سوداوان إحداهما مع علي بن أبي طالب، والثانية مع سعد بن معاذ. وقيل مع الحباب بن المنذر، ولبس النبي درعه (ذات الفضول) وتقلد سيفه (العضب) .

(٦) استروح الشيء تشمّمه .

(٧) سبق المشركون المسلمين إلى الماء ببدر فلقي الأولون عناء، ودعا النبي فانهمرت السماء =

هِيَ دعـوةُ الهـادِي الأمينِ ونفحـةٌ ممَّن يَسـوقُ الغيثَ فيمـا يَنفـحُ
مَكَـر الحُبَـابُ بهم فغـوَّرَ مـاءَهم والمكْرُ في بعضِ المواطِنِ أنجحُ[1]
نبِّىءْ عُمَـيْـرُ سَراةَ قـومِـكَ، إنّهم زَعموا المزاعَم، والحقائِقُ أرْوَحُ[2]
نَبِّئهمُ الخبـرَ اليقينَ، وصِفْ لهم بَـأْسَ الأُلى جَمعوا لهم وتبجَّحـوا
وَاذْكُـرْ سَمِيَّـكَ إذ يقـولُ محمَّـدٌ إرجِـعْ عُمَيـرُ فـدمعُـه يتسحَّـح[3]
أذن النبيُّ لـه، فـأشـرقَ وجهُـه ولقـد يُرى وهـو الأحمُّ الأكفحُ[4]
بَطلٌ من الفتيانِ يَحمِلُ في الوغى ما يَحملُ البطلُ الضَّليعُ فيرزحُ[5]
قُـلْ يـا حَكيمُ فمـا بعُتْبَـة رِيبـةٌ مـولى العشيـرةِ للمُهِمّ يُـرشَّـحُ[6]

= فشربوا واختزنوا واغتسلوا وصلـوا، وصلح موقع الجيش وكانت الأرض هشة تسوخ فيها الأقدام ، تبطح السيل اتسع في البطحاء وسال عريضاً .

(١) الحباب بن المنذر أشار على النبي ﷺ أن ينزل بالجيش عند أقرب ماء من القوم ففعل وأمر بالقليب فغورت . وبني حوضاً على القليب الذي نزل عليه كما رأى الحباب فعطش الكفار عطشاً شديداً ووهنت قواهم .

(٢) عمير بن وهب الجمحي (أسلم بعد ذلك) أرسلته قريش ليرى كم عدد المسلمين فجال بفرسه حول العسكر وعاد يقول ـ يا معشر قريش، البلايا تحمل المنايا، رجال يثرب تحمل الموت الناقع، ألا ترونهم خرساً لا يتكلمون ؟؟ يتملظون تلمظ الأفاعي، لا يريدون أن يقبلوا إلى أهليهم، زرق العيون كأنهم الحصى تحت الحجف، ليس لهم منعة إلا سيوفهم .

(٣) عمير بن أبي وقاص أخو سعد بن أبي وقاص، خرج للغزو مع المسلمين وكان عمره ست عشرة سنة فأمر النبي برده لصغر سنه فبكى فأذن له في القتال .

(٤) الأحم والأكفح كلاهما بمعنى اسود .

(٥) الضليع القوي الشديد الأضلاع . والرازح الهالك هزالا .

(٦) حكيم بن حزام، لما سمع مقالة عمير بن وهب أتى عتبة بن ربيعة وقال؛ يا أبا الوليد إنك كبير قريش وسيدها المطاع . هل لك أن تذكر بخير إلى آخر الدهر. فقال: وما ذاك يا حكيم ،قال: ترجع بالناس وعليك أن تحمل دم الحضرمي الذي قتلهُ عبد الله بن واقد في سرية ابن جحش وتعوض على الناس ما أصاب المسلمون من الغنائم فإنك ذو مال كثير وقريش لا تريد سوى ذلك، فقبل عتبة وركب جملاً له أحمر طاف به على القوم وهو يقول يا =

نَصحَ الرجـالَ فَردَّهم عن نصحـهِ   نَشـوانُ يمـلأهُ الغـرورُ فيـطفـحُ[1]
رَبِّ اسْـقِـه بيـدِ الـنّبيِّ مَـنِيَّـةً   بعـذابِكَ الأوفى تُشـابُ وتُجدَح[2]
إيـهِ أبـا جهـلٍ نُصِـرتَ بفـارسٍ   يَلقى المنيَّـةَ منـه أغلبُ شيِّـحُ[3]
أرداهُ حَمـزةُ عِندَ حـوضٍ محمّـدٍ   فانظر: أتُقْدِمُ . أم تَحِيدُ وتَكفَحُ[4]
رامَ الورود، فما انثنى حتّى ارتوت   من حوضٍ مُهجته المنايا القُمَّح[5]

* * *

جـدّ البلاءُ، وهب إعصـارُ الردى   يـرمـي بـأبـطال الـوغى ويـطوّح
نـظرَ النبيُّ، فضـجَّ يـدعـو ربَّـه   لا هُمَّ نصركَ، إنّنا لـك نكدح[6]

= قوم أطيعوني، عليَّ دم الحضرمي وما أخذ من العير، أنشدكم الله في الوجوه التي تضيء ضياء المصابيح (يعني وجوههم) أن تجعلوها أنداداً لهذه الوجوه التي كأنها عيون الحيات (يعني وجوه الأنصار) يا قوم اعصبوها اليوم برأسي وقولوا، جبن عتبة.

(١) هو أبو جهل، بعث عتبة إليه حكيم بن حزام يبلغه رأيه فغضب وأفسد على الناس نصحه قائلا: إنه يخاف على ابنه يعني أبا حذيفة. فإنه كان مع النبي. وبعث إلى عامر بن الحضرمي يقول: هذا حليفك عتبة يريد الرجوع بالناس، فاطلب أنت بدم اخيك. فجاء غامر وكشف عن دبره وحثا التراب على رأسه وصرخ، واعمراه. واعمراه. فثارت النفوس، وأخفق المسعى.
رأى النبي عتبة وهو يطوف على جمله ينصح الناس. فقال ﷺ: إن يكن في أحد من القوم خير ففي صاحب الجمل الأحمر. إن يطيعوه يرشدوا.

(٢) تجدح تخلط.

(٣) هو الاسود المخزومي كان شرساً سيء الخلق. قال: أعاهد الله لأشربن من حوضهم (المسلمين) أو لأهدمنه. أو لأموتن دونه، ثم أقبل فضربه حمزة بن عبد المطلب فوقع صريعاً ولكنه زحف إلى الحوض ليصدق في يمينه فقتله حمزة في الحوض. وهو أول قتيل من المشركين في بدر. الشيّح المقاتل أو الجاد في الأمر.

(٤) كفح بمعنى جبن.

(٥) يقال إبل قمح أي رافعة الرؤوس، غاضة العيون. وهذا إذا رويت من الماء.

(٦) يكدح: يسعى ويعمل.

تلك العصابةُ س لدينك غيرها إن شدّ عادٍ، أو أغارَ مُجلِّح[1]

لولا تُقِيمُ بناءَهُ وتحوطُهُ لعفا كما تعفو الطُّلُولُ وتَمصَحُ[2]

لا هُمَّ إن تَهلكْ فما لك عابدُ يغدو على الغبراءِ أو يَتروَّح[3]

جاشت حَمِيَّتُه، وقام خليلهُ دُونَ العريشِ يَذودُ عنه وَينضَحُ[4]

وتَغوَّلتْ صُوَرُ القتالِ، فأقبلا والأرضُ من حَوْلَيْهما تَترجَّحُ[5]

في غَمرةٍ ضَمِنَ الحِفاظُ لِقاحَها فالحربُ تَسدحُ بالكُماةِ وتَرْدَحُ[6]

إستَبْقِ نفسك يا أبا بكرٍ وقِفْ إن ضَجَّ من دِمك الزَّكيِّ مُصيِّحُ[7]

أعرِضْ عن ابنك إنّ موتَك لِلّذي حمل الحياةَ إلى الشعوبِ لَمُتْرِحُ[8]

صلّى عليهِ اللّهُ حين يقولُها والحربُ تَعصِفُ والفوارسُ تَكلَح[9]

اللهُ لا وَلدٌ أحبُّ ولا أبٌ منه، فأين المُنتأى والمنزحُ؟[10]

أفما رأيتَ أبا عُبيدةَ ثائراً وأبوه في يدهِ يُتَلُّ ويُسْطَحُ؟[11]

---

(١) المجلح المقدم من جلح السبع على القوم إذا حمل عليهم .

(٢) من مصحت الدار إذا اندرس أثرها .

(٣) تروح سار في الرواح أي العشي، وفي الأبيات إشارة إلى دعاء النبي ربه بقوله (اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد) .

(٤) خليله أبو بكر، والعريش الذي أشار سعد بن معاذ ببنائه للنبي ليشرف منه على المعركة ، وينضح يدافع .

(٥) تغوّلت تلونت، وتترجح تهتز .

(٦) من سدحت المرأة وردحت إذا أكثرت من النسل وثبتت . والكماة جمع كمي، والكمي الشجاع .

(٧) يشير إلى عزم أبي بكر على مبارزة ابنه عبد الرحمن لما طلب المبارزة وكان لا يزال على الشرك ثم أسلم في هدنة الحديبية .

(٨) مترح ـ محزن . (٩) تكلح ـ تكشر في عبوس .

(١٠) المنتأى محل البعد، والمنزح من نزح إذا بعد .

(١١) أبو عبيدة بن الجراح حمل عليه أبوه وكان مع المشركين ليقتله فأعرض عنه فطارده، فقتله أبو عبيدة، ويتل ويسطح بمعنى يصرع .

بَـطلٌ تخـطّر أم تخـطّرَ مُصَعبٌ ... صُلْبُ القَرا ضَخْم السَّنامُ مُكبَّحُ ؟[1]

أرأيتَ إذ هـزمَ النبيُّ جُمـوعَهـم ... فكأنّما هَزمَ البِغاثَ المَضْـرَحُ ؟[2]

هي حِفنـةٌ للمشركينَ من الحَصى ... خَفَّ الوقورُ لها وطاشَ المِرْجَح[3]

مِثـلُ الثَّميلةِ من مُجاجـةِ نـافثٍ ... وكـأنّمـا هي صَـيِّبٌ يَـتبـذَّح[4]

اللهُ أرسـلَ في السّحـابِ كتيبـةً ... تهفـو كما هَفَتِ البـروقُ اللُّمَّح[5]

تَـهـوِي مُجـلجِلَةً تَـلَهَّـبُ أعيـنُ ... منها. وتَقذِفُ بالعواصِف أجْنُحُ[6]

للخيـلِ حَمحمـةٌ تُـراعُ لهـولهـا ... صِيدُ الفوارسِ ، والعِتاقُ القُرَّح[7]

حَيـزومُ أقـدِمْ . إنّمـا هي كـرّةٌ ... عَجْلَى، تُجاذبك العِنَانَ فتمرح[8]

جِبريلُ يضربُ . والملائـكُ حولـه ... صَفٌّ تُرَضُّ به الصّفوفُ وتُرْضَح[9]

تَلك الحصونُ المانعاتُ، بمثلها ، ... تُذْرَى المعاقلُ والحصونُ وتُذْرَح[10]

للقـومِ من أعنـاقِهـم وبَنـانِـهـم ... نـارٌ تُـريـكَ الـدّاءَ كيف يُـبرَّحُ[11]

---

(١) المصعب الفحل ومن الجمال ما لم يركب ،وصلب القرا ـ شديد الظهر، ومكبح شامخ والبيت في وصف أبي عبيدة .

(٢) البغاث ضعاف الطير، والمضرح ـ الصقر الطويل الجناح .

(٣) المرجح الحليم، والبيت يشير إلى أن النبي رمى المشركين بحفنة من الحصى فلم يبق منهم رجل إلا نال عينيه منها ثم انهزموا وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى .

(٤) الثميلة البقية والصيب المطر وتبذح السحاب امطر .

(٥) كتيبة قطعة من الجيش، تهفو. تسرع وفي البيت وما بعده إشارة الى إمداد الله المسلمين بالملائكة في غزوة بدر ﴿ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين ﴾ .

(٦) مجلجلة ـ مرعدة، وأجنح جمع جناح .

(٧) القارح من الخيل الذي شق نابه وطلع .

(٨) حيزوم اسم فرس جبريل .

(٩) ترضح تكسر . (١٠) تذرى وتذرح بمعنى .

(١١) كانت الملائكة تضرب أعناق المشركين وبنانهم (فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان) والمبرح المؤلم .

جفّتْ جُـذورُ الجـاهليـةِ، والتـوَى
هذا النباتُ النـاضرُ المُستـرشِحُ[1]

طَفِقَ الثرى من حولها لمّا ارتـوى
من ذَوْبِ مهجتهـا يجفُّ ويَبلح[2]

ومن الدمِ المسفوحِ رِجسٌ مُوبِقٌ
ومُـطهَّـرٌ يَلِدُ الحيـاةَ ويَلقَـحُ[3]

أودَى بِـعتُبَـة والـوليـدِ وشَـيْبـةٍ
وأميَّـةَ، القدَرُ الـذي لا يُـدْرَح[4]

وهَوى أبو جهـلٍ ونَـوفَلُ وارْعَوى
بعدَ اللَّجاجِ الفـاحشُ المتوقِّـح[5]

---

(١) استرشح النبات طال .

(٢) يبلح ييبس

(٣) موبق مهلك .

(٤) عتبة بن ربيعة. برز للقتال فجاءه فتية من الأنصار فقال: انما أريد أكفائي من قريش. ونادى مناديهم . يا محمد أخرج إلينا أكفاءنا فأمر بعبيدة بن الحارث وحمزة وعلي رضي الله عنهم فقتل علي الوليد، وقتل حمزة عتبة . وتبادل عبيد وشيبة ضربتين أثرتا فيهما فكرَّ حمزة وعلي فأجهزا على شيبة. ثم احتملا عبيدة ومخ ساقيه يسيل وكانت الضربة في ركبته فأفرشه النبي قدمه الشريفة فوضع خده عليها وقال له ﷺ : أشهد أنك شهيد، قال عبيدة: وددت والله لو أن أبا طالب كان حياً ليعلم أننا أحق منه بقوله :

ونُسلمــه حتى نُـصــرّع حــولــه
ونـذهـل عن أبنـائنـا والحـلائـل

ثم قال : ـ

فـإن يقطعـوا رجلي. فإنّيَ مُسلِمٌ
أرجّي بــه عيشـاً من الله عــالينـا

وألبسني الـرحمن من فضـل مَنّـهِ
لباساً من الإسلام غطّى المسـاويا

مات رضي الله عنه من هذه الضربة فهو من شهداء بدر ويقصد الوليد بن عتبة وشيبة بن ربيعة وامية بن خلف الذي قتله بلال. والى هذا سبقت الاشارة في القصيدة الثانية من الديوان بهذه الأبيات .

أرنــي يــديــك . أفيــهــمــا لأمــيــة
وِردٌ من الموتِ الذعـافُ مُثّمَلُ ؟

لَـلسيـفُ سيـف الله أهــولُ مــوقعــاً
من صخـرةٍ تُلقى ، وحبـل يفتـل

لــك في غـد دمــه إذا التقتِ الظبى
تحت العجاجة ، والرماح الذبّل

لا يدرح :لا يدفع .

(٥) أبو جهل ضربه معاذ بن عمرو بن الجموح . ومعوذ بن عفراء من الأنصار واجهز عليه ابن مسعود، ونوفل بن خويلد، قال النبي . من له علم بنوفل بن خويلد . قال علي : أنا قتلته فكبّر ﷺ وقال. الحمد لله الذي أجاب دعوتي فيه. فإنما لما التقى الصفان نادى نوفل =

لمّا رأى الغازي المُظَّفرُ رأسه	أهوى يُكبِّرُ ساجداً ويسبِّحُ[1]
في جلدهِ من رجزِ ربّكَ آيةٌ	عَجَبٌ، تُفسِّرُ للبيبِ وتُشْرَحُ[2]
تلك السّطورُ السُّودُ ضَمَّ كتابُها	أبهى وأجملَ ما يَرى المُتصفِّحُ
إن لم يُغيَّبْ في جهّنم بعدها	فَلَمنْ سِواهُ في جهنّمَ يُضْرَحُ[3]
أدركتَ حقّكَ يا بِلال فَبُورِكتْ	يَدُكَ التي تركتْ أُميّةَ يُشبَحُ[4]
وَافِ المطارَ، ووالِ يا ابنَ رُواحةٍ	زَجَل الحمامِ إذا يطيرُ ويسجَح[5]
هذا ابنُ حارثةٍ يَطوفُ مُبشّراً	بالنّصر يُخزِي الكافِرينَ ويفضَحُ
لمّا تردّدَ في البلادَ صَداكما	أمستْ قُلوبُ المسلِمينَ تُروِّحُ
فكأنَّ كُلاّ مُعرِسٌ، وكأنَّما	منه ومِنك مُهنِّىءٌ ومُرفِّح[6]
قُلْ يا أبا سُفيانَ غيرَ مُلَوِّحٍ	فالنصرُ يَخطبُ والسّيوفُ تُصرِّح[7]

= بصوت رفيع. يا معشر قريش. اليوم يوم الرفعة والعلا، فقال النبي. اللهم اكفني نوفل بن خويلد.الفاحش المتوقّح المراد به أبو جهل لعنه الله وهو المسمى فرعون هذه الأمة على لسان الرسول الكريم،وارعوى كفّ .

(١) لما جيء للنبيّ برأس أبي جهل سجد لله شكراً، وقال: الحمد لله الذي أعزّ الإسلام وأهله، الله أكبر،الحمد لله الذي صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده .

(٢) الرجز: العذاب، وقد وجد في جسد أبي جهل آثار سود كآثار ضرب السياط .

(٣) يضرح: يدفع أو ينحى أو يقبر .

(٤) أمية بن خلف قتله بلال، وكان يعذبه ليردّه عن دين الله، ويشبح يشق ويفعل به كالجلد المشبوح .

(٥) سجحت الحمامة سجعت، وفي البيت وما بعده إشارة الى إرسال عبد الله بن رواحة إلى أهل العالية وزيد بن حارثة إلى أهل السافلة لإخبارهم بالنصر .

(٦) أعرس الرجل بأهله بنى عليها. ومرفح من رفحه أي قال له: بالرفاء والبنين .

(٧) هو أبو سفيان بن الحارث بن هشام لما سأله عمه أبو لهب عن خبر قريش قال: هَلُمَّ إليّ عندي الخبر، والله ما هو إلا أن لقينا القوم فمنحناهم أكتافنا، يقتلوننا كيف شاءوا ويأسروننا كيف شاءوا ،وأيم الله مع ذلك ما لمت الناس، لقينا رجالا بيضا على خيل بلق، فغضب أبو لهب .

بِيضٌ على بُلْقٍ تَساقَطُ حولها سُودٌ مُذمَّمةٌ تُساقُ وتُرمَح[1]

ذَهبوا وأخلَفَهُمْ رَجاءٌ زُلزِلوا فيهِ، فزالَ كما يَزولُ الضَّحْضَحُ[2]

أكذاكَ تَختلفُ الزُّروعُ، فناضرٌ ضَافِي الظِّلالِ، وذابلٌ يَتصوَّح[3] ؟

القومُ غاظهم الصَّحيحُ فزَيَّفُوا ومن الأمورِ مُزَيَّفٌ ومُصحَّح

خَطأُ الزمانِ فَشا، فَلُذْ بصوابِه وَانْظُرْ كِتابَ الخلقِ كيف يُنقَّح

جاءَ الإمامُ العبقريُّ يُقيمُها سُنَناً مُبيَّنةً لِمن يَستوضِحُ

---

(١) تطعن بالسيوف وبالرماح .

(٢) الضحضح: السراب .

(٣) يتجفف .

مَصرع أبي جهل *

ضربه معاذ بن عمرو بن الجموح، ومعوذ بن عفراء من الأنصار، وأجهز عليه ابن مسعود . . وكان سيف ابن مسعود كليلا فقال له أبو جهل: خذ سيفي فاحتز رأسي به ففعل. . وقال له وهو يعلو صدره ليحزَّ رأسه : لقد ارتقيت يارويعي الغنم مرتقى صعباً ، لو غير أكّار قتلني(الأكّار الزرّاع وكان الأنصار أهل زرع) وقد أعطاه النبي ﷺ سيفه .

بِسيفك فيما اخترتَ من عاجلِ القتلِ ... سُقِيتَ ذُعافَ الموتِ، فَاشْرَبْ أبا جَهلِ

هُو السّيفُ، لولا الجبنُ لم يَمْضِ حدُّه ... ولم يَرْضَ في جِدّ الكريهةِ بالهزلِ

شَهِدْتَ الوغَى تَبغِي على الضّعفِ راحةً ... لِنَفْسِكَ من حِقدٍ مُـذيبٍ ومن غِلِّ

أفرعونُ إن تحهلْ، فلن تَجهَل الوغَى ... فَراعينهَا مِن ذي شَبابٍ ومن كَهْلِ (١)

أصابَك فيها ما أصابَك من أذىً ... وفاتَك ما نالَ الرُّوَيْعِيُّ من فَضْلِ (٢)

رَمـاكُ مُـعـاذٌ قـبـله ومُـعـوِّذٌ ... وجـاءك مَشبـوبـاً حَمِيَّتُهُ تَغلي

سَقى السّيفَ عفواً من دمٍ لك طَيِّعُ ... فَمِن مُرتَقىً صعبٍ إلى مُسْتَقًى سَهْلِ

دَعِ الهـزلَ يا ابنَ الحنظليّةِ إنّـه ... هو الجِدُّ كلُّ الجِد لو كنتَ ذا عقلِ

(*) جاءت هذه القصيدة في المصورة بعد القصيدة الآتية .

(١) كان النبي ﷺ يقول عن أبي جهل: إنه فرعون هذه الأمة .

(٢) الرويعي تصغير الراعي .

هِيَ الّـلاتُ والعُزَّى أضلّتْـكَ هذِه وزادتْكَ هذي من ضلال ٍ ومن خَبْل ِ[1]

مَضَى جارُكَ المأفونُ خَـزيانَ وَانْقَضْت حِبالُك فَانْظُرْ هل ترى الآن من حَبْل ِ[2]؟

لقد كنتَ ترجو أن ترى الهَبَلَ الذي رَضِيتَ بـه رَبّـاً يَفـوزُ ويَسْتَعْلِي

أصبتَ ابنَ مسعـودٍ سَنـاءً ورفعـةً وبـاءَ عـدوُّ اللهِ بـالخِـزي والـذُّلِّ

فَخُذْ سَيفَهُ، ثم ارفعِ الصَّوتَ شاكراً فما بعدَ ما أعطاكَ ربُّك من سُؤْل ِ

* * *

---

(١) كان المسلمون يقولون في هذه الوقعة : الله مولانا ولا مولى لكم ، وكان أبو جهل يقول لنا العزى ولا عزى لكم .

(٢) تمثل إبليس في صورة سراقة بن مالك للمشركين وقال لهم: لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم، وكانت يده في يد الحارث بن هشام أخي أبي جهل، فلما رأى الملائكة انتزع يده من يده، ثم نكص على عقبيه، فقال له الحارث: يا سراقة أتزعم أنك جار لنا ؟ قال: إني بريء منكم ﴿إني أرى ما لاترون ، إني أخاف الله رب العالمين﴾ فتشبث به الحارث ، وقال والله لا أرى إلا خفافيش يثرب ـ قال الحارث : ما علمت أنه الشيطان إلا بعد أن أسلمت .

لما قتل رؤساء المشركين قال أبو جهل : يا قوم لا يهولنكم قتل من قتل، فواللات والعزى لا نرجع حتى نقرن محمـداً وأصحابه بالحبال. . . لا تقتلوهم ولكن خذوهم باليد . .

صدى الوقعة في مكة

لما ترامت أنباء الوقعة إلى مكة فرح المسلمون كثيراً، وحزن المشركون حزناً شديداً فأقيمت المآتم وجزّ النساء شعورهن ،وكان ممن عاد إليها من بدر أبو سفيان بن الحارث بن هشام، وقد تقدم ذكره في الملحمة الحائية. فلما أنبأ عمه أبا لهب بما رأى وقال: لقينا رجالاً بيضاً على خيل بلق.. قال أبو رافع مولى رسول الله ﷺ: « تلك والله الملائكة .. فضربه أبو لهب في وجهه ضربة شديدة، ثم احتمله وضرب به الأرض وبرك عليه، فأخذت السيدة (لبابة) عموداً فضربت به رأسه فشجته شجة منكرة. وقالت استضعفته أن غاب سيده، فولى ذليلا. ولم يعش بعد هذه الضربة سوى سبع ليال ثم مات ».

وَضحَ اليقينُ لمن يَرى أو يَسمعُ ... ولَقلَّما تُجدِي الظُّنونُ وتَنفعُ
النَّصرُ حَقٌّ، والمُنَبِّيءُ صادقٌ ... والويلُ للمغرور، ماذا يَصنعُ ؟
إخشَعْ أبا لهبٍ فإنْ تَكُ ذا عَمىً ... فجبالُ مَكّةَ والأباطحُ خُشَّعُ
مولى رسولِ اللهِ يُضرَبُ، ما جنى ... ذَنباً، ولم يك كاذبا يَتَشيَّعُ ؟
هِيَ يا أبا لَهَبٍ كَتائِبُ رَبِّهُ ... نَزلتْ تُذِلُّ الكافرين وتقمعُ
أخذتْ لُبابةُ للضَّعيفِ بحقِّهِ ... ومَضى الجَزاءُ ، فأنت عانٍ مُوجَعُ[1]

---

(١) هي أم الفضل زوج العباس بن عبد المطلب، وأخت السيدة ميمونة أم المؤمنين وكانت من السابقات إلى الإسلام.

وشَفَتْهُ مِنكَ بضربةٍ ما أقلعتْ ... حتَّى رمتكَ بِعلَّةٍ ما تُقلِعُ[1]

قالتْ بَغَيْتَ عليه واسْتَضعفتَه ... أن غابَ سَيِّدُهُ وعَزَّ المفزَعُ؟

ما بالعمودِ ولا برأسِكَ رِيبةٌ ... إنَّ الغويَّ بمثلِ ذلك يُردَعُ

حُيِيتِ أمَّ الفضلِ تلك فضيلةٌ ... فيها لكِ الشَّرفُ الأعزُّ الأمنعُ

اللهُ أهلكَهُ بداءٍ ما له ... شافٍ، ولا فيه لآسٍ مَطْمَعُ

تمضي البشائرُ جُوّلاً، وتجولُ في ... دمهِ السُّمومُ، فجِلدُه يَتمزَّعُ

أمسى انمُكاثِرُ بالرجالِ مُبغَّضاً ... يُجْفَى على قُربِ المزارِ ويُقطعُ

أكلته صاعِقةُ العمودِ وإنّما ... أكلته سَبْعٌ بعد ذلكَ جُوَّع[2]

هم غادروه ثلاثةً في دارهِ ... لا الدّارُ تَلفظُه، ولا هُوَ يَنزِع[3]

تَتجنَّبُ الأيدي غوائِلَ دائِه ... فيُدَعُّ بالخُشُبِ الطوالِ ويُدفَعُ

رجموه، لو كَرِه السَّفاهةَ فارْعَوى ... ما ساءَ مَهلكُه، وهالَ المصرَعُ

ما أكثَر الباكِينَ مِلْءَ جُفونهم ... للجمعِ بالبيضِ البوَاترِ يُصدَعُ[4]

جَزَّ النِّساءُ شُعورَهنَّ وغُودِرَتْ ... للحزنِ مِنهنَّ الدُّموعُ الهُمَّعُ

رَجَّعْنَ مَكروهَ العَويلِ على أسىً ... والبيتُ يَشدو، والحَطيمُ يُرجِّعُ[5]

والمُسلِمونَ بنعمةٍ من ربِّهمْ ... فيها لِكُلِّ مُوَحِّدٍ مُسْتَمتَعُ

اللهُ أكبرُ، لا مَردَّ لحكمِه ... هُوَ ربُّنا، وإليهِ منّا المرجعُ

---

(١) أصيب بعد هذه الضربة بالعدسة وهي قرحة خبيثة كانت العرب تتشاءم بها وتخاف عدواها أشد الخوف، فتباعد عنه أهله وبنوه حتى مات.

(٢) الليالي السبع التي مات بعدها.

(٣) بقي بعد موته ثلاثة أيام لا يقرب أحد منه، فلما خافوا السبة في تركه حفروا له ثم دفعوه ببعض الأعواد في حفرته وقذفوه بالحجارة من بعيد حتى واروه.

(٤) البيض البواتر: السيوف القطّاعة.

(٥) الحطيم جدار حجر الكعبة وقيل ما بين الركن وزمزم والمقام، ورجّع في الصوت ردّده في حلقه.

سَواد بن غَزِيَّة

حليف بني النجار

كان من أفراد الجيش في هذه الغزوة، فرآه النبي ﷺ خارجا عن الصف وهو يعدل الصفوف، وكان بيده سهم فطعنه به في بطنه، وقال له: استو يا سواد فقال يا رسول الله أوجعتني، وقد بعثك الله بالحق والعدل، فأعطني القصاص فكشف الرسول الكريم عن بطنه، وقال: استقد (اي خذ قودك وهو القصاص) فاعتنقه سواد وقبل بطنه الشريف.

يــومَ بـدرٍ، وأنت أعلى مَقــامــا ... إن ذكــرنــا من بعــدِكَ الأيّــامــا

مــا ذكرنــا بِـكَ القَـواضبَ يَقْـظَى ... أنتَ أيقـظتَها شُعـوبــاً نِيــامــا

غَرقتْ في الظّلامِ، لا تحسبُ البغـ ... ـيَ ذنبــاً ولا الفُســوقَ حــرامــا

تَكـرهُ العدَل في الحقـوقِ وترضى ... حين يــأبَى سَاداتهــا أن يُقـامــا

إِسْتقِمْ يا سَوادُ في الصفِّ وَاعْلمْ ... أنّ للجيشِ في الحـروبِ نِـظامـا

يـا لهـا يـا سَـوادُ طعنــةَ سَهْمٍ ... صــادفتْ مِنـكَ أريحيًّـا هُمـامـا

لـو يـريـدُ الأذىَ بهـا لم تُـطِقْهـا ... مَن يعافُ الأذىَ ويأبَى العُـراما[1]

عَدّلَ الصفَّ فَاسْتَوى، وقَضَى الأمْـ ... ـرَ على شِـرعةِ الهُـدى فَاسْتَقـامـا

إنّهــا شِــرعــةٌ لــربِّــكَ يُمـضيـ ... ـهـا فتهـدِي الشُّعـوبَ والأقـوامـا

تَمنــعُ المــرءَ ذا البــراءةِ أن يُؤ ... ذَى، وتحمِي الضَّعيفَ من أن يُضاما

---

(١) العرام الشدة.

وَتُـريــهِ الـقَـوِيَّ يُــذعِـنُ لـلحَـ ـقِّ ويبغِي بِجـانبَيْـهِ اعْـتِصـامـا

قُلتَ: أَوْجَعْتَنِي وقـد جِئتَ بـالحـ ـقِّ وبـالعـدلِ رحمـةً وسـلامـا

الـقِصـاصَ الـقِصـاصَ إنّـي أراهُ يـا إمامَ الهُـداةِ أمـراً لِـزامـا

قـال: هـذا بَـطْنِي لِبـطنِـكَ كُفؤٌ فَـاسْتَقِـدْ، إنَّ للضَّعيفِ ذِمـامـا

طابَتِ النَّفسُ يا « سَوادُ » وعادَ الآ نَ بَـرْداً ما كـانَ مِنهـا ضَـرامـا[1]

واعتنقتَ الـرَّسـولَ بعـدَ شَكـاةٍ فـاعتنقتَ الخِـلالَ غُـرّاً وِسـامـا[2]

وابتـدرتَ البـطنَ المـطَّهـرَ لَثْمـاً فـابتـدرتَ الخيـراتِ شَتَّى عِـظامـا

هَا هُنا العَدلُ والسَّماحـةُ والإحـ سانُ، أعظِمْ بذا المقـامِ مَقـامـا

أَدَّبَ اللَّهُ عَـبْـدَهُ وهَــداهُ وَاصْـطفـاهُ لـلمـتَّـقِيـنَ إمـامـا

أيُّ دِيـنٍ كـدينِـهِ فـي عُـلاهُ ؟ أيُّ قـومٍ كـالمسلمينَ القُدامى ؟

أرأيتَ الضِّعـافَ في كـلِّ أرضٍ كيف أمسـوا لـلأقـويـاءِ طعـامـا ؟

حَـرَّمـوا الـطيبـاتِ بَغيـاً وظُلمـاً وَاسْتَحـلُّوا الـذُّنـوبَ والآثـامـا

رَبِّ إن شِئـتَ للشُّعـوبِ حَيـاةً فـابعثِ المسْلِميـنَ والإسـلامـا

إبعثِ النُّـورَ في الممالـكِ يهـدِي كُلَّ شَعبٍ غَوَى، ويمحو الظّلامـا

---

(١) ضراما مشتعلا .

(٢) اعتنقه عانقه .

أصحاب القليب

كانوا أربعة وعشرين رجلا هم : عتبة بن ربيعة . أمية بن خلف . أبو جهل بن هشام . عبيدة والعاص ولدا أبي أحيحة . سعيد بن العاص بن أمية . حنظلة بن أبي سفيان . الوليد بن عتبة . الحارث بن عامر . طعيمة بن عدي . نوفل بن عبد، زمعة وعقيل ابنا الأسود . العاص بن هشام أخو أبي جهل . أبو قيس بن الوليد . نبيه ومنبه ابنا الحجاج السهمي ،علي بن أمية بن خلف . عمرو بن عثمان عم طلحة أحد العشرة . مسعود ابن أبي أمية أخو أم سلمة . قيس بن الفاكه بن المغيرة المخزومي . الأسود بن عبد الأسد أخو أبي سلمة . أبو العاص بن قيس بن عدي السهمي، أمية بن رفاعة .

أمر النبي ﷺ بهم فألقوا في القليب إلا أمية بن خلف فإنه انتفخ في درعه فملأها فذهبوا ليحركوه فتزايل ـ تقطعت أوصاله ـ فألقوا عليه ما غيبه من التراب والحجارة . فهم أربعة وعشرون إذا استثنيناه. جاء النبي إلى القليب بعد ثلاثة أيام ثم وقف على شفيره وأخذ ينادي زعماءهم باسمائهم ويقول، هل وجدتم ما وعد الله ورسوله حقاً فإني وجدت ما وعدني الله حقا . وفي رواية أنه قال لهم ـ بئس عشيرة كنتم لنبيكم . كذبتموني وصدقني الناس . وأخرجتموني وآواني الناس. وقاتلتموني ونصرني الناس. جلس عمير الجمحي مع صفوان بن أمية بن خلف بالحجر فتذاكرا ما أصاب قريشاً يوم بدر وذكرا أصحاب القليب ومصابهم فقال صفوان ، والله ما في العيش خير بعدهم، فقال عمير ـ صدقت أما والله لولا دين علي ليس له عندي قضاء ، وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدي لكنت آتي محمداً حتى أقتله، وإن لي فيهم علة ـ إبني أسير في أيديهم . فاغتنمها صفوان وقال له علي دينك . أنا أقضيه عنك . وعيالك مع عيالي أواسيهم ما بقوا، فتعاقدا على ذلك. وأخذ

عمير سيفه فشحذه وسمه، ثم انطلق حتى قدم المدينة . ودخل به عمر على النبي وهو آخذ بحمالة سيفه في عنقه، فقال ﷺ : أرسله يا عمر- إدن يا عمير- ما الذي جاء بك - قال جئت لهذا الاسير الذي في أيديكم، يعني ولده وهباً . قال: فما بال السيف - قال وهل أغنت السيوف عنا شيئاً - قال النبي : بل قعدت أنت وصفوان بن أمية في الحجر وذكر له ما كان بينهما . فقال عمير : أشهد أنك رسول الله الحمد لله الذي هداني للاسلام .

قال النبي لأصحابه حين أسلم عمير، فقهوا أخاكم في دينه . وأقرئوه القرآن . وأطلقوا له أسيره ففعلوا وأسلم ابنه ، رضي الله عنهما .
كان صفوان يقول لأهل مكة بعد خروج عمير الى المدينة، أبشروا بوقعة تنسيكم وقعة بدر .

أسلم صفوان رضي الله عنه عند تقسيم غنائم حنين بالجعرانة حين أعطاه النبي ﷺ وادياً مملوءا من النعم، وكان يسمى سيد البطحاء .

تلك عُقبى البغيِ فانظر كيف عادا ؟ ... يـا لـه من مُصعَبٍ ألقى القيـادا
أرأيـتَ الـقـومَ شـرًّا ، وأذىً ؟ ... ورأيـتَ الـقـومَ نـاراً ورمَـادا ؟
غُـيِّبُـوا فـي حُـفـرَةٍ مَـسـجـورةٍ ... تَخمـدُ الـدنيـا وتَـزدادُ اتّقـادا[1]
مُـلِئَتْ رُعـبـاً ، وَزِيـدَتْ رَوْعَـةً ... من عَـذابٍ كـان ضِعفـاً ثم زادا
قِـفْ عليـهـا، وتبيَّنْ مـا بـهـا ... هـل ترى إلا انتفـاضاً وَارتِعـادا ؟
يـا لهم إذ زعـمـوا أصنـامـهم ... تُـعـجـزِ اللهَ كِـفـاحـاً وجِـلادا
جَـلَّ ربّي . لم يُـغـادِرْ بـأسُـه ... أنْفُسـاً منهم، ولم يَتـركْ عَتـادا
خـاصمـوا اللّهَ ، وعـادَوا جُنْـدَهُ ... وأرى الأصنـامَ أوْلَى أن تُعـادى
هـي غـرَّتهم ، فَـضـلُّوا وعـتَـوْا ... وَاسْتَحبُّـوا الكُفـرَ بَغيـاً وعِنَـادا
حَلَّقـوا بـالأمسِ في طُغيـانـهم ... ثـمَّ بـادوا في مَـهـاويـهِ وبـادا

---

(١) مسجورة موقدة .

عِـظةٌ في التُّـربِ كـانت فِتنـةً وعـذابٌ كـان شَـرًّا وفَـسـادا

* * *

كُـلْ هنيئـاً مـن قـليبٍ قَـرِمٍ يَبلعُ الـكُفّـارَ مَثْنَى وفُـرادى[1]

طال منك الصَّومُ، واشتدَّ الطَّوى فَخُـذِ القـومَ الْتِهـامـاً وَازْدِرادا[2]

جَـرَّبـوا الحـربَ، وجاؤوا فَلَقُوْا غُـممـاً جَـلَّى، وأهـوالاً شِـدادا

سمعـوا الصَّـوتَ، ومـا من نـاطقٍ يُخبِـرُ السائِـلَ منهم حِينَ نـادى

يـا رسـولَ اللهِ هُمْ في شأنهـم غَمـرةٌ تَـطغَى ، وبلوى تَتمـادى[3]

صَـدقَ الـوعـدُ، فكـلٌّ مُـوقِنٌ يـا لـه منهم يَقـينـاً لـو أفـادا

أنـكـروا الحـقَّ، ورامـوا غيـره فـكـأنَّ اللهَ لا يَجـزِي العبـادا

هكـذا من يَعبـدُ الطاغـوتَ . لا يَتَّقِي ربّـاً ، ولا يَـرجـو مَعـادا

جَـلَّ ربِّـي وتَـعـالـى، إنّـهُ بـالِـغٌ من كُـلِّ أمـرٍ مـا أرادا

إرفَعِي يـا دولـةَ الحقِّ العِمـادا وأقِيمي يـا طـواغيتُ الحِـدادا

أيُّ حـقٍّ ذلَّ فـي سُـلطانِـه ؟ أيُّ زُورٍ عـزَّ في الدُّنيـا وسـادا ؟

إنّ للهِ سُـيـوفـاً خُـذُمـاً وجنـوداً لا يَمَـلُّونَ الجِـهـادا[4]

بَـعـث الأُسـطولَ فـي آيـاتِـه جـائلاً يُعيِي الأساطيلَ اضْطِيـادا

قُـوّةٌ أرسـلهـا مـن أمـرِه تَفتـحُ الـدُّنيـا، وتَحتـلُّ البـلادا

إنَّ كـلَّ الخيـرِ يـا صَفـوانُ في مَهلكِ القومِ ، فلا تَعْدُ الرَّشادا[5]

دَعْ عُـميـراً لا تَـهِجْـهُ ، وَاتَّئِـدْ إنَّ لـلعـاقـلِ في الأمـرِ اتّئـادا

---

(١) القرم الشديد الشهوة للحم .

(٢) الطوى الجوع .

(٣) الغمرة الشدّة .

(٤) خذما قاطعة .

(٥) عدا الأمرَ جاوزه وتركه .

أخــذَ السَّـيفَ صَقيــلاً مُــرهَفــاً ... يــأخُــذُ الأبــطالَ والبِيضَ الجِـدادا
ظَــلَّ يَسقيــهِ، ومــا أدراهُ هَــلْ ... كان سُمًّا ما سقاهُ ، أم شِهادا[1] ؟
كَــرِهَ الــحــقَّ، فــلمَّــا جــاءَهُ ... نَبــذَ الحِقْـدَ ، وأصفــاهُ الــودادا
مِــن حَــديــثٍ أنــبــأ اللّهُ بــهِ ... خيــرَ مَن حــدَّثَ عنــهُ فــأجــادا
قــال: أسـلمتُ لــربيّ، وكَـفَـى ... بــالسَّبيــلِ السَّمــحِ دِينــاً وَاعْتِقــادا
إقــرأ الــقــرآن ، وَاتْبَــعْ هَــديَــهُ ... يا عُميرَ الخيــرِ إنْ ذو الغَيِّ حادا
إنّــهُ النُّــورُ الــذي يجلو العــمَى ... إنّـهُ السِّــرُّ الــذي يُحيي الجمــادا

* * *

أيــن يــا صفــوانُ مــا أمّـلتَــهُ ؟ ... أين ما حدَّثْتَ تَستهوي السَّوادا ؟[2]
يــا لـهــا داهيــةً طــارتْ بـهــا ... أعْقُبُ الجــوِّ، وقد كــانت نــآدا[3]
لا تَــظنَّ الجــودَ دَيْنــاً يُــشْتَــرَى ... سَتَــرى الجــودَ المُصَفَّى والجــوادا
سَــتــراهُ واديــاً مِــن نَــعَــمٍ ... يُعجــزُ الآمــالَ سَعْيــاً وَارْتــيــادا
هُــوَ من فَيضِ العُبــابِ المــرتمى ... يتقَصَّى الأرض مَــدًّا واطّــرادا[4]
الــرسولُ السَّمــحُ، والمولى الــذي ... يَــسَــعُ الأجيــالَ بِــرًّا وافــتــقــادا
إقتــرحْ ما شِئِتَ وَاطْمــعْ لا تَخفْ ... مِن نَــدى كَفَّيــهِ نَقصــاً أو نَفــادا
حَـبَّــذا المــوئــلُ فيــمــا تَــتَّقِــي ... مِن أذىَ الدّهرِ، وما أعلى المصادا[5]
سَــبَــبٌ للهِ مــن يَــعــلَقْ بــهِ ... لم يَخَفْ ضَيْماً ، ولم يَخْشَ اضطهادا

---

(١) جمع شهد .
(٢) السواد العدد الكثير. ومنه السواد الأعظم .
(٣) الأعقب جمع عقاب. والنآد الداهية العظيمة .
(٤) العباب المرتمي السيل المنقذف .
(٥) الهضبة العالية يُلجأ إليها .

شُهداء بدر

رضي الله عنهم

استشهد من المسلمين في هذه الوقعة المباركة أربعة عشر مجاهدا، ستة من المهاجرين . وثمانية من الأنصار . فالأولون هم : عبيدة بن الحارث ابن عبد المطلب، مهجع مولى عمر بن الخطاب . عمير بن أبي وقاص . عاقل بن بكير الليثي . صفوان بن بيضاء الفهري، ذو الشمالين عُمير، وقيل الحارث، وقيل عمرو بن عبد عمرو بن نضلة الخزاعي، وأما الأنصار فهم : عوف بن عفراء، وأخوه شقيقه معوّذ بن عفراء . حارثة بن سراقة، يزيد بن الحارث بن قيس بن مالك، رافع بن المعلى، عمير بن الحمام بن الجموح، سعد بن خيثمة، مبشر بن عبد المنذر رضي الله عنهم أجمعين .

طُفْ بالمصارعِ وَاسْتَمِعْ نَجواها ... وَالْثِمْ بأفياءِ الجنانِ ثَراها[1]

ضَاعَ الشَّذَى القُدسِيُّ في جَنَباتِها ... فَانْشَقْ وَصِفْ لِلُمؤمنينَ شذاها[2]

حِلَلٌ يَروعُ جَلالُها ومنازِلٌ ... مِن نُورِ ربِّ العالَمِينَ سَناها[3]

ضَمّتْ حُماةَ الحقِّ ما عَرَف امْرُؤٌ ... عِزّاً لهم من دُونِه، أو جاها

الطّالِعينَ بِهِ على أعدائِهِ ... مَوْتاً، إذا نشروا الجنُودَ طَواها

الخائِضينَ من الخُطوبِ غِمَارها ... المُصْطَلِينَ مِنَ الحُروبِ لَظاها[4]

---

(١) الأفياء الظلال .

(٢) ضاع فاح وانتشر، والشذى شدّة ذكاء الرائحة .

(٣) جمع حلة ـ محلة القوم .

(٤) اللظى النار أو لهبها .

البـاذِلين لَـدَى الفِـدَاءِ نُفـوسَهُمْ يَبغـونَ عِنـد إلَهِهمْ مَحيـاهـا
مـا آثـروا في الأرضِ إلاّ دِينَـهُ دِينـاً، ولا عَبـدوا سِـواهُ إلَـهـا
سَلكـوا السَّبيـلَ مُسـدَّدين تضُيئهُ آيُ المُفصَّـل يَتبعـونَ هُـداهـا[1]
قَـومٌ هُم اتّخـذوا الشَّهـادةَ بُغيـةً لا يبتغـونَ لَـدَى الجِهـادِ سِوَاهـا
هُمْ في حِمَى الإيمانِ أوّلُ صخرةٍ فَسَلِ الصخورَ: أما عرفن قُواها ؟
حَملتْ جِبالَ الحقِّ في دنيا الهُدَى بيضـاً شـواهقَ، مـا تُنـالُ ذُراهـا
تُؤْتِى الممالكَ والشُّعوبَ حيَاتَها وتُقيمُ من أمجـادِهـا وعُـلاهـا
ذَهبتْ تُـرفِرفُ في مَسـابحِ عـزِّها ومَضَتْ يَفوتُ مدَى النُسورِ مَداهـا
تَجرِي الرياحُ الهُوجُ طَوْعَ قَضائِها وتَخـافُها، فَتحيـدُ عن مَجراهـا[2]
طـافَ الغمـامُ مُهلِّلاً بـظلالِهـا فَسقْتـه مِن بَـركـاتِها وسقَـاهـا

* * *

شُهـداءَ بـدرٍ أنتمُ المثـلُ الـذي بَلغَ المـدى بعـد المـدى فتنـاهَى
عَلَّمتُمُ النـاسَ الكفـاحَ فـأقبلوا مِـلْءَ الحـوادثِ، يَدفعـونَ أذاهـا
أمّـا الفِـداءُ، فقـد قَضيتُمْ حَقَّـهُ وجَعلتمـوُه شَـريعـةً نَـرضـاهـا
مَن رامَ تفسيـرَ الحيـاةِ لقـومِـه فَـدمُ الشّهيـدِ يُبينُ عن مَعنـاهـا
لـولا الـدِّمـاءُ تُـراقُ لم نـرَ أمّـةً بلغَتْ من المجدِ العَريضِ مُنـاها
أدنى الرجالِ من المهالك مَن إذا عَـرضتْ منـايـا الخـالـدينَ أبـاهـا
وأَجْـلُّ من رفعَ الممـالكَ مـظهـراً بـانٍ من المُهَـجِ السِّمـاحِ بنـاهـا
كم أُمّـةٍ لم تُـوقَ عـادِيـةَ الـرَّدى لولا الذي اقْتَحَم الرَّدى فوقاها[3]

---

(1) المفصَّل القرآن الكريم .

(2) الهوج الشديدة التي لا تستوي في هبوبها . جمع هوجاء .

(3) وقاه صانه وستره عن الأذى، والعادية الحدّة والشرّ والهلاك .

تَسمو الشُّعوبُ بكلِّ حرٍّ ماجدٍ وجَبتْ عليه حقوقُها فقضاها

ما أكرمَ الأبطالَ يَومَ تَفيَّأوا ظُلَل المنايا، يبتغون جَناها

راحوا من الدّمِ في مَطارِفَ أشرقتْ حُمْرُ الجراح بها ، فكنَّ حِلاها[1]

لو أنّهم نُشِروُا رَأيتَ كُلومَهم تَدْمَى ، كأنّكَ في القتالِ تراها[2]

ليسوا وإن وَرَدُوا المنيَّةَ لِلألى غَمَر البِلَى وُرّادَهَم أشباها

هُمْ عِنَد ربِّك يُرزَقون فَحيُّهم وَصِفِ الحياةَ لأنْفُسٍ تَهواها[3]

اللهُ باركَها بِبَدْرٍ وقعةً كلُّ الفُتوحِ الغُرِّ مِن جَدْواها

مَنعتْ ذِمارَ الحقِّ حِينَ أثارَها وحَمتْ لِواءَ اللهِ حين دَعاها

بَخِلَ الزمانُ، فكنت من شُعرائها لو شاءَ رَبِّي كنتُ من قَتلاها

كم دولةٍ للشّركِ زُلزِلَ عَرشُها بدماءِ بَدْرٍ ، واسْتُبِيحَ حماها

في دولةٍ للمسلمين، تشوقُهم أيّامُها، وتَهزُّهم ذِكراها

يا ويحَ لِلأممِ الضِّعافِ: اتَنْقَضِي دُنيا الشُّعوبِ، وما انْقَضتْ بلواها ؟

أُممٌ هَوالِكُ ، ما لَمستُ جِراحَها إلا بكتْ وبكيتُ من جَرّاها

لم أدرِ إذ ذهبَ الزَّمانُ بريحِها ماذا من القَدَرِ المُتاحِ دَهاها ؟

إنّ الذي خَلَق السّهامَ لِمثلِها جمعَ المصائبَ كُلَّها فَرماها

---

(١) جمع مطرف وهو الرداء المعلم .

(٢) جاء في الأثر الشريف: «أنا شهيد على هؤلاء (الشهداء) وما من جريح يجرح في الله إلا بعثه الله يوم القيامة يدمى جرحه . اللون لون الدم ، والريح ريح المسك». الكلوم الجروح .

(٣) يشير إلى قوله تعالى : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ .

ذكرى هذه الغزوة المباركة

نظمت هذه القصيدة للحفلة التي أقامتها جماعة إحياء مجد الاسلام بالقاهرة، إجلالا لهذه الذكرى الإسلامية المجيدة في اليوم السادس والعشرين من شهر رمضان المعظم سنة ١٣٥٨ هـ وقد رأى الناظم إثباتها هي والقصيدة التي تليها .

تعلّموا كيف نبني مجدَها الأممُ ... وكيف تمضِي إلى غاياتها الهِمَمُ
تعلّموا، وخُذوا الأنباء صادقةً ... عن كل ذي أدبٍ بالصدق يتّسم
أمن يقول. فما ينفكُّ يكذبكم ... كمن إذا قال لم يكذب له قلم ؟
لكم على الدهر منّي شاعرٌ ثِقةٌ ... تُقضَى الحقوق وترعى عنده الذمم
تعلّموا يا بني الإسلامِ سيرته ... وجدّدوا ما محا من رسمها القِدمَ
الله أكبر هل هانت ذخائره ... فما لكم مُقتنىً منها ومُغتنم ؟
بل أنتمُ القومُ طاح المُرجفون بهم ... وغالهم من ظنون السوء ما زعموا
ماذا تُريدون من ذكرى أوائلِكم ... أكلُّ ما عندكم أن تُحشدَ الكَلِم ؟
لسنا بأبنائهم إن كان ما رفعوا ... من باذخ المجد يُمسِي وهو منهدم
إن تذكروا يوم بدرٍ فهو يذكركم ... والحزنُ أيسر ما يلقاه والألم
سنّ السبيلَ لكم مجداً ومأثرةً ... فلا يدٌ نشطت منكم ولا قدم
غازٍ يصول بجند من وَساوسه ... وقائدٌ ماله سيف ولا عَلم

* * *

حيّوا الغُزاةَ قياماً وانظروا تجدوا ... وفودَهم حولكم يا قوم تزدحم
ثم انظروا تارةً أخرى تَروْا لهباً ... في كل ناحيةٍ للحرب يضطرم
حيّوا الملائكةَ الأبرارَ يقدمُهم ... جبريلُ في غَمَراتِ الهولِ يقتحم
الأرضُ ترجف رُعباً والسماءُ بها ... غيظٌ يظلّ على الكُفّار يحتدم
هم حاربوا الله لا يَخشَوْن نَقمتَه ... في موطنٍ تتلاقَى عنده النقم
مَن جانبَ الحقَّ أردته عَمايتُه ... وأحزمُ الناس من بالحق يعتصم

* * *

الدّينُ دينُ الهدى تبدو شرائعهُ ... بِيضاً تَكشَّفُ عن أنوارها الظلم
ما فيه عند ذوي الألبابِ منقصةٌ ... ولا به من سجايا السوء ما يصم[1]
يحيي النفوسَ إذا ماتت ويرفعها ... إذا تردّت بها الأخلاقُ والشِيَمُ
لا شيءَ أعظم خزياً أو أشدّ أذى ... من أن يُطاعَ الهوى أو يُعبدَ الصنم
دينٌ تُصانُ حقوقُ العالمين به ... ويستوي عنده الساداتُ والخدم
ضلّ الألى تركوا دُستورَه سفهًا ... فلا الدساتيرُ أغنتهم ولا النُّظم

* * *

دعا النبيُّ فلبّى من قواضبِه ... بيضٌ مطاعمها المأثورةُ الخُذُم[2]
حرَّى الوقائع، غَرْثَى لا كِفاءَ لها ... إن جدّ مُلتهِبٌ، أو شدّ ملتهم[3]
تَجرِي المنايا دِراكاً في مسايلها ... كما جرى السَّيلُ في تيّارِه العَرِمُ[4]
قواضِبُ الله ما نامت مَضاربُها ... عن الجهادِ، ولا أزرى بها سأم

---

(١) يعيب .
(٢) القواضب البيض السيوف الشديدة القطع ، والمأثورة القديمة المتوارثة ، والخذم القاطعة .
(٣) الحرّى الشديدة العطش، والغرثى الجائعة .
(٤) دراكا متلاصقة متصلة ،والعرم الشديد .

يَـرْمِي بهـا كـلَّ جبـارٍ ويقصمـه   إن ظنَّ من سفهٍ أن ليس ينقصم

* * *

الجيش مُنـطلِق الغـاراتِ مُستبقٌ   والبـأسُ محتـدِمٌ والأمـر مكتتم
الله ألّفَ بيـن المـؤمنـين ، فـهم   في الحرب والسلم صفٌّ ليس ينقسم
كَرّوا سِراعـاً ، فللأعمارِ مُصـطَرعٌ   تحت العجاجِ ، وللأقدارِ مُصطَدم[1]
مِن كلِّ أغلبَ يَمضي الحتفُ معتزِماً   إذا مضى في سبيـل الله يعتـزم
حَـرّانَ يُحسَبُ إذ يـرمي بمهجتـه   نشـوانَ يزدادُ سكـراً أو به لمم[2]
لِلحقِّ نَشـوتُـه في نفس شـاربِـه   وليس يشـربـه إلا امـرؤٌ فَهِم
وأظلمُ النّاسِ من ظنَّ الظنونَ به   ما كلُّ ذي نشوةٍ في الناس مُتّهم

* * *

طال القتالُ، فما للقوم إذ دَلَفـوا   إلا البـلاءُ وإلا الهـولُ يـرتـكم
وقـام بالسيفِ دون اللّيثِ صـاحبُه   يَذودُ عنه، وعـزّ الليثُ والأجم[3]
مـاذا يـظن أبـو بكـرٍ بصـاحبه ؟   إنّ الرسولِ حِمىً للجيش أو حرم
أَمْنُ النفوسِ ، إذا اهتاجت مخاوفُها   والمُستغاثُ إذا ما اشتـدّتِ الغُمَم
هل يَعظُم الخطبُ ، يرميه أمرؤٌ دَرِبٌ   أفضى الجلالُ إليه وانتهى العِظَم ؟
راع الكتـائبَ واستـولت مهـابتـهُ   على القـواضبِ تَلقـاه فتحـتشـم
دعا فمـاجتْ سماءُ اللهِ وانطلقت   كتـائبُ النّصرِ مِـلءَ الجـوّ تنتـظم
لا هُمَّ غَـوْثَكَ، إنّ الحقَّ مـطلبُنا   وأنت أعلمُ بـالقـوم الأُلَى ظلمـوا

---

(١) العجاج الغبار .
(٢) جنون خفيف .
(٣) الليث الأسد والاجم جمة الأجمة مأوى الأسد .

تلك العصـابـة مـالله إن هلكت في الأرضِ من عابدٍ للحقّ يلتزم

* * *

جـاء الغيـاثُ فـدينُ الله مُنتصـرٌ عالي اللواءِ . ودينُ الشركِ مُنهزم

جَنى على زعماءِ السّوءِ ما اجترحوا وحاق بالمعشر الباغين ما اجترموا[1]

مـا الجـاهلّيـةُ إلا نكبـةٌ جَـللٌ تُردِي النفوس وخطبٌ هـائلٌ عمم

هذي مَصارِعُها تجري الدماءُ بهـا وتشتكي الهُونَ في أرجائهـا الرِّمم

هذا أبو الحكمِ انجـابت عَمايتُـه لما قَضى السيفُ وهو الخصم والحكم

مـاذا لَقِيتَ أبا جهـلٍ وكيف ترى آياتِ ربِّك في القومِ الذين عموا ؟

هـذا القليبُ لكم في جوفه عِبـرٌ لا اللَّوْمُ ينفعكم فيها ولا النَّدم[2]

ذوقوا العذاب أليماً في مضاجعكم ما في المضاجع إلّا النارُ والحُمَمُ[3]

لا تجزعوا، واسمعوا ماذا يُقال لكم فما بكم تحت أطباق الثّرى صَمم

الشّـركُ يُعـولُ والإسـلامُ مُبتسمٌ سُبحـانَ ربِّي لـه الآلاءُ والنِّعم

يا قومنـا إنّ في التاريـخِ موعـظةً وإنّـه لـلسـانٌ صـادقٌ وفـم

لنا من الدمِ يجري في صحائفـه شيـخٌ يُحـدِّثُنـا أنّ الحيـاةَ دم

---

(١) اجترح الشيء اكتسبه، واجترم أذنب .

(٢) القليب البئر .

(٣) الواحدة «حُمَمَة» كل ما احترق بالنار ومن ذلك الحمم التي تقذفها البراكين .

الذكرى الثانية

نظمت للحفلة التي أقامها المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين بالقاهرة ١٣٦٠ هـ .

على ذكرها فليعرفِ الحقَّ جاهلُهْ ويُؤمنْ بأنّ البغيَ شتَّى غَوائلُهْ

هِيَ الغزوةُ الكبرى هَوى الشّركُ إذرمت جَحافِلُها العظمى وولّت جَحافله

وأصبح دينُ اللهِ قد قام رُكنهُ فأقصرَ من أعدائهِ مَن يُطاوله

بَنَتْهُ سيوفُ اللهِ بالعزمِ إنّه لأصلبُ من صُمِّ الجلاميدِ سائله[1]

تَكِلُّ قُوى الجبّارِ عما تُقيمه عليه يَدُ الباني وتنبو مَعاوِله[2]

أهاب رسولُ الله بالجندِ: أقدِموا ولا ترهبوا الطاغوتَ فاللهُ خاذله[3]

أما تنظرون الأرضَ كيف أظلَّها من الشّركِ دينٌ أهلك النّاسَ باطله ؟

خُذوه ببأسٍ لا تطيشُ سهامُه فأنتم مَناياهُ وهَذي مقاتله

علينا الهُدَى، إمّا بآياتِ ربّنا وإمّا بحدِّ السّيفِ، لا خابَ حامله

إذا أنكر القومُ البراهينَ أخضعت براهينُه أعناقَهم ودلائله

مضى البأسُ بَدْرِيَّ المشاهدِ تَرتمِي أعاصيرهُ ناراً، وتَغلِي مراجله

(١) صم الجلاميد الصخور الصلبة المتينة .

(٢) تبنو تكلّ وترتد .

(٣) الطاغوت الشيطان وكل معبود دون الله .

وضَجَّ رسولُ الله يدعو إلٰهه | فيا لكَ من جندٍ طوى الجوَّ جافله
تَنَزلَ يُزجي النصرَ تنسابُ من علٍ | شآبيبُه نوراً، وينهلُّ وابله[1]
أحيزومُ أقدِمْ إنه الجِدُّ لن يرى | سواه عدوٌّ كاذبُ البأسِ هازله
هو الله يحمي دينَه ويُعزُّه | فمن ذا يناويه ؟ ومن ذا يُصاوله ؟[2]

* * *

تمزّقَ جيشُ الكفر وانحلَّ عقدُه | فخابت أمانيه وأعيت وسائله
وما برسولِ الله إذ ناله الأذى | سوى ما ارتضت أخلاقُه وشمائله
نبيٌّ يُحبُّ الله حُبَّ مجاهدٍ | يرى دَمهُ من حقّهِ ، فهو باذله
يُعظّمهُ في نفسِه ويُطيعُه | وما يقضِ من أمرٍ له فهو قابله
كذلك كان المسلمونَ الأُلَى مضَوْا | فيا لكَ عصراً يبعثُ الحزنَ زائله !
صَدفنا عن المُثلى فأصبحَ أمرُنا | إلى غيرنا نَهذِي به وهو شاغله
يُجالِدُ من يَبغِي الحياةَ عدوَّه | فيا لعدّوٍ لم يَجدْ من يُجادله !
بنا من عوادِي الدّهرِ كلُّ مُسَلطٍ | مَكائدُه مبثوثةٌ وحبائله[3]
قضينا المدى ما تستقيمُ أمورنا | وهل يستقيم الأمرُ عاليه سافله ؟
عَجِبتُ لقومي عُطّلَ الدّينُ بينهم | وجُنُّوا به ، والجهلُ شتّى منازله
يُحبّونه حُبَّ الذي ضلَّ رأيُه | فَقاطعهُ منهم سواء وواصله
صلاةٌ وصَومٌ يَركضُ الشرُّ فيهما | حَثِيثا تَهزُّ المشرقَيْنِ صَواهِله[4]
وكيف يقومُ الدّينُ ما بين أمّةٍ | إذا عُطِّلتْ آدابُه وفضائله ؟

---

(١) الشآبيب الدفعات من المطر جمع شؤبوب ، والوابل المطر الشديد .
(٢) ناوأه عاداه .
(٣) جمع الحِبالة وهي المِصيدة .
(٤) جمع الصاهل وهو الفرس .

سلامٌ علينا يوم يصدقُ بأسُنا ... فيمضِي بنا في كلّ أمرٍ نُحاوله

ويومَ تكونُ الأرض تحت لوائِنا ... فليس عليها من لواءٍ يُماثله

أنمشي بِطاءً، والخطوبُ تَنوبُنا ... سِراعاً، وعادِي الشرِّ ينقضُّ عاجله؟ [1]

ألا همّةٌ بدريّةٌ تكشفُ الأذى ... وتشفِي من الهمِّ الذي اهتاجَ داخله ؟

ألا أُمةٌ تنهَى النفوسَ عن الهوى ... وتُصْغِي إلى القولِ الذي أنا قائله ؟

ألا دولةٌ للحقّ تسلك نهجه ... وتمشِي على آثارهِ ما تُزايله ؟

إذا نحن لم نَرشدْ، ولم نتبعِ الهُدَى ... فلا تنكروا يا قومُ ما الله فاعله .

* * *

(١) نابه الأمر أصابه .

غَـزْوةُ بَنِي قَيْنُقَاع

كان خروج النبي ﷺ وأصحابه إلى هذه الغزوة في منتصف شوال من السنة الثانية للهجرة، وكان بنو قينقاع أول من نقض العهد وغدر من اليهود . فأظهروا البغي والحسد بعد وقعة بدر .

قدمت امرأة من العرب بجلب لها لبيعه بسوق بني قينقاع وجلست إلى صائغ منهم فجعل جماعة من سفهائهم يراودونها عن كشف وجهها وهي تأبى ، فعمد الصائغ إلى أطراف ثوبها فعقده الى ظهرها ـ وقيل خله بشوكة وهي لا تشعر ـ فلما قامت انكشفت سوأتها فضحكوا منها فصاحت فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله . وشد اليهود على المسلم فقتلوه .

جمعهم النبي ﷺ بعد ذلك ، وقال لهم : يا معشر يهود احذروا من الله مثل ما أنزل بقريش من النقمة (يريد وقعة بدر) وأسلموا فإنكم قد عرفتم أني مرسل: تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله تعالى إليكم .

قالوا يا محمد: أترانا مثل قومك، لا يغرنك أنك لقيت قوماً لاعلم لهم بالحرب . إنا والله لو حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس .

كانوا أشجع اليهود وأكثرهم أموالا ، وأشدهم بغياً، فلما قالوا ذلك أنزل الله ﴿ قل للذين كفروا ستغلبون ـ الآية ﴾ وقوله تعالى ﴿ وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم ـ الآية ﴾ .

رُدُّوا بَنِي قَيْنُقَـاعَ الأمـرَ إذ نــزلا ... هيهاتَ هيهات أمسى خَطبُكم جَللا[1]

نقضتُمُ العهدَ معقوداً على دَخَـلٍ ... لعاقدٍ مـا نَوى غشـاً ولا دخلا[2]

---

(١) جللا عظيما .

(٢) الدخل: المكر والخديعة .

ما زال شيطانُكم بالغيظِ يَقدحُه ... بين الجوانِح حتّى شبَّ واشتعلا

هاجت وقائعُ بدرٍ من حَفيظتِكم ... ونَبّهتْ منكمُ الدّاءَ الذي غفلا(١)

أتنكرون على الإسلامِ بهجتَهُ ... واللهُ أطلعه من نوره مثلا ؟

دِينُ الهدى يا بني التوراةِ يَشرُعه ... للناسِ مَن شرَع الأديانَ والمِلَلا

لا تدّعوا أنكم منها بِمُعتصَمٍ ... واقٍ . ولا تطمعوا أن تُتركوا هَمَلا

جاء النبيّين بالفرقانِ وارثُهم ... سُبحان من نقل الميراثَ فانتقلا

رأى النفوسَ بلا هادٍ، فأرسله ... يَهدِي الشعوبَ ويشفي مِنهُم العِلَلا

هلّا سألتم أخاكم حين يَبعثُها ... هوجاءَ يعصف فيها الشرُّ : ما فعلا ؟

إنّ التي رامها في عزّها سَفهاً ... لَتُؤثِرُ الموتَ ممّا سامها بدلا

لا يَبلغُ العِرضَ منها حين تمنعُه ... من خيفةِ العارِ حتى تبلغَ الأجلا

وقد يكون لها من ربّها رَصَدُ ... إذا رماه بِعَيْنَيْ غاضبٍ جَفلا(٢)

ما زال بالدمِّ حتى ظلّ سافحهُ ... يجري على دمه مُسترسِلاً عَجِلا

ما غرّكم بقضاءِ اللهِ يُرسله ... على يَدَيْ بطلٍ ـ أعظم به بطلا ؟

لقد دعاكم إلى الحسنى فمال بكم ... من طائفِ الجهل داعٍ يُورثُ الخَبَلا(٣)

قلتم . رُويداً فإنّا لا يُصابُ لنا ... كُفؤٌ إذا ما التقى الجمعانِ فاقتتلا

لسنا كقومك إذ يلقون مَهلكَهم ... على يديك ، وإذ يُعطونك النَّفلا(٤)

يا ويلكم حين ترتجّ الحصونُ بكم ... ترجو الأمانَ وتُبدي الخوفَ والوَجلا

كم موئلٍ شامخِ العرنين يُعجبكم ... يَودُّ يومئذٍ لو أنّه وَألا(٥)

---

(١) الحفيظة : الغضب .

(٢) جفل: أسرع منزعجا ، والرصد الحرس والرقيب للواحد والجمع .

(٣) الجنون وفساد العقل .

(٤) النفل الغنيمة .

(٥) طلب النجاة أو اتخذ له موئلا ، شامخ العرنين كناية عن العزة ، والمعنى كم من عزيز يلجأ إليه يطلب النجاة في هذا اليوم .

أمسى عُبادةُ منكم نافضاً يدَهُ	فانبتَّ من عهدِه ما كان مُتّصلا[1]
نِعمَ الحليفُ غدرتم فانطوى حَنقاً	يرجو الآله، ويأبَى الزيغَ والزللا[2]
ما كان كابن أُبيٍّ في جَهالته	إذ راح شيطانُهُ يُرخِي له الطولا[3]
مَضَى على الحلف يرعَى معشراً غُدُراً	أهونْ بكم معشراً لو أنّه عقلا
لا تذكروا الدمَ، إنّ السيفَ مُنصلِتٌ	في كفِّ أبيضَ يُدمِي البِيضَ والأسلا[4]
وجانِبوا الحربَ، إن الله خاذلُكم	ولن تروا ناصراً يُرجَى لمن خَذلا
مشى الرسولُ وجندُ اللهِ يتبعُه	من كلّ مِقدامةٍ يغشى الوغَى جَذِلا[5]
يهفو الى الموتِ مُشتاقاً، ويطلبُه	بين الخميسَيْنِ . لانِكْساً ولا وَكَلا[6]
لو غَيّبَتْهُ المواضِي في سرائرِها	ألقى بمهجته يرتادُ مُدَّخلا
يُخال في غَمراتِ الرَوْعِ من مَرَحٍ	لولا الرحيقُ المصفَّى شارباً ثَمِلا[7]
أهاب حمزةُ بالأبطالِ فانطلقوا	وانسابَ مُنطلقاً يَهديهمُ السُّبلا[8]

(١) كانوا حلفاء عبادة بن الصامت، وعبد الله بن أبي بن سلول . فتبرأ عبادة منهم وقال يا رسول الله ـ أتولى الله ورسوله والمؤمنين وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار ـ وبقي عبد الله ابن أبي على حلفه لهم، وفيه نزلت ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض . إلى قوله تعالى ـ فإن حزب الله هم الغالبون ﴾ وانبت ـ انقطع .

(٢) الحنق الغيظ ـ الزيغ الضلال .

(٣) الطول الحبل الطويل .

(٤) المنصلت السيف الصقيل الماضي والأبيض الرسول الكريم . والبيض السيوف والأسل الرماح .

(٥) المقدامة الشجاع والجذل الفرح والوغى الحرب .

(٦) الخميس الجيش يؤلف من خمس فرق. المقدمة. والقلب. والميمنة . والميسرة، والساقة . والنكس من لا خير فيه من الرجال. والوجل العاجز يكل أمره إلى غيره .

(٧) الغمرات الشدائد، والروع الفزع والمراد به الحرب والثمل السكران والمراد أنه يستقبل أهوال الحرب بسرور وفرح حتى لتحسبه ثملا .

(٨) لجأوا إلى حصونهم فسار النبي ﷺ إليهم. وكان لواؤه بيد عمه حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه .

عَجِبتُ للقوم، طاروا عن مواقعهم ما ذاقَ هاربهُم سيفاً ولا رَجُلا
مَضَوْا سِراعاً إلى الآطامِ واجفةً يُخالُ أمنعُها من ضعفِه طَللا[1]
طال الحصارُ ، وظلّ الحتفُ يرقبهُم حَرَّانَ يشجيه ألا ينقعَ الغُللا
أفنَوا من الزادِ والماعونِ ما ادّخروا واحتال أشياخُهم فاستنفدوا الحيلا[2]
مِن كل ذي سَغَبٍ لو قال واجدهُ كُلْنِي ليعلمَ ما في نفسِه أُكلا[3]
لا يملكون لأهليهم وأنفسهم إلا العذاب . وإلا الظنَّ والأملا
ظلّت وساوسُهم حيرى تجولُ بهم في مجهلٍ يتردّى فيه من جَهِلا
حتّى إذا بلغ المكروُه غايتَه وهال كلَّ غويٍّ الرأي ما حملا
تضرّعوا يسألون العفوَ مُقتدِراً يجودُ بالعفو إن ذو قُدرةٍ بخلا
أعطى النفوسَ حياةً من سماحته فكان أكرم من أعطى ومن بذلا[4]
لو شاء طاح بهم قتلاً فما ملكوا من بعد مَهلكهم قولاً ولا عملا
ما الظنُّ بابن أُبيٍ حين يسأله من الأناةِ وفضلِ الحِلم ما سألا ؟[5]
أما رأوه جريحاً لو يُصادِفُه حِمامُه لم يجد من دونه حِوَلا ؟[6]
زالوا عن الدورِ والأموالِ وانكشفوا عن السلاح . وراحوا خُضّعاً ذُللا

---

(١) الآطام الحصون .
(٢) الماعون كل ما ينتفع به من منافع البيت .
(٣) السغب الجوع، والواجد المحبّ .
(٤) سألوا النبي بعد أن طال الحصار خمس عشرة ليلة ولم يبق لديهم ما يأكلون أن يخلي سبيلهم على أن يجلوا بنسائهم وذراريهم وأن يكون له المال والسلاح .
(٥) قيل إن النبي أمر بقتلهم بعد خروجهم من الحصون فكلمه عبد الله بن أبي فيهم والح عليه . وأنه أدخل يده في جيب درعه الشريف يسأله أن يعفو عنهم . وأنه ﷺ قال له خذهم لابارك الله لك فيهم، وأمر بإجلائهم فتولى عبادة بن الصامت الأمر .
(٦) قيل إنه جاء إلى منزل الرسول الكريم قبل خروجهم من الحصون يسأله في إقرارهم فحجب عنه فأراد الدخول فدفعه بعض الصحابة فصدم وجهه الحائط فشجه فانصرف مغضباً .الحول اسم من التحول والانتقال .

هـو الجـلاءُ لقـومٍ لا حُلومَ لهم ساؤ وا مُقاماً، وساؤ وا بعدُ مُرتَحـلا

ساروا الى أذرعاتٍ[1] ينزلون بهـا نُكْداً مشائيمَ، لا طابت لهم نُزُلا

بادوا بها ، وتساقَوْا في مصارِعِهم سُوءَ العذابِ ومكروهَ الأذى نَهَلا[2]

يَلومُ بعضٌ على ما كان من سَفَهٍ بعضاً، فمن يَقترِبْ يسمعْ لهم جَدلا

أهـلُ المعاقـلِ، هـدّتهم مُـدمّـرةٌ تَمضِي ، فلا معقلاً تُبقي ولا جبلا

رمى بهـا من رسـولِ الله مُتّئِـدٌ لا يأخذُ الناسَ حتى ينبذوا الرسلا

هـل دولةُ الحقّ إلا قُـوةٌ غَلبْت ؟ فافتحْ بها الأرضَ أو فامْسحْ بها الدُّولا

---

(١) اذرعات بلد بالشام .

(٢) لم يحل الحول حتى هلكوا بدعوة الصادق الأمين: خذهم لا بارك الله لك فيهم .

غزوة السويق

كانت في اليوم الخامس من ذي الحجة في العام الثاني من الهجرة .

نذر أبو سفيان بعد وقعة بدر ألا يمس النساء والطيب حتى يغزو النبي ﷺ ، ثم إنه خرج في مائتي راكب من مشركي قريش ليبر بيمينه فنزل على مسافة بريد من المدينة وأتى بني النضير ليلا يريد دار حيي بن أخطب أحد رؤ سائهم فضرب عليه بابه فأبى أن يفتح له . فجاء إلى سلام بن مشكم سيدهم وصاحب كنزهم فأذن له ، واجتمع به ، ثم خرج إلى اصحابه فبعث رجالاً منهم إلى المدينة فحرقوا نخلا بها ، ووجدوا رجلا من الأنصار - قيل إنه معبد بن عمرو وحليفاً لهم - الأنصار - فقتلوهما ثم انصرفوا راجعين فخرج النبي يطلبهم في مائتين من المهاجرين والأنصار فجعل أبو سفيان وأصحابه يخففون للهرب بإلقاء جرب - جمع جراب - السويق فيأخذه المسلمون، وذهبوا فلم يدركوهم - السويق القمح أو الشعير يقلى ثم يطحن .

تأنَّ ابنَ حربٍ لستَ في مثلها جَلْدا ... قصاراك أن ترتدَّ حرّانَ أو تَرْدَى(١)

هي الغارةُ الحَرّى ، فإن شِئتَ فانطلِقْ ... وإن شئت فاقعدْ واتّخذْ مضجعاً بَرْدا

جلا السيفُ في بدرٍ لعينك ما جلا ... وأبدى لك النَصْرُ المؤزَّرُ ما أبدى(٢)

حلفت لئن لم تـأتِ طِيبةَ غـازيـاً ... لَتجتنبَنَّ الـطيبَ والخُـرَّدَ المُلْدا(٣)

---

(١) الجلد الشديد القويّ والقصارى: الجهد والغاية. الحران العطشان والمقصود المغيظ وتردى تهلك .

(٢) النصر المؤزر البالغ الشديد .

(٣) الخرد الأبكار والخفرات من النساء والملد الناعمات، وطيبة من أسماء المدينة المنورة .

أتغـزو رسـولَ الله أن هـدَّ بـأسُـه … من الكفر سدًّا ما رأى مثله سدا ؟

كذلك وعدُ اللهِ ، لو كنت مؤمنـاً … لأيقنت أن اللّهَ لا يُخلف الـوعـدا

جَرى طيرُكم نحساً ببدرٍ، ولن تروا … لكم ما عبدتم غيـره طائـراً سعدا

أمضَّـك وَجـدٌ مُتلِفٌ من مُحمـدٍ … ولستَ أبا سُفيانَ إن لم تَزِدْ وجدا[1]

رُويـداً هداك الله، إنّـك لن ترى … له في الوغى إن هجتَه للوغى نِدّا

أراك غررت القومَ إذ رحت مُوجفاً … تُخادعهم عن حلفةٍ لم تكن جِدّا[2]

ذهبتَ تقـودُ الجندَ يـا لك قـائداً … ويـاللألى سِيقـوا الى يثربٍ جُنـدا

تُحاول نصراً من حَييٍّ بن أخطبٍ … وصاحبِه هيهات زِدتَ المدى بعدا

رُددتَ عن البابِ الذي جئتَ طارقاً … فيـا لك سهمـاً ما ملكت لـه ردا

وما نِلتَ خيراً إذ أتيت ابن مشكمٍ … وكنت امرأ أعمَى الهوى لا يرى رشدا

بعثت على النخل الرجالَ، فلم تَدَعْ … لنفســك عِـزّاً تبتغيــه ولا مجـدا

شببت بهم نـاراً تَـراءى لهيبُهـا … بعينك يُبكي الضال أو يضحكُ الرندا[3]

فـوارسُ راحوا خفيـة في سيوفهم … فما وجدوا سيفاً، ولا صادفوا غمدا

يُصيبـونهـا شتّى الجَنى، وكـأنمـا … يُصيبون من أعدائهم معشراً لُدّا[4]

تـولَّـوا سـرأعـاً بعـد مقتـل معبـدٍ … وصـاحبِهِ والخيـلُ تتبعهم جُردا[5]

عليهـا من الغُـرِّ الميـامين فتيـةٌ … تُبـادر وِردَ المـوتِ تلتمس الخلدا

دعـاها الـرسولُ المجتبى فكـأنمـا … دعا عاصفاً صعباً يهدُّ القوى هدّا

---

(١) مضه الأمر وأمضه أحزنه حزنا بالغا .

(٢) أوجف الرجل الفرس ونحوه جعله يجف أي يعدو ويسرع .

(٣) الضال والرند نوعان من الشجر البري. والأول السدر .

(٤) من اللدد وهو شدة الخصومة .

(٥) من الجرد وهو قصر الشعر. صفة محمودة في الخيل .

مضى ومضوا إثر السراحين ترتمي   إلى شيخها مذعورةً تتقي الأسدا[1]
فلما رأى الجدَّ استطار ولم يجد   من الأرض يَهوِي في مساربها بُدّا
يصيح بجند السوء ألقوا بزادكم   وفروا خفافاً، لايكن أمركم إدا[2]
وطاروا شَعاعاً. للسَّويقِ وراءهم   رُكامٌ إلى أعداءِ أربابهم يُهدى[3]
هُمُ رفدوهم كارهين، ولو وفوا   بأيمانهم كانوا لأسيافهم رِفدا[4]
إليك ابنَ حربٍ إنّ للحربِ جذوةً   إذا هيّجتْ ذا نجدة زادها وَقدا[5]
هي النصرُ أو عادٍ من الموت واقعٌ   بكل كمِيٍّ، لا مفرَّ، ولا معدى[6]
فررتَ تخاف الفقد في حَوْمَةِ الوغى   بأيدي الألى يستعذبون بها الفقدا[7]
أفي الحق أن لا تعبدَ الله وحدَه   وتسجدَ للعُزَّى تكونُ لها عبدا ؟
سبيلان شتّى. أنت لا بد عالمٌ   إذا ما استبنتَ الرشد، أيهما أهدى
رجعتَ مغيظاً . لم تنلْ وِتْرَ هالكٍ   ولم تشفِ غيظاً من ذويك ولا حقدا
تصُدُّ قريشٌ عنك مما كذَبْتَها   ومنّيتها، يا طولَ همّك لو أجدى
قُلِ الحقَّ، ما للعالمين سكينةٌ   على الأرضِ حتى يَعبدُوا الواحدَ الفردا

---

(١) يريد بالسراحين المشركين وشيخهم أبو سفيان ،و السراحين جمع السِرحان الذئب .
(٢) الإد الداهية والأمر المنكر الفظيع .
(٣) شعاعا متفرقين، الركام الشيء المتراكم بعضه فوق بعض .
(٤) رفده أعطاه وأعانه، الرفد العطاء .
(٥) الجذوة القطعة من الجمر لا تنطفىء حتى تصير رماداً .
(٦) مصدر ميمي من عدا الأمر إذا جاوزه وانصرف عنه .
(٧) حومة القتال أشدّ موضع فيه لأن الاقران يحومون حوله .

غزوة أحد

كانت في شوال من السنة الثالثة ـ وأحد جبل من جبال المدينة .

لما أصاب قريشاً يوم بدر ما أصابها مشى عبد الله بن أبي ربيعة وعكرمة ابن أبي جهل، وصفوان بن أمية الى أبي سفيان وإلى من كان له تجارة في العير التي كانت سببا للوقعة ـ وكانت لا تزال موقوفة في دار الندوة ـ يحرضون على الحرب وأن يجعل ربح التجارة لتجهيز الجيش: فقال أبو سفيان: أنا أول من يفعل وبنو عبد مناف معي ورضي القوم ، وكان الربح خمسين ألف دينار ، وقيل خمسة وعشرين ألفا . ونزلت ﴿ إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدّوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون ﴾ .

أدأبُكَ أن تُريدَ المستحيلا ؟ تأمّلْ أيها المولى قليلا
لبثتَ تُعالج الداءَ الدخيلا وتُضمِرُ في جوانحك الغليلا[1]
وما يُجديك لاعجُه فتيلا

أما تنفكُّ تذكر يومَ بدرٍ ؟ وما عانيت من قتلٍ وأسرٍ ؟
وَراءَك، إنّها الأقدارُ تجري بنصرٍ للنبيّ وراءَ نصرِ
وكان الله بالحسنى كفيلا

أبا سُفيانَ دَعْ صفوانَ يبكي وعكرمةً يُطيل من التشكّي

---

(١) الغليل: الغيظ والحقد .

وقـلْ لـلقـومِ في بِـرٍّ ونُسـكِ نَهيتُ النفسَ عن كفـرٍ وشـركِ
وآثرتُ المحجّةَ والسبيلا[1]

أراك أطـعـتَـهـم وأبـيـتَ إلا سبيـلَ السُّـوءِ تسلكـه مُـدِلاّ[2]
تـريـدُ مُـحـمـداً وأراه بَـسْـلا رُويدك يا أبا سفيان: هـلاّ[3]
أردت لقومك الحَسَن الجميلا ؟

قُـريشٌ لم تـزل صَـرْعَى هـواهـا وعِيـرُ الشؤمِ لم تَحلل عُـراهـا
أجِـلْ عينيك، وانـظر ما عسـاهـا تسـوقُ من الجنـودِ إلى وغـاهـا ؟
فقد حَملتْ لكم أسفاً طويلا

دعـا صـفـوانُ شاعِـرَه فـلبّى وكـان يسـومـه شَـططاً فيـأبى
أحـلَّ لـه الهجـاءَ . وكـان خِبًّـا أحبَّ من الخيـانـةِ مـا أحبّـا[4]
يُريدُ العَيشَ مُحتقَراً ذليلا

يـذمُّ مـحـمـداً ويقـول نُكْـرا ولـولا لؤمـه لم يَـأْلُ شكـرا
تـغـمَّـد حـقَـه وجـزاه شَـرّا وأمسى عـهـدُهُ كـذبـاً وغـدرا
وإنّ له لمنقلباً وبيلا[5]

---

(١) المحجة : جادة الطريق والمراد الدين الحق .
(٢) المدل الواثق بنفسه وبما لديه .
(٣) البسل: الحرام والمراد الممتنع .
(٤) قال صفوان لأبي عزة : يا أبا عزة إنك رجل شاعر فأعنا بلسانك، ولك علي إن رجعت أن أغنيك ،وإن أصبت أجعل بناتك مع بناتي ، قال إني عاهدت محمدا حين أطلقني فيمن أطلق من أسارى بدر ألا أظاهر عليه أحدا: فقال صفوان : بل أعنا بلسانك يا أبا عزة فخرج هو ومسافع يستنفران الناس . والشطط مجاوزة القدر في كل شيء، والخب: الخداع .
(٥) يأل يقصر في الشكر، تغمد حقه أنكره. وأصل المعنى ستر الشيء وإخفاؤه ، والوبيل الشديد السيء .ظفر النبي ﷺ به في وقعة حمراء الأسد فأمر عاصم بن ثابت بقتله ، وحمل رأسه إلى المدينة .

ألـم يَمـنُـنْ عـليـه إذ الأُسـارى تكـاد نفـوسُهـا تهـوِي حـذارا ؟
تـطوفُ بـه مُـولَّـهـةً حيـارى تَـودُّ لـوانّـهـا ملكـت فـرارا
وهل يُعطَى عدوُّ اللهِ سُولا ؟

جُبَيْـرُ أكـان عمُّـك حين أودى كعمّ محمـدٍ شـرفـاً ومـجـدا ؟
أحمـزةُ أم طعيمـةُ كـان أهـدى ؟ رُويـدك يـا جبيـر أتيت إدّا[1]
وإنّ قضاءَ ربّكِ لن يحولا

أراد فـمـا لِـوَحْشِـيٍّ مَـحـيـدُ ولا لـك مصـرفٌ عمـا يُـريـدُ
أليس لِحمـزةَ البـأسُ الشـديـدُ ؟ فمـا يُغني فتـاك ومـا يُفيـدُ !
تباركَ ربُّنا رباً جليلا

تَـولَّـوْا بـالكتـائبِ والسَّـرايـا وسـاروا بـالحـرائـرِ والبغـايـا
منـايـا قـومهـم جَلبتْ منـايـا فسيـري في سبيلك يـا مـطايـا
ولا تَدَعِي الرسيمَ ولا الذّميلا[2]

ويـا خَيلُ اركضي بـالقـوم ركضـا وجـوبي للوغى أرضـاً فـأرضـا
لعـلّ النـاقمَ المـوتـورَ يـرضى نَـشدتُـكِ فـانفضي البيـداءَ نفضـا
وَوالي في جوانبها الصّهيلا

ويـا هنـدُ انـدبي القتلى ونـوحي وزيـدي مـا بقـومِـك من جُـروحِ

---

(١) جبير بن مطعم بن عدي دعا غلامه وحشياً. وقال له اخرج بحربتك مع الناس فإنك إن قتلت حمزة عم محمد بعمي طعيمة بن عدي (قتله حمزة رضي الله عنه في وقعة بدر) فأنت عتيق، وإدا فظيعا .

(٢) كان عددهم ثلاثة آلاف رجل. وخرجت النساء مع المشركين بالدفوف. ويقول ابن الجوزي وساروا بالقيان والدفوف والمعازف والخمور والبغايا. والكتائب والسرايا الجيوش، والرسيم والذميل نوعان من سير الإبل والأول أسرع .

وراءَكِ كــلُّ مُـنـصـلِـتٍ طَـمـوحِ   تُـهـيِّـجُ بـأسَـهُ رِيـحُ الـفـتـوحِ

وراءك فتيةٌ تأبى النّكولا[1]

وراءك نِـســوةٌ للحــرب تُــزجَـى   تَــرُجُّ دفــوفُــهــا الأبــطالَ رجًّــا

وتلك خمــورُ عسكــركِ المــرجَّى   وكــان الغيُّ بــالجهــلاءِ أحجى[2]

كذلك يطمسُ الجهلُ العقولا

رأيــتِ الــرأيَ شُــؤمــاً أيَّ شــؤمٍ   ومــا تــدري يمينُــك أين تــرمي

لــعــمــركِ إنــه لَــرســيــسُ هــمٍّ   تغلغــل منــك بين دَمٍ ولحمٍ[3]

فيا ابنةَ عُتبَةَ اجتنبي الفُضولا

أعنْ جَســدِ الــرضيّــةِ بنتِ وهبِ   يُشَقُّ القبــرُ يا امرأةَ ابن حربِ ؟

ويُقــطَعُ بــالمُــدى في غيــر ذنب   لــيُــفــدَى كــلُّ مــأســورٍ بــإربِ

فيا عجباً لقولٍ منكِ قيلا[4]

هــي الهــيجــاءُ لــيس لهــا مــردُّ   فمن يَكُ هــازلا، فــالأمــرُ جِــدُّ

لَــبــأسُ اللهِ يــا هــنــدُ أشــدُّ   لــه جــنــدٌ ولــلكــفّــارِ جــنــد

وإنَّ لجندِه البطشَ المهولا

سيــوفُ محمــدٍ أمضى السيــوفِ   وأجلبُ للمعــاطبِ والحتــوفِ[5]

إذا هوتِ الصفوفِ على الصفوفِ   وأعــرضَ كــلُّ جبــارٍ مخــوفِ

مَضتْ مِلءَ الوغَى عَرضاً وطولا

---

(١) هند زوج أبي سفيان. كانت ممن خرج مع الجيش من النساء يبكين قتلى بدر ويحرضن على القتال وترك الفرار، والمنصلت هنا الماضي في الأمور، والنكول النكوص والجبن .

(٢) أحجى أخلق .   (٣) رسيس الهم وغيره ما يثبت منه .

(٤) لما بلغ المشركون الأبواء أشارت هند عليهم بنبش قبر أم النبي ﷺ وأخذ جثمانها . فإن أسر منكم أحد فديتم كل أسير بارب من آرابها ـ الإرب الجزء ـ فأبوا خيفة أن ينبش بنو بكر قبور موتاهم .

(٥) الحتوف جمع حتف وهو الموت .

أرى السَّعدَيْنِ قد دلفا وهذا		عليٌّ بالحُسامِ العَضْبِ لاذا
وحمزةُ جَدَّ مُعتزِماً فماذا ؟		ومَن للقومِ إن أمسوا جُذاذا ؟
وطار حُماتُهم فمضوا فلولا[١]

وفي الأبطالِ فِتيانٌ رِقاقُ		بأنفسهم إلى الهيجا اشتياقُ
لهم في الناهضين لها انطلاقُ		دعا داعي الجهادِ فما أطاقوا
بدارِ السّلمِ مَثوىً أو مقيلا[٢]

أعادهُم النبيُّ إلى العرينِ		شُبولاً سوف تَصْلُبُ بعد لينِ
يضنُّ بها إلى أجلٍ وحينِ		رَعاكَ اللّهُ من سَمْحٍ ضنينِ
يَسوسُ الأمرَ يكرهُ أن يَعولا[٣]

وَقيلَ لرافعٍ نعم الغلامُ		إذا انطلقتْ لغايتِها السّهامُ
تقدم أيّها الرامي الهمامُ		إذا الهيجاءُ شبّ لها ضرامُ
فأمطِرْها سِهامَكَ والنُّصولا[٤]

ونادى سمرةُ : أيرَدُّ مثلي		ويُقبلُ صاحبي وأنا المجلّي[٥] ؟
أُصارِعُه . فإن أغلبْ فَسؤْلي		وكيف أُذادُ عن حقٍّ وعدلٍ ؟
وأُمْنَعُ أن أصولَ وأن أجولا ؟

---

(١) سعد بن معاذ ، وسعد بن عبادة ودلفا تقدما والحسام العضب السيف القاطع ـ ولاذ لجأ، وجذاذا قطعا وفلولا منهزمين .

(٢) عرض النبي جيشه بعد أن عسكر بالشيخين- أطمان أو جبلان- فوجد فيه جمعاً من الفتيان لم يبلغوا الخامسة عشرة. وقيل الرابعة عشرة من العمر، فردهم وأجاز رافع بن خديج من دونهم لما قيل له إنه يحسن الرماية ، وقال سمرة بن جندب لزوج أمه ، أيقبل رافع وأرد وأنا أصرعه فبلغت مقالته النبي فقال تصارعا فصرع سمرة صاحبه فأجازه ، والمثوى: المقام .

(٣) عال في الحكم جار ومال عن الحق. وعاله الأمر شق عليه وثقل .

(٤) نصل السهم حديدته . والنصول جمع .

(٥) المجلى الأول من خيل السباق وأذاد أدفع .

وصَـارعَـهُ فكـان أشـدَّ أسـرا   وأكثرَ في المجالِ الضّنكِ صبرا[١]
وقيل له : صدقتَ فأنت أحرى   بأن تردَ الوغى فتنالَ نصرا
ألا أقبل فقد نِلتَ القبولا

أعبـدَ اللّهِ مالكَ من خَلاقِ   فَعُدْ بالنّاكِثينَ ذوي النّفاقِ
كفاكَ من المخافةِ ما تُلاقي   ومالَك من قضاءِ الله واقِ
وإن أمسيتَ للشّعرى نزيلا[٢]

أبيتَ على ابن عمرٍو ما أرادا   وشرُّ القومِ من يأبى الرشادا[٣]
نهاكَ . فلم تَزِدْ إلا عِنادا   ألم يَسمعْ فريقُكَ حين نادى
أطيعوا الله واتّبعوا الرسولا ؟

يقولُ: نشدتُكم لا تخذلوهُ   ومَوْثِقَ قومِكم لا تَنقضوهُ
رسولُ الله إلاّ تنصرُوه   فإنّ الحقَّ ينصرُه ذَووهُ
ألا بُعداً لمن يَبغِي الغُلولا[٤]

تجلّى نورُ ربّكَ ذى الجلالِ   وهزّ الشّعبَ صوتُ من بلالِ

---

(١) الأسر الخلق بخاء مفتوحة وشدة الأسر من صفات القوة. والضنك الضيق .

(٢) عبدالله بن أبي بن سلول- رجع ومن معه من المنافقين وكانوا ثلثمائة رجل وهو يقول-عصاني وأطاع الولدانِ ومن لا رأي له ،سيعلم - لا ندري على م نقتل انفسنا ؟؟ ارجعوا ايها الناس. والخلاق النصيب الوافر من الخير، وقيل ما يكسب الإنسان هذا النصيب من أفعاله الممدوحة . والناكثين الغادرين ،والشعرى نجم .

(٣) عبد الله بن عمرو بن حرام والدجابر رضي الله عنهما، انطلق في أثر المنافقين يريد ردهم ويقول لهم، يا قوم اذكركم الله أن تخذلوا قومكم ونبيكم فلم يطيعوه فقال: أبعدكم الله ، سيغني الله تعالى عنكم نبيه .

(٤) الغلول الخيانة .

بــلالُ الخيـرِ أذَّنَ في الــرجــالِ فَـهبُّــوا لـلصــلاةِ من الــرِحــالِ
وقاموا خلَف سيّدهم مُثولا[1]

عَـلاَ صَـوتُ الأذينِ ، فـأيُّ مَعنى لِمَنْ هو مُؤمنٌ أسمَى وأسنى[2] ؟
إلَــهُ الــنَّــاسِ فــردٌ لا يُـثـنَّـى تـأمَّــلْ خــلقــه إنســاً وجــنّــا
فلن تجدَ الشريكَ ولا المثيلا

أجــلْ ـ اللهُ أكــبــرُ، لا مِــراءَ فهـل سَمِعَ الألى كفـروا النّـداءَ ؟
أظنُّ قـلوبَــهـم طــارت هَـبــاءَ فــلا أرضــاً تُـطيـقُ ولا سَـمـاءَ
جَلالُ الحقِّ أورثهم ذهُولا

سرى الصّوتُ المردَّدُ في الصباحِ فضـجَّ الكونُ: حيٌّ على الفـلاحِ
تلقّى صيحــةَ الـحقّ الـصّــراحِ فقــام يَصيـحُ من كــلِّ النـواحي
يُــسبِّــحُ ربَّــهُ غِــبَّ ارتـيــاحِ ويـحَمــدُه بــألسنـةٍ فِصــاحِ[3]
تَعـطّفتِ الجبــالُ على البــطاحِ وكـبّرتِ المــدائـنُ والضــواحي
وأوَّبـتِ البـحــارُ مــع الــريــاحِ وصفَّقَ كــلُّ طيــرٍ بــالجنــاحِ[4]
كتــابُ الحقِّ . مـا للحقِّ مــاحِ يُـرتَّلُ في الغُـدوِّ وفي الـرواحِ[5]
فَقُـلْ للنّاسِ من ثَمِلٍ وصـاحِ شــريعـةُ ربّكم ، مــا من بـراحِ
فَمنْ منكم يُريدُ بها بديلا ؟

---

(١) مضى ﷺ حتى نزل الشعب من أحد فصف المسلمين وحانت صلاة الصبح والمسلمون يرون المشركين فأذن بلال رضي الله عنه للصلاة وصلى النبي بأصحابه ـ الرحال جمع رحل وهو هنا بمعنى المثوى أو المنزل أو ما يكون مع الرجل من الأثاث . ومثول جمع ماثل أي قائم .

(٢) الأذين المؤذن .

(٣) غب بمعنى بعد .

(٤) التأويب هنا ترجيع الصوت (ويا جبال أوبي معه) .

(٥) الغدوّ البكرة أو ما بين الفجر وطلوع الشمس والرواح العشيّ أو من الزوال الى الليل .

ألا طابتْ صلاتُكَ إذ تُقامُ وطابَ القومُ إذ أنتَ الإمامُ
أقمها يا محمدُ فَهْيَ لامُ تَساقَطُ حولها الجُنَنُ العِظامُ[1]
بها يُتخطَّفُ الجيشُ اللهّامُ وليس كمثلِها جَيشٌ يُرامُ[2]
قضاها اللّهُ ، فَهْيَ له ذِمامُ وذاك نِظامُها ، نِعمَ النّظامُ
يوطِّد من بَنى ، وهي الدّعامُ ويصعدُ بالذُّرى، وهي السَّنامُ
نَهضتَ لها، وما هبَّ النيامُ وبادرها الميامينُ الكرامُ
مَقامٌ ما يُطاولـه مَقامُ ودينٌ من شعائِره السّلامُ

يصونُ لواءَهُ جيلاً فجيلا

هُدَى الأجيالِ يخطبُ في الهُداةِ ويأمُر بالجهادِ وبالصّلاةِ[3]
وبالأخلاقِ غُرًّا طيّباتِ مُلَقَّى الوحيِ والإلهامِ هاتِ
وَصِفْ للنّاسِ آدابَ الحياةِ وكيف تكونُ دُنيا الصّالحاتِ
وَخُذهم بالنّصائحِ والعظاتِ مُضيئاتِ المعالمِ مُشرِقاتِ
شُعوبُ الأرضِ من ماضٍ وآتِ عيالُك، فاهْدِهم سُبُلَ النَّجاةِ
إذا ضلَّت دَهاقينُ الثّقاتِ وأمسى الناسُ أسرى التُّرَّهاتِ[4]

---

(١) اللام جمع لامة وهي الدرع والجنن جمع جنة وهي هنا ما يتقى به من السلاح .
(٢) الجيش اللهام العظيم .
(٣) خطب ﷺ أصحابه عند صلاة الصبح يحثهم على الجهاد والصلاة . ومن قوله في هذه الخطبة ـ ما أعلم من عمل يقربكم إلى الله تعالى إلا وقد أمرتكم به . ولا أعلم من عمل يقربكم إلى النار إلا وقد نهيتكم عنه . لن تموت نفس حتى تستوفي أقصى رزقها لا ينقص منه شيء وإن أبطأ عنها . فاتقوا الله ربكم وأجملوا في طلب الرزق، لا يحملنكم استبطاؤه أن تطلبوه بمعصية الله . والمؤمن من المؤمن كالرأس من الجسد إذا اشتكى تداعى إليه سائر جسده ، والسلام عليكم .
(٤) الدهاقين الذين لهم قوة التصرف من كبار الرجال ، والترهات الخرافات .

وخـفَّ ذَوُو الحـلومِ الـراسيـاتِ فـأصبحتِ الممـالـكُ راجفـاتِ
أقمتَ الأرضَ تكره أن تميلا

ألا بَـرَز الـزُبَيْـرُ فـأيُّ وصفِ حَـواريُّ الـرسـول يفي ويكفي ؟
بـرزتَ لخـالـدٍ حتـفـاً لحتفِ تـصـدُّ قـواه عـن كَـرٍّ وزحـفِ
وتَدفعهُ إذا ابتعثَ الرعيلا[1]

ألـم تَـرَهُ وعكـرمَـة استعـدَّا ؟ فـأمَّـا جـدَّتِ الـهيـجـاءُ جَـدّا
بـنـى لـهـمـا رسـولُ الله سَـدًّا ومـثلك يُـعـجـزُ الأبـطالَ هـدّا
ويتركُ كلَّ مُمتنعٍ مَهيلا[2]

لِمَنْ يَـرِثُ الممـالـكَ لا سِـواهُ أعـدَّ الـقـائـدُ الأعـلىَ قُـواهُ
وبَـثَّ الجيشَ أحسـنَ مـا تـراهُ تـعـالـى اللّهُ لـيس لـنـا إلـهُ
سِواهُ ، فوالِهِ ودَعِ الجهولا

رُمـاةَ الـنَّبْـلِ مـا أمَـرَ الـنبـيُّ فَـذلِك ، لا يكنْ منكم عَصِيُّ[3]
إذا مـا زالـتِ الـشُّـمُّ الجِـثـيُّ وكـان لها انـطلاقٌ أو مُضِيُّ[4]
فكونوا في أماكنكمُ حُلولا

---

(١) أقبل خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل في طليعة خيل المشركين. فأمر الزبير بن العوام أنْ يذهب على رأس قوة من المسلمين فيقف بإزائه . وأرسل جماعة من أصحابه ليكونوا في جانب آخر وقال لا تبرحوا حتى أوذنكم ولا يقاتلن أحد منكم حتى آمره بالقتال ،والرعيل القطعة من الخيل .

(٢) المهيل من الرمل ونحوه ما انهال .

(٣) كان الرماة خمسين رجلاً أمر النبي عليهم عبد الله بن جبير وقال ـ انضح الخيل عنا بالنبل .لا يأتونا من خلفنا ، واثبت مكانك إن كانت لنا أو علينا. وفي رواية إن رأيتمونا تتخطفنا الطير فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم ، وإن رأيتمونا نقتل فلا تغيثونا ، إرشقوهم بالنبل فإن الخيل لا تقدم على النبل ، إنا لا نزال غالبين ما مكثتم مكانكم . اللهم إني أشهدك عليهم .

(٤) الجبال الرواسي كأنها في صورة من يجثو أي يجلس على ركبتيه أو يقوم على أطراف أصابعه .

رُمـاةَ النَّبـلِ رُدُّوا الخيـلَ عنَّـا   وإن نَهلتْ سيـوفُ القـومِ منَّـا
فـلا تتـزحـزحـوا ، فـإذا أذنَّـا   فـذلـك، إنّ لـلهيـجـاءِ فنَّـا
تُلقّنه الجهابذةَ الفُحولا[1]

تَـلقَّ أبـا دُجـانـةَ بـالـيمـيـنِ   حُسامَكَ من يَدِ الهادِي الأمينِ[2]
وَخُـذْهُ بـحقّـه في غيـرِ لـينِ   لِتنصُرَ في الكـريهـةِ خيـرَ دينِ
يَرِفُّ على الدُّنى ظِلاًّ ظليلا

نَصيبـك نِلتَهُ مـن فضـلِ ربِّ   قضـاهُ لصادقِ النَّجـدَاتِ ضَرْبِ[3]
تخـطَّى القـومَ من آلٍ وصحـبِ   فكـان عليـك عَضْباً فـوق عَضْبِ
تبخترْ وامضِ مسنوناً صَقيلا[4]

أبـا سُفيـانَ لا يـقتـلْكَ هَـمًّـا   ولا يـذهبْ بحلمـكَ أن تُـذَمّـا[5]
أحِينَ بَعثَتـهـا شَـرّاً وشُـؤمـا   أردتَ هَـوادةً ، وطلبتَ سلمـا ؟
مَكانك ، لا تكن مَذِلاً ملولا[6]

---

(١) الجهابذة جمع جهبذ وهو الناقد البصير . ونهلت شربت أول الشرب .
(٢) أخرج ﷺ سيفاً مكتوباً في إحدى صفحتيه .
في الجبن عار وفي الإقبال مكرمة   والمرء بالجبن لا ينجو من القدر
ثم قال : من يأخذ هذا السيف بحقه فقام إليه رجال فأمسكه عنهم . وكان من جملتهم علي بن أبي طالب قام ليأخذه فقال اجلس . وعمر فأعرض عنه ، والزبير(وطلبه ثلاث مرات) فكذلك، وقام أبو دجانة فقال، وما حقه يا رسول الله . قال تضرب به في وجه العدو حتى ينحني، قال أنا آخذه بحقه فدفعه إليه .
(٣) الضرب من الرجال الماضي في الأمور .
(٤) كان أبو دجانة يختال عند الحرب، وقال النبي وقد رآه بين الصفين : إنها لمشية يبغضها الله إلا في مثل هذا الموطن .
(٥) نادى عند اصطفاف القوم ـ يا معشر الأوس والخزرج خلوا بيننا وبين بني عمنا وننصرف عنكم فشتموه أشد الشتم .
(٦) المذل القلق الضجور .

مَنِ الدّاعي يَصيحُ على البعيرِ أمالي في الفوارس من نظيرِ[1]
أروني هِمّةَ البطلِ المُغيرِ إليَّ - فما بِمثلي من نكيرِ[2]
أنا الأسدُ الذي يحمي الشُّبولا

تَحدّاهُ الزُّبَيْرُ وفي يَديْهِ قَضاءٌ خفَّ عاجِلُه إلَيْهِ
رَمى ظهرَ البعيرِ بمنكبيهِ وجرَّعهُ منيَّته عليْهِ
فأسلمَ نفسَهُ وهوَى قتيلا

ألا بُعداً لِطلحةَ حين يهذي فيأخذُه عليٌّ شَرَّ أخذِ[3]
أُصِيبَ بِقسْوَرِيِّ البأسِ فذٍّ يُعَدُّ لكلِّ طاغِي النَّفسِ مُؤذِ[4]
يُعالِجُ دَاءَهُ حتى يزولا

أمِنْ فَقدٍ إلى فقدٍ جَديدِ؟ لقد أضحى اللّواءُ بلا عميدِ
بِصارمِ حمزة البطلِ النّجيدِ هَوى عثمانُ إثرَ أخٍ فقيدِ
وأُمُّ الكُفرِ ما برحت ثَكولا[5]

---

(١) خرج رجل من المشركين على بعير يدعو للبراز فأحجم عنه الناس وقام إليه الزبير فوثب حتى استوى معه على البعير ثم عانقه فاقتتلا فوق ظهره فوقع المشرك ووقع عليه الزبير فذبحه . فأثنى عليه النبي ﷺ وقال لكل نبي حواري . وإن حواري الزبير . وقال لو لم يبرز إليه الزبير لبرزت إليه .

(٢) نكر الرجل الآخر نكيراً جهله ولم يعرفه .

(٣) طلحة بن أبي طلحة - من بني عبد الدار - حامل لواء المشركين - طلب المبارزة وجعل يهذي بكلام منه - يا أصحاب محمد زعمتم أن قتلاكم إلى الجنة وأن قتلانا إلى النار - وفي رواية - إنكم تزعمون أن الله يعجلنا بسيوفكم الى النار ويعجلكم بسيوفنا الى الجنة. فهل أحد منكم يعجلني بسيفه إلى النار، أو أعجله بسيفي إلى الجنة، كذبتم واللات والعزى - خرج إليه علي بن أبي طالب فقتله .

(٤) القسوري نسبة الى القسور وهو الأسد .

(٥) لما سقط لواء المشركين بعد قتل طلحة أخذه أخوه عثمان فحمل عليه حمزة فقطع يده وكتفه حتى انتهى إلى مؤتزره، والصارم السيف القاطع ، والثكول من الثكل وهو الفقد والهلاك .

أَبى شــرُّ الثــلاثــةِ أن يَــريــعــا فخرٌ على يَدَيْ سعـدٍ صريعـا[1]
ثــلاثــةُ إخــوةٍ هلكــوا جميعــا وَراحَ مُـســافِـعٌ لهـمُ تبيعــا[2]
رَمتْ يَــدُ عــاصمٍ سُمّــاً نقيعــا تَــورَّدَ جــوْفَــهُ فجَرى نجيعــا[3]
وجــاء أخــوُه يلتمسُ الـقَــرِيعــا فــأورَدَ نـفسَــه وِرداً فــظيعــا[4]
أعــاصِمُ أنت أحسنتَ الصَّـنيعــا فَـعِنــدَ اللهِ أجـرُكَ لـن يَضيعــا
وإنّ لربّكَ الفضلَ الجزيلا

رَمَيْتَــهُمــا فــظلاّ يــزحــفــانِ يَـجُــرَّانِ الجِــراحَ ويَـنْــزِفــان[5]
وخَـلفـهـمـا مـن الــدّمِ آيــتــانِ هــمــا للكـفــرِ عنــوانُ الـهــوانِ
تَــرى الــراسَينِ ممــا يحـمــلانِ على الحجـرِ المـذمَّمِ يُــوضَعــانِ
أمن ثَـدْيَيْ سُـلافــة يـرضعــانِ ؟ تَــقــولُ وقـلبُــهــا حــرّانُ عــانِ
عليَّ الجـودُ بــالمئــةِ الهـجــانِ لمن يـأتي بهـامــةِ مَن رمــاني[6]
فــواظَـمَئي إلى بنتِ الــدّنــانِ تُــدارُ بـهــا عــليَّ، فــودِّعــاني
وَمُوتا ، إنّ للقتلى ذُحولا[7]

---

(١) لما قتل عثمان بن أبي طلحة أخذ اللواء أخوه أبو سعيد بن أبي طلحة فرماه سعد بن أبي وقاص فأصاب حنجرته فقتله، يريع بمعنى يرجع . صريعا قتيلا .

(٢) مسافع بن طلحة بن أبي طلحة الذي قتله علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ـ أخذ اللواء بعد أبي سعيد فرماه عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح فقتله .

(٣) تورده بمعنى ورده، النجيع ما كان إلى السواد من الدم. أو هو دم الجوف .

(٤) اخو مسافع الحارث بن طلحة أخذ اللواء بعد أخيه فرماه عاصم رضي الله عنه فقتله.القريع هنا المقارع .

(٥) كان كل واحد من مسافع والحارث بعد أن رماه عاصم يأتي أمه سلافة، ويضع رأسه في حجرها فتقول له يا بني من أصابك فيقول سمعت رجلا يقول خذها وأنا ابن أبي الأقلح فنذرت إن أمكنها الله من رأس عاصم أن تشرب فيه الخمر وجعلت بمن يجيء به مائة من الابل .

(٦) الهجان الخالصة . (٧) بنت الدنان هي الخمر.والذحول جمع ذحل ، وهو الثأر .

دُعَاةَ اللاّتِ والعُزَّى أنيبوا فليس لصائحٍ منكم مُجيبُ
وليس لكم من الحسنى نصيبُ لِربِّ النّاسِ داعٍ لا يخيبُ
ودينُ الحقِّ يعرفه اللّبيبُ وما يخفَى الصّوابُ ولا يَغيبُ
رُويداً إنّ موعدكم قريبُ وكيف بمن يُصابُ ولا يُصِيبُ ؟
سَليبُ النّفسِ يتبعه سليبُ أما يفنى الطّعينُ ولا الضّريبُ ؟
لِواءٌ ليس يحملهُ عَسِيبُ عليهِ مِن منَاياكم رقيبُ[1]

كفاكم - يا له حِملاً ثقيلا[2]

رَمَى بالنّبلِ كلُّ فتىً عليمٍ فردَّ الخيلَ داميةَ الشَّكيمِ[3]
بِنَضْحٍ مِثلِ شُؤْبوبِ الحميمِ يَصبُّ على فراعنةِ الجحيمِ[4]
وصاحتْ هندُ في الجمعِ الأثيمِ تُحرِّضُ كلَّ شيطانٍ رجيمٍ[5]
ألا بطلٌ يَذُبُّ عنِ الحريمِ ؟ ويَضرِبُ بالمهنَّدِ في الصّميمِ ؟

---

(١) عسيب اسم جبل .
(٢) تتابع القتل في حملة اللواء فتمزق المشركون .
(٣) حملت خيل المشركين على المسلمين ثلاث مرات وهي تنضح بالنبل فترجع مغلولة، وحمل المسلمون عليهم فحمي القتال - والشكيم جمع شكيمة وهي حديدة اللجام في فم الفرس .
(٤) شؤبوب الحميم : الماء الحار .
(٥) قامت هند زوج أبي سفيان في النسوة اللاتي معها لما حميت الحرب فأخذن الدفوف يضربن خلف الرجال ويقلن :

ويها بني عبد الدار ويهاً حماة الأدبار ضرباً بكل بتار

ثم ينشدن :

نحن بنات طارق نمشي على النمارق مَشْيَ القطا النوازق
والمسك في المفارق والدرّ في المخانق إن تُقبلوا نعانق
ونفرش النمارق أو تدبروا نفارق فراق غير وامق

وكان النبي إذا سمع ذلك يقول: اللهم بك أحول. وبك أصول. وفيك أقاتل. حسبي الله ونعم الوكيل .

فهـاجت كلَّ ذاتِ حشىً كـليـمٍ تبثُّ الشجوَ في الهذَرِ الـذميم[1]
وتـذكـرُ طـارقـاً دَأْبَ الـمُليـمِ يُسيءُ ويُـدَّعَى لأبٍ كـريمٍ[2]
وأيـن مَكـانـهنَّ مـن الـنَّعـيـمِ ؟ ومن جُرثومةِ الحسبِ القديمِ ؟[3]
زعـمـنَ الشِّـركَ كـالدِّين القـويمِ لهنَّ الـويـلُ من خـطبٍ عميمِ

رمى الأبناءَ وانتظم البعُولا

مَنِ البـطلُ المُعصَّبُ يختليهـا رِقاباً ما يَملُّ الضرب فيها ؟[4]
بِـأبيضَ تـتقـيـهِ ويعـتـريـهـا وتـكـرهُ أن تـراه ويَشـتـهـيـهـا
لـهـا مـن حَـدِّه والٍ يـليـهـا ويَنتـزعُ الحكـومـةَ مـن ذويهـا
بَـررتَ أبـا دُجـانـة إذ تُـريهـا وحِيَّ المـوتِ تـطعمـه كـريهـا[5]
صَـددتَ عن السفيهـةِ تـزدريهـا وتُكـرمُ سيفَـكَ العفَّ النـزيهـا[6]
تُـولـولُ لـلمـنـيَّـةِ تـتـقّـيـهـا فـإيهـا يـا ابنـةَ الهيجـاءِ إيهـا
نَـجـوتِ ولـو رآكِ لـه شـبـيهـا مَضى العَضْبُ المشطَّبُ ينتضيها[7]
حيـاةَ مُنـاجـزٍ مـا يـبـتـغيـهـا إذا شَهِـدَ الكـريهـةَ يصـطليهـا

فأرسلها دماً، وهوى تليلا[8]

---

(١) حشى كليم جريح، والشجو الحزن والألم .

(٢) ادعى إليه انتسب . (٣) جرثومة أصل .

(٤) هو أبو دجانة . كان له عصابة حمراء يعصب بها رأسه في الحرب فسميت عصابة الموت جعل لا يلقى أحدا إلا قتله بالسيف الذي أخذه من رسول الله ، وكان يشحذه بالحجارة كلما كَلَّ فما زال يضرب به حتى انحنى وصار كأنه منجل . يختليها يجزها أو ينزعها تشبيهاً لها بالخلا الرطب إذا فعل به ذلك .

(٥) الوحي السريع .

(٦) هند سمعها أبو دجانة تحرض على القتال أشد التحريض فحمل عليها بسيفه يظنها رجلا فولولت فأعرض عنها إكراما لسيف رسول الله .

(٧) العضب المشطب السيف به خطوط من أثر الضرب . (٨) التليل الصريع .

مقتل حمزة رضي الله عنه

أبلى حمزة رضي الله عنه في وقعة أحد بلاء حسناً . وكان يقاتل بين يدي النبي ﷺ بسيفين . ويقول: أنا أسد الله . وقد أصيب ببضع وثمانين جراحة ما بين ضربة بسيف، أو طعنة برمح، أو رمية بسهم .

قتله وحشي الحبشي مولى جبير بن مطعم بن عدي . قال وحشي . إني لأنظر إلى حمزة يهد الناس بسيفه حتى عثر فانكشفت الدرع عن بطنه فهززت حربتي حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه فوقعت في ثنيته (موضع تحت السرة وفوق العانة) .

خرج النبي ﷺ يلتمس حمزة فوجده ببطن الوادي وقد بقر بطنه ومثل به فلم يكن أوجع لقلبه الشريف مما رأى وقال ـ لن أصاب بمثلك، وما وقفت موقفاً أغيظ لي من هذا . رحمة الله عليك كنت فعولا للخيرات . وصولا للرحم . ثم صلى عليه وعلى إخوانه من الشهداء وأمر بدفنهم . وقيل إنه أمر بدفنهم بدمائهم وثيابهم فلم يغسلوا ولم يصل عليهم .

جعلت هند زوج أبي سفيان ومن معها من نساء المشركين يمثلن بقتلى المسلمين يجدعن آذانهم وأنوفهم ويتخذن منها القلائد، وقد بقرت هند بطن حمزة وأخرجت كبده فلاكتها ولم تستطع أن تسيغها فألقتها من فيها ، وكانت قد نذرت أن تأكلها إذا قتل. وقيل ان وحشياً هو الذي بقر بطنه وجاءها بكبده فأعطته ثيابها وحليها ووعدته أن تدفع له عشرة دنانير إذا رجعت إلى مكة . وجاء بها إلى مصرع حمزة فجدعت أنفه وقطعت أذنيه، ثم جعلت من ذلك كالسوار في يديها ، وقلائد في عنقها .

صاحبُ السَّيْفَيْنِ ماذا صنعا ؟   ودَّعَ الصفَّيْنِ والدنيا معا

غابَ عن أصحابِه ما علموا   أيَّ دارٍ حلَّ لما ودَّعا

غـاب عـن أعينـهـم فـي غَـمْـرَةٍ سدَّ غُولُ الهـولِ منهـا المـطلعـا
طـلبـوه ، وتَـنـادى جَـمـعُـهـم نَكبـةٌ حـلّتْ ، وخَـطبٌ وقـعـا
يـا رسـولَ اللهِ ـ هـذا حـمـزةٌ أتـرى عيناك منـه المصـرعـا ؟
إنّـه عَـمُّـكَ إلّا أُذُنـاً قُـطِعَتْ منـه ، وأنـفـاً جُـدِعـا
إنّـه عـمّـك فـانـظرْ بَـطنَـهُ كيف شَقُّوه ، وعاثوا في المِعَى ؟
كبـدُ الفـارسِ ، مـاذا فعلت ؟ أين طاحت ؟ من قضى أن تُنزَعا ؟
نَـذرُ هنـدٍ هِيَ ، لـولا أنهـا لم تُسِغْهـا أكـلتهـا أجـمعـا[1]
طفقـت تَمضـغُ مِن أفـلاذِهـا عَلقمـاً مُـرّاً ، وسُمـاً مُنقَعـا[2]
كـلّمـا هَمَّـتْ بـهـا تَـدفعُـهـا مِـلءَ شِـدْقَيْهـا أبتْ أن تُـدفعـا
نَـذرتْ يـومَ أبـيـهـا نَـذْرهـا عَلّهـا تشفِي الفُؤادَ المُـوجَعـا
جَـاءَ وَحْشِيٌّ فضجَّـتْ فَـرحـاً وَيْكِ ، إنّ الأرضَ ضَجَّتْ فَزَعا[3]
تَبـذلِيـنَ الْحَلْي والمـالَ عـلى أن جنـاه جـاهليـاً مُـفـظعـا
يـالـه يـا هندُ جُـرحـاً دامِيـاً ضـاقَ عنـه الصَّبـرُ مما اتّسعـا
أفـمـا أبـصـرتِ رُكـنَـيْ أُحُـدٍ حِينَ سالَ الجرحُ كيف انصدعا ؟
وأبـو سُـفـيـانَ مـاذا هـاجـه ؟ أفـمـا يُـزمِـعُ أن يَـرتـدعـا[4]
غَـرَّهُ فـي يـومِـه مـا غـرّه إنّ عـنـد الغـدِ سِرًّا مُـودَعـا
يَـطعنُ اللّيـثَ ويَفـرِي شِـدْقَـهُ حِينَ ألقَى جَنْبَـهُ فـاضـطجـعـا

---

(١) ساغ الطعام وأساغه ـ وهو أجود ـ اسهل مدخله في الحلق .
(٢) جمع فلذة ، وهي القطعة من الكبدونحوها،والسم المنقع المربَّى .
(٣) ويك كلمة تعجب من وي وكاف الخطاب وتأتي للزجر .
(٤) جعل أبو سفيان يضرب بزج الرمح في شدق حمزة رضي الله عنه بعد قتله ويقول : ذق عقق : أي ذق جزاء مخالفتك لقومك ياعاق ـ وقدمر به الحليس سيد الأحابيش وهو يفعل ذلك فقال يا بني كنانة . هذا سيد قريش يفعل بابن عمه ما ترون . فقال أبو سفيان : اكتمها عني فإنها زلة،ويزمع: المراد منها هنا يريد .

لــو رآه يــتــحــدَّى نــفــسَــهُ ... لــرآهــا كيف تَهــوِي قِــطَعــا[1]
يــذكــرُ العُــزَّى ويــدعــو هُبَــلاً ... وَيْحَــهُ من ذاكــرٍ، مــاذا دعــا[2]؟
أَســدُ اللّهِ رمــاهُ ثَــعــلبٌ ... يــا لــه من حــادثٍ ما أبــدعــا
أخَــذْتــهُ عــثــرةٌ مَــزؤودَةٌ ... ضَجَّتِ الدنيا لهــا تدعــو : لعا[3]
زالتِ الــدّرعُ فــغــشَّى بــطنَــهُ ... دافــقٌ مــن دمــهِ فــادّرعــا
حَــرْبَــةٌ ظَمــأى أصــابت مَشــرعــاً ... كــان من خيــرٍ وبــرٍّ مُتــرَعــا[4]
جَــزَع الــهــادي لــهــا نــازلــةً ... جــلّلتْ عُــليــا قــريشٍ جَــزَعــا
تــلك رُؤيــاهُ ، وهــذا سيــفُــه ... لا رعَى الــرحمنُ إلا مَن رعى[5]
ثَلمــةٌ هــدَّتْ من الكفــرِ حِــمىً ... زعم الكفّــارُ أن لن يُــفْــرَعــا[6]
بُــورِكَ المضجــعُ والقــومُ الألى ... وسَّــدوا فيــه الشهيــدَ الأروعــا[7]

---

(١) تحدى الشيء تعمده، والرجل باراه في فعله ونازعه الغلبة .

(٢) لما قتل حمزة نادى أبو سفيان . اعل هبل، فقال النبي ﷺ قم يا عمر فأجبه فقل : الله أعلى وأجل ، لسنا سواء . قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار، فقال أبو سفيان أنكم تزعمون ذلك، لقد خبنا إذا وخسرنا ، إن لنا العزى ولا عزى لكم، فقال النبي الله مولانا ولا مولى لكم .

(٣) مزؤودة بمعنى مذعورة، ولعاً أولعاً لك : كلمة تقال عند العثرة ، وهي دعاء بالانتعاش .

(٤) المشرع المورد والمترع المملوء .

(٥) قبل خروج النبي ﷺ إلى أحد رأى رؤيا قصها على سعد بن معاذ وأسيد بن حضير وسعد بن عبادة رضي الله عنهم فقال ـ رأيت بقراً تذبح ورأيت في ذبابة سيفي (هو ذو الفقار) ثلما ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة وأني مردف كبشاً ـ فأما البقر فناس من أصحابي يقتلون، وأما الثلم الذي رأيته في سيفي فهو رجل من أهل بيتي يقتل، وأما الدرع الحصينة فالمدينة . وأما الكبش . فإني أقتل كبش القوم (هو طلحة ابن أبي طلحة حامل لواء المشركين الذي قتله علي بن أبي طالب كرم الله وجهه) .

(٦) فرع الجبل ونحوه : علاه .

(٧) الأروع من يعجبك بحسنه وجهارة منظره، أو بشجاعته، وقيل هو الشهم الذكي الفؤاد .

مثّلَ القومُ به من بغيهم ... ما نهاهم دِينُهم أو مَنعا[1]
ليس للأخلاقِ إلا دينُها ... يُؤثر المثلى، ويهدِي مَن وعى
وَعَد الإسلامُ خيراً مَن عفَى ... إنّ حُسنَ العفوِ مّما شَرعا
سائلِ اللائي تقلَّدنَ الحِلَى ... من جلودٍ من رآها خَشعا
أهي كاللؤلؤِ ، أم أبهى سناً ... من غواليهِ، وأسمى موضعا ؟
بوركَتْ - إني أراها زُلَفاً ... رفع اللّهُ بها من رَفعا[2]
لن يفوتَ الكفرَ منها ذابحٌ ... لا يُبالِي أيَّ جلدٍ مَزعا
يا لِرَيْبِ الدّهرِ ما أفدْحَهُ ... حادثاً نُكراً ورُزءاً مُفجِعا
رَجَع الذّكرُ به مُؤتَنفاً ... ولقد أشفقتُ أن لا يرجعا
شُغِل الأهلُ عن الأهلِ فيا ... عجباً للدهرِ: ماذا صنعا ؟
أفما أُبصِرُ إلاّ لاهياً ... أو مُعَنًّى بالأماني مُولَعا ؟
اذكروا يا قومُ من أمجادِكم ... ما نَسِيُتم ، رُبَّ ذِكرٍ نَفعا

---

(١) ممن مثِّل بهم من شهداء المسلمين: عبد الله بن جحش رضي الله عنه بدعوة دعاها على نفسه قبل وقعة أحد وهي: اللهم ارزقني غداً رجلا شديدا بأسه فيقتلني ثم يأخذني فيجدع أنفي وأذني فإذا لقيتك قلت: يا عبد الله فيم جدع أنفك وأذنك فأقول فيك وفي رسولك فتقول صدقت (هو ابن أميمة بنت عبد المطلب) قتله أبو الحكم بن الأخنس بن شريف ثم قتل كافرا في وقعة أحد .

(٢) جمع زلفة وهي القربة والمنزلة .

الرُّمَاة

لما قتل أصحاب لواء المشركين واحدا بعد واحد انهزموا وتبعهم المسلمون يضعون فيهم السلاح وينتهبون الغنائم . فألقى نساؤهم الدفوف وذهبن الى الجبل كاشفات سيقانهن صارخات مولولات، ففارق الرماة أماكنهم ونهاهم أميرهم عبد الله بن جبير رضي الله عنه فتركوه وانطلقوا يبتدرون الغنائم إلا فريقاً منهم دون العشرة ثبتوا معه في أماكنهم .

نظر خالد بن الوليد إلى قلة من بقي في الجبل من الرماة فكرّ بالخيل ومعه عكرمة بن أبي جهل فحملوا على هذه البقية فقتلوها ومثلوا بأميرها . وخرجت أحشاؤه لكثرة ما طعن بالرماح .

وأحاط المشركون بالمسلمين وقد شغلوا بالنهب والأسر ووضعوا السيوف فيهم فتفرقوا في كل وجه وانتقضت صفوفهم فاختلطوا وصار يضرب بعضهم بعضاً وهم لا يعلمون ـ وقيل إن مناديا منهم قال: يا عباد الله أخراكم يريد ـ احترزوا من جهة أخراكم فعطفوا على أخراهم يقتل بعضهم بعضاً وهم لا يشعرون .

وذهبت طائفة منهم إلى المدينة فأقامت ثلاثة أيام ثم رجعت فأنزل الله ﴿ إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم ﴾ .

ثبت النبي ﷺ لما تفرق أصحابه وصار يقول: إليّ يا فلان ، إليّ يا فلان ، أنا رسول الله ، والنبل يأتيه من كل ناحية ، والله يصرفه عنه، وثبت معه جماعة من أصحابه واستمر أبو طلحة بين يديه ـ وكان رامياً مجيدا ـ ينثر كنانته ويقول نفسي لنفسك الفداء . ووجهي لوجهك الوقاء، وما زال ﷺ يرمي عن قوسه الكتوم (التي لا يسمع لها صوت) حتى صارت شظايا .

أئِنْ تـولّتْ جنـودُ الشّـرِك مُـدبـرةً   خفَّ الرُّماةُ وظنّوا الأمرَ قد وجبا ؟

كـأنّهم والـرِّعـانُ الشُّمُ تقـذفهم ... سَيْـلٌ تَدَفَّق في شُؤبـوبِه صَبَبَـا[1]
يَخالهم من يراهم سـاعةَ انـطلقوا ... سِهامَهم حين جاش البأسُ فالتهبا
رَدُّوا على ابن جُبَيْرٍ رأيه ومضـوا ... إلاّ فـريقاً رأى ما لم يروا فـأبى
أصـابهـا خـالـدٌ منهم وعكـرمـةٌ ... أُمنيّةً لم تُصِبْ من ذي هَوىً سببا
فاستنفرا الخيـلَ والأبطالَ وانـطلقا ... في هَبْوةٍ تزدهي الأرمـاحَ والقُضُبا
هم خلَّفـوا رِمَم القتلى مُـطرَّحـةً ... وغـادروا الجندَ جُنـدَ الله والسَّلبـا
طاروا إلى جبلٍ راسٍ على جبلٍ ... ما اهتزَّ مذ قام من ضعفٍ ولا اضطربا
قـال الـرسـولُ فـأعـطاهُ مقـالَتـه ... ومـا سِوَى نفسِه أعطى ولا وَهبـا
تَـوزَّعـوه ، فلو أبصـرتَ مَصـرعَـهُ ... أبصـرتَ في اللهِ منه مَنـظراً عجبا
طَعنٌ وضَربٌ يعافُ البأسُ عندهما ... سِلاحَ من طَعنَ الأبطالَ أو ضـربا
سلُّوا حَشَـاهُ فـظلَّت من أسنّتهم ... تَموجُ في الدم يجري حوله سَرِبا[2]
تَتـابَـع القتـلُ يجتـاحُ الأُلى معـه ... لـولا المناقبُ لم يتـرك لهم عِقبا
تلك الدّماءُ التي سالت على أُحدٍ ... لـو أنبتَ الـدمُ شيئـاً أنبتت ذهبـا
ظلمْتُهـا ـ مـا لشيءٍ مِثـلُ رتبتِهـا ... وإن تخطَّى المدَى أو جاوزَ الرُّتَبا
لـم يبـقَ سَهـمٌ ولا رامٍ يُسـدِّده ... تَغَيَّبَ الـوابلُ الهـطَّالُ واحتجبـا[3]
وكرَّتِ الخيلُ تَـردِي في فوارسهـا ... بعد الفرار فأمسى الأمرُ قد حَزبا[4]
المسلـمون حَيارى ـ كيف يـأخـذُهم ... بـأسُ العدوِّ ، أمـا رَدُّوه فانقلبـا ؟
حَلُّوا الصفوفَ وجالوا في مغانِمِهم ... مـا ظنَّ عسكرهم شـرّاً ولا حَسبا

---

(١) الرعان : أنوف الجبال، والجبال بجملتها، والشم الطوال، والشؤبوب الدفعة من المطر .
(٢) سائلا .
(٣) الوابل المطر الكثير .
(٤) ردت الفرس . رجمت الأرض بحوافرها، وحزب الأمر اشتد ،وهو يتعدى فيقال حزبه الأمر .

تنكَّرت صُوَرُ الهيجاءِ واتَّخذَتْ من الأعاجيبِ أثواباً لها قُشُبا[1]

خَرساءُ صمّاءُ، تُعمِي عن مَعالِمها عَينَ البصيرِ وتُعيي الحاذِقَ الدَّرِبا

مُغبرَّةُ الجوِّ ما زال الخفاءُ بها حتى تَقنَّعَ فيها الموتُ وانتقبا

ترى اللُّيوثَ وإن كانوا ذوي رَحِمٍ لا يتَّقِي بعضُهم بعضاً إذا وثبا

يعدو على مُهجةِ الضرغامِ صَاحِبُه ولا يُجاوِزُه إن ظُفرُه نَشبا

هذا البلاءُ لقومٍ مال غافلِهم عن رأي سيِّدِهم إذ يُحكِمُ الأُرَبا[2]

قال: اثبتوا فتولّوا، ما عَصى أحدٌ مِنهم، ولكن قضاءٌ واقعٌ غَلبا

أمرٌ من اللهِ مَرْجُوٌّ عَواقِبُه يقضيه تبصرةً للقومِ أو أدبا

إنّ النبيَّ لَيُمضِي الأمرَ في وَضَحٍ من حكمةِ اللهِ يجلو نورُه الرِيَبا

مُسدّدُ الرأي، ما تهفو الظنونُ به الخيرُ ما اختارَ، والمكروُه ما اجتنبا

للسلمِ والحربِ منه حازِمٌ يَقِظٌ يُعيي الدُّهاةَ، ويُردِي الجحفلَ اللَّجِبا[3]

إنَّ الذي زيّنَ الدنيا بطلعتِه حَابَى العُروبةَ فيه، واصطفى العربا[4]

---

(١) قشبا جديدة.

(٢) الأرب جمع أربة وهي العقدة التي لا تنحل حتى تحل.

(٣) يردي يهلك،والجحفل اللجب الجيش الكثير العدد.

(٤) حاباه نصره واختصه ومال إليه.

زياد بن عمارة
رضي الله عنه

كان من أعظم أبطال هذه الغزوة، ثبت بين يدي النبي ﷺ يتلقى السهام دونه ويدافع القوم عنه حتى أثقلته الجراح فسقط فأمر النبي أصحابه وقال: أدنوه مني، فأفرشه قدمه الشريفة فمات وخده عليها .

أكان يَزيدُ بأسُك إذ تُصابُ ؟ زِيادةُ ذلك العجبُ العُجابُ
تَكاثرتِ الجراحُ، وأنت صُلْبٌ يَهابُكَ في الوغَى مَن لا يهاب
قُوىً تَنصبُّ مُمعِنةً جِشاثاً وللدَّمِ في مَواقِعها انصبابُ
تَردُّ الهندوانياتِ ظَمأى يُخادِعُها عن الرِّيِّ السَّراب[1]
تُريد مُحمداً واللّهُ واقٍ فترجعُ، وَهْيَ مُحنقةٌ غِضاب
زِيادةُ دونه سُورٌ عليه مِن النَّفرِ الألى احتضنوه باب
وما بِمُحمّدٍ خَوفُ المنايا ولا في سيفِه خُلُقٌ يُعاب
ولكن جَلَّ منزلةً وقدراً فبرَّ رجالُهُ ووفَى الصّحاب
هَوَى البطلُ المُغامِرُ واضمحلّت قُواه، وخارتِ الهِممُ الصِّلاب
فَتىً صَدقْت مشاهِدُه فظلت تَعاوَرَهُ القواضبُ والجِراب[2]
وَهَى منه الأديمُ ، فلا أديمٌ وأعوزه الإهابُ فلا إهاب

(١) الهندوانيات السيوف المنسوبة الى الهند .
(٢) تعاوره تتعاوره أي تتداوله وتتعاطاه .

تَمـزَّقتِ الصّحـائفُ من كتـابٍ طـواه في صحـائفـهِ الكتـاب[1]
تـلقّـاهُ بـرحـمـتِـه، وروَّت غَليـلَ جِـراحِـه السُّـوَرُ العِـذَاب
أيـادي اللّهِ يـجـعـلهـا ثـوابـاً لكـلِّ مُجـاهـدٍ ـ نِعمَ الثّـواب
أهـابَ مَـحـمـدٌ: أدنـوه مـنّـي فذلك صاحبي المحضُ اللُّباب[2]
على قَـدَمِي ضعوا لِلَّيثِ رأسـاً أحـاذِرُ أن يُـعـفّـره الـتـراب
فـفـاضتْ نـفسُـه نـوراً عـليهـا ومـاج الجـوُّ ، وامتـدَّ الـعُبـاب
عُـبـابٌ تـنـطوِي الآفـاقُ فـيـهِ ويَغـرِقُ في جـوانِبـه السّحـاب
مَضى صُعُـداً عليه من الـدَّرارِي ومن بَـركـاتِ خـالقِـه حَبـاب[3]
تلقّتـه الـمـلائـكُ بـالتّحـايـا مُـنضّـرةً تُـحَـبُّ وَتـسُـتـطاب
وزُخـرِفَتِ الجِنـانُ : وقيـل: هـذا مـآبُـكَ ـ إنّـه نِـعَـمَ الـمـآب

---

(١) القرآن الكريم .
(٢) الخالص .
(٣) حباب الماء نفّاخاته وفقاقيعه وقيل الطلّ على النبات، وفي حديث صفة أهل الجنة يصير طعامهم إلى رشح مثل حباب المسك .

مُصعَبُ بن عُمَيـر
رَضِيَ اللهُ عنه

قاتل مصعب بن عمير رضي الله عنه قتالا شديداً في هذه الغزوة . وصنع الاعاجيب بين يدي رسول الله ﷺ يدافع عنه ويقيه بنفسه، ولما قطعت يده اليمنى فسقط اللواء وهو يجاهد المشركين أخذه بيده اليسرى وبقي يعمل بين يدي الله ويدي رسوله. فلما قطعت يده اليسرى وسقط اللواء جثا عليه وضمه بعضديه الى صدره ثم دأب على القتال حتى قتله عبد الله بن قمئة يظنه النبي ﷺ ثم رجع الى المشركين يقول: قتلت محمداً ، وذلك بعد أن أقبل على المسلمين وهو يقول: أين محمد لانجوت إن نجا . وفي رواية أن قاتل مصعب هو أبي بن خلف .

هو مُرتمَى الأبـطالِ، مالـك دُونه ... مُتـزحزَحٌ ، فـاصبر لـه يا مُصعَبُ

ولقـد صبرتَ تخـوضُ من أهوالـهِ ... مـالا يخوضُ الفـارسُ المُتلبِّب[1]

تَـرمِي بِنفسِكَ دُون نفسِ مُحمـدٍ ... وتقيه من بأسِ العِدَى ما تَـرهب

تبغي الفِدَاء ، وتلك سُنّةٌ من يرى ... أنّ الفـداءَ هـو الـذمـامُ الأوجب

دَعْ من يَعَضُّ على الحيـاةِ، فإنّـه ... غـاوٍ يُـضلِّل، أو دَعِـيٌّ يـكـذب

مـا اختـارَ نُصـرةَ دينِـه أو رأيـهِ ... من لا يـرى أن الفـداءَ المـذهب

مـا هـذه المُثُـلُ التي لا تَنتِهي ؟ ... هـذا هـو المَثـلُ الأَبَـرُّ الأطيب

طـاحَ الجهـادُ بـه شهيـداً صـادقـاً ... أوفـى بـعـهـدِ إلَـهِـه يـتـقـرَّب

---

(١) تلبب الرجل للحرب تحزم وتشمر .

إيمانُ حُرٍّ لا يُبالي كلّما ركبَ العظائِمَ أن يهول المركب

يرسو، وأهوالُ الوقائعِ عُصَّفٌ تذرو الفوارسَ، والمنايا وُثَّب[1]

إن يضربوه ففارسٌ ذو نجدةٍ ما انفكَّ يطعنُ في النُّحورِ وَيضرب

كم هاربٍ يخشى بَوادِرَ بأسِه ويخافُ منه مُشيَّعاً ما يَهرب

الموتُ في وثباتِهِ يَجرِي دماً والموتُ في نَظَراتِه يتلهّب

سقطت يَداهُ، وما يزالُ لواؤُه في صَدْرِهِ، يحنو عليه ويَحدِب

لو يَستطيعُ لَمدَّ من أهدابِه سَبباً يُشَدُّ به إليهِ ويُجذَب

يُمناه أم يُسراه أعظمُ حرمةً أم ساعداه وصدرُه والمنكب ؟

جارَى مَنِيتَّه ، فكلٌّ يرتمي في شأنه جَللاً ، وكلٌّ يدأب

حتّى دعاهُ اللهُ يرَحمُ نفسَه فأجاب يلتمسُ القرارَ ويطلب

إن كان ذلك من أعاجيبِ الوغَى فالبخلُ بالدَّمِ في المحارمِ أعجب

إنَّ امرأً كَرِهَ الجِهادَ فلم يَفُزْ بالموتِ في غَمراتِه لَمُخيَّب

---

(١) تذرو ترمي .

المؤمنون والمنافقون

لما ذهب ابن قمئة يقول إني قتلت محمداً جاء أبو سفيان إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد ان كان من أمره ما كان فقال، أنشدك الله يا عمر أقتلنا محمداً . قال عمر : لا وإنه ليسمع كلامك الآن ـ قال انت أصدق عندي من ابن قمئة وأبر .

قال قوم من المؤمنين إن كان محمد قد قتل أفلا تقاتلون على دين نبيكم وعلى ما كان عليه نبيكم حتى تلقوا الله شهداء ، وقال ثابت بن الدحداح رضي الله عنه ، يا معشر الأنصار إن كان محمد قد قتل فإن الله حي لا يموت ، قاتلوا على دينكم فإن الله مظفركم وناصركم ، وفي هؤلاء نزل قوله تعالى ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا﴾ .

هال بعض المؤمنين الأمر فظلوا حيارى ولكن الله ثبت قلوبهم وحفظ عليهم إيمانهم فلم يزلوا ولم يمسكوا عن القتال .

يقــول أبــو سُفيــانَ أودى مُحمــدٌ ... قتيلاً ، ويأبى الشيخُ إلا تماديا[1]
فلمــا أراد الحقَّ أقبــل ســائــلاً ... فأبدى له الفاروقُ مـا كان خـافيا
وقـال لـه: لا يَعْـلُ صـوتُـك إنّـه ... لَيسمعُـه مَن جـاءَ بـالحقّ هـاديـا
كذلك ظنّ القومُ إذ طاح مُصعَبٌ ... فراحوا سُكارى يُكثرون الـدعاويـا
وَريعتْ قلوبُ المؤمنين فـأجـفلوا ... يخافون من بعد النبيِّ الدواهيا[2]

(١) أودى هلك .

(٢) ريعت من الروع وهو الفزع ، وأجفل انزعج .

وزُلــزِلَ قــومٌ آخــرون فــأدبــروا سِراعاً يَجرُّون الظُّبَى والعـواليا[1]

يقـولـون : مـا نبغي وهـذا نبيُّنـا تـرَدَّى قتيـلًا ؟ ليتـه كـان بـاقيـا

فمـا أقبلوا حتّى انبرت أُمُّ أيمنٍ وقد جاوزَ الغيظُ الحشا والتراقيا[2]

تُـدافِعُهم غضبَى وتحثـو تـرابهـا تُعفِّــر منهـم أوجُهــاً ونــواصيــا

تقول: ارجعوا، ما بالمدينة منـزلٌ يُبــارِكُ منكم بعـد ذلــك ثـاويـا

أمِن ربِّكم يا قومُ تبغون مهربـاً ؟ فيـا ويحكم إذ تتَّقـون الأعــاديـا

ألا فانصروا الدِّينَ القويمَ وجاهدوا جِهـاداً يُرينـا مصرعَ الشِّـرك داميا

فَمن خاف منكم أن يعودَ إلى الوغى فذا مغزلي، وليعطني السَّيفَ ماضيا

لكِ الخيرُ، لو تدرينَ ما قال معتبٌ لأرسلتِ شُؤبوباً من الدمعِ هاميا[3]

جـزى الله ما قـدّمتِ يا أمَّ أيمنٍ من الخيرِ تقضِينَ الحُقوقَ الغواليا

تَطوفينَ بالجرحَى، تُواسِينَ شـاكياً يَمُجُّ دماً منهم، وتسقين صاديا[4]

---

(١) هؤلاء هم المنافقون الذين رجع بهم عبد الله بن أبي بن سلول إلى المدينة وكانوا ثلثمائة رجل، وكان جيش المسلمين كله في هذه الغزوة ألف رجل. وقد بقي من المنافقين قوم آخرون في أحد لم يتبعوا ابن أبي. قالت طائفة منهم ـ لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلناها هنا فنزلت ﴿قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم ـ الآية﴾ وقال بعضهم، لو كان نبياً ما قتل فارجعوا إلى دينكم الأول وفي ذلك أنزل الله ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ـ الآية) وقال جماعة ليت لنا رسولا إلى عبد الله بن أبي ليأخذ لنا أماناً من أبي سفيان، يا قوم إن محمداً قد قتل فارجعوا إلى قومكم قبل أن يأتوكم فيقتلوكم . والظبى السيوف، والعوالي الرماح .

(٢) لما رجع من رجع إلى المدينة لقيتهم أم أيمن حاضنة النبي ﷺ وجعلت تحثو التراب في وجوههم وتقول لبعضهم : هاك المغزل فاغزل به . وهلم سيفك ـ أي أعطنيه .

(٣) قيل إن معتب هذا هو الذي قال لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا . والشؤبوب الدفعة من المطر. وهاميا سائلا .

(٤) كانت أم أيمن من جملة نساء المؤمنين اللائي كن يسقين الجرحى في هذه الغزوة. وعدتهن أربع عشرة امرأة ، منهن عائشة وفاطمة بنت النبي ﷺ وأم سليم. وأم عمارة المازنية، يمج يسيل والصادي العطشان .

سعَى بك من إيمانِك الحقّ دائبٌ ... يَفوتُ المدى الأقصى إذا جدَّ ساعيا

عَجِبتُ لمن يَرميكِ ماذا بدا له ؟ ... أطاشتْ يداهُ ، أم رمى منك غازيا[1] ؟

ألم ير هنداً يرحم السّيفُ ضعفَها ... فَيَصدف عنها وافِرَ البرّ وافيا ؟[2]

تَــورَّعَ عنهــا مُؤمنٌ لـيس دينُــه ... كـدينِ حُباب إنّــه كـان غــاويـا

جَــزاهُ بهــا سعــدُ إساءَة ظـالمٍ ... فـأمسى رسولُ اللهِ جـذلانُ راضيا

وإذ أنـزل اللهُ النُّعَـاس فـأمسكت ... جـوانحُ لـولا اللّهُ ظلّتْ نـوازيـا[3]

كـذلك إيمـانُ النُّفوسِ إذا رَسَتْ ... قَـواعِـدُه أمستْ ثِقـالاً رواسيـا

يَنامُ الفتَى، والموتُ يلمس جَنبَـه ... ويَرجِعُ عنـه واهنَ الظّفـرِ واهيا[4]

يُجـانِبُــه حتّى إذا جــاءَ يَــومُــه ... فـأبعدُ شيءٍ أن يُـرَى منه نـاجيـا

فما اسطعتَ فاجعل مِن يقينك جُنَّةً ... كفى بيقينِ المـرءِ للمرءِ واقيـا[5]

* * *

---

(١) رماها حباب بن العرقة وهي تسقي الجرحى بسهم فأصابها فوقعت وانكشفت فأغرق في الضحك وشق ذلك على النبي ﷺ فدفع الى سعد بن أبي وقاص سهماً لا نصل له وقال ارم به فوقع السهم في نحر حباب فوقع مستلقياً حتى بدت عورته . فقال النبي ، استقاد لها سعد، اللهم استجب لسعد إذا دعاك فكان مجاب الدعوة .

(٢) هند زوج أبي سفيان ـ إشارة الى ما كان من أمر أبي دجانة معها حين أراد ضربها وهو يظنها رجلا فولولت فعرفها وعف عنها . ويصدف عنها يميل .

(٣) أنزل الله النعاس على المؤمنين تثبيتاً لهم﴿ ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ـ الآية ﴾ فهو خاص بالمؤمنين دون المنافقين، عن الزبير بن العوام رضي الله عنه قال: لقد رأيتني مع رسول الله ﷺ يوم أحد حين اشتد علينا الخوف وأرسل علينا النوم فما منا أحد إلا وذقنه في صدره . النوازي النوازع . او التي تثب .

(٤) وهن ووهى معناهما ضعف .

(٥) الجُنّة السترة والوقاء .

هَوتْ من عيونِ الهاجِعينَ سَناتُهـا ... ولاحتْ عُيونُ الحربِ حُمراً روانيا[1]
وهبَّ أميـرُ الغيـلِ يـدفـعُ دونـه ... ويُولِعُ بالفتكِ اللّيوثَ الضواريـا[2]
يُـزلـزِلُ أبـطالَ الكـريهـةِ مُقـدمـاً ... ويَصرعُهم في حَوْمَةِ البأسِ داميـا
توالت جراحـاتُ الكَتومِ فأسأرتْ ... بهم أثراً من ساطعِ الدّمِ باديا[3]
تضِنُّ بنجـواهـا، وتكتُم صـوتَهـا ... لِيَخْفى من الأسرارِ ما ليس خافيا
تـظلُّ شـظايـاهـا تَـطايَرُ حـولـه ... ولِلّرمْيِ الهُـوبُ يُواليـه حـاميـا[4]
هو القائد الميمونُ، ما خاض غمرةً ... فغـادرها حتَّى يَـرى الحقَّ عـاليـا
أبا طلحةَ انْظُر: كيف يرمِي ،وجارِهِ ... قضاءً على القومِ المناكيدِ جـاريا
ويا سعدُ لا ترفَقْ بقوسـك وَارْمِهَا ... سِهاماً أصابت من يدِ اللّهِ باريا[5]
ودونك فاضربْ يا سهيلُ نُحورَهم ... ودعني أصِفْ للنّاسِ تلك المرائيا[6]
وعينَك فَاحْمِـلْ يـا قتـادةُ عـائـذاً ... بمن لا ترى مِن دونه لك شافيـا [7]

---

(١) السنات جمع السنة النعاس، ورنا أدام النظر بسكون الطرف .

(٢) الرسول الأعظم ﷺ الليوث الضواري هي الأسد والمراد الشجعان من أصحابه، والغيل الأجمة وموضع الأسد .

(٣) الكتوم قوس النبيﷺ، وأسأرت بمعنى أبقت .

(٤) الألهوب الاجتهاد فيما هو الشأن . وهو من الفرس العدو حتى يثير الغبار أو يخرج من حافره نار، وقيل إنه جمع اللهب وهو الغبار الساطع .

(٥) سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ـ قال: أجلسني رسول الله ﷺأمامه فجعلت أرمي وأقول: اللهم سهمك فارم به عدوك ورسول الله يقول: اللهم استجب لسعد، اللهم سدد رميته وأجب دعوته، حتى اذا فرغت من كنانتي نثر ما في كنانته ـ قيل إن سعدا رمى في ذلك اليوم ألف سهم ورسول الله يقول له عند كل سهم: إرم فداك أبي وأمي، وكان الرسول يفتخر به ويقول: سعد خالي فليرني امرؤ خاله ـ كان من بني زهرة قوم أمه آمنة .

(٦) سهيل بن حنيف رضي الله عنه، بايع النبي على الموت في أحد وثبت معه حتى انكشف الناس عنه . وهو من المشهورين بالرماية .

(٧) قتادة بن النعمان الأوسي رضي الله عنه، قال: كنت أتقي السهام بوجهي دون وجهه ﷺ فكان آخرها سهما ندرت معه حدقتي فأخذتها بيدي وسعيت بها إليه فلما رآها في كفي =

ألا ليتني أدركتُ أُمَّ عمارةٍ ... فألثُم منها مَوطِىءَ النّعلِ جاثيا[1]
وأشهدُ من حولِ النبيِّ بلاءَها ... وأُنشِدُها في اللهِ هذي القوافيا
وأجعلُ من وجهِي وَقاءً لوجهها ... إذا ما رماها مُشرِكٌ من أماميا
ويا ليتَ أنّي قد حملتُ جِراحَها ... وكنتُ لها في المأزقِ الضّنكِ فاديا
تَفِيضُ على الجرحى حَناناً ، وتَصطلِي ... من الحربِ ما لا يَصطلي اللّيثُ عاديا

* * *

كذلك كان المسلمونَ وهذه ... سجايا اللواتي كنَّ فيهم دراريا
إذا الحادثاتُ السّودُ عَبَّ عُبابُها ... كَفَفنَ البلايا، أو كشفنَ الدياجيا[2]
مَناقِبُ للدنيا العريضةِ هِزَّةٌ ... إذا ذُكرتْ ، فَلْيَشدُ من كان شاديا
لها من معاني الخُلدِ كلُّ بديعةٍ ... فيا ليتَ قومي يفهمون المعانيا
وواسفي إن لم تَجِدْ من شُيوخِهم ... حَفِيظاً يُلقّاها، ولم تُلْفِ واعيا[3]
إذا ما رأيتَ الهدمَ للقومِ دَيْدَناً ... فوارحمتا فيهم لِمَنْ كان بانيا[4]

= دمعت عيناه وقال: اللهم قِ قتادة كما وقى وجه نبيك ، وردها إلى موضعها وقال: اللهم اجعلها أحسن عينيه وأحدهما فكانت لا ترمد إذا رمدت الأخرى .

(١) أم عمارة المازنية رضي الله عنها واسمها نسيبة زوج زيد بن عاصم رضي الله عنه، قالت: خرجت يوم أحد لأنظر ما يصنع الناس ومعي سقاء فيه ماء أسقي به الجرحى فانتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو في أصحابه والريح للمسلمين فلما انهزموا انحزت إليه فقمت أباشر القتال وأذب عنه بالسيف وأرمي عن القوس حتى جرحت، جرحت رضي الله عنها اثني عشر جرحا بين طعنة برمح، أو ضربة بسيف، ورؤ ي على عاتقها جرح أجوف له غور فقيل لها من أصابك بهذا: قالت ابن قمئة . لما ولى الناس عن رسول الله أقبل يقول دلوني على محمد فلا نجوت إن نجا فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير فضربني هذه الضربة وضربته ضربات ولكن عدو الله كان عليه درعان ، قال النبي ﷺ : ما التفت يمينا ولا شمالا يوم أحد إلا رأيتها تقاتل دوني .

(٢) عبَّ عبابها أي ارتفع موجها وتدّفق، والدياجي الظلمات .

(٣) ألفى وجد . (٤) ديدناً عادة وطبيعة .

عبد الله بن جحش

رضي الله عنه

هو من أعظم أبطال غزوة أحد ، استشهد فيها على يد أبي الحكم بن الأخنس بن شريق الذي قتل كافراً قبل انتهائها ، وكان عبد الله من جملة الشهداء الذين مثل بهم المشركون ونساؤهم ، ومن حديثه أنه دعا على نفسه قبل الغزوة،فقال اللهم ارزقني غداً رجلا شديدا بأسه فيقتلني ثم يأخذني فيجدع أنفي وأذني . فإذا لقيتك قلت يا عبد الله فيم جدع أنفك وأذنك فأقول فيك وفي رسولك فتقول صدقت (وهو ابن أميمة بنت عبد المطلب) .

أبشِرْ ، فذلك ما سألتَ قضاهُ ... رَبٌّ هداك ، فكنتَ عند هداهُ

آثرتَهُ ، وَرَضِيتَ بين عبادِهِ ... من صالحِ الأعمالِ ما يرضاهُ

قتلوكَ فيه تردُّهم عن دينه ... صَرْعَى . وتمنعُ أن يُبَاحَ حِماهُ

وَبَغَوْا عليكَ فعذَّبوا الجسَدَ الذي ... ما للكرامةِ والنّعيمِ سواهُ

هِيَ دعوةٌ لك ما بسطتَ بها يداً ... حتّى تقبّلَ واستجابَ اللّهُ

ولقد رأيتَ حِمَى الجهادِ فَصِفْ لنا ... ذاك الحمى القُدسِيَّ كيف تراهُ ؟

ماذا جَزَاكَ اللَّهُ من رِضوانِه ... وحَبَاكَ في الفردوسِ من نُعماهُ ؟

ماذا أعدَّ لكلِّ بَرٍّ مُتَّقٍ ... غَوَتِ النُّفوسُ فما أطاعَ هَوَاهُ ؟

أرأيتَ عبدَ اللّهِ كيف بَلغتَهُ ... شَرَفاً مَدَى الجوزاءِ دُونَ مداهُ ؟[1]

(١) الجوزاء نجم في السماء .

دَمُكَ المطهَّرُ لو أُتِيحَ لهالكٍ   أعيا الأُساةَ شفاؤُه لَشَفَاهُ[1]
صَوتٌ يُهيبُ بِكُلِّ شعبٍ غافلٍ   طوبى لمن رُزِقَ الهُدَى فوَعاهُ
مَعْنَى التفوّقِ في الحياةِ . فَمَن أبى   إلا الصُّدودَ فما درى مَعناهُ
الأمرُ رَهنُ الجِدِّ . ليس بنافعٍ   قَولُ الضَّعيفِ ، لعلّه وعَسَاهُ
تَشقَى النُّفوسُ ولا كشِقْوَةِ خاسرٍ   لا دِينَهُ اسْتَبقَى ولا دُنياهُ
والمرءُ يَرغبُ في الحياةِ وَطُولِهَا   حتّى يكونَ الموتُ جُلَّ مُناهُ

* * *

أُوتِيتَ نصراً يا محمدُ سَاطعاً   يبقَى على ظُلَمِ العصورِ سَناهُ[2]
لَكَ من دمِ الشُّهداءِ بأسٌ لم يَقُمْ   في الأرضِ دِينُكَ عالياً لولاهُ
ما تَنقَضِي لإمَامِ حقٍّ قُوَّةٌ   إلّا تَزِيدُ على الزّمانِ قُوَاهُ

* * *

---

(١) الأساة جمع آس وهو الطبيب .
(٢) السنا الضوء .

محمد رسول الله

هذا إمامُ الدينِ في أعلامهِ ... والدِّينُ مُعتصِمٌ ببأسِ إمامهِ

يَحمِي حقيقتَهُ بِقُوّةِ بطشِهِ ... ويصونُ بَيْضَتَهُ بحدِّ حُسامِهِ

شيخُ الجهادِ يَودُّ كلُّ مجاهدٍ ... لو كان يُدْعى في الوَغَى بِغُلَامِهِ

عالي اللّواءِ يُقيمُهُ بِحُدُودِهِ ... ويُبَيِّنُ المأثورَ من أحكامهِ

المُصلحونَ على الزّمانِ سُيُوفُهُ ... وجنودُه في حربهِ وسلامهِ

عَرِفُوا الجِهَادَ به ، ومنه تَعَلَّمُوا ... ما صَحَّ من دُستُورِهِ ونظامِهِ

غَضِبتْ قُرَيْشٌ أن جَفَا أصنامَها ... ووَفَى بعهدِ إلههِ وذِمَامِه

يغزو فوارِسَهم ويَقتُلُ جمعَهم ... حتّى يَدينَ مَرامهُم لمرامِهِ

ويرى المحجَّةَ كلُّ غاوٍ مِنهمُ ... فَيكفَّ عن طُغيانِهِ وعُرامِهِ

ويثوبَ جاهلُهُم إلى دينِ الهُدَى ... والنّورِ من دينِ العَمى وظلامِهِ

دلَفوا إليه ، وظَنَّ أكذبُهُم مُنىً ... أنْ قد سَقَتْهُ يداه كأسَ حِمامِهِ

أكذاكَ ينخدِعُ الغبيُّ وهكذا ... يَتَخَبَّطُ المفتونُ في أوهامِهِ ؟

* * *

مَهْلاً أبيُّ لقد ركبتَ عظيمةً ... وأردتَ صرحاً لستَ من هُدّامِهِ[1]

---

(١) أبي بن خلف، أقبل يقول أين محمد، لا نجوت إن نجا، فاعترضه رجال من المسلمين فامرهم النبيﷺ أن يخلوا طريقه وتناول حربة من بعض أصحابه (الحارث بن الصمة . أو الزبير بن العوام)فخدشهبها في عنقه خدشاً غير كبير احتقن الدم فقال قتلني والله محمد =

صَـرْحٌ بنـاه اللَّهُ أوّلَ مـا بـنى ... وأطـالَ من عِـرْنِينِـهِ وَسَنـامِـهِ
لا يبلُغُ البـاني ذُراه ، ولا يُـرى ... في الـدّاعِمِينَ بِناؤُه كـدِعامِـهِ
مَهـلاً أبيُّ فـإن جَهلتَ مكـانَـه ... فانهضْ إليه إن استطعتَ وَسَامِه
أقـدِمْ فخـذهـا طعنـةً من باسـلٍ ... يغتـالُ عـزمَ اللَّيثِ في إقـدامِـهِ
تلك المنيّـةُ يـا أبيُّ سُقِيتَهـا ... فانظرْ إلى السّاقِي ورَوعةِ جامِهِ[1]
خَدشٌ كوقعِ الظُّفْرِ ، أو هُوَ دونه ... لِمَ تشتكِي وتَضِـجُّ مـن آلامِـهِ ؟
أأُبَيُّ أين العـودُ والعَـلَفُ الـذي ... أعـددتَـهُ ، وجعلتـه لـطعـامِـهِ ؟
إذهبْ لـكَ الـويـلاتُ من مُتَمَـرِّدٍ ... عـادَى الإِلّـهَ ، ولـجَّ في آثـامـه
لَكَ من قتيلِ الكبشِ أشأمُ صاحبٍ ... يُلقِي إلى غُولِ الرَّدى بـزمامـهِ[2]
أخـذ النبيُّ بضـربـةٍ كـانت لـه ... حَتْفَـاً يُمَـزِّقُ لحـمَـهُ بعـظامِـهِ
ولِمَن تقـدَّمَ فـوقَ صهـوةِ عـاثـرٍ ... أشقَى وأخيبُ آخـذٍ بلجـامـهِ[3]

= فقالوا ، ذهب والله فؤادك - أو ذهب والله عقلك - إنك لتأخذ السهام من أضلاعك فترمي بها فما هذا ؟ والله ما بك من بأس ، إنما هو خدش لو كان بعين أحدنا ما ضره . فقال : واللات والعزى لو كان هذا الذي بي بأهل ذي المجاز- سوق من أسواق الجاهلية كان عند عرفة- أو لو كان بربيعة ومضر- أو بأهل الأرض لماتوا - كان يقول للنبي بمكة يا محمد إن عندي العود -يعني فرساً له - أعلفه كل يوم فرقا (مكيال يسع اثني عشر مداً) من ذرة سأقتلك عليه . كان أبي من أسارى بدر ثم أطلق -مات وهم قافلون به الى مكة بسرف -وقيل ببطن رابغ - لم يقتل النبي أحداً بيده الشريفة قبل أبي ولا بعده .

(١) الجام الكأس

(٢) هو ابن قمئة . خرج الى غنمه بعد الوقعة فوافاها على ذروة الجبل فأخذ يعترضها . وشد عليه كبشها فنطحه نطحة أداره بها من شاهق الجبل فتقطع -وفي رواية -فسلط الله عليه تيس جبل فلم يـزل ينطحه حتى جعله قطعة قطعة .

(٣) هو عثمان بن عبد لله بن المغيرة- أقبل على فرس أبلق وعليه لامة كاملة قاصداً رسول الله ﷺ وهو متوجه للشعب قائلا لا نجوت إن نجا ، فوقف الرسول الكريم وعثر بعثمان فرسه في إحدى الحفر فمشى إليه الحارث بن الصمة فقتله وأخذ درعه ومغفره . وأقبل عبيد الله بن جابر العامري يعدو فضربه الحارث فجرحه . واحتمله أصحابه فوثب أبو دجانة وذبحه .

هو في الحفيرةِ دُونَ حِصنِ مُحمدٍ جَثَمَ الحِمامُ عليه قبل قيامِهِ
ألقى القضاءُ عليه من أثقالِه متراميًا ينصبُّ في أجرامِهِ[1]
أرداه بابنِ الصِّمّةِ البطلِ الذي أعيا الرَّدى المحتالَ فَضُّ صِمامِهِ[2]
يغشاهُ سيفُ العامريِّ فينثني وَدَمُ الجريحِ يَبُلُّ حرَّ أُوامِهِ[3]
سَلمتْ يداكَ أبا دُجانةَ من فتىً وَسْمُ المنيّةِ من حِلَى صَمْصَامِهِ
أحسنتَ ذبحَ المشركينَ فأشبهوا ما يذبحُ الجزّارُ من أنعامِهِ
يا ويلَهم إذ يقذفون نبيَّهم بحجارةٍ تهوي هُويَّ سهامِهِ[4]
كسروا عَوَارِضَهُ وشجُّوا وجهَهُ من كلِّ غاوٍ جَدَّ في إجرامِهِ
يجري الدَّمُ المدرار من مُتهلّلٍ طلقِ المحيَّا في الوغَى بَسَّامِهِ
لا يعجبِ الكفّارُ من مَسفوحِهِ فلقد جَرَى من قبلُ في إلهامِهِ
ما ظَنُّهم باللَّهِ يُؤثِرُ عَبدَهُ بالبالغِ الموفورِ من إنعامِهِ؟
لن يستطيعَ سِوَى الضلالةِ مذهبًا مَن ليس بالمصروفِ عن أصنامِهِ

---

(١) جمع جرم بكسر الجيم، فهي بمعنى الأجسام الثقيلة.
(٢) صمام القارورة ونحوها سدادها، وهو هنا على الاستعارة.
(٣) الأوام العطش الشديد، وقيل هو حر العطش.
(٤) قذف النبي ﷺ بالحجارة حتى وقع لشقه، ورماه عتبة بن أبي وقاص أخو سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه بحجر فكسر رباعيته اليمنى والسفلى وشق شفته السفلى - ودعا عليه النبي فلم يحل الحول حتى قتل، ولم يولد لعتبة ولد أو ولد ولد إلا وهو اهتم (ساقط مقدم الأسنان) ووقع ﷺ في حفرة من الحفر التي عملها للمسلمين أبو عامر الفاسق والد حنظلة غسيل الملائكة رضي الله عنه فأغمي عليه وخدشت ركبتاه. وذلك حين علاه ابن قمئة بالسيف فأخذ علي بن أبي طالب بيده ورفعه طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائما. وكسرت البيضة (الخوذة) على رأسه ﷺ وشج وجهه الشريف وجرحت وجنتاه لدخول حلقتين في المغفر فيهما عندما ضربه ابن قمئة. ولما سال الدم من وجهه الشريف جعل يمسحه ويقول: كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم فأنزل الله تعالى ﴿ ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون ﴾.

لم يخـذلُوهُ ولم تَفُتْـهُ كـرامـةٌ هم عند نُصـرتِـهِ ، وفي إكـرامِـهِ
صَبْـرُ المشمِّرِ للجهـادِ على الأذَى خُلُقٌ يتمُّ المجـدُ عِندَ تمـامِـهِ
هـذا مَقَامُ محمـدٍ في قـومِـهِ هل لامرئٍ في الدهرِ مِثلُ مَقامِهِ ؟
الـقـادةُ الهـادونَ مـن أتبـاعـهِ والسّـادةُ البـانـون من خُـدَّامـهِ
اللّهُ أرسـله طـبـيـبـاً شافـيـاً للعـالَمِ الـوَحشيِّ من أسقـامِـه
الأمـرُ بانَ ، فـأين يلتمسُ الهـدى مَن ضـلّ بينَ حَـلاَلِـهِ وحـرامِـهِ ؟
ركبُ النبيّ إلى المـدينـةِ عـائـدٌ يَمشِي بـه جبريـلُ في أعلامـه[1]
يتـوسّطُ الجـرحَى تَسِيـلُ دمـاؤُهم فـوقَ الحصَى من خَلفِـهِ وأمـامـهِ
ويَمُـدُّ فـوق المؤمنـاتِ جَناحَـهُ يـقـضِـي لـهـنّ الحقَّ مـن إعـظامِـهِ
أَدَّيْنَ مَسنـونَ الجهـادِ ، وذُقْنَ في وَهَـجِ الجِلادِ الحقِّ حَـرَّ ضرامِـهِ
شَمتَ اليهـودُ وأرجفَ النَفرُ الأُلَى طَبَـعَ النِّفَـاقُ قلوبَهم بـختـامِـهِ
قـالوا : أُصيب مُحمـدٌ في نفسِهِ ورجـالِـهِ ، وأُصيبَ في أحـلامِـهِ
مـا تلك مَنـزلـةُ النبيِّ ، فـإنمـا يُؤتَى النبيُّ النَّصـرَ عِنـدَ صِـدَامِـهِ
جَلّتْ مَـطالبـهُ ، فـراحَ يُـريـدُهُ مُلكـاً يَـدومُ جَـلاَلُـهُ بـدوامِـهِ
لو أنّ قتلى الحربِ كـانوا عنـدنا مـا هـدَّ هـالكُهُم ذَوِي أرحـامِـهِ

---

(١) لما انتهت الواقعة ركب النبي ﷺ فرسه عائداً الى المدينة والمسلمون حوله. وكان أكثرهم جرحى فلما كانوا بأصل أحد قال لهم اصطفوا حتى أثني على ربي عز وجل فوقفوا صفوفاً ووقف النساء خلفهم وقال ـ اللهم لك الحمد كله. اللهم لا قابض لما بسطت . ولا باسط لما قبضت . ولا هادي لمن أضللت ، ولا مضل لمن هديت ، ولا معطي لما منعت ولا مانع لما أعطيت . ولا مقرب لما أبعدت . ولا مبعد لما قربت. ولما وصل المسلمون إلى المدينة أظهر اليهود والمنافقون الشماتة والسرور. وكان من سيء ما قالوا. ما محمد إلا طالب ملك ما أصيب بمثل هذا نبي قط ـ أصيب في بدنه وأصيب في أصحابه، لو كان الذين قتلوا عندنا ماقتلوا ،فقال عمر للنبي ، أتأذن لي في قتل هؤلاء المنافقين قال: أليس يقولون لا إله إلا الله محمد رسول الله . إني نهيت عن قتل المسلمين .

هـاجوا مِن الفـاروقِ غَضْبةَ واثِقٍ ... بـاللَّهِ ، لا يُصغِي إلـى لُـوَّامِـهِ

فـدعا : أيُتْـرَكُ رأسُ كـلِّ مُنـافِقٍ ... في القـومِ يُؤذينا بسـوءِ كلامـهِ ؟

قـال النَّبيّ : وكيف تَقتـلُ مُسْلِمـاً ... أفمـا تخـافُ اللَّهَ في إسـلامـهِ ؟

صلَّى عليـك اللَّهُ من مُتحـرِّجٍ ... جَمِّ الأنـاةِ يعفُّ عن ظَـلَّامِـهِ[1]

سمـحِ الشّريعـةِ والخلالِ مُسَـدَّدٍ ... في نَقضِـهِ لـلأمـرِ أو إبـرامـهِ

---

(١) تحرج جانب الحرج . وهو الإثم .

غزوة حمراء الأسد

هو مكان على ثمانية أميال من المدينة ، وكان الخروج إلى هذه الغزوة يوم الأحد سادس عشر شوال في السنة الثالثة من الهجرة ، على أثر رجوع المسلمين من غزوة أحد ، دعا إليها النبيّ ﷺ بعد صلاة الصبح ، وأمر ألا يخرج معه أحد ممن تخلف عن أحد وكانت جراحه وجراح الذين أصيبوا معه في هذه الغزوة لا تزال كما كانت ، فلم يتخلف أحد منهم ، وسبب الخروج إلى حمراء الأسد أن عبد اللّه بن عمرو المزني جاء إلى الرسول الكريم وأخبره أن أبا سفيان يريد الرجوع إلى المدينة بمن معه ليستأصل من بقي من أصحابه ، وأن المشركين يحرضونه على القتال ، ولما رجع معبد الخزاعي من عند النبي إلى أبي سفيان بالروحاء وصف له بأس المسلمين وقوة جيشهم ، ثم نهاه عن القتال ، فانصرف خائفاً إلى مكة .

أَقبِلُوا، أو فـاتّقـوا سُـوءَ المـردّ ... ربض المـوتُ بِحمـراءَ الأسـدْ[1]

غـاظكم أن لم تنـاولـوا مـأربـا ... فتمادَى الغيظُ ، واشتدَّ الحَسـدْ[2]

كيف ينجـو من رَمى من قـومكم ... كُـلَّ جبارٍ ، فـأمسى قـد هَمَـدْ ؟

لِمَ لا تُـزْجَى السبـايـا ، فَتُـرَى ... مُرْدَفاتٍ ، تَشتَكِي ، مما تَجِدْ[3] ؟

لا تـدعهـا يـا ابنَ حـربٍ جَـذوةً ... تتلظَّى مـن قـريشٍ في الـكَبِـدْ

---

(١) ربض أقام .

(٢) المأرب الحاجة .

(٣) المردفات المحمولات خلف الراكب .

يـا ابن حـربٍ أطفىء النّارَ التي ... شَـبَّـهـا أبـطالُ بَـدرٍ وأُحُـدْ[١]
كُـلُّ حـربٍ خمـدَتْ نِيـرَانُهـا ... منذُ حِينٍ ، وَهْيَ حَرَّى تَتَّقِدْ[٢]
لا تـطِعْ صَفْـوانَ وانبـذ رأيـه ... لا تُطِعْهُ مُرشداً يـأبى الرَّشَـد[٣]
إرجعـوا ، فـاستـأصلوا أعـداءكم ... تلك عِزُّ الدَّهـرِ ، أو مجدُ الأَبَـدْ
حـارِبـوا اللَّهَ ، وزيـدوا شَـطَطاً ... إنهـا فتـنتُـهُ فـي من جَـحَـدْ[٤]
حـاربـوه ، وانصـروا أصنـامكم ... لا تبالـوا من قُـواهُ مـا حَشَـدْ[٥]
يـا ابن عمـروٍ هـاتِ من أنبـائهـم ... ما رأت عيناك من هـزلٍ وَجِدّ[٦]
لـك أُذنٌ مـن رسـولِ اللَّهِ فـي ... حَـدِّ عَضبٍ يتَّقيه كـلُّ حَـدّ[٧]
شـاوَرَ الـصِّـديقَ فـيـهـم ودعـا ... يسألُ الفاروقَ ما الرأيُ الأسدّ ؟[٨]
إنّهـا الهيجـاءُ يـا خيرَ الـورى ... مـا لنا منهـا ، ولا للقومِ بُـدّ[٩]
إرفـعِ الصّـوتَ ، وأذِّنْ بِـالـوغَى ... يـا بـلالَ الخيـرِ أذِّنْ واقتصِـدْ[١٠]

---

(١) شبها أشعلها .
(٢) خمدت هدأت ، حرى ملتهبة .
(٣) هو صفوان بن أمية . نهى أبا سفيان ومن معه عن الحرب ، وقال : يا قوم لا تفعلوا فإني أخاف أن يجمع عليكم محمد من تخلف عن الخروج إلى أحد ، فارجعوا والدولة لكم ، إني لا آمن إن رجعتم أن تكون الدولة عليكم فلما بلغ ذلك رسول الله قال : أرشدهم صفوان وما كان برشيد .
(٤) الشطط الجور .
(٥) حشد : جمع .
(٦) قال عبد الله بن عمرو المزني للنبيّ : إنه سمع المشركين يقولون لأبي سفيان : لا محمداً ولا الكواعب أردفتم ، بئس ما صنعتم ارجعوا .
(٧) العضب السيف القاطع .
(٨) دعا النبي أبا بكر وعمر ، وحدثهما بما قال عبد الله بن عمرو ليعرف رأيهما ،فقالا يا رسول الله اطلب القوم ، لا يقتحمون على الذرية .
(٩) الهيجاء الحرب والورى الناس .
(١٠) أمر النبي بلالا أن يؤذن في المسلمين بالخروج للحرب ، وأن يقعد المتخلفون عن أحد .

أَدْعُ مَن خاض المنايا ، واصطَلى جُـذوةَ الأمسِ ، وأمسك لا تـزِدْ

* * *

نفـر القـومُ خِفـافـاً . مـا ونى مِنهُم الجرحَى، ولا استعفى أحدْ[1]
دعـوةُ الحقِّ ، استفـزَّتْ جـابـراً فـاستفـزَّتْ هِبْـرِزِيّـاً ذا لَبَـدْ[2]
جـاء يشكـو : كيف يُنْفَى دمـه وهـو لـلّه يُـربَّـى ويُـعَـدّ ؟
لـم أغِبْ عـن أُحُـدٍ لـولا أبي يـا رسـولَ اللّهِ والجَـدِّ النَّكِـدْ[3]
فـاز بـالـرضـوانِ إذ خـلَّفـنـي في قـواريـرَ كثيـراتِ العَـدَدْ[4]
ومـضَى قـبلي شـهيـداً ، فـأنـا أبتغِي الزُّلفَى لدى الفردِ الصَّمَدْ[5]
أنـعـمَ الـلّهُ عـليـهِ ، فـشـفَـى مـا يُعانِي من تباريحِ الكَمَـدْ[6]
سـار في الجيشِ ، وَخَلَّى هَمَّـهُ يَـصـطَلِيـهِ مـن تَـوَلَّـى وقَـعَـدْ

---

(۱) كان منهم الذي به تسع جراحات، وهو أسيد بن حضير، ومثله عقبة بن عامر، والذي به عشر، وهو خراش بن الصمة، والذي به بضع عشرة جراحة. وهو كعب بن مالك، وعشرون، وهو عبد الرحمن بن عوف، وبضع وسبعون، وهو طلحة بن عبيد الله الذي قطعت أصبعه ، فشلت بقية أصابع يده اليسرى، رضي الله عنهم ﴿ الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم ﴾. وونى ضعف .

(۲) جابر بن عبد الله . جاء إلى النبي ﷺ متهيئاً للخروج، ولم يكن قد شهد أحداً. فقال يا رسول الله إنما تخلفت عن أحد لأن أبي خلفني على سبع ـ وقيل تسع ـ أخوات لي، وقال يا بني إنه لا ينبغي لي ولا لك أن نترك هؤلاء النسوة لا رجل فيهن، ولست بالذي أوثرك بالجهاد مع رسول الله. لعل الله يرزقني الشهادة، فتخلف على إخواتك فبقيت فيهن، واستأثر هـو بالشهادة فائذن لي يا رسول الله ، فأذن له ولم يأذن لغيره من المتخلفين. والهبرزي الأسد. لبد جمع لبدة وهي شعر زبرة الأسد .

(۳) الجد النكد الحظ السيء .

(٤) القوارير كناية عن النساء .

(٥) الزلفى القربى .

(٦) يعاني يلاقي من آلام الحزن .

فُزتَ يا جابرُ فانعَمْ وابتهِجْ أفلحَ الوالدُ ، واستعلَى الوَلَدْ

* * *

ذهب السكبُ حثيثاً ، فانجرَدْ يحملُ البأسَ ، ترامَى فاطردْ[1]
يحملُ الويلَ لقومٍ غرَّهم مِن ذويهم كلُّ شيطانٍ مَرَدْ[2]
زعموا الحقَّ حديثاً يُفتَرَى ورضوا بالشرك دِيناً يُعتَقَدْ
وتمارَوا في النطاسيِّ الذي يُصلِحُ الأمرَ إذا الأمرُ فَسَدْ[3]
ساحرٌ آناً ، وآناً شاعرٌ ما رأوا من سحرِهِ ، ماذا قَصَدْ[4]
سَطَعَ النّورُ لمن يأبى العَمَى فعلى عينيهِ يَجني من يَصِدْ

* * *

من رأى الضَّعفَ على الضعْفِ انطوىَ فإذا القوةُ والعزمُ الأشدّ ؟
حملَ الجُرحَ على الجرحِ فَتىً مُوجَعُ الكاهلِ ، مهدودُ الكَتدْ[5]
إيهِ عبدَ اللّهِ أشهِدْ رافعاً غزوةَ الحمراءِ في القومِ الشُّهُدْ

---

(١) السكب اسم فرس من خيل الرسول خرج عليه في هذه الغزوة وعليه الدرع والمغفر، ولم يكن في الجيش يومئذ فرس سواه، وانجرد أسرع ومضى لا يلوي على شيء .

(٢) مرد بمعنى عتا وتكبر وجاوز الحد .

(٣) تمارى في الشيء شك. والنطاسي الطبيب والعالم والمراد به النبي صلوات الله وسلامه عليه .

(٤) هكذا كانوا يقولون، وقصد الشاعر واصل عمل القصائد .

(٥) الكتد مجتمع الكتفين أو الكاهل، أو هو ما بين الكاهل والظهر، والبيت وما بعده في عبد الله ورافع ابني سهيل بن رافع ، قال عبد الله ـ شهدت أحداً أنا وأخي فرجعنا جريحين، فلما أذن بالخروج إلى حمراء الأسد قال أخي . أتفوتنا هذه الغزوة وما كان لنا من دابة نركبها، فخرجنا وكنت أخف جراحاً منه ، فكنت أحمله مرة وأرسله أخرى ـ دعا لهما النبي لما انتهينا إليه وقال: إن طال بكما العمر كانت لكما مراكب من خيل وبغال وإبل .

أَلقِـهِ عن منكبٍ لـو مـاد مِن هضْب رِضْوَى كلُّ عالٍ لم يَمِدْ[1]
مـا لـحـقٍّ الـلّهِ إلاّ مُـؤمِـنٌ لا يُبَـالِي غيـرَهُ فيـمـا اعتـمـدْ
إيـهِ عـبـدَ اللّهِ مـا أصـدَقَـهـا هِـمّـةُ صَمَّـاءُ تـأبـى أن تُـهَـدّ
يـا أبـا سُفيـانَ أنصِتْ واستمِـعْ ثـم أنـصِـتْ واتَّئِـدْ ، ثـم اتّئِـدْ
إن تُـرِدْ خيـراً فـهـذا مَعبـدُ أَوَ لم يُنْبِئْـكَ أنّ الأمـرَ إدّ ؟[2]
جمـع الغـازي لكم من صحبِـهِ وذويـه كـلَّ صِنـدِيـدٍ نَجِـدْ[3]
أنظروا النّيرانَ : هـل تحصونها ؟ إنهـا شتى تـراءى من بُـعُـدْ[4]
واسـألـوهـا : إنّـهـا ألـسـنـة يا ابن حربٍ للمنايا الحمرِ لُدّ[5]
لا تُـريـدوا من بـريـدٍ غيـرهـا إنهـا من قـومكُمْ خيـر البُـرُدْ[6]
لا تـظنـوا أنـكـم أكـفـاؤُهـم إنّـهـا مـنـكـم لأحـلامُ شُـرُدْ
اذكـروا الأبـطالَ تَهـوِي ، واتّقـوا حاصِدَ الموتِ . كفاكم مَـا حَصَدْ

* * *

أرأيـتَ الـرُّعبَ يـغتـالُ الـقُـوَى مُـستبِـدّاً بـالعتيِّ الـمستبِـدّ ؟

---

(١) ماد اضطرب ورضوى اسم جبل .

(٢) كانت خزاعة موالية للرسول الكريم ، فلما أصاب المسلمين ما أصابهم في غزوة أحد جاءه معبد الخزاعي وقال: يا محمد والله لقد عز علينا ما أصابك في نفسك، وما أصابك في أصحابك. ولوددنا لو أن الله تعالى أعلى كعبك. وان المصيبة كانت لغيرك ، ثم مضى إلى أبي سفيان فقال: تركت محمداً وأصحابه قد خرجوا لطلبكم في جمع لم أر مثله قط. يتحرقون عليكم تحرقاً، وأطال في ذلك تخويفاً له ولمن معه، ثم نهاهم عن القتال فانتهوا. الإد الأمر الفظيع والداهية .

(٣) النجد الشجاع الماضي .

(٤) كان المسلمون يوقدون كل ليلة خمسمائة نار ليظن العدو أنّهم كثيرو العدد. وكانوا دون السبعمائة رجل .

(٥) من اللدد وهو شدة الخصومة .

(٦) جمع بريد .

رجع القوم سِراعاً، وارعوى عاصفُ الشّرِّ، فأمسى قد رَكَدْ
وتولّوا فتولّت أنفسٌ تَتنزّى، وقلوبٌ ترتعد
يقذف الوادي بهم قَذْفَ الحصى تبلغُ الريحُ بهِ أقصى الأمدْ
غارةُ اللّهِ على أعدائِهِ تتوالى مَدَداً بعد مَدَدْ
سوّم الأحجارَ، لو صُبّتْ على ذلك الجمعِ المُوَلّى لم يَعُد[1]

* * *

يا أبا عزّةَ ماذا تَتّقِي؟ يا أبا عزّةَ أقْبِلْ، لا تَحِدْ[2]
أين تمضي؟ كلُّ شيءٍ مَصرعٌ كلُّ فجٍ من فجاجِ الأرضِ سَدّ
هل رعى السّيفُ دماً من عابثٍ ناكثٍ من كل عهدٍ ما عَقَد؟
تطلب العفوَ، وتهذي ضارعاً بِبُنَيّاتٍ ضَعيفاتِ الجَلَدْ[3]
أوَ لمْ يمنن عليك المرتجى لذوي الضعف، فأكثرت الفَنَد؟[4]
تَنظمُ الشعرَ مُلِحّاً حَرِداً وَيْكَ خُذها ضربةً تشفي الحَرَد[5]

* * *

(١) ارسل ابو سفيان الى النبي يقول أنهم أجمعوا على الرجعة، فقال حسبنا الله ونعم الوكيل، والذي نفسي بيده لقد سومت لهم الحجارة. ولو رجعوا لكانوا كأمس الذاهب، وسوم الشيء جعل له علامة.

(٢) أبو عزة الشاعر الذي من عليه النبي وهو أسير ببدر فأطلقه بغير فداء رحمة ببناته وقد كان عاهده أن لا يقاتله، ولا يظاهر عليه أحداً، فينقض العهد، وخرج مع المشركين في غزوة أحد يستنفر الناس ويحرضهم على قتال النبي ـ وقع أسيراً في هذه الغزوة، فقال للنبي أمنن علي ودعني لبناتي. وعهدي لك ألا اعود لمثل ما فعلت، قال ـ لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين، وأمر بقتله.

(٣) الصبر والقوة.

(٤) الفند الكذب والكفر بالنعمة.

(٥) الحرد الغضب وويك أي ويلك.

وثب العـدلُ ، يُـوالِي صَيْـدَهُ ... وهـو ظُلمٌ فاتِـكٌ إن لم يَصِـدْ
أخـذ الـذئـبيـنِ فـي أنيابِـهِ ... مـا يُبـالي منهمـا مـا يزدرد[1]
لا تعـودوا من صـريعي شقـوةٍ ... وليعـد من كـل حيٍ من سعـد
مُـوغِـلٌ في الشّـرِ يسعى دائبـاً ... وحَقـودٌ لـو تَـزكّى مـا حقـد
جـاهـليٌّ زلَّ فـي إسـلامـهِ ... فَهَـوَى من بعد مـا كـان صعد
أخـطأتـه خُـطوةٌ ، كـانت لـه ... حُـظوةَ السّاعِي ، وفـوزَ المجتهـد
إحـذِر العقبى ، فما يَـدرِي الفتى ... أيَّ وِردٍ إن دعـا الـداعي يَـرِدْ

* * *

ابتـدر يـا سعـدُ فـالـزّادُ نَفَـدْ ... واصـطناعُ الخيْـرِ أشهى ما تَـودّ[2]
إبعثِ التـمـرَ على العيـرِ لهـا ... من سجـايـاك العُلَى حـادٍ غَـرِدْ
تحمـل التقوى ، وتمضي سمحةً ... في سِـويً ليس فيـه من أَوَد[3]
مُـوقِـرَاتٍ أقبـلتْ فـي جُـزُرٍ ... تَـطردُ العُسْـرَ بِيُسْـرٍ ورَغَـد[4]
ردّتِ الجـوعَ ، وصـانت أنفسـاً ... هِـيَ لِـلّهِ سُـيُـوفٌ مـا تُـرَدّ
لـك يـا سعـدُ لـديـهِ ولـهـا ... من جزاءٍ غيرِ نَزْرٍ ما وعـد[5]

---

(١) معاوية بن المغيرة بن أبي العاص . جد عبد الملك بن مروان لأمه، وابن عم عثمان بن عفان والحارث بن سويد ـ أمر النبي بقتل معاوية بعد رجوعه الى المدينة لانه كان يتتبع اخباره ويلقي بها إلى المشركين، وكان عثمان شفع له قبل ذلك، وأمر بقتل الحارث (وكان مسلماً) لقتله المجذر بن زياد غدراً في غزوة أحد وكان المجذر قبل إسلامه قتل أبا الحارث بأبيه .

(٢) سعد بن عبادة . ساق إلى المسلمين في هذه الغزوة ثلاثين بعيراً تحمل تمراً من عنده، وبعث معها جزراً فنحروها وأكلوا منها .

(٣) الأود الإعوجاج ، والسوى الاستواء والانصاف والعدل .

(٤) موقرات محملات والجزر جمع جزور ما يذبح من الأنعام، والرغد العيش الهانىء .

(٥) غير نزر غير قليل .

غزوة بني النّضير

كانت هذه الغزوة في ربيع الأول من السنة الرابعة ، وبنو النضير قوم من اليهود، نقضوا العهد، وذهب إليهم النبيّ ﷺ في أصحابه فجلس إلى جنب جدار من بيوتهم ، فخلا بعضهم ببعض يأتمرون به ، وأراد رجل منهم يقال له عمرو بن جحاش أن يلقي عليه صخرة من أعلى الجدار ليقتله ، فنبأه الله بذلك، فقام من مكانه، وقد انتهت هذه الغزوة بقهرهم، وإجلائهم عن ديارهم .

ما الكيدُ ، ما الغدرُ ، ما هذي الأباطيلُ ؟	الجيشُ مُحتشِـدٌ والسّيف مَـسلولُ
بَني النّضيـرِ ومـا تُغني مَعـاقِلُكم	كُفّوا الأذى ودعوا العُدوانَ، أو زولوا
إنّ القتيـلَ لمن غـرّته صَخـرتُـه	فَـظنَّ أنّ رسـولَ اللهِ مقتـول[1]
جـاء البـريـدُ بهـا حـرَّانَ يحملُه	من رحمةِ المَلِكَ القُدُّوسِ جبريل[2]
ما أكذبَ ابنَ أُبيٍّ ، إذ يقولُ لكم	لا تتّقوا القومَ، إنّ النصرَ مكفول[3]

---

(١) أسلم من اليهود رجلان في هذه الغزوة، أبو سعد بن وهب، ويا مين بن عمير فجعل هذا الرجل عشرة دنانير من ماله على أن يقتل عمرو بن جحاش غضباً لرسول الله ﷺ فقتله .

(٢) الضمير عائد على الصخرة . أي بأمرها ، فإن الله أنبأ نبيه على لسان جبريل .

(٣) عبد الله بن أبي بن سلول، أرسل إليهم يقول: لا تخرجوا من دياركم، وأقيموا في حصونكم، فإن معي ألفين من قومي وغيرهم من العرب. يدخلون حصونكم ويموتون عن آخرهم قبل أن يوصل إليكم، وتمدكم قريظة وحلفاؤكم من غطفان ، فطمع بنو النضير ، وأرسلوا إلى النبي أنهم يريدون القتال .

أولاكمُ النُّصح سلّامٌ وأرشدكم ... لو أنّ نُصحَ ذوِي الألباب مقبولُ[1]

مَهلاً حُيَيُّ أما تنهاك ناهيةٌ ... عمّا أردتَ، ولا يهديك مَعقولُ ؟

لا الحلفُ حقٌّ ، ولا الأنصارُ إن صدقوا ... يغنون عنكم، وأنّى يصدقُ القِيلُ؟

بنو قريظَة هدّ الخوفُ جانبَهم ... والقومُ من غَطفانٍ غالهم غُول

إنّ الأُلَى جمع الليثُ الهصورُ لكم ... لَهمُ الحُماةُ إذا ما استصرخَ الغيل

أتطلبون دمَ الإسلام ؟؟ لا حَكَمٌ ... إلّا السُّيوف، ويقضِي الأمرَ عزريل

هل يَنفعُ القومَ إن أزرى بهم قِصَرٌ ... عن مركب البأسِ آطامٌ بهاطول ؟[2]

ملُّوا الحياةَ، وملّتهم معاقلُهم ... كلٌّ بغيضٌ ، وكلٌّ بعدُ مملول[3]

يدعو كنانةُ محزوناً وصاحبه ... زال الخفاءُ ، وبعضُ القولِ تضليل[4]

يا قومنا : أرأيتم كيف يُخلفكم ... من كلّ ذي مِقَةٍ وعدٌ ومأمول[5]؟

دَعُوا الحصونَ، وزُولوا عن مساكنِكم ... حُمَّ القضاءُ ، وأمرُ اللّهِ مفعول[6]

قَضَى النبيُّ فما من دونِ مطلبهِ ... وسُولهِ مَطلبٌ للقومِ أوسُول[7]

وليس للأمرِ إذ يُقضَى على يدِه ... بالحقِّ من ربّهِ ردٌّ وتحويل

* * *

(١) سلام بن مشكم أحد سادات اليهود، نهاهم عن الحرب . وقال لحيي بن أخطب كبيرهم منتك نفسك والله يا حيي الباطل فإن قول ابن أبي ليس بشيء، وإنما يريد أن يورطك في الهلكة، حتى تحارب محمداً. فيجلس في بيته ويتركك .

(٢) الآطام : الحصون .

(٣) طال عليهم الحصار في حصونهم، فاشتد الأمر عليهم .

(٤) كنانة بن صوريا، وسلام بن مشكم، لما اشتد الأمر على القوم ولم يروا من ينجدهم . جعلا يقولان لحيي بن أخطب: أين نصر ابن أبي الذي زعمت ؟ فيقول: ماذا أصنع ؟ إنما هي ملحمة كتبت علينا .

(٥) المقة: الحب . (٦) حم القضاء: نزل .

(٧) أمرهم النبي بالجلاء، وأن يأخذوا النساء والذراري والأموال، لا يحملون من سلاحهم شيئاً .

تلفتـوا ، ينـظرون الـدورَ شـاهقـةً ... من حولها النخلُ ، تحنيها العثاكيل[1]
والمـاءُ ينسـابُ، والأظـلالُ وارفـةٌ ... والزرعُ في شطئِه بالزرعِ موصول[2]
قـالـوا: أيـذهبُ هـذا كلُّه سَلَبـاً ... للقومِ من بعدنا ؟؟ تلك العقابيل[3]
وأقبلوا يهـدمون الـدُّورَ، فاختلفتْ ... فيهـا المعـاولُ شتّى والأزامـيل[4]
لهـا على الكُرهِ في أرجـائِها لغـةٌ ... كمـا تَـردَّدَ في الأسمـاعِ تـرتيـل
الـرُّوحُ يهتفُ، والإسـلامُ مُبتهِـجٌ ... والكفرُ في صَعَقاتِ الهولِ مخبول

* * *

يـا للركـائِب إذ تمشي مُـذَّممـةً ... والقومُ من فوقِهـا سُودٌ معـازيل[5]
العـزُّ في عَرَصـاتِ الـدّورِ مُـطَّرَحٌ ... والمال والْحَلي في الأكوارِ محمول[6]
قالوا: الرحيل، فما أصغت مُثَقَّفةٌ ... ولا استجابَ طريرُ الحَدِّ مصقول[7]
نـادَى المُـوكَّـلُ بـالأدنى يُعلِلُهم ... وفي الأبـاطيلِ للجُهّـالِ تعليل[8]
هذا الذي يَرفعُ الـدنيا ويَخفِضُهـا ... هيهـاتَـ ذلـك إرجـافٌ وتهـويـل

---

(١) العثاكيل للنخل بمنزلة العناقيد للعنب، والشاهقة العالية .
(٢) الشطء فراخ الزرع أو ورقه .
(٣) العقابيل: ما ثبت من بقايا الداء فلم يزل .
(٤) جعلوا يهدمون الدور قبل جلائهم، ويأخذون من خشبها وحديدها ما يقدرون على حمله، والأزاميل جمع أزميل، آلة من الحديد ينقر بها الخشب والحجر .
(٥) لا سلاح معهم .
(٦) جمع عرصة وهي ساحة الدار والأكوار جمع كور وهو الرحل .
(٧) إشارة إلى تركهم السلاح. والمثقفة الرماح المقومة . والطرير الحد من السيوف وغيرها الماضي .
(٨) هو سلام بن أبي الحقيق أحد كبارهم، ذهب يحمل أموالهم وحليهم في جلد جمل ـ وقيل جلد ثور ـ ويقول: إنا أعددنا هذا لرفع الأرض وخفضها .

مَواكبُ العارِ، لا وسمُ الهوانِ بها | خافٍ، ولا أثرُ الخذلانِ مجهول[1]
ما في الهوادجِ ، والديباجُ يملؤها | لِلخزيِ ملءَ وجوهِ القومِ تبديل
ومـا الأساوِرُ والأقـراطُ نـافعـةٌ | ولا العقـودُ الغـوالِي والخـلاخيـل
تشـدو القِيَانُ، بـأيـديها مَعـازِفُهـا | ومـا عليهـا غَـداةَ الجِـدِّ تعـويـلُ
تجلَّدوا، يتّقـون الشـامتِـينَ بـهم | لبئسمـا زَعمَ القـومُ المهـازيـل
فِيمَ الشماتةُ، هل كانوا ذَوِي خَطَرٍ؟ | بـل غـالَ أحـلامَهم ظَنٌّ وتخييـل
لـهـم بِـخَـيْـبَـرَ أقـدارٌ مُـؤجّـلةٌ | وأذرعـاتٍ ولـلأقـدارِ تـأجيـل[2]

* * *

أدرَكتَها يا ابنَ وهبٍ نعمةً نَصرتْ | في القوم جدَّك . والمغرورُ مخذول[3]
تلك الـوسيلةُ، من تعلَقْ بها يَـدُه | لم يَعْـدُه من عـطاءِ الله تنـويـل
وأنت يـا ابنَ عُمَيرٍ زِدتَ مَـرتبـةً | وللمـراتِب عنـد اللهِ تفضيـل[4]
أنكـرَت فِعلَة عمروٍ حين همّ بهـا | فـالنّفسُ غاضبـةٌ ، والمالُ مبـذول
رَمَيْتَـهُ من بنـي قيسٍ بمُقتنِـصٍ | يمشي الضِّرَاءَ، فأمسى وهو مأكول
أتلك إذ صدقت يا عمرو، أم حَجَرٌ | يرمِي به الصادقَ المأمونَ إجفيل[5] ؟

---

(١) خرجت النساء في الهوادج عليهن الديباج والحرير، وقطف الخز الأخضر والأحمر والحلي من الذهب والفضة، وخلفهن القيان بالدفوف والمزامير ، يتقين الشماتة .

(٢) ذهب بعضهم الى خيبر وبعضهم الى أذرعات من بلاد الشام، والمعنى أنهم مدركون في هذه وتلك إذا حان يومهم .

(٣) أبو سعد بن وهب الذي هداه الله للاسلام .

(٤) صاحبه يامين .

(٥) الإجفيل: الجبان .

غزوة ذات الرّقاع

اختلفت الروايات في شأن هذه الغزوة، فقيل: إنها كانت في شهر ربيع الثاني، وقيل: في جمادى الأولى من السنة الرابعة بعد غزوة بني النضير، وفي بعض الروايات انها كانت بعد غزوة خيبر، وقيل في تسميتها « ذات الرقاع » إن المسلمين نقبت أقدامهم وسقطت أظفارهم فيها، فلفوها بالخرق، فسموها ذات الرقاع. وقيل: انها سميت كذلك لأنهم رقعوا راياتهم فيها. وقيل غير ذلك. وسببها أن النبيّ ﷺ علم أن بني محارب وبني ثعلبة «بنجد» يؤلّبون الجموع من غطفان لمحاربته، فخرج إليهم في أربعمائة، أو سبعمائة، أو ثمانمائة من أصحابه. فلما بلغ نجداً لم يجد رجالا يقدمون على حربه، وهمّت طائفة منهم أن يوقعوا بالمسلمين عند صلاة الظهر، فصلّى النبيّ بهم صلاة الخوف، وترقّبوا صلاة العصر فكانت كذلك(وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ودّ الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ـ الآية) ولم تنشب الحرب في هذه الغزوة التي وقع فيها من العجائب ما جعلهم يسمونها (غزوة العجائب) وقد وجد المسلمون بعض النسوة فأخذوهن.

إلى القومِ الألى جمعوا الجموعا ... إلى نَجدٍ كفَى نجداً هُجوعا[1]

---

(١) الهجوع النوم.

أبتْ شمسُ الهدى إلاّ طُلوعا ... ففاضَ شُعاعُها، يغشى الرُّبوعا[1]
ويسطعُ في جوانِبها سُطوعا
إلى غطفانَ إنّهم استعدُّوا ... وظنَّ غُواتُهم أن لن يُهدُّوا
بَني غطفانَ جِدُّوا ثم جِدُّوا ... جَرى القَدرُ المُتاحُ، فلا مردُّ
بني غطفانَ صَبراً أو هُلوعا[2]
مشى جُندُ النبيِّ فأيُّ جندِ؟ ... وأين مضى الألى كانوا بِنَجْدِ؟
تولَّى القومُ حَشْداً بعد حشدِ ... حَذارِ البطشَ من جِنٍّ وأُسْدِ
ومن ذا يشتهي الموتَ الفظيعا؟
نساءَ الحيِّ، ما صنعَ الرجالُ؟ ... أمكتوبٌ عليكنّ القتالُ؟
لَكُنَّ الأمنُ إن فزعوا فزالوا ... أما ومحمدٌ وهو الثِّمالُ[3]
لقد نلتنَّهُ حِرزاً منيعا
إليهِ إليهِ، إنّ بكنَّ ضعفا ... وإنّ بهِ لمرحمةً وعطفا
وفيه من التُّقى ما ليس يَخفى ... وما حاولتُ ترجمةً ووصفا
فلستُ لمثلِ ذلك مُستطيعا
نزيلَ الشِّعبِ من يحمِي سواكا ... ولكن قل: تَبارَكَ من هداكا[4]

---

(١) الربوع الاماكن .

(٢) الهلوع الجزع .

(٣) الثمال الغياث الذي يقوم بأمر قومه .

(٤) نزل النبي ليلا في شعب وقال: من يكلؤنا الليلة . فقال عباد بن بشر وعمار بن ياسر: نحن يا رسول الله . وقال عباد لعمار: أنا أكفيك أول الليل، وتكفيني أنت آخره، فنام عمار وجاء زوج إحدى النسوة اللاتي أصابهن المسلمون، وكان قد أقسم ألا يرجع حتى يصيب النبي أو يهريق دماً في أصحابه، فرمى عباداً بالسهام، وكان يصلي، فجعل ينزع السهم بعد السهم من جسمه من غير أن يقطع صلاته ، فلما غلبه الدم أيقظ عماراً ، ورآه الرجل فهرب .

أترقدُ هاهنا، وهمو هناكا ؟ أما مِن كالىءٍ يُرجَى لذاكا[1]
إلى أن يبعثَ اللهُ الصَّديعا ؟[2]

ألا طُوبى لعبّادِ بن بشرِ وعَمّارٍ كفايةِ كلِّ أمرِ
رسولَ اللهِ نحن لهم ويَجري قضاءُ اللهِ إن طرقوا بِشرٍّ
كعهدِكَ إذ جرى سُمًّا نقيعا[3]

وأجرَى الأمرَ عَبّادُ سويا فقامَ، ونامَ صاحبُه مَلِيًّا
وكان بأن يُناصِفَه حَرِيّا مُحافظةً على المثلى وبُقيا
قَرِيعُ شدائدٍ وافى قريعا[4]

لِرَبِّكَ صلِّ يا عبّادُ فردا وَزِدْ آلاءَهُ شُكراً وحمدا
ومُحكَمُ ذكرهِ فاجعلْهُ وِردا فإنّ له على الأكبادِ بَردا[5]
وإنْ أذكى الجوانحَ والضُّلوعا

ولاح سوادهُ ، فرماهُ رامِ أتى إثْرَ الحليلةِ في الظلامِ[6]
فَديتُك يا ابن بشرٍ من هُمامِ أما تنفكُّ عن نزعِ السِّهامِ ؟
تُحامِي عن صلاتِكَ ما تُحامِي وجسمُك واهنُ الأعضاءِ دامِ ؟
أمالكَ يا ابن بشرٍ في السّلامِ وقد جَرَتِ الدّماءُ على الرغامِ ؟[7]

---

(١) الكالىء الحافظ والحارس .
(٢) الصديع الصبح .
(٣) أي كما عهدت في مواطن البلاء .
(٤) القريع الغالب في المقارعة . والفحل والمختار من الرجال، ونام مليّا اي قطعة من الليل ما بين أوله إلى ثلثه .
(٥) الورد الجزء من القرآن يقوم به الانسان كل ليلة .
(٦) الحليلة الزوجة، وسواده شخصه .
(٧) الرغام التراب .

ألا أيقِظْ أخاك من المنامِ كفاكَ فقد بَلغتَ مدى التمامِ

وما تَدَعُ القُنوتَ ولا الخشوعا

رأى عمّارُ خَطبكَ حين هبّا فلم يرَ مِثلَهُ من قبلُ خطبا[١]

يقولُ وَنفسُه تنهدُّ كربا أيدعوني الحِفاظُ ، وأنت تأبى ؟

لقد كُلِّفتُ أمراً منك صعبا ولو أيقظتني لَشفيتَ قلبا

جرحتَ سوادَه جُرحاً وجيعا[٢]

وأبصرَ شخصَه الرامي الملحُّ فزلزلَ قلبَهُ للرُّعبِ نَضْحُ[٣]

وأمسك منه تَهتانٌ وسحٌّ وما إن راعه سَيفٌ ورُمْحِ

ولكنْ مسّه خَبَلٌ فَريعا

تولّى يخبط الظلماءَ ذُعرا ويحسب دِرعَهُ كَفَناً وقبرا

ألا أدبِرْ ،جزاك الله شرّا ظَفِرتَ بصابرٍ، وأبيت صبرا

فآثرتَ الهزيمة والرجوعا

وجاء غُويرِثٌ يبغي الرسولا ويطمَعُ أن يُغادِرَهُ قتيلا[٤]

---

(١) قال عمار لعباد حين أيقظه ورأى ما به : أي أخي . ما منعك أن توقظني له في أول سهم رمى به ؟ قال : كنت أقرأ في سورة الكهف فكرهت أن أقطعها، ولولا أني خشيت أن أضيع ثغراً أمرني به رسول الله ﷺ ما انصرفت ولو أتى على نفسي .

(٢) سواد القلب حبّته .

(٣) لما أبصر الرجل عماراً انقلب خائفاً، والنضح الرمي بالنبل .

(٤) جاء رجل إلى النبي اسمه غويرث أو غورث ـ وقد اعتمدنا الأول ـ يريد قتله. وقد وعد قومه بذلك. ورأى سيف النبي في حجره فقال له : ارني أنظر إلى سيفك هذا، وأخذه من حجره فاستله وجعل يهزه ويهم به فيكبته الله « يخزيه » ثم قال : يا محمد أما تخافني ؟ قال : بل يمنعني الله منك . ثم دفع السيف إليه فأخذه وقال : من يمنعك مني ؟ قال : كن خير آخذ، قال النبي : أتشهد أن لا إلّه إلا الله وأني رسول الله ؟ قال : أعاهدك على أني لا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك . فخلي سبيله . وجاء غويرث قومه فقال : جئتكم من عند خير الناس، ثم أسلم بعد وكانت له صحبة .

كـذلـك قـال، يستهـوي القبيـلا غُـوَيـرِثُ رُمْتَ أمـراً مستحيـلا
فهل لك أن تثوبَ وأن تريعا[1] ؟
أتيتَ مُحمـداً تُبـدِي السَّـلامـا وتُخفِي الغيظَ يضـطرمُ اضـطرامـا
تقـول مُخـاتِـلاً ـ أرِني الحُسَـامـا وتـأخـذُه ، فـلا تَـرعَى الـذمـامـا
أغـدراً ؟ يـا لـه خُلُقـاً وضيعـا
تهمُّ بـه ، ولستَ بـمسـتـطيـعِ فأين مَضارِبُ السّيفِ الصنيعِ ؟[2]
وكيف وَهَتْ قُوى البطلِ الضليعِ ؟ تـعـالـى اللّهُ مـن مَـلِكٍ رفـيـعِ
يُريك جلاله الصُّنعَ البديعا
سـألتَ رسـولـه: أفمـا تخـافُ وسيفُكَ في يَدِي موتٌ ذُعافُ ؟[3]
أراكَ مـن الـمـواردِ مـا يُعـافُ فـلا فَـرَقُ عـراكَ ولا ارتجـافُ
فيا لكِ كَرّةً خسرتْ جميعا
فـقـال مـحـمـدُ ربّي يقـيـنـي ويَمنـعُ مُهجتي، ويصـونُ ديني
وصـارِمَـه تَـلقَّى بـالـيـمـينِ ألا بُـوركـتَ مـن هـادٍ أمـينِ
تَردُّ أناتُه الحُلْمَ النزيعا[4]
أخذتَ السّيفَ لو تبغِي القَصاصا لمـا وَجَـد المُسِيءُ إذاً مناصـا[5]
تقـوله لـه: بمن ترجـو الخلاصـا إذا أنــا لـم أُرِدْ إلا اقـتـنـاصـا
فلن تجد الوليَّ ولا الشفيعا ؟
يقـول غـويـرثٌ كن ِخيـرَ مـولى وأنـتَ أحقُّ بـالـحـسـنى وأولـى

(١) تثوب وتريع بمعنى ترجع .
(٢) السيف الصنيع المجرب الصقيل .
(٣) الموت الذعاف السريع العاجل .
(٤) الأناة الوقار والحِلم، والحُلم النزيع البعيد التحقيق .
(٥) المناص المنجى والملجأ والمفرّ .

فقال له: أتؤمِنُ قال كلاّ ولكنّي أُعاهِدُ، ثم ولّى
وديـنُ اللهِ يَطلبُه سريعا

وحدّثَ قومَهُ: يا قومِ إني بخيرِ النّاسِ قد أحسنتُ ظنّي
رأيتُ خِلالَه، فرجعتُ أُثني عليه، وقد مضى الميثاقُ منّي
فلستُ لمن يُناوِئه تبيعا

أعزَّ اللهُ شيخَ الأنبياءِ وأيّدهُ بآياتٍ وضاءِ
ألم تخبره تَرجمةُ الرغاءِ بما يَجِدُ البعيرُ من البلاءِ ؟[1]
تَوجَّعَ يشتكي سُوءَ الجزاءِ وفُقدَانَ المروءةِ والوفاءِ
أيذبحُه ذووه على العياءِ وبعد الجِدِّ منه والمضاءِ ؟
رثى لِشكاتهِ حقَّ الرثاءِ وراضَ ذويه من بعدِ الإباءِ
فَمُتِّعَ بالسّلامةِ والبقاءِ وراحَ، فأيُّ حمدٍ أو ثناءِ
يُؤدّي الحقَّ، أو يَجزِي الصّنيعا

---

(١) من العجائب التي وقعت في هذه الغزوة باتفاق الروايات أن بعيراً جاء يرقل حتى وقف على رأس النبي ﷺ وجعل يردد الرغاء . فسأله أصحابه: ما شأنه ؟ قال: إنه يقول إنه أحسن خدمة أصحابه، فلما كبر هموا بذبحه فهرب، وجاء مستغيثاً ، وقدموا على أثره فذكر لهم النبي ما قاله . فقالوا: صدقت . فأوصاهم به خيراً .

غزوة بدر الآخرة

ويقال لها(غزوة الموعد) لقول أبي سفيان عند رجوعه من أحد: موعد ما بيننا وبينكم بدر- يريد موسمها - كانت في شهر شعبان من السنة الرابعة ، خرج النبي إليها في ألف وخمسمائة من أصحابه، وكان يحمل لواءه (علي بن أبي طالب) وذهب (نعيم بن مسعود) الأشجعي (قبل إسلامه) وهم يتأهبون للخروج فأخبر المشركين بأمرهم، فجعل له أبو سفيان عشرين بعيراً إذا هو عاد إلى المدينة فثبط المسلمين عن القتال، وأوهمهم ان المشركين في جمع كثير. فما زادهم هذا إلا ثباتاً وقوة﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل﴾وكره أبو سفيان القعود خشية العار . فأجمع أن يخرج بالمشركين ثم يرجع بهم من مكان قريب، فلما بلغوا (مجنة) وهي سوق معروف من أسواق العرب. قال لهم يا معشر قريش لا يصلحكم إلا عام خصب ترعون فيه الشجر وتشربون الماء، وإن عامكم هذا عام جدب، وإني راجع فارجعوا، وأقام النبي بجيشه في بدر مدة الموسم وهي ثمانية أيام ينتظر القوم ثم رجع الى المدينة .

إليك أبا سُفيانَ لا الوعدُ صادِقٌ ولا أنت ذو جِدٍّ ، ولا القومُ أبطالُ
أتاك ابنُ مسعودٍ بأنباءِ يثربٍ فما تنقضي منكم همومٌ وأوجال[1]
لكم عند بدرٍ في لواء محمدٍ خطوبٌ تَرامَى بالنّفوسِ وأهوال

---

(١) أوجال مخاوف .

هنالك قومٌ يا ابن حربٍ كأنّهم ... إذا عَصفتْ ريحُ الكريهةِ أغوال

جُنودٌ عليها من عليٍّ مُظفّرٌ ... لدى الرَّوْعِ جيّاش على الهَوْلِ جَوّالُ[1]

دَع المرءَ يذهبْ بالأباطيل مُرجِفاً ... وَعِدْه جزاء الإفكِ ـ لا حبّذا المال

تَردّدَ ، يخشى منك شِيمَةَ مُخلِفٍ ... يقولُ، فلا وَعدٌ وَفِيٌّ ، ولا قال[2]

تمسَّك من قول ابن عمروٍ بمَوْثِقٍ ... وطارت به في الجوِّ هوجاءُ مِجْفَال[3]

مضى ، يَصِفُ الكُفّارَ وَصْفَ مهوِّلٍ ... يقولُ: جموعٌ ما تُعَدُّ وأرسال[4]

فما وجفت تلك القلوبُ، ولم تكن ... كأخرى، لها من هَدَّةِ الرُّعبِ زلزال[5]

رِجالٌ رسا الإيمانُ مِلءَ نُفوسهم ... فلا الجبنُ مَنجاةٌ ، ولا البأسُ قَتّال

ولا الموتُ مكروهٌ على العزِّ وِردُه ... ولا العيشُ موروردٌ إذا خِيفَ إذلال

تَداعَوْا فقالوا، حسبُنا اللهُ إنّه ... لِما شاءَ من نصرِ الهُداةِ لَفعّال[6]

وأرسلها الصِّدِّيقُ دِيمةَ حِكمةٍ ... لها من فمِ الفاروقِ سَحٌّ وتَهطال[7]

---

(١) الروع الفزع والخوف والمقصود الحرب .

(٢) قال أبو سفيان لنعيم: بدا لي أن لا أخرج، وأكره أن يخرج محمد ولا أخرج أنا فيزيدهم ذلك جراءة، ولأن يكون الخلف من قبلهم أحب إلي من أن يكون من قبلي، فالحق بالمدينة وأعلمهم أنا في جمع كثير ولا طاقة لهم بنا، ولك عندي من الإبل كذا وكذا، أدفعها لك على يد سهيل بن عمرو، فجاء نعيم إلى سهيل وقال له: يا أبا يزيد. تضمن لي هذه الابل وانطلق الى محمد فأثبطه قال نعم، فذهب يرجف بما قيل له .

(٣) الجو هنا ما اتسع من الأودية ، والهوجاء الناقة السريعة المجفال بمعنى الهوجاء .

(٤) الارسال الجماعات .

(٥) وجفت اضطربت والهدة صوت وقع الشيء العظيم كالبناء ونحوه .

(٦) كانوا كلما سمعوا أخبار قريش وجموعها يقولون: حسبنا الله ونعم الوكيل .

(٧) جاء أبو بكر وعمر رضي الله عنهما إلى النبي ﷺ وقالا: يا رسول الله إن الله مظهر نبيه، ومعز دينه ،وقد وعدنا القوم موعداً لا نحب أن نتخلف عنه، فيرون أن هذا جبن ،فسر لموعدهم، فوالله إن في ذلك لخيرة ـ فسر النبي وقال والذي نفسي بيده لأخرجن وإن لم يخرج معي أحد، فاحتدمت نفوس المسلمين حماسة وقوة، والديمة المطر الدائم في سكون .

محمدٌ إنّ اللهَ ناصرُ دينِه ومُظهِرهُ، والحقُّ أقطعُ فَصّال
لهم مَوعِدٌ لا بدّ منه ، ومَوردٌ من الحتفِ ، تغشاه نفوسٌ وآجال[1]
عَزيزٌ علينا أن نكونَ مَقالةً يُردّدُها قومٌ مَهاذيرُ جُهّالُ
يقولون : لولا الخوفُ منّا لأقبلوا وإنّا لإقدامٌ حثيثٌ وإقبال
وخفَّ أبو سُفيانَ يكذبُ نفسَهُ ويُشهِدُها من خيفةٍ : كيف يحتال
يقول، وقد وافى الرجالُ مَجنّةً أيا قومنا مهلاً، فإنّا لَضُلّال
أيا قومَنا: إنّا نرى العامَ مُجدِباً وشرٌّ عَتادِ الحربِ جَدبٌ وإمحال
فعودوا إلى عامٍ من الخصبِ صالحٍ ولا تقربوا الهيجاءَ ، فالقومُ أصلال[2]

* * *

تَقّدمَ جيشُ اللهِ وارتدَّ جيشُهم وما فيه أكفاءٌ تُهابُ وأمثال
وأين من الصّيدِ المصاليتِ معشرٌ لهم من مواليهم لدى البأسِ خُذّالُ؟[3]
لبئس الموالي ما تَزالُ تغرّهم ظنونٌ كأحلامِ النّيامِ وآمال

* * *

ألا إنّها الدنيا أُعِيدَ بناؤها وَصِيغَ لها رسمٌ جديدٌ وتمثال
فلا شأنُها الشأنُ الذي كان يرتضِي بَنُوها الأُلى بادوا، ولا حالُها الحال[4]
عفا السّالفُ المغبَرُّ من سيِّئاتها فتلك بقاياها قبورٌ وأطلال

---

(١) الحتف الموت .
(٢) جمع صل وهو الحية ، والهيجاء الحرب .
(٣) جمع أصيد وهو من صفات الأسد، والأصل فيه ارتفاع الرأس والمصاليت جمع مصلات، وهو الشجاع الماضي في الأمور، المشمر لها .
(٤) بادوا هلكوا .

أتبقَى قلوبُ النّـاسِ في ظُلماتهـا تَـظاهرُ أكنـانٌ عليهـا وأقفـال[1] ؟
هـو النّورُ نـورُ اللهِ، يمـلأُ أرضَـه فتلقَى الهُـدى فيه عصـورٌ وأجيال
أتى مـطلقُ الأسرى يُحـرِّرُ أنفسـاً لهـا من سجايـاهـا قيـودٌ وأغـلال

---

(١) أكنان أغطية .

غزوة دُومة الجَندَل

هي أقرب بلاد الشام إلى المدينة ، وكانت هذه الغزوة في أواخر السنة الرابعة ـ على رواية ـ وفي ربيع الأول من السنة الخامسة ـ على رواية أخرى ـ وسببها أن النبي ﷺ أخبر أن بهذه البلدة قوماً يظلمون من مر بها، ويعتدون عليه، وأنهم يريدون الاقتراب من المدينة فخرج اليها في ألف من المسلمين ، فلما اقترب الجيش منها خاف القوم فتفرقوا وأصاب المسلمون من ماشيتهم ورعاتهم ما أصابوا، وفي الرجوع من هذه الغزوة وادع النبي عيينة بن حصن الفزاري، وأباح له أن يرعى بمحل بينه وبين المدينة ستة وثلاثون ميلا، فلما سمنت مواشيه، وعاد إلى أرضه وقد زال عنها الجدب، أغار على لقاح النبي، وكان يقال له (الأحمق المطاع) ومن سوء خلقه أنه دخل على النبي بغير استئذان ـ وفيه يقول صلوات الله وسلا ـه عليه ـ شر الناس من تركه الناس اتقاء فحشه ـ أسلم بعد فتح مكة، وشهد حنيناً والطائف، ثم ارتد في خلافة الصديق، ولحق بطليحة بن خويلد الذي ادعى النبوة فآمن به ، فلما هرب طليحة أسره خالد بن الوليد وبعثه الى الصديق في وثاق، فمن عليه وأسلم .

سِيـري الهُـوْيْنَى دُومَـة الجنـدلِ   أمعنتِ في الظُّلمِ ولم تُجملي[1]

أكُـلُّ مَن مـرَّ خفيفَ الـخُـطَى   تَـرمِينَـهُ بـالفـادحِ المُثقـل ؟[2]

---

(١) أمعن تمادى .

(٢) الفادح العظيم .

المسلمـون استصـرخـوا ربَّهـم ... فـاستعصمِي منـه، ولـن تفـعلي
مضى رسـولُ اللّهِ في جحـفـلٍ ... ما مثلُه في البأسِ من جحفل[1]
يمشي إذا اسودّتْ وجوهُ الوغى ... في سـاطـعٍ من وحيـهِ المُنزَل
لـولا الـذي استعظمتِ من أمرهِ ... لم يهُـزمِ القومُ، ولم تُخـذلي
أهلوكِ طـاروا خَـوْفَ تقتـالِـه ... فـأيُّهم بـالـرُّعـبِ لم يُقتـلِ ؟
كـلٌّ لـه مـن نـفسـهِ ضـاربٌ ... إن يُـدبـرِ الخـوفُ بـهِ يُقبـلِ
تـلك لعـمـري من أعـاجيبهـم ... ويبـتـلي ربُّـكِ مـن يـبتـلي

* * *

شـرَّدَهـم مَـذكـورُ مـن دارهـمِ ... لا كنتِ مـن دارٍ ومن منـزلِ[2]
هـلّا رعـوا إذ أدبـروا جُـفَّـلاً ... مـا ريعَ من أنعـامكِ الجُفَّل[3] ؟
مـاذا يـريـد الجيشُ من عَـوْرَةٍ ... حلَّتْ من الـذِلّةِ في مـوئـلِ ؟
لـولا الـمـروءات وسـلطانُـهـا ... لانقضَّ أعـلاهـا على الأسـفـل
شـريعـةُ الإسـلامِ في أهـلهِ ... أهـلِ الحجا والشّـرفِ الأطول[4]
وسُـنَّـةُ الـمـختـارِ مـن ربّـهِ ... والمصـطفى من خلقـهِ المُرسَـلِ
جـاءَ بمـلءِ الأرضِ مِن نـورهِ ... والنّـاسُ من حيـرى، ومن ضُلَّل
لا عُـذرَ للمصـروفِ عن رُشـدِه ... لم يَبْقَ من داجٍ ولا مجهَـلِ[5]

---

(١) الجحفل الجيش الكثيف .

(٢) مذكور اسم رجل من بني عذرة ، اتخذه النبي ﷺ دليلا للجيش في هذه الغزوة ، فلما رآه القوم مقبلا أخذهم الرعب فتفرقوا .

(٣) جفل منزعجين مسرعين .

(٤) الحجا العقل .

(٥) داج مظلم .

مَـعـالِـمُ الإيـمـانُ وضّـاحـةٌ والـحقُّ مِـلءُ الـعيـنِ للمُجتـلي

* * *

إيـهِ قـنـيصَ اللهِ فـي حـبـلهِ ظَفِـرتَ بـالأمنِ، فـلا تَـوْجَـلِ(1)
جِئتَ مُعـافىً في يَـدْي صـائـدٍ لم يخدعِ الصّيدَ ، ولم يَخْتَلِ(2)
أقبِـلْ، فهـذا خيـرُ من أبصـرت عيناك في الجيشِ ، وفي المحفلِ(3)
هـذا الـذي أعـرضَ عن حقِّـه قَـومُـكَ من بـاغٍ ومن مُبـطِلِ
لـو أنّهم جـاؤوه فـاستغـفـروا رأوا سجـايـا المُنعِمِ المـفضـلِ
أسـلمتَ تـأبـى دِينـهـم أوّلاً فـمـرحبـاً بـالـمسـلمِ الأوّلِ

* * *

عُـيينـةُ المـغبـونُ فـي نـفسـهِ ماذا جَنَى من دائِه المُعضِـلِ(4) ؟
حَـمَّـلهُ مـا لـو تـلقّـت ذُرى مُستَشرفِ العرنين، لم يَحمـلِ(5)
ألـوَى بـه الجـدبُ، فـأفضى إلى أكـنـافِ وادٍ مُعـشِبٍ مُـبقِـلِ(6)
من أنعُم الغيثِ الكثيـرِ الجـدا ومكـرمـاتِ العـارضِ المسبـلِ(7)
حـتـى إذا أعـجـبـه شـأنُـه وغـرّه مـن مـالِـه مـا يـلي

---

(1) أسر محمد بن مسلمة رجلا منهم وجاء به الى النبي فعرض عليه الإسلام فأسلم . لا توجل لا تخف .
(2) يختل من الختل وهو الخداع .
(3) المحفل المجلس والمجتمع .
(4) المغبون المخدوع ـ المعضل المستعصي .
(5) مستشرف العرنين صفة لمحذوف ،والمراد الجبل العالي .
(6) ألوى به ذهب به .
(7) المراد به الرسول الكريم، والجدا المطر العام، والعارض السحاب المعترض في الأفق والمسبل الممطر .

أتى بها شنعاءَ مكروهةً ... من سيِّئاتِ الأحمقِ الأثول[1]
بئس المغيرُ انقضَّ في غِرَّةً ... على لقاحِ الغابةِ الهمَّل[2]
ما وقعةُ اللصِ بمأمونةٍ ... ولا أذاةُ الضَّرِعِ الذُّمَّل[3]
آذى رسولَ اللهِ في مالِه ... وآثرَ الغدرَ، ولم يحفِلِ
لو ارتضى دينَ الهدى صانه ... وزانه بالخُلُقِ الأمثل

* * *

يا أمَّ سعدٍ لستِ من همِّهِ ... سعدٌ عن الأهلين في مَعزلِ[4]
إنْ أهلُهُ إلّا الألى استوطنوا ... دارَ الوغى في دُومةِ الجندِل
لا تذرفي الدّمعَ على راحلٍ ... في اللّهِ لولا اللّهُ لم يرحل
واستقبلي الموتَ على هَوْلِه ... إنّي أراهُ سائغَ المنهل[5]
ظَمِئتِ من سعدٍ إلى نظرةٍ ... تُطفِئُ حَرَّ اللاّعجِ المشعَل
رَوَّاكِ ربُّ النّاسِ من سرحةٍ ... ألقى عليها ظِلَّهُ من عَل[6]
تُؤتي الجنَى كالأرْيِ طِيباً إذا ... كان الجنَى كالصّابِ والحنظل[7]

---

(١) المجنون والأحمق .

(٢) الغابة اسم المكان الذي كانت ترعى فيه اللقاح وهي جمع لقحة الناقة الحلوب، والغِرة الغفلة .

(٣) الضعيف الجبان .

(٤) كان سعد بن عبادة مع النبي في هذه الغزوة . فماتت أمه وهو غائب، فلما رجع النبي بعد شهر من وفاتها صلى على قبرها .

(٥) شراب سائغ عذب والمنهل مكان الشرب .

(٦) السرحة الشجرة العظيمة .

(٧) الأري العسل والصاب شجر مر أو هو عصارته .

صلاةُ أصفى النّاسِ ممّا سقَى   أفنانَها ذو النّائلِ السَّلْسَلِ[1]
لو وُزِنَتْ كلُّ صلاةٍ بها   من أنبياءِ اللهِ لم تَعدِلِ
يا أمَّ سعدٍ إنّها نِعمةٌ   جاءتكِ، لم تُطلَبْ ، ولم تُسأَلِ
هذا جِوارُ اللهِ فاستبشري   وهذه جنّاتُه فادخلي

* * *

(١) النائل العطاء، والسلسل العذب الصافي السهل التناول، والأفنان جمع الفنن وهو الغصن المستقيم .

غـزوة بني المصطلق

بنو المصطلق بطن من خزاعة. والمصطلق لقب جذيمة بن سعد بن عمرو الخزاعي لُقّب به لارتفاع صوته (من الصّلق) وقيل إنه كان حسن الصوت ، وأنه أول من غنى في خزاعة .

بلغ النبيّ ﷺ أن الحارث بن ضرار سيّد بني المصطلق جمع قومه وآخرين من العرب لمحاربته ، فبعث إليهم بُرَيْدة بن الحُصَيْب يتعرّف أخبارهم ، وأذن له أن يقول فيه ما يشاء ، ليأمنوه ويقوه شرّهم ، ورجع يذكر تأهّبهم للحرب ، فخرج إليهم النبيّ يقود جيشاً كبيراً في شعبان من السنة الخامسة . وبعث الحارث عيناً له ليوافيه بأخبار المسلمين ، فأمر النبيّ بقتله ، فضعفت نفسه ، وتفرّق عنه كثير من رجاله .

وأعطى النبيّ راية المهاجرين إلى أبي بكر ـ وقيل لعمار بن ياسر ـ وراية الأنصار إلى سعد بن عبادة ، وأمر عمر بن الخطاب أن يقول للمشركين قولوا لا إلّه إلاّ اللّه تمنعوا بها أنفسكم وأموالكم ، فلم يقبلوا ورموا المسلمين بالنبل، فدار القتال وكان النصر لله ورسوله وللمؤمنين. فغنموا وأسروا وسبوا ، وعادوا بنعمة من الله وفضل، وكان من السبايا(برّة)بنت الحارث بن ضرار ، بنى عليها النبيّ ﷺ وسماها (جويرية) فقال المسلمون ـ أصهار رسول اللّه ، وأطلقوا من كان بأيديهم من الأسرى والسبايا ، وفي الرجوع من هذه الغزوة كانت واقعة أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها .

نـهضـتْ من كـلّ أوبٍ تـلـتـقـي   فـاحـذروهـا يـا بَني المصـطلقِ[1]

---

(١) الأوب الطريق والجهة .

إحـذروهـا غـارةً مـلمـومـةً يَتّقِي أهـوالَهـا مَن يـتـقـي[1]
لا تـظنّـوا جمعَكم كُـفؤاً لـهـا حينَ تَمضِي في العجاجِ المُطبِق[2]
سرِّحـوا الجيشَ ، وكُفُّـوا، إنّهـا مَصـرعُ الجيش ، وحَتفُ الفيلقِ
نـعق الـحـارثُ يـدعـوكم إلى أن تـبيـدوا : ليتـه لـم يَنعَـقِ
لا يـغـرَّنْكـم رَسُـولٌ جـاءكـم مُبغض القلبِ ، محب المنطقِ[3]
يـا رسول الصـدق : ماذا جمعوا لذوي البأسِ وأهلِ المصدقِ ؟[4]
الألَى تَـتَّسِـعُ السُّـبُـلُ بـهـم للمنـايـا في المجـالِ الضيّق
يـخفـق النـصـرُ على أعـلامِـهِم إن تَـرَدَّى كـلُّ جيشٍ مُـخـفِـقِ
مـا يبالـون المنـايـا النُّكر في مُـرعـدٍ من هـولهـا أو مُبْـرِق
لأبـى بـكـرٍ وسـعـدٍ نـظرةٌ بعد أخرى ، كالشُّواظِ المُحرِق[5]
فـي اللّوائَيْـنِ ضيـاءٌ منهـمـا واضـحُ المطلعِ ، طَلقُ المَشـرِق
وعـلى الـفـاروقِ مـن إيـمـانـه مـا على صَمصامِـه من رونق[6]
وعـليٌّ وابـن عـمّـارٍ هـمـا عُـدَّةُ الحـربِ لهـولِ المـأزق
يـتـرامى الـقـائـدُ الأعلى بـهـم في عُبـابٍ للمنـايـا مُغـرِق[7]

---

(١) ملمومة مجتمعة مضموم بعضها إلى بعض .

(٢) العجاج الغبار الثائر من أثر المعركة أطبق عليه الشيء غشيه وعمّه .

(٣) هو بريدة بن الحصيب ، جاءهم فقالوا له : من الرجل ؟ قال : رجل منكم قدمت لما بلغني من جمعكم لهذا الرجل ، فأسير في قومي ومن أطاعني فنكون يداً واحدة حتى نستأصلهم ، قال الحارث : فنحن على ذلك ، فعجّل إلينا ـ قال بريدة : أركب الآن فآتيكم بجمع كثير من قومي ففرحوا ، وعاد إلى النبيّ بخبرهم .

(٤) المصدق الشجاعة وصدق الحملة .

(٥) الشواظ لهب لا دخان فيه .

(٦) صمصامه سيفه والرونق الحسن .

(٧) القائد : النبي ﷺ ، العباب في الأصل الماء الكثير والمراد به هنا الموت المحدق بهم .

جـاش فيـه كـلُّ زخَّـارِ القُـوى	يـرتقِي من لُجِّـهِ مـا يَـرتَقي[1]
خيـرُ خـلقِ اللَّهِ في شِـكَّتـهِ	يمتـطي خيـرَ العِتـاقِ السُّبَّقِ[2]
سُـحِـرَ الـقـومُ ، ومـن آيـاتِـهِ	رُقيـةُ السِّحْـرِ، وَطِبُّ الأولـق[3]
نـزل الـذكـرُ عليه ، فـانـطوى	مُصحفُ الحِبْرِ وسِفرُ البـطرقِ[4]
وَسِـعَ الكُتْبَ جميعـاً ، وَوَعَـى	مِن سَنـاهـا كـلَّ معنىً مـونِقِ[5]
علّم الـدنيـا الهـدى فيمـا مضى	وهـو خيـرٌ هـاديـاً فيمـا بقـي
عـربِـيٌّ فـتـحـت آيـاتُـهُ	كـلَّ بـابٍ لـلمعـانـي مُـغـلَقِ
فـي أَسـالِيـبَ حِسَـانٍ غَضَّـةٍ	وفُـنُـونٍ حُـرَّةٍ لـم تُـطْرَقِ
نَفَحـاتُ الحقِّ في أبهى الحـلى	مـن ريـاحيـن البيـانِ المـورِقِ

* * *

نهض الفـاروقُ يـدعـوهـم إلى	مِـلّةِ الـخيـرِ دُعـاءَ الـمُـشـفِـقِ
فـأبى القـومُ ، وقـالـوا : دينُنـا	إنْ نَـدَعْـهُ لِـسـواهُ نَـفْـسُـق
ومشى جـاسـوسُهم يبغِـي الأذى	فمشى عِـزريلُه فـي المـفـرق[6]
قيل : أسلِمْ قال : لا ، فاحتقبتْ	نَـفسُـه إثـمَ الغـويِّ الأحـمق[7]
يـا أبـا بَـرَّةَ لـيس الـبـرّ أن	تـتـولّـى ، فـاتّئـدْ واسـتـوثِـق

---

(١) جاش تحرك، وزخار ممتلىء .

(٢) الشكة السلاح كان مع النبي من خيله اللزاز والظرب والعتاق من الخيل الكريمة الرائعة .

(٣) الأولق الجنون .

(٤) السفر الكتاب والبطرق والحبر من علماء أهل الكتاب .

(٥) المونق الحسن المعجب .

(٦) المراد به السيف الذي قتل به .

(٧) سأله النبي عن أخبارهم فلم يقل شيئاً وعرض عليه الإسلام فأبى، فأمر عمر بن الخطاب بقتله واحتقب الرجل الإثم احتمله .

أفَمن يعتِقُ من رِقِّ الهوى ... أنفُسَ النّاسِ كمن لم يُعتِقُ ؟
يا أبا برَّةُ لا تَأْبَ الهدى ... وبمن حولك فارأفْ وارفق
قلتمُ : الحربُ وقتلاها ، وما ... هِي بالأمرِ الأحبِّ الأخلق
وتوالى النَّبلُ ، يَهمِي صَوْبُهُ ... فَوَقَ صوبٍ من نجيعٍ مُهرَق[1]
إذ يَقُولُ اللّهُ في عليائِهِ ... لرسولِ اللّهِ ـ سَدِّدْ وارشُقِ[2]
قادةٌ ، ما صادفوا أكفاءَهم ... وجنودٌ مِثلُها لم يُخلَقِ
ذُعِرَ الجمعُ ، فلو أنّ القطا ... طار في آثارِهِ ، لم يَلحقِ[3]
صَدَّ عن ظمأى العوالي ، ولَوى ... كلَّ صَبٍّ في المواضِي شَيِّق[4]
فُجِعُوا في النَّهبِ والسَّبْيِ معاً ... وسُقُوا أَسْوَأَ شِرْبِ المُسْتَقِي

* * *

نَعِمَتْ بَرَّةُ ماذا تشتكِي ... من أسىً بَرْحٍ ، وهمٍّ مُقلِقِ ؟[5]
يا ابنةَ الحارِثِ طِيبي وانعمي ... أيُّ رزقٍ صالحٍ لم تُرزَقي ؟
ذاك جوُّ المجدِ وضّاحُ السَّنا ... حَلِّقي ما شئتِ فيهِ ، حَلِّقي
إصطفاكِ اللّهُ فيمن يَصطَفي ... وانتقَى بَيتَكِ فيما ينتقي

---

(١) همى سال والنجيع الدم يضرب لونه إلى السواد والمهرق السائل .

(٢) رشقه بالسهم رماه، وأرشق الرامي رمى سهمه .

(٣) القطا جمع القطاة طائر في حجم الحمام يضرب بها المثل في الاهتداء .

(٤) العوالي الرماح، والمواضي السيوف .

(٥) جاءت إلى النبيّ فقالت يا رسول الله إنيّ امرأة مسلمة أشهد أن لا إلّه إلاّ الله وأنّك رسول الله وإنّي برّة بنت الحارث سيد قومه، أصابنا من الأمر ما قد عملت، ووقعت في سهم ثابت بن قيس وابن عم له . وخلصني ثابت من ابن عمه بنخلات في المدينة، وكاتبني على ما لا طاقة لي به وإني رجوتك فأعني في مكاتبتي قال: أو خير من ذلك: قالت ما هو ؟ قال: أؤ دي عنك كتابتك وأتزوجك قالت نعم، وطلبها من ثابت فقال: هي لك يا رسول الله ، فأدى ما كان كاتبها عليه، وأعتقها ثم تزوجها .

واحتـــوى التَّـــاجُ الـمـحـلّى دُرَّةً منـكِ ، مَن يلمحْ سنـاهـا يُـطرِق

فـارقي أسـرَ ابن قيسٍ واشكـري يا ابنةَ الحـارِثِ ، فضلَ المُـطلِقِ

اللُّبابِ المحضِ من رُسُلِ الهدى منذ كانوا ، والصَّميمِ المُعرِقِ[1]

حَطَّ عنــكِ الإصْـرَ بَــرّاً ، ورثى لـك من ضُـرٍّ شـديـدٍ مُــرهِقِ[2]

ورَعَى حقَّــكِ ، لا يبغِـي ســوى أن تـكـوني بــالـمحــلِّ الأَلْـيـقِ

* * *

(١) اللباب والمحض الخالص .

(٢) الإصر- الحبس والذنب والثقل .

إسلام الحارث بن ضرار رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

جاء الحارث بن ضرار إلى المدينة يسوق إبلا في فداء بنته برّة ولم يكن قد علم أنها أسلمت ، وتزوجت من النبي ﷺ ، فلمّا أتى وادي العقيق رغب في بعيرين كانا من أفضل هذه الإبل ، فاستبقاهما في شعب من شعاب هذا الوادي ليرجع بهما إلى دياره ، ثم أقبل فقال : يا محمد أصبتم ابنتي وإنها لكريمة لا تسبى ، وهذا فداؤها ، فقال له : أين البعيران اللذان عقبتهما بالعقيق في شعب كذا وكذا ؟ قال : أشهد أنك رسول اللّه ، ما اطلع على ذلك إلا اللّه .

أَقبلَ الحارثُ يحدو إِبْلَهُ ... وبهِ من طولِ هَمٍّ ما بِهِ
سيّدُ القومِ يُريد ابنتَه ... ويَرومُ الذَّبَّ عن أحسابِه[1]
قال - ويحي : كيف تُسْبَى بَرَّةٌ ... وأبو بَرّةَ في أثوابِهِ ؟
حُرَّةٌ من حُرَّةٍ ، أنجبَها ... ونماها نابِهٌ من نابِهِ[2]
إبِلِي سِيرِي ، وأُمِّي يثرباً ... واطلبي ليثَ الوغَى في غابِهِ[3]
شَرَفي آبَى عليه ، وابنتي ... أفتدي منه ، ومن أصحابِهِ[4]

* * *

(١) يروم يريد والذب الدفع .
(٢) رفعها وعزاها إليه .
(٣) النبي ﷺ .
(٤) أبى الشيء عليه منعه عنه .

سـاقَـهَـا إلا بَـعِـيْـرَيْـنِ هـمـا | من صفايا المالِ أو صُيَّابِهِ[1]
غُـودِرَا في جـانبِ الـوادي ، وما | يَـجلِبُ الأمـرَ سـوى أسبـابـهِ
قـال : دعهـا يـا رعـاكَ اللّهُ لي | وَاشْفِ هذا القلبَ من أوصابِهِ[2]
إنّـهـا بـنـتـي الـتـي ربَّـيـتُـهـا | في حِمَى العـزِّ ، وفي محْـرَابِـهِ
أعـطنيـها ، وتـقبَّـلْ مـا معي | من فـداءٍ جَـلَّ عن أضـرابِهِ[3]
قال : بل أحدثتَ أمراً لم تَخَفْ | سُوءَ ما يَغشَى الفتى من عابِهِ
غَـابَ عن ذَوْدِكَ مـا استبقيتَـهُ | لك في الوادي ، وفي أعشابِهِ[4]
يـا أبـا بَـرَّةَ إنّـي لأرى | مَـوضِـعَ الْعَـوْدَيْنِ في أنقـابِـهِ[5]
قال : أسلمتُ ، وما أدنى الهدى | يـا رسـولَ الـلهِ من طُـلاَّبِـهِ
وَضَـحَ الحقُّ ، فمـا من حُجَّـةٍ | لـغـبـيٍّ الـقـلـبِ ، أو مُـرتـابِـهِ
إنّـهُ لـلّهِ فـضـلٌ مـا لـه | غَـيْـرُ من يُـؤْثِـرُ من أحبـابِـهِ
نـكص الـشّـركُ عـلى أعـقـابِـهِ | وَهَـوَى الـقـائِمُ مـن أنـصـابِـهِ
يـا رسـول اللّه لا كـان امرؤٌ | لـم يَكُـنْ دِينُـكَ من آدابِـهِ[6]
شـرفُ الأخـلاقِ من أحكـامـهِ | والـتُّـقَـى والـبِـرُّ مـن آدابِـهِ
أنت نِعْمَ الصِّهـرُ مجـداً وسَنـاً | إن طلبنـا المجـدَ في أقـطابِـهِ
جِئتَ بـالخيرِ بشيـراً ، لم تَـزَلْ | تصـدعُ الأغلاقَ عن أبـوابِـهِ[7]
تـلك بنتي دخلت فيـهِ معي | مـا خشينا المنـعَ مَن حُجّابِـهِ

* * *

(١) صفايا الشيء وصيابه خياره .
(٢) الأوصاب جمع وصب وهو المرض .
(٣) جل عظم وأضرابه نظراؤه .
(٤) الذود من الإبل ما بين ثلاثة إلى عشرة، أو ما فوق ذلك .
(٥) مثنى عَوْد ، وهو المسن من الإبل ، والأنقاب جمع النقب الطريق في الجبل .
(٦) جمع أرب والأرب الحاجة .
(٧) الأغلاق جمع الغَلَق ما يُغلق به الباب .

بَرَكَةُ أُمّ المؤمنين جُوَيرِيَة
رضي الله عنها

قالت عائشة رضي الله عنها ـ لا أعلم امرأة أكثر بركة على قومها من جويرية ، أعتق بتزويجها من رسول الله ﷺ أهل مائة بيت .

جـويـريــةُ احمــدي عُقبَى البنــاءِ ... بَنَى بكِ خيرُ مَن تحت السّماءِ[1]
بـلـغـتِ بــه ذؤابــة كــل عــالٍ ... من الشــرف الممنّع والسّنـاء[2]
وكنتِ لـقــومـك الأدنيـن يمـنــاً ... يـريـهـم يُـمن خيــر الأنـبـيــاء
فكم أسـرى فككتِ ، وكم سبايا ... رددتِ إلـى الخــدورِ بــلا فــداء
محــرِّرةَ الـرقــاب كفــاك فضــلاً ... صنيعــك بـالــرجــال وبــالنســاء
كشفت الضــرّ عنهم بعـد يــأسٍ ... وأحييت الــرميم من الــرجــاء[3]
تــوالى المسلمــون على سبيــل ... من الكــرمِ المحبّب والـسّخـاء
لأجلك آثــروا البُقْيــا ، وقــالــوا ... عـلينــا الـعهــدُ عـهــدُ الأوفيــاء
أمَنْ وصــل النَّبيُّ فكــان صهــراً ... كمنـقطــعٍ من الأقــوام نــاء ؟[4]

* * *

(١) بنى بها زُفت إليه .
(٢) ذؤابة العز والشرف أعلاه .
(٣) الرميم أصله العظام البالي والمراد به الميت من الرجاء .
(٤) ناء بعيد .

خـذوا يـا قـوم أنفسكم وعـودوا إلى أوطـانكـم بـعـد الـجـلاء
سَـمَـوْا بنفـوسهـم وبني أبيـهم إلى ديـن الـمـروءة والإبـاء[1]
ورَدَّ الـلّه غُـربـتَـهـم وفـازوا بـنعـمتـه ، فـنعـمَ ذوو الـعـلاء
هـو الإسـلامُ مـا للنفس عـنـه إذا ابتغـتِ السّـلامـةَ من غـنـاء
نظامُ الأرضِ ، يـدفـع كلَّ شرٍّ وطِـبُّ القـومِ يـنـزع كـلَّ داء
إذا انصـرفت شعوب الأرض عنـه فـبشّـرْ كـلَّ شـعبٍ بـالـشقـاء

(١) الإباء العز .

بين الخزرج والمهاجرين

كان المسلمون على الماء بعد انتهاء هذه الغزوة ، فاختصم أجير لعمر ابن الخطاب رضي الله عنه اسمه جهجاه مع رجل من حلفاء الخزرج وهو سنان بن فروة فضربه الأول حتى سال منه الدم فنادى: يا معشر الانصار، ونادى الضارب: يا معشر المهاجرين ، فأقبل جمع من الجيشين وشهروا السلاح ، فكادت تكون فتنة عظيمة لولا ان خرج رسول الله ﷺ وقال: ما بال دعوى الجاهلية ؟ فقالوا ، رجل من المهاجرين ضرب رجلا من الأنصار، فقال . دعوها، يريد دعوى الجاهلية، فإنها منتنة فترك المضروب حقه . وسكنت الفتنة » .

ما للسُّيوفِ ؟ أما تَثوبُ فَتعطِفُ ؟ وَلِمَنْ قُوىً في غيرِ حقٍّ تَزْحَفُ ؟[1]

جَهجاهُ مالك هِجتَها مذمومةً هوجاءَ ، لولا اللّهُ ظلّتْ تَعصفُ ؟

الخزرجُ انطلقوا لنصرِ حليفِهم ومضى لنصرتك الكُماةُ الدُّلَّفُ[2]

لَسِنانُ إذ تُؤذيهِ منكَ بضربةٍ أولى وأخلقُ من تحبُّ وتألف

هَفتِ السُّيوفُ إلى السُّيوفِ ، وأوشكت صُمُّ الرماح على الرماحِ تَقَصَّف

ومشى النبيُّ يقول: يا قومُ اسكنوا أكذاكَ تضطربُ الجبالُ وترجف ؟

تدعون دعوى الجاهليّة جهرةً فمَن الدُّعاةُ من الهُداةِ الهُتَّف ؟

---

(١) تثوب تعود، وتعطف تنصرف .

(٢) الكماة جمع كمي وهو الشجاع، والدلف جمع دالف وهو المتقدم .

أوَ لستمُ النفـرُ الـذين بنـورهم	يجـد السُّبيلَ الحـائـرُ المتعسِّف ؟
رُدّوا السُّيوفَ إلى جماجمِ معشرٍ	فيهـم مَـرَدٌّ للسُّيـوفِ ومصـرف

* * *

هـدأ الرجـالُ، وراح ظالمُ نفسِه	يَهْذي فَيُمعِنُ، أو يظنُّ فيسرف[1]
لـجَّ النفـاقُ ، فقـائـلٌ لا يستحي	ممّـا يقولُ، وسـامعٌ لا يـأنف[2]
مـا بـالُ من جمحت بـه أهـواؤُه	أفما يزالُ على الغَوايةِ يعكف ؟[3]
يُـؤذِي رسـولَ الله يـزعـمُ أنّـه	في قـومِـه منـه أعـزُّ وأشـرف
ويقول : موعدُنا المـدينةُ إذ يُـرَى	أيُّ الـفـريقـيـن الأذلُّ الأضـعـف
فَلَنُخـرجَنَّ مُحمـداً منهـا غـداً	وليعلمنَّ الأمـرَ سـاعـةَ يـأزف[4]

* * *

سمع ابنُ أرقمَ ما يقول ، فهاجـه	غَضبٌ يضيق به التّقيُّ الأحنف[5]

---

(١) هو عبد الله بن أُبيّ بن سلول، لمّا اختصم الرجلان غضب وكان عنده رهط من منافقي قومه الخزرج فقال: ما رأيت كاليوم مذلّة . أوَ قد فعلوها ؟ نافرونا في بلادنا . وأنكروا علينا ملّتنا ،والله ماأَعُدُّنا ـ يعني الأنصار وقريش ـ وهؤلاء ـ يريد المهاجرين ـ إلّا كما قال الأوّلُ في أمثالهم : سمّن كلبك يأكلك .وأجِعْهُ يتبعك . والله لقد ظننت أني سأموت قبل أن أسمع هاتفاً يهتف بما سمعت. أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ ـ يعني بالأعزّ نفسه ـ وبالأذلّ النبيّ ﷺ .

(٢) لجّ تمادى .

(٣) جمحت به أهواؤه غلبته .

(٤) أزف الأمر حان وقرب .

(٥) كان زيد بن أرقم . وهو غلام حديث السنّ ـ عند عبد الله بن أبيّ ورهطه وهو يقول لهم ما قال .فمشى به إلى رسول الله ﷺ ، فكره ذلك وتغيّر وجهه ، وقال له ـ يا غلام لعلك غضبت عليه ـ قال: والله لقد سمعته أي الحديث منه ،قال ـ لعله أخطأ سمعك والأحنف هنا الشديد الميل الى الحق .

ومضى يقصّ على النبيِّ حـديثَـهُ فيكاد عنه من الكراهةِ يصـدف[1]
قال: ائتدْ، فلقد يُغانُ على الفتى فيـزلُّ منـه السَّمـعُ أو يتحـرّف[2]
فمضـى على أسـفٍ يلوذُ بـعمّـهِ فيُـلامُ غيـرَ مكـذَّبٍ ويُعنَّف[3]
قال: اقتصد يا عمّ، ما أنا بالذي يُغـضي إذا اغتاب الرسولَ مُجَدِّفُ[4]
ثَقُلَتْ علـيَّ من الـغبيِّ مقـالـةٌ جَلَلٌ، تُهَدُّ بها الجبالُ وتُنْسَف[5]
واللهِ لـو ألقَى صَـواعِـقَهـا أبـي لحملتُهـا، وذهـبتُ لا أتـخفَّـف

* * *

رُوِي الحديثُ وَغِيظَ من مكروهـه عُمَـرُ فَغِيظَ المشـرفيُّ المُرهَفُ ؟[6]
أغـرى بقـائله مـخـوفَ غـرارِه مـا كـان يَعلمُ من أذاه ويعـرف
سـأل الـرسـولَ الإذنَ فيـه لعلَّه يَشفيـه من دمِـه بمـا يتـرشَّـف
فأبى، وقال: أليس من أصحابنا ؟ دعـه، فتلك أشـدُّ مـا أتخـوَّفُ

* * *

وأتى ابنُه فدعا: أبي أنا خصمـه فـدعـوه لي، إنّي بـه لَمُكلَّف[7]

---

(١) يصدف يعرض .
(٢) يغان عليه بمعنى يغطى على قلبه .
(٣) لمّا قال النبيّ لزيد بن أرقم ما قال، عظم عليه الأمر وذهب الى عمه في غم شديد، فقال له: ما أردت إلا أن كذبك رسول الله ﷺ ومقتك، قال زيد: والله لقد سمعت ما قال، ولو سمعت هذه المقالة من أبي لنقلتها إلى رسول الله،وإني لأرجو أن ينزل الله عليه ما يصدق حديثي . ولاذ به لجأ .
(٤) التجديف الكفر بالنعمة والشتم والإهانة والافتراء .
(٥) جلل عظيمة .
(٦) طلب عمر بن الخطاب من النبيّ أن يأذن له أو لغيره بقتل عبد الله بن أبيّ فأبى وقال ـ كيف يا عمر إذا تحدث الناس بأن محمداً يقتل أصحابه ؟ والمشرفيّ المرهف السيف الحاد .
(٧) ابن عبد الله بن أبيّ واسمه عبد الله، لما علم ان عمر يستأذن النبي في قتل أبيه . جاء إليه =

مُـرْني رسـولَ اللهِ أكْفِـكَ أمـرَه فلقـد عَهـدتُـكَ راحمـاً تتلطّف
إنّي أحِبُّ أبـي . وأعـرف حقَّـه ولأنـتَ بـي وبـه أبـرُّ وأراف
سيفي أحقُّ بـهِ، فـإن يـك غيره عَظُمَ الأسى فيه ، وهـالَ الموقف
إنّـي لأخشـى أن أرى دَمَ مُؤمـنٍ بيـدي لأجـلِ أبي يُـراقُ ويُنـزَف
قال النبيُّ : ارفِقْ بشيخكَ وارْعَـهُ إنّ العُقـوقَ مـن البنيـنَ لَمَتْلَفُ

* * *

الـقـاذفُ الجبّـارُ زُلـزِلَ قـلبُـه بالرُّعبِ يُلقَى ، والمخافةِ تُقذفُ[1]
ضَـاقت مذاهبُـه ، فأقبـل ضـارعـاً وأخو الهوانِ الضّارعُ المستعطف[2]
جَحَد الحديثَ ، وراح يَحلفُ ما جرى صَدقَ المُنَبِّىءُ وافترى من يحلف
إنّ ابن أرقمَ لم تكن لتـخـونـه أُذُنٌ تَعِي وتصـونُ مـا تتلقّفُ[3]
يبقى بهـا نقشُ الكـلام ، كـأنّما نُقِشَتْ على الصّخرِ الأصَمِّ الأحرف
صُـوَرٌ إذا وَلِيَ اللّسـانُ أداءَهـا فـالـزُّورُ من أعـدائها والـزخـرف

= وقال : يا رسول الله إن كنت فاعلا فمرني أن أحمل إليك رأسه ، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها رجل أبرّ بوالده منّي ، إنّي أخشى أن تأمر به غيري فيقتله، فأقتل مؤمنا بكافر، فأدخل النار، فقال له الرسول الكريم- بل تترفق له، وتحسن صحبته .

(١) هو عبد الله بن أبيّ ـ جاءه رجل من الأنصار الذين سمعوا حديث زيد بن أرقم عنه فقال له : يا أبا الحباب إن كنت قلت ما نقل عنك فأخبر به النبيّ ﷺ فليستغفر لك . ولا تجحده فينزل فيك ما يكذبك ، وإن كنت لم تقله فأته واعتذر . واحلف ما قلته، فحلف بالله العظيم ما قال من ذلك شيئاً ، ومشى الى النبيّ فقال له : يا ابن أبيّ إن كانت سبقت منك مقالة فتب . فجعل يحلف بالله ما قلت ما قال زيد وما تكلمت به .

(٢) الضارع الذليل .

(٣) كان يقال لزيد بن أرقم رضي الله عنه ـ ذو الأذن الواعية ـ لقول الله تعالى فيه (وتعيها أذن واعية) وعنه أنه لمّا نزلت سورة المنافقين ، أخذ النبيّ ﷺ بأذنه وهو على راحلته يرفعها الى السماء حتى ارتفع عن مقعده وهو يقول ـ وعت أذنك يا غلام ، وصدّق الله حديثك وكذّب المنافقين .

مـا رُمْتُ وصفاً، حَسْبُ زيـدٍ أنّه   بفـرائِـد الـوحْيِ المنـظَّم يُـوصف
الله أنــزلــه بَـيــانــاً صــادعــاً   كَبَت الألى قلبـوا الأمـورَ وَزيَّفــوا
كشفَ الغـطاءَ عن النّفـاقِ بسـورةٍ   نـزلتْ، وكـان غـطاؤُه لا يُكشَف
جُـرْمٌ إذا استخفى مَخـافـةَ ذاكـرٍ   نادى الزمانُ به، وضَجَّ المصحف

* * *

عبد الله بن أُبَيّ ابن سلول

بعد نزول (سورة المنافقون)

كان مما قاله النبيّ ﷺ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يستأذنه في قتل عبد الله بن أبيّ ـ ترعد له إذن أُنُفٌ كثيرة بيثرب ـ فلمّا نزلت سورة المنافقين صار قومه يعاتبونه ويعنّفونه ، فقال النبيّ لعمر: كيف ترى يا عمر ؟ إني والله لو قتلته يوم قلت لأرعدت له أنوف لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته : قال عمر: قد والله علمتُ لأمرُ رسول الله ﷺ أعظم بركة من أمري » .

ما يكسب المرءُ من إثمٍ ولا يَزِرُ ... إلّا أحــاطَ بــه من ربِّــه قَـدَرُ[1]

وليس للنّفس إن خابت وإن خسرت ... إلّا عـواقبُ ما تـأتي ومـا تَـذَرُ[2]

جلبت يا ابنَ أُبيّ شرَّ مـا جلبت ... نَفسٌ على قومها، لـو كنتَ تعْتَبِرُ

زوَّدت قومك خزياً لم يَـدَعْ أحداً ... إلّا قـلاك وأمسى صَـدرُه يَغِـرُّ[3]

تتـابـع الـوحيُ، تـرميهم قـوارعُـه ... لمّـا تتـابَـع منـك اللّغــو والهَـذَر

* * *

قالوا: استجر برسولِ اللهِ مُلتمساً ... سُبلَ النجاةِ، فما يُغنيك مُنتظَرُ[4]

---

(١) يزر يحمل .

(٢) تذر تترك .

(٣) قلاه أبغضه، ووغر صدره توقد من الغيظ .

(٤) قال له أصحابه : اذهب الى النبي يستغفر لك . فلوى رأسه وقال أمرتموني أن أؤ من به فآمنت ، =

إن تُلفِه حين ترجوه وتسأله ... مُستغِفراً لك لا يَعلْق بك الغَمَر[١]

فقال: يا ويلكم، ما زلتُ أتبعكم ... حتى هلكتُ، فلا جاهٌ ولا خَطَرُ

لم يبقَ فيما أرى إلاّ السُّجودُ له ... يُقضى له الحقُّ، أو يُقضى به الوطر

أذلك الجدُّ منكم، أم هو السَّخَر؟ ... دعوا اللّجاجَ، فهذا مطلبٌ عَسِرُ[٢]

وصدَّ مُستكبراً يلوِي لشقوتِه ... رأساً يغيظ الظُبَى أن ليس يُهتصَر[٣]

يزيده الجهلُ طُغياناً، ويصرفه ... عنِ الهُدى من أفانينِ الهَوى سَكَر[٤]

* * *

قال الرسولُ ونارُ الغيظِ تلفحهُم ... ألم أقل لك: لا تَقْتُلْهُ يا عمر؟

لو قُمْتَ يومئذٍ بالسّيفِ تأخذُه ... بعثَتها غضبةً جأواءَ تستعر[٥]

تلك الأُنوفُ التي كنّا نُحاذِرُها ... أمست سَلاماً، فلا خوفٌ ولا حذر

لو قلتُ للقومِ: جيئوني بهامتِه ... رأيتَهم يفعلون اليومَ ما أُمِروا

* * *

تبيَّن الرشدُ للفاروقِ وانحسرت ... عن جانبيهِ غواشي الظنّ والسُّتُرُ

فقال: بُوركتَ من هادٍ لأُمتّهِ ... تعيا بحكمته الألبابُ والفِكَر

لسنا كمثِلكَ في علمٍ ومعرفةٍ ... أنت الإمامُ وهذا النهجُ والأثر

تدري من الأمر ما تُخفِي ظواهرُه ... وما لنا فيه إلا الرأيُ والنظر

= وأن أعطي زكاة أموالي فأعطيت، فلم يبق إلاّ أن أسجد لمحمد، فأنزل الله تعالى ﴿ وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم ـ الآية ﴾ .

(١) هو في الأصل دسم اللحم يتعلق باليد .

(٢) السخر مصدر سخر منه وبه هزىء به .

(٣) الظبى السيوف، ويهتصر من هصر الغصن إذا أماله .

(٤) السكر ما يُسكر .

(٥) جأواء، حمراء في كدرة، تستعر تشتعل .

في مُعجـزاتِـكَ للغـاوين تبصـرةٌ وفي عُلومِـكَ للجُهّالِ مُـزدَجـر
صلَّى عليكَ الذي آتاك من شرفٍ مـا ليس يَبلغُـه جِنٌّ ولا بـشـر

* * *

هـذا ابنـه جاءه غضبـانَ يمسكـه دون المـدينـةِ للمختـار ينتصـر[1]
يقـول: تلك دِيـارٌ لستَ تـدخلهـا حتى تَفِيءَ ، وحتّى يُعلمَ الخبـر
أنت الأذلُّ فَقُلْهـا غيـرَ كـاذبـةٍ إن كنتَ حُرّاً ، فبئس الكاذبُ الأشِرُ[2]
فقـالهـا مُـرّةً حَـرَّى، وأرسلهـا كـأنّهـا روحُـه من فِيـهِ تَنحـدِر
مشى أعـزُّ بني الـدنيـا وأشـرفُهم قَـدْراً ؛وأرفعهُم ذِكـراً إذا ذُكِـروا
حـلَّ المـدينـةَ منـه لَيْثُ ملحمـةٍ لا النّصرُ يُخطِئُه فيها، ولا الظَفَر
فليعـرفِ الحقَّ قومٌ ضـلَّ رائدُهـم وارتـدَّ قـائـدُهم خَـزيـانَ يعتـذر

---

(١) لما انتهى الجيش إلى وادي العقيق جعل عبد الله بن عبد الله بن أبيّ يلتمس أباه ، فلما رآه أناخ بعيره وقال ـ والله لا تدخلها (المدينة) حتى يأذن لك رسول الله ، لتعلم الأعز من الأذل ـ فصار يقول : لأنا أذل من الصبيان ، لأنا أذل من النساء : فجاء النبي ﷺ وقال : خلِّ عن أبيك فخلّى عنه .

(٢) أشر الرجل: مرح وبطر .

قِصَّة أمِّ المؤمنين عائِشة
رضي الله عنها

لمّا رجع النبيّ ﷺ بالمسلمين من غزوة بني المصطلق، وكانت عائشة وأمّ سلمة رضي الله عنهما معه ، بات الجيش في مكان على مسافة من المدينة، وقبل أن يؤذن الناس بالرحيل ذهبت تقضي حاجتها فجاوزت الجيش . وفي عودتها إلى رحلها أحسّت أنها فقدت عقداً لها ، فرجعت الى المحل الذي كانت فيه تلتمسه، وأُمر الجيش بالرحيل وهي لا تزال في التماسه، وأقبل الموكّلون بها فحملوا هودجها، ووضعوه على البعير الذي كانت تركبه وهم يظنّون أنها فيه، ثم سار الجيش وعادت هي فلم تجد احداً وغلبتها عينها فنامت، وكان صفوان بن المعطل السلمي على ساقة الجيش، فتخلّف عنه وأصبح عند المنزل الذي بقيت فيه أم المؤمنين رضي الله عنها، فرأى سواد إنسان نائم، واقترب منه،وإذ عرفها أخذه الحزن ورفع صوته قائلا: إنا لله وإنا اليه راجعون : فاستيقظت على صوته وخمّرت وجهها بجلبابها ،وصمت صفوان بعد ذلك فلم يزد على أن أناخ راحلته وقال أمّه، قومي فاركبي، ثم سار بها فأدرك الجيش بعد ما نزل عند الظهر، قالت رضي الله عنها: فلمّا نزلنا هلك من هلك بالقول والافتراء . . والذي تولّى كبره عبد الله بن أبيّ بن سلول، فانه أول من أشاع الإفك في العسكر، ثم برأها الله فشرح صدر النبيّ والمؤمنين بهذه البراءة (إن الذين جاؤ وا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم لكل امرىء منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم) إلى بقية الآيات العشر (سورة النور) .

سيّدُ الرُسلِ وأمُّ المؤمنينْ بَشّرِ الأبطالَ بالنّصرِ المُبينْ

خرجت في الجيشِ ترجو ربَّها　　　عِصمةَ الراجي، وعونَ المستعينْ
ينصرُ الحقَّ، ويقضي أمره　　　إن رماه كلُّ أفّاكٍ مَهينْ
إصبري إن جلَّ أمرٌ، إنّها　　　يا ابنةَ الصّديقِ دُنيا الصالِحِينْ
أرأيتِ الأرضَ لمّا رجفتْ　　　إذ هَوى عِقدُكِ ؟ بل لا تشعرِينْ[1]
إقشعرّتْ ، وتمنّتْ لو هَوَى　　　كل عالٍ من رواسيها مَكِينْ
أنتِ في شأنكِ إذ تبغينه　　　وهي في هَمٍ وغمٍّ وأنينْ
سوف يُبدي الخطبُ عن روعتِه　　　بعد حينٍ ، فاصبري حتى يَحينْ

* * *

رفعوا الهودَجَ ، والظنُّ بها　　　أنّها فيهِ ، وساروا مُدلِجينْ[2]
وانجلى اللّيلُ عن الخطبِ الذي　　　غادرَ الإصباحَ مُسَودَّ الجبينْ
أين غابت ؟ أيَّ أرضٍ نزلت ؟　　　كيف غُمَّ الأمرُ ؟ هل من مُسْتَبِينْ ؟
يا رسولَ اللّهِ صبراً إنّها　　　في ذِمامِ اللهِ ربِّ العالَمِينْ
يا أبا بكرٍ رُويداً، إنّنا　　　لَنراها في حِمَى الرُّوح الأمِينْ[3]

* * *

رجعتْ واللّيلُ في بُرْدَتِه　　　دائمُ الإطراقِ كالشّيخِ الرزينْ[4]
ذهب الجيشُ، وأمستْ وحدَها　　　غيرَ أصداءٍ من الوادِي الحزينْ
خطرت في الجوِّ من أنفاسِها　　　خَطَراتُ للأسى، ما ينقَضِينْ

---

(١) كان العقد من جَزْع ـ خرز ظُفار ،وهي قرية من قرى اليمن (قيل إنه كان يساوي اثني عشر درهما) وقد وجدته رضي الله عنها في ذلك المكان .
(٢) من أدلج إذا سار بالنهار .
(٣) جبريل عليه السلام .
(٤) البردة كساء من الصوف الأسود يُلتحف به .

مـاجَ كـالبحـرِ طغتْ أثبـاجُـه	وارتمت أهـوالـهُ حـولَ السّفِين[1]
نـام عنهـا الـهمُّ لـمّـا رقـدت	فَهْـوَ في الأحشـاءِ مكتـومٌ دفين
وأتـى صفـوانُ مـا يبـدو لـه	غيـرُ شيءٍ مـاثـلٍ للنّـاظِـرينْ
يُـرسِلُ الـطرفَ، ويَمشِي نحـوهـا	مِشيـةَ المُـرتـابِ في رِفقٍ ولِينْ
عـرف الخـطبَ، فمـا أصدقَـهُ	حين يـدعـو دعـوةَ المسترجعين
دعـوةً رنَّتْ ، فلو قِيـلَ: اسمعـوا	لَسمِعْنـا اليـومَ تـرداد الـرنيـنْ
أيقـظت عـائشـةً من نـومهـا	مثلما يُـوقِـظُها صـوتُ الأذينْ[2]
جفلَتْ منـه، فغـطّتْ وجْـههـا	وهيَ في سِترين من عقلٍ ودينْ
يَصـرفُ اللّحظَ كـليـلاً دُونـهـا	خاشعَ القلبِ، كـدأبِ المتقينْ[3]
قـرَّب النّـاقـةَ منـهـا، ودعـا	إركـبي أُمّـاهُ ، مُـلِّيتِ البنـين[4]
أخـذَ الْمِقْـودَ يُمنـاً، ومَضـى	يتبع المـاضِينَ من أهـل اليمين
يَنتـحِي يشـربَ بـالنّـورِ الـذي	يمـلأُ الدنيـا، ويُعيِي المُـطفِئين[5]

* * *

نـشـروا الإفـكَ فـسـاداً وأذىً	وعـلى اللهِ جَـزاءُ الـمفـسـدِينْ
لا يـنـالُ الـحقَّ في سُـلطانِـه	كذبُ الحَمقى ، وإفكُ المرجِفين
يـا لهـا من عُصبـةٍ فـاسـقـةٍ	هـاجهـا للشرِّ شيـخُ الفـاسقين[6]
وَجـدتْ فيـه زَعيمـاً حـاذقـاً	وإمـامـاً بـارعـاً لـلمُـفـتـرِيـنْ

* * *

---

(١) أعاليه جمع ثبج . (٢) المؤذن .

(٣) كلّ البصر لم يحقّق المنظور فهو كليل، واللحظ باطن العين .

(٤) متعت بطول حياتهم معك .

(٥) ينتحي يقصد .

(٦) عبد الله بن أبي .

هكــذا يــا ابنَ أبيِّ هكــذا لا يكن شأنُك شأنَ المسلمين
انْفُثِ السُّمَّ، وَخضها فتنــةً تَتلظّى نارُها للخائضين

* * *

يــا ابنةَ الصّديقِ صبراً، ليتـه ألمُ المرضَى وَهَمُّ الموجعينْ[1]
يــا لهــا من علّةٍ لــو تعلمين إنّهــا أبــرحُ ممّا تشتكيــن
أعقبَ البشــرَ عُبــوسٌ وبــدا من رسولِ اللهِ مالا ترتضِينْ[2]
كيفَ تِيكُمْ ؟ ليس من عادتــه كيف تيكم ؟ يا لهم من مجرمينِ
غَيَّــروه، فلوى مــن عِطفِــه وطوى من لُطفِه ما تعهدينْ[3]
وهــو يُخفِي لــك مالا ينقضي من هوىً صافٍ، وشوقٍ وحنينْ
سَجَن الســرَّ، وكم من روعــةٍ لكِ يا أُمّاهُ في السّرِّ السجينْ

* * *

أنصتي، فالليلُ مُصغٍ، أنصتي وَقَع الخطبُ، فماذا تصنعين ؟
جاشتِ النّفسُ، ولجّتْ رِعــدةٌ لم تدع في القلبِ من رُكنٍ ركينْ
مِسْطَحٌ، لا قرَّ عيناً مِسطحٌ شبَّها ناراً تهولُ المُصطلينْ[4]
فضحتــه عَثــرةٌ من أُمّــهِ فانظري كيدَ ذويكِ الأقربينْ
لا تلوميهــا إذا ما غَضبــتْ إنّها تَعلمُ مالا تَعلمينْ

---

(١) مرضت بعد قدومها المدينة شهراً، والناس يفيضون في الإفك وهي لا تعلم .
(٢) كان يريبها انقباض النبي كلما جاء يعودها وقوله: كيف تيكم . ثم لا يزيد .
(٣) العطف الجانب ولوى عطفه أي اعرض وجفا .
(٤) خرجت مع أم مسطح خالة الصديق لقضاء حاجتهاليلافعثرت أم مسطح في إزارها فقالت تعس مسطح ، فقالت لها : بئسما قلت . أتسبّين رجلا شهد بدراً ؟ قالت يا هَنْتاه (أي يا هذه) ألم تسمعي ما قال وأخبرتها بحديث أهل الافك، وكان مسطح منهم، فأخذتها حمّى نافضة وأصبحت تبكي .

أرسـلَتْـهـا دَعـوةً واحـدةً ليتهـا زادتْ على خَـدِّ الـمِئينْ
تَـعِسَ الـشـعـلبُ مـا أخـبـثَـهُ فَـدَعِـي بَـدراً وآسـادَ العـريـنْ

* * *

رجعتْ في غمـرةٍ من همِّهـا لم تَبِتْ منهـا بليلِ الـراقـدِيْن
لـوعـةٌ مـشـبـوبـةٌ في سَقَـمٍ في شـآبيبَ من الـدّمعِ السخينْ
يـا رسـولَ اللهِ هـل تـأذنُ لي ؟ إنّ بـيتـي بِمُـصـابي لَـقمـيـنِ[1]
مُـرْ وَدعْ هـمـيّ لأُمـيّ وأبـي إنمـا استأذنْتُ خيـرَ الآمـريـنْ
بَانَ حُسنُ الصَّبرِ، والعـزمُ انطوَى وأرى السُّقمَ مُقِيمـاً مـا يَبِيـنْ[2]
قـال: مـا شئتِ ، هلمِّي فـافعلي لـكِ يـا صـاحبتي مـا تُؤثِـرينْ

* * *

ذهبتْ، يـحـزنهـا أن لـم تكـن طـوَّحَ الـدّهـرُ بهـا في الـذّاهبينْ
ثم قـالت: وهي تبكي: عـجبـاً لـكِ يـا أُمـاه، مـاذا تكتمين ؟[3]
أفـلا نـبَّـأتـنـي مـا زعـمـوا ؟ ويحهم: ما حيلتي في الزاعمين ؟
ظلمـوني، مـا رعـوا لي حُـرمـةً ربِّ كُنْ لي - مـا أقـلَّ المنصفين

* * *

جـزع الـصـدّيـقُ ممّـا نـابَـهُ إنـه خَـطبٌ يَهـولُ الأكـرمين[4]

---

(١) دخل عليها النبي ﷺ وهي تبكي ، وقال: كيف تيكم على عادته فقالت أتأذن لي أن آتي بيت أبوي فأذن لها . والقمين الخليق والجدير .

(٢) بان انقطع وفارق .

(٣) قالت لأمها: يغفر الله لك، تحدّث الناس بماتحدّثوا به، وأنت لا تخبرينني بشيء، قالت: يا بنيّة هوّني عليك، قالت وهل علم أبي؟قالت نعم. قالت ورسول الله، قالت نعم: فاستعبرت وبكت، وباتت لا يرقأ لها دمع .

(٤) قال_ما أعلم أهل بيت من العرب دخل عليهم ما دخل علي . والله ما قيل لنا هذا في الجاهلية حيث لا يعبد الله أفيقال لنا في الإسلام ؟

قـال: أُفٍّ لـكِ مـن داهـيـةٍ ما رُمينا بكِ في ماضي السّنين
أفَلَمّا زانـنـا دِيـنُ الـهـدى ساءنا منكِ حديثٌ لا يزين ؟

* * *

كيف تيكم ؟ يـا لهـا صـاعقـةً أُرسِلَتْ من فمِ خيـرِ المُرسلين
كيف تيكم ؟ كيف تيكم كلّما جـاء ،إنّ اللّهَ مولى الصّابرين
إصبري يا ربَّـةَ العِقْدِ الـذي زِينَ من عينيكِ بـالدُّرِّ الثمين

* * *

أوجعتها من عليٍّ شِدّةٌ هي من دأبِ الأُباةِ الأوّلينْ[1]
سَلَّطَ الضربَ على مولاتها أيُّ سرٍّ عندها للضاربين ؟؟
أقسمتْ صادقةً ما علمت غيرَ ما يدفعُ دعوى الواهمين
التُّقَى والبرُّ في تاجَيْهِمَا هل رأى التاجَيْنِ أعلى المالكين ؟

* * *

مرحباً بالحقّ، يَحمِي جُندُهُ ما استباحتْ تُرَّهاتُ المبطلين[2]
مرحباً بالوحي، يجلو ما طَوتْ ظُلماتُ الشكِ من نُورِ اليقين

---

(١) عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ استشار الصحابة في أمرها، فقال له عمر : من زوّجهالك يا رسول الله ؟ قال: الله تعالى ، قال: أفتظنّ أن الله دلّس عليك فيها ؟ سبحانك هذا بهتان عظيم، وقال أسامة بن زيد : أهلك يا رسول الله فما نعلم إلا خيراً، فأما عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه فقال: يا رسول الله لم يضيق الله عليك، والنساء سواها كثير، وإنك لتقدر أن تستحلف وأن تسأل الجارية بريرة تصدقك وجاءت بريرة فقالت والذي بعثك بالحق ما علمت عليها من شيء يعاب. فقام إليها عليّ يضربها ضرباً شديداً ويقول لها: اصدقي رسول الله ، فتقول، والله ما علمت إلا خيراً .

(٢) إشارة إلى نزول الآيات الشريفة في براءتها .

مرحباً بالرُّوحِ يُلقي من عَلٍ رحمةَ اللّهِ، تُغِيثُ المؤمنين
فِتنةٌ جلّتْ، فلّما انكشَفْت أزلفوا الشُّكرَ وراحوا راشدين
وتجلّت غَمرةُ الهادي فلا رِيبَةٌ تَغشى، ولا ظَنٌّ يرين[1]
يا ابنةَ الصّديقِ طِيبي وانعمي ذاك حكمُ اللهِ خيرِ الحاكمين
ضربَ القومَ بماضٍ مِخذَمٍ من مواضيهِ، فولّوا مُدبِرين[2]
سَقطوا صَرْعَى، عليهم غَبرةٌ من قتامِ البغيِ تُخزي الظالمين

* * *

أمسك الصّديقُ من معروفِهِ يُنكِرُ الغدرَ، وينهَى الغادرين[3]
وطوى عن مِسْطَحٍ نِعمتَهُ ليرى حقَّ الكرامِ المنعمين
عالَه دهراً، فلمّا خانه رَاحَ يَجزيه جَزاءَ الخائنين[4]
سُنَّةُ العدلِ، قضاها مَن قَضَى سُنّةَ الرحمةِ بين الراحمين
نزل الذكرُ بها قُدسيّةً فعفا النّاقِمُ، وارتاحَ الضنين

* * *

إجعلِ الخيرَ قريناً إن أبى كلُّ غاوٍ، إنّه نِعمَ القرين
جلَّ ربيّ وعلا، كلُّ امرئٍ بالذي يكسبُ من أمرٍ رهين

---

(١) ران الشيء على القلب غلب عليه وكان له كالصدأ ونحوه .
(٢) المخذم السيف القاطع .
(٣) كان مسطح يتيما في حجر أبي بكر، يتولاه برعايته وينفق عليه لفقره وقرابته منه فلما قال ما قال من الإفك غضب عليه، وقيل إنه أخرجه من منزله وقال له: لا وصلتك بدرهم أبداً، فأنزل الله تعالى ﴿ ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم ﴾ فرجع أبو بكر رضي الله عنه ينفق على مسطح .
(٤) عاله أنفق عليه .

غَـزْوَة الخَنْدَق

لمّا أصاب بني النضير ما أصابهم شقّ ذلك على اليهود ، فسار من سادتهم إلى مكة حُيَيّ بن أخطب ، وسلّام بن مشكم ، وكنانة بن أبي الحقيق ، وهوذة بن قيس ، وأبو عامر الفاسق ، وجعلوا يحرضون المشركين على قتال النبيّ ﷺ ، ويعاهدونهم على أن يكونوا معهم ، فرحب بهم أبو سفيان وقال لهم : لا نأمنكم إلاّ إن سجدتم لآلهتنا ، فسجدوا، وخرج من بطون قريش خمسون رجلا فألصقوا أكبادهم بالكعبة ، وتعلقوا بأستارها يتحالفون على النصرة وحرب النبيّ ، ثم جاءوا إلى غطفان ، وجعلوا لهم تمر خيبر سنة إن هم نصروهم فرضوا . وتأهبت الجموع للحرب ، وكانت القيادة العليا لأبي سفيان، وقدم المدينة ركب من خزاعة . فأخبر النبيّ بما أجمعوا عليه، فجمع الصحابة وشاورهم في الأمر . وهل يخرجون من المدينة للقاء العدو أم يبقون فيها للدفاع عنها ؟ فقال سلمان الفارسي رضي الله عنه : يا رسول الله إنا كنا بأرض فارس إذا تخوّفنا الخيل خندقنا علينا ، فركب النبيّ في رجال من المهاجرين والأنصار ، وجعل يرتاد أفضل المواقع لحفر الخندق ، ثم أقبلوا يعملون فيه والنبيّ بينهم ، وقد انتهت هذه الغزوة بقهر المشركين ، وكسر شوكتهم، وكانت في شهر شوال من السنة الخامسة . وهو قول الجمهور.

إذهب حُيَيُّ مُـذمـماً مـشؤومـا ... أَحَشَـدْتَ إلاّ جمعَكَ المهـزومـا ؟

إن تغضبـوا لبني النضيرِ فـإنّـه ... خَـطبٌ يـراه بنـو أبيـكَ عـظيمـا

القـوّةُ انصدعت ، فكيف بكم إذا ... تـرك الهـداةُ بنـاءكم مهـدومـا ؟

سرتم تحكّون الجراحَ ، ولا أرى ... مثل الجراحِ إذا امتلأن سُموما
رحِّبْ أبا سُفيانَ إنّ لمثلهم ... من مثلك الترحيبَ والتسليما
جمع الهوى بعد التفرّقِ بينكم ... بئس الهوى يُصلِي النفوس جحيما
تُذكي سيوفُ اللَّهِ من أضغانكم ... ناراً تُصيب من القلوبِ هشيما
ضُمُّوا القبائلَ ، واجمعوا أحزانكم ... سترون بأس محمدٍ مضموما
قال ابنُ حربٍ لليهودِ مقالةً ... لم تلقَ إلا فاسقاً وأثيما
إن كان حقّاً ما زعمتم ، فاعبدوا ... ما نحن نَعبدُ ، وانبذوا التحريما
خَرُّوا لآلهة ابن حربٍ سُجَّداً ... لا ينكرونَ صنيعه المذموما
كُفرٌ على كُفرٍ رُموا بركامه ... والكفرُ أقبحُ ما يُرى مركوما
سُئِلُوا عن العلمِ القديمِ فزوَّروا ... وأذى المزَوِّرِ أن يكون عليما(1)
قالوا : شَهِدنا ، دينُكم خيرٌ لكم ... من دينِ صاحِبكم وأصدقُ سيما

* * *

خَفَّ الرجالُ إلى البَنيّةِ إنهم ... كانوا أخفَّ من اليهودِ حلوما(2)
عقدوا لهم حِلفاً على أستارها ... واللَّهُ يعقد أمره المحتوما
هل ألصقوا الأكبادَ من سفه بها ... أم ألصقوا إحَناً بها وكلوما ؟(3)

* * *

(1) قالت قريش : يا معشر اليهود . إنكم أهل الكتاب الأول والعلم القديم أخبرونا عما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمداً ، فديننا خير أم دين محمد ؟ قالوا : بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أولى بالحق منه ، فأنزل الله تعالى ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ـ الآيات) .

(2) البنية الكعبة .

(3) الإحن جمع إحنة وهي الحقد والغضب، والكلوم جمع كلم وهو الجرح .

غـطفـانُ هُبِّي للكـريهـةِ واغنمي ... من تمـرِ خيبـرَ حـظَّكِ المقسـومـا
كذب اليهودُ ، وخاب ظنُّكِ ، إنهم ... لم يبلغـوا أن يُـرزقـوا المحـرومـا
لن يُطعموكِ سـوى سيوفِ محمـدٍ ... وستعلمين ذُعـافَها المـطعـومـا
مـا أكذَبَ الأحـزابَ يوم تعـاهدوا ... أن لا يـنالوا الصـادقَ المعصـومـا
جعلوا أبـا سفيان صـاحبَ أمرهم ... كن يـا ابن حربٍ قـائداً وزعيمـا
كن كيف شِئتَ، فلن ترى لك ناصراً ... مـا دمت للّهِ العليِّ خصيمـا
جمعوا الجنودَ ، وجاء ركبُ خزاعةٍ ... يُبـدي الخفيَّ ، ويُظهِـرُ المكتومـا
حمل الحديثَ إلى الرسولِ فزاده ... بـأساً ، وزاد المسلمين عـزيمـا[1]
نـزلـوا على الشـورى بـأمـر نبيِّهم ... يبغـي لأُمَّتـهِ السبيـلَ قـويمـا
قال : انظروا : أنُقِيمُ أم نمضي معاً ... نلقى العـدوَّ إذا أراد هجـومـا ؟
فـأجابـه سلمـانُ : نحفـرُ خنـدقـاً ... كصنيعِ فارِسَ في الحروبِ قديما
حملوا المساحِيَ والمكاتِلَ ما بهم ... أن يحملوهـا أنفُسـاً وجُسـومـا[2]
هي عنـدهم للّهِ ، أو هم عندهـا ... خُـدّامـهُ ، سبحـانـه مخـدومـا
دلفت قـرومُ محمـدٍ في شـأنهـا ... تلقى بِيَثْرِبَ من ذويـه قرومـا[3]
يسعى ويعمــل بيـن عَيْـنَيْ رَبِّـهِ ... طلقَ الجلالة ، بالهدى موسوما[4]
دَأبَ الإمـامُ فمـا تـرى من رَائثٍ ... إنّ الإمـامَ يُصَـرِّفُ المـأمـومـا[5]
حَمَـلَ التُّرابَ ، فَـظَلَّ يُثقِلُ ظَهـرَه ... ويُقَلقِـلُ الأحشـاءَ والحيـزومـا[6]

---

(١) العزيم عقد الإرادة على الأمر وامضاؤه من غير تردد .
(٢) جمع مسحاة آلة من حديد كالمجرفة ، المكاتل جمع مكتل وهو الزنبيل يعمل من الخوص .
(٣) دلفت تقدمت ، والقروم جمع قرم وهو السيد .
(٤) عمل النبي ﷺ في الخندق وحمل التراب على ظهره الشريف .
(٥) رائث من راث إذا أبطأ .
(٦) الحيزوم الصدر .

وإذا رأيتَ خليفتيه رأيتَه　　للّهِ في ثوبيهما ملموما[1]

ومضت بعمَّارٍ وزيدٍ هِمَّةٌ　　لم تُبْقِ من هِمَمِ الجهادِ مروما[2]

* * *

سلمانُ أحسنتَ الصَّنيعَ ونلتَهُ　　نَسباً مضى ، فقضى لك التقديما[3]

لمّا تنافَسَ فيك أعلامُ الهدى　　حكم النَّبيُّ فأنصف المظلوما

* * *

سلمانُ منّا آلَ بيتِ محمدٍ　　ولقد نسبتُ فما نسبتُ زنيما[4]

الدين يجمعُ ، ليس منّا من يرى　　في أهله عَرَباً ، ويعرفُ روما

والأكرمُ الأتقى ، تبارك ربُّنا　　إنّا نطيعُ كتابه المرقوما[5]

الله مولاكم ، وأنتم شعبُهُ　　لا تذكروا شعباً ولا إقليما

* * *

سلمانُ دعها كُدْيَةً تُوهِي القُوَى　　وتردُّ كلَّ مُحدَّدٍ مثلوما[6]

---

(١) أبو بكر وعمر رضي الله عنهما والضمير في (رأيته) عائد على التراب .

(٢) عمّار بن ياسر ، وزيد بن ثابت . كانا يعملان بهمة عظيمة . فمسح النبيّ ﷺ رأس عمّار وقال : ابن سميّة ، تقتلك الفئة الباغية . . . وقال في زيد : أما إنه نعم الغلام .

(٣) كان سلمان رجلا قوياً يعمل عمل عشرة رجال ، فتنافس فيه المهاجرون والأنصار ، وجعل كل فريق يقول سلمان منا فقال الرسول الكريم سلمان منا أهل البيت .

(٤) الزنيم الدعيّ يلحق بالقوم وليس منهم ، وهم في غنى عنه .

(٥) إشارة الى قوله تعالى ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ .

(٦) استعصت كدية ـ وهي الصفاة العظيمة الشديدة ـ على سلمان ، فأخذ النبي المعول من يده وقال ، باسم الله ، وضرب ضربة فكسر ثلثها ، وبرقت برقة . فخرج نور من جهة اليمن . فكبّر وقال : أُعطِيتُ مفاتيح اليمن ، إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني الساعة . كأنها أنياب الكلاب ، ثم ضرب الثانية فقطع ثلثاً آخر ، فخرج نور من قبل الروم فكبّر

إضرب رسولَ اللَّهِ كم من صخرةٍ ... لم تـألُها صـدعاً ولا تحـطيما
من ليس يبلغُ من جبابرةِ القوى ... مـا أنت بـالغـه ، فليس ملومـا
بَشِّـرْ جُنـودَكَ بـالفتـوح ثـلاثـةً ... تدع العزيزَ من العروشِ مَضيما[1]
وصِفِ المـدائنَ والقصـورَ لمعشرٍ ... مَثَّلتـهـا صُـوراً لهـم ورسـومـا
أبصرتَها في نُورِ ربِّك ، مـا رأت ... عينـاك آفـاقـاً لها وتخـومـا[2]
مـا زلت تُحدثُ كـلّ أمرٍ مُعجِزٍ ... لـولا النُّبـوَّةُ لم يكن مفـهـومـا
جَهِلَ العجائِبَ مَعشرٌ لم يعرفـوا ... مـنهـنّ إلا السِّحـرَ والتنـويمـا
لـلَّهِ أسـرارٌ تُـرِيـكَ جـلالـه ... إن شـاء فَضَّ كتابهـا المختومـا
والعلمُ إن ضلَّ السّبيلَ ، ولم يلد ... مـا يُـرشِـدُ الجهـلاءَ كـان عقيمـا
بلوى ذوي الأسقـامِ أكثرهـا أذىً ... بَلْوَى أخي عقـلٍ تـراه سقيمـا

* * *

بلغ الـطَّوى بالقـومِ غايـةَ جُهـدِهِ ... وكأنّما طُعمُـوا الصفايـا الكومـا[3]
جيشٌ يصومُ على الدؤُوبِ، ولم يكن ... لـولا أمـانـةُ ربِّـهِ ليصـومـا[4]

= وقال : أُعطِيتُ مفاتيح الشام والله إنى لأبصر قصورها ، ثم ضرب الثالثة فقطع بقية الحجر ، وبرقت برقة فكبّر وقال أُعطِيتُ مفاتيح فارس ، والله إني لأبصر قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب في مكاني هذا ، وجعل يصفها فيقول سلمان : صدقت ، أشهد انك رسول الله ـ قال : هذه فتوح يفتحها الله بعدي يا سلمان ، والثلم كسر في حد المعول .

(١) المضيم المقهور

(٢) التخوم الحدود

(٣) الطوى الجوع ، وقد أصاب النبي وجيشه من شدته في هذه الغزوة ما أصابهم ، حتى لقد لبثوا ثلاثة أيام بغيرزاد،والصفايا من الإبل وغيرها خيارها . والكوم جمع كوماء . وهي ذات السنام الضخم من الإبل .

(٤) الدّؤُوب الجدّ والتعب والدوام في العمل .

مِن كـلِّ مبتهلٍ يضـجُّ مُكبّـراً في الحربِ ، يدعو الواحد القيّوما

* * *

كانت فتاتُكَ يا ابنَ سعدٍ إذ أتت غَـوْثاً وخيـراً للغُـزاةِ عميمـا[1]

جاءت ببعض التّمرِ ، تُطعِمُ والداً بَـرّاً ، وخالاً في الـرجالِ كـريمـا

ألقى عـليـه اللَّهُ مـن بـركـاتِـهِ فكفى بـرحمتِهِ ، وكـان رحيمـا

أخـذ النبيُّ قَليلَهُ ، فدعـا الـطوى داعي الرحيلِ ، ومـا يزالُ مقيمـا

جمع الجنودَ ، وقال : هذا رزقُكم فكلوا هنيئـاً ، واشكـروه نعيمـا

فـرحـوا بنعمـةِ ربِّهم ، وتبدّلـوا حـالاً تـزيـد الكـافـرين وجـومـا

* * *

هـذا الذي صنـع الشُّـوَيهَـةَ قـادمٌ أحببْ بـذلـك مشهـداً وقـدومـا[2]

حيَّـا النبيَّ وقـال : جِئْتُـك داعيـاً ولقد أراني في الرجالِ عديمـا[3]

مـالي رعـاك اللَّهُ غيـر شُـويهـةٍ لـو زادهـا ربِّي بـذلتُ جسيمـا

---

(١) هي بنت بشير بن سعد ، لمّا بلغها أن المسلمين يعانون شدة الجوع وهم يحفرون الخندق جاءت ومعها جفنة من التمر طعاماً لأبيها وخالها عبد الله بن رواحة فأخذ النبيّ التمر وهو لا يكاد يملأ كفه الشريفة ، ثم دعا بثوب فبسطه ووضعه عليه ، وأمر أن يُنادَى المسلمون : هلموا إلى الغداء فجاءوا وجعلوا يأكلون منه وهو يزيد حتى صدروا وإنه ليسقط من أطراف الثوب .

(٢) هو جابر بن عبد الله صنع شويهة وصاعاً من شعير ، وجاء إلى النبيّ فدعاه إلى بيته وهو يظن أنه سيجيء وحده أو مع رجل اورجلين من أصحابه ، فأمر بالمناداة في الجيش : أن هلموا مع النبيّ إلى بيت جابر بن عبد الله ـ قال جابر ، فقلت إنا لله وإنا إليه راجعون ، وأخرجنا الشويهة فبرك النبيّ ثم سمّى الله تعالى وأكل وأكلوا حتى صدروا عنها وهم ألف ، وإن برمتنا لتغط كما هي وان عجيننا ليخبز كما هو .

(٣) العديم الفقير .

أعددْتُها لك يا محمدُ مطعماً يَشفيكَ من سَغَبٍ أراه أليما[1]
يكفيك من ألم الطوى وعذابِهِ حَجَرٌ يظلّ على الحشا محزوما

* * *

سار الرسولُ بجندِهِ ، ومشى الذي صَنَعَ الشويهَةَ حائراً مهموما
يا ربّ ، صاعُ واحدٌ وشويهةٌ دَبِّرْ وداوِ، فقد دَعوتُ حكيما
وُضِعَ الطعامُ ، فظَلَّ يُشْرِقُ وجهُهُ بِشْراً ، وكان من الحياءِ كظيما[2]
وضع النبيُّ يديه فيه ، فزادهُ ربٌّ يَزيدُ رسولَهُ تكريما
تلك الموائدُ لو يُقَالُ لها : انظمى شَمْلَ الشُّعوبِ، رأيتَهُ منظوما
كَرَمٌ صميمٌ ، راح يُورِثُ جابراً شرفاً يفوت الوارثين صميما

* * *

والأشهليّةُ إذ يجيءُ رسولُها يمشي بِجَفْنَتِها أغَرَّ وسيما[3]
اللّه علّمها مَناقِبَ دينهِ فشفى الخبالَ ، وأحسن التعليما
لولا مَرَاشِدُهُ تُقَوِّم خَلْقَهُ لم يعرفوا الإصلاحَ والتقويما
نهض الحماةُ به ، ولو لم يهتدوا لم يبرحوا في القاعدين جُثوما

---

(١) السغب الجوع والأليم المؤلم .
(٢) الكظيم المكروب .
(٣) أم عامر الأشهلية ، أرسلت إلى النبي ﷺ قطعة فيها حيس وهو في القبّة عنده أم سلمة . فأكلت منها ما كفاها ، ثم خرج بها على المسلمين فأكلوا منها جميعاً حتى نهلوا وهي كما هي ، والوسيم: الجميل .

بَعدحَفرالخَندَق

لمّا انتهى المسلمون من حفر الخندق أمر النبيّ ﷺ أن يجعلوا ظهورهم إلى جبل (سلع) ، وأن يستعدّوا للقاء العدوّ ، ثم أعطى لواء المهاجرين إلى زيد بن حارثة ،ولواء الأنصار إلى سعد بن عبادة ، وأمر بصرف الغلمان الذين لم يبلغوا الخامسة عشرة من سنّهم ، وكانوا يعملون في الخندق . وكان بنو قريظة على عهد معه ﷺ ، فما زال حُيَيّ بن أخطب بسيّدهم كعب بن أسد القرظي حتى نقض العهد ، ومزّق الصحيفة . وكان أبو سفيان هو الذي حرّض ابن أخطب على ذلك .

مَضَتِ السُّيوفُ ، وولّتِ الأربَابُ ... فإلى الهزيمةِ أيّها الأحزابُ

لا اللاّتُ نافعةٌ ولا أخَوَاتُها ... كلُّ بلاءٌ واقعٌ وعَذَابُ

في السّفحِ من سَلَعٍ قضاءٌ رابضٌ ... والويلُ حين يَثُورُ أو يَنسابُ

يَبْغِي الفريسةَ . والمنيّةُ مخلبٌ ... ويَصُولُ ، والأجلُ المعجَّلُ نابُ

هو يا ابنَ حربٍ ما عَلِمتَ وجَرَّبوا ... الغِيلُ بَسْلٌ ، واللّيوثُ غِضَابُ ؟[1]

أشْفَى سليطٌ وابنُ عَوفٍ ضِغنَكم ... أم ثَمَّ ضِغْنٌ وَاغِرٌ وضبابُ ؟[2]

لا بُورِكتْ تلك السّيوفُ ، فإنّها ... لَتُصِيبُ من أعدائِها فَتُصَابُ

---

(١) الغيل بيت الأسد، وبسل محرم، والليوث الأسود .

(٢) ذهب سليط وسفيان بن عوف من قبل النبيّ ليستطلعا أخبار القوم فقتلوهما .

كلُّ الذي نِلتم ونالتْ من دمٍ   عَطَبٌ يُتَاحُ لكم مَعاً وتَبابُ[1]

* * *

زَيدٌ وَسَعدٌ في الفوارِسِ ، فانظُروا   إن كان يَصدقُ نَفسَه المُرتابُ[2]
اللَّهُ أكبرُ ، كلُّ شيءٍ دونه   صَدَقَ الذين دعاهُمُ فأجابوا
ثُوبوا جُموعَ المشركينَ ، فإنّما   غَرَّتكُم الأوثانُ والأنصابُ
لا يُعجبنَّ بَني قريظَةَ غَدرُهم   فَمُحَمَّدٌ لِلغادرِينَ عِقَابُ
هبَّ ابن أخطبَ فاستَزلَّ بمكرِهِ   كعباً ، وأمرُ الجاهلين عُجابُ[3]
يا للصحيفةِ إذ يُمزِّقُها ، أما   ينهاه عن خطأ الغُواة صَوَابُ ؟

* * *

خَطَرَ الفحولُ ، فأين تَذهبُ فِتيةٌ   مُلْدُ السواعِدِ والسُّيوفِ رِطَابُ ؟[4]
قال النبيُّ دعوا القِتالَ لمعشرٍ   بَلغوا النِّصابَ ، فللقتالِ نِصَابُ
إن تذهبوا نَاجينَ من غَمَرَاتِهِ   فَلَكُمْ إليه مَرجِعٌ ومآبُ

---

(١) العطب والتباب بمعنى الهلاك والخسران
(٢) زيد بن حارثة وسعد بن عبادة .
(٣) قال أبو سفيان لحُيَيِّ بن أخطب: إئت قومك حتى ينقضوا العهد الذي بينهم وبين محمد فذهب إلى كعب بن أسد القرظيّ سيد بني قريظة ووليّ عهدهم الذي عاهدهم الرسول الكريم عليه ، وأخذ يدق باب حصنه وهو لا يفتح له ، وألحّ عليه ، فقال له : ويحك يا حييّ . إنك رجل مشؤوم ، وإني قد عاهدت محمداً فلست بناقض ما بيني وبينه ، ولم أر منه إلا وفاء وصدقاً ثم ألحّ عليه ففتح له . فقال له : ويحك يا كعب ، جئتك بعزّ الدهر ، جئتك بقريش حتى أنزلتهم بمجمع الأسيال (مكان) وبغطفان حتى أنزلتهم بجانب (أحد) قد عاهدوني ألا يبرحوا حتى يستأصلوا محمداً ومن معه . . فقال كعب ـ جئتني والله بذل الدهر وبكل ما يخشى ، فإني لم أر في محمد إلا صدقاً ووفاء ، فلم يزل به حتى نقض العهد ومزق الصحيفة .
(٤) هم الغلمان الذين أمر النبي بردهم إلى أهليهم، والملد جمع أملود وهو الرطب الناعم

لن تُحرَموا في اللهِ أَجْرَجهادكم   إذ تَعملونَ ويَعمـلُ الأصحـابُ
عُنُقُ المجاهـدِ ليس يُغمَطُ حَقُّه   سِيَّـانِ سَيْفٌ قـاطِـعٌ وتُـرابُ
الخَنـدَقُ الهيجـا ، حملتم عِبْئَهـا   والأمرُ جِدٌّ ، والخطوبُ صِعابُ(١)

* * *

هَـاتِيكَ خيـلُ ابنِ الوليـدِ وَصَحْبِهِ   تـدنـو فَتـطمعُ تـارةً وتَهـابُ(٢)
بـابٌ من الهيجـاءِ ، لم تَـرَ مِثلَهُ   فيمـا تُسَـدُّ وتُفتـحُ الأبـوابُ
ذُعِـرَ الفوارسُ في مُتونِ جيـادِهم   لمَّـا تـردَّى الفـارسُ الـوثّـابُ(٣)
نظروا ، فكان لهم بمصرعِ نوفلٍ(٤)   خَـطبٌ تـطيشُ لهـولـهِ الألبـابُ

* * *

الـجـوُّ مُـسـتـعِـرٌ يَـشُبُّ أُوارُهُ   وَيَعُبُّ فيـه من اللّهيبِ عُبـابُ(٥)
جَرَتِ النّبالُ بِـهِ ، يُذيبُ وَطيسُهـا   بـأسَ الأُلَى لولا الـرجـاءُ لـذابـوا
مـاذا لهم بعـد الغُـرورِ ومـا لَقُـوا   في الحربِ ، إن كذبَ الرجاءُ وخابوا ؟

* * *

---

(١) الهيجا والهيجاء الحرب
(٢) لما نظر المشركون إلى الخندق قالوا : والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها وصاروا يتناوبون ، فيغدو أبو سفيان في أصحابه يوماً . ويغدو خالد بن الوليد يوماً ، ويغدو عمرو بن العاص يوما ، ويغدو هبيرة بن أبي وهب يوماً ، ويغدو عكرمة ابن أبي جهل يوماً ، فلا يزالون يجيلون خيلهم ، ويفترقون مرة . ويجتمعون أخرى ويناوشون المسلمين ، وكان الأمر في هذه الحركة لا يتعدى الرمي بالنبل والحصى .
(٣) متون الجياد ظهورها، تردى هلك .
(٤) هو نوفل بن عبد الله بن المغيرة . أقبل على فرس له ليوثبه الخندق فوقع فيه فاندقت عنقه ، وقيل إنه رمى بالحجارة ، وأن علياً بن أبي طالب كرم الله وجهه ضربه بالسيف فشقه نصفين .
(٥) شبّ اتّقد ، والأوار الحرّ أو هو الدخان .

دَفَعُوا الجيادَ ، وصاحَ عمروٌ صَيحةً ... هَاجَ الهزبرُ لها ، ومَـاجَ الغابُ[1]
شَيـخٌ قَضَى في الغـالِبينَ لنفسـهِ ... فَقَضَى عليـه الأشوسُ الغـلّابُ[2]
يا عمرو خُـذها من عليٍ ضـربةً ... هِيَ إن سألتَ عن الجحيمِ جوابُ

* * *

حِبَّانُ لا سَلِمَتْ يَدَاكَ ، ولا سَقَى ... أحياءَ قومكَ ما حَيِيتَ سَحـابُ[3]
أرسلتـه سهمـاً ، تَضـجُّ لِهَـوْلِـهِ ... أَمَمُ الكتـابِ وتَفـزَعُ الأحـقـابُ
مَن ذا رَميتَ ؟ رَماكَ ربُّك بـالتي ... تَنهـدُّ مِن صَدَمَـاتِهَـا الأصـلابُ[4]
أخـزيتَ أُمَّكَ لا تُحَـدِّثْ بَعـدَهـا ... عن طِيبِ أُمِّـكَ ها هنـا الأطيابُ
دَمُ مَن جَرحتَ ، وإنْ جَهِلتَ مَكَانَهُ ... في القومِ ، مِسكٌ ساطِعٌ ومَلابُ[5]
سَعـدُ العشيـرةِ والكتيبـةِ حـولـه ... أُسْـدُ العرينِ ، تَـزِيْنُهـا الأحسـابُ
الفـارسُ المـرجـوُّ يَقْـدِمُ قـومَـهُ ... عِنـدَ الوغَى ، والسَّيِّـدُ المنتابُ[6]

---

(١) هو عمرو بن عبد ود، أقبل في طائفة من المشركين أكرهوا خيولهم على اقتحام الخندق من مضيق كان به ، وكان عمرو شيخاً في التسعين من عمره ، وجعل ينادي مرة بعد أخرى : من يبارز ؟ ثم يوبخ المسلمين ويقول لهم : أين جنتكم التي تزعمون أن من قتل منكم دخلها وينشد :

ولـقـد بـحـحـتُ مـن الـنـدا ... ءِ بجمـعـكـم : هـل من مـبـارز ؟
إنّ الـشّـجـاعـة فـي الـفـتـى ... والـجـودَ مـن خـيـر الـغـرائـز

فقام إليه علي بن أبي طالب وضربه بالسيف على حبل عاتقه فسقط قتيلا ، وكبر المسلمون والهزبر الأسد .

(٢) الأشوس الشديد الجريء في القتال .

(٣) هو حبان بن العَرِقَة رمى سعد بن معاذ رضي الله عنه بسهم في أكحله (عرق في وسط الذراع) ، وقد أمر النبيّ بوضعه في خيمة رفيدة الأسلمية ليعوده من قرب ، والعرقة اسم جدة حبان . سميت به لطيب عرقها .

(٤) الأصلاب عظام الظهر .

(٥) الملاب نوع من الطيب ، وساطع منتشر .

(٦) الذي يقصد في الكبير من الأمور ، أو للخير .

إن جدَّ جِدُّ الضربِ ، فهو مُهَنَّدٌ   أو جَنَّ ليلُ الخطبِ ، فهو شِهابُ[1]

* * *

أغرى عُيينةَ وَابْنَ عَوفٍ مَطمعٌ   يَعْيَا بأَيْسَرِ أمرِهِ الطُّلَّابُ[2]
تَرَكَا أبا سُفيانَ في غَفَلاتِهِ   وكأنّما يُلقَى عليه حِجابُ
لم يُبصِر الذئبينِ حين تَسلَّلا   ومن الرجالِ ثعالبٌ وذئابُ
قالا ـ رَضِينا السِّلمَ ، يُشبعُ قومَنا   تمراً ، وراضِي السِّلمِ ليس يُعابُ
تَمْرُ المدينةِ إن أصبنا نِصفَهُ   فلكم علينا ذِمّةٌ وكتابُ
نَدَعُ القتالَ ، وإن أبَى حُلَفاؤُنا   فاشْتَدَّ لَوْمٌ ، واستحرَّ عِتابُ[3]
لهمُ الكَرِيهةُ[4] ، يُطعَمون سُمُومَها   ولنا طعامٌ سائِغٌ وشَرابُ

* * *

(١) المهنّد السيف المصنوع من حديد الهند .

(٢) عيينة بن حصن الفزاري ، جاء إلى النبي ﷺ مستخفياً من أبي سفيان ومعه الحارث بن عوف المري ، وطلبا منه أن يقطعهما نصف ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه ، فأبى عليهما إلا الثلث ، وبعث إلى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة ، فذكر لهما ذلك واستشارهما فيه . فقالا : يا رسول الله . أمراً تحبه فنصنعه ، أم شيئاً أمرك الله به إلى آخره فقال ـ لو أمرني الله ما شاورتكما ـ قالا : إن كان إنما هو الرأي فما لهم عندنا إلا السيف . وقال سعد بن معاذ : قد كنا نحن وهؤلاء القوم (يعني غطفان) على الشرك بالله وعبادة الأوثان ، لا نعبد الله ولا نعرفه ، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منا تمرة إلا قرى أو بيعاً ، فحين أكرمنا الله بالإسلام ، وهدانا له ، وأعزنا بك وبه . نقطعهم أموالنا ؟ وفي قول آخر ـ نعطي الدنية ؟ ما لنا بهذا من حاجة ، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله . قال له النبي ـ فأنت وذاك . وقال لعيينة وصاحبه : إرجعا ، بيننا وبينكم السيف .

(٣) استحرّ بمعنى اشتدّ .

(٤) الكريهة : الشدة في الحرب .

هَـاجَا من السَّعْـدَيْنِ سَوْرَةَ غضبـةٍ ... هِيَ للضـراغِمِ شِيمَـةٌ أَوْ دابُ[1]
أَبَيَا اصطنَاعَ الرأيِ في وَهَجِ الوَغَى ... لم تَصـطَنِعْـهُ قـواضِبُ وحِـرابُ
وتَنـازَعـا نَظَـراً يَهـولُ ومنـطقاً ... يُوهِي القُلُوبَ الصُّمَّ ، وَهْيَ صِلاَبُ
مَنْ هُمْ ؟ أيجملُ أن يُقالَ : تَحكَّموا ... فينـا ، ونحن السَّـادَةُ الأقـطابُ ؟
نَحمِي مَـدِينَتَنـا ونَمنـعُ نخلَهـا ... مِن أن يَحُـومَ على جَنَاهُ ذُبَـابُ
قـال النَّبِيُّ بَدَا المُغيَّبُ ، فـارجعا ... ولكـلِّ نفسٍ مَـوعِـدٌ وحِسـابُ
النَّصـرُ عِنـدَ الله ، يَجعلُه لـنـا ... إن شـاءَ ، وهـو المُنعمُ الـوهّـابُ
صبـراً على حَـرِّ القتـالِ ، فـإنّـه ... خَـطبٌ يَزولُ ، وَغَمـرةٌ تَنجابُ[2]

* * *

شَغَـلَ القتالُ عن الصـلاةِ ، وإنّها ... سَكَنٌ لنـا من ربِّنـا وثـوابُ[3]
قُمْ يـا بِـلالُ مُؤَذِّنـاً لِنُقِيمَـهـا ... سَكَنَ القِتَـالُ ، وزالتِ الأسبـابُ
رَبِّ ارْمِهِمْ بـالنَّـارِ مِـلءَ بُيـوتهم ... وقُبـورِهم ، فلو اتَّقَـوكَ لـتـابوا[4]
وببأسكَ انْصُرْنَا ، وزَلْزِلْ جَمْعُهم ... تَـزُلِ الهمومُ ، وتَـذهبِ الأوصابُ

---

(١) السَّورة الحدّة والشّدة ، والضراغم الأسود ، والدأب العادة والشأن .
(٢) غمرة تنجاب شدّة تنكشف .
(٣) استمر القتال بين الجيشين إلى الليل ، فلم يُصلِّ النبي ولا أحد من المسلمين صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء . فصاروا يقولون . ما صلّينا ، فيقول صلوات الله وسلامه عليه : ولا أنا ، ثم أمر بلالا فأذّن وصلّوا .
(٤) ورد أن النبي ﷺ قال ـ ملأ الله عليهم بيوتهم وقبورهم ناراً كما شغلونا عن الصلاة الوسطى . ومن دعائه عليهم ـ اللهم منزل الكتاب سريع الحساب ، إهزم الأحزاب ، اللهم اهزمهم وانصرنا عليهم وزلزلهم .

عبّاد بن بشر

رضي الله عنه

كان عباد بن بشر رضي الله عنه لا يفارق قبة الرسول الكريم ساعة من الليل ، فهو يبيت طائفاً حولها يحرسها من الأعداء ، وكان بالخندق ثلمة يتفقدها ﷺ بالليل مرة بعد أخرى ويقول : ما أخشى أن يؤتى المسلمون إلا منها ، وقال مرة : ليت رجلاً صالحاً يحرس هذه الثلمة الليلة ، فسمع صوت السلاح . فقال : من هذا ؟ قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه : أنا يا رسول الله جئت أحرسك . قال : عليك هذه الثلمة فاحرسها ، وطافت خيل المشركين بالخندق ، فبعث عباد بن بشر وأصحابه في وجوههم ، ورماهم المسلمون بالنبل فانقشعوا .

مَن يَنَمْ عن لَهْذَمٍ أو مِخْذَمٍ ... فابْنُ بشرٍ ساهرٌ لم يَنَمِ (١)

يَحرسُ القُبَّةَ ما فيها سِوَى ... حارسُ الجيشِ وحَامي العَلَمِ

هَبَّ يدعو : يَا ابْنَ بشرٍ خَلِّنِي ... إنّها الخيلُ أراها ترتمي

كُلُّ لحمٍ من جُنودي ودمٍ ... فهو لحمي يا ابن بشر ودمي

خَلِّني واذهَبْ إلى القومِ الألى ... قذفونا بالرّعيلِ المُقْدِمِ (٢)

إمضِ في صحبِكَ ، إنّي ها هنا ... في حِمَى اللَّهِ الأجلِّ الأعظمِ

إحرسوا الخندقَ وَارْمُوا دُونه ... لا تخافوا كلَّ غاوٍ مُجرِمِ

---

(١) اللهذم الحاد القاطع من الأسنة،والمخذم من السيوف القاطع .

(٢) الرعيل: القطعة من الخيل .

أدركُوا سعداً وكونوا مِثلَهُ		إن رَمَى في اللّهِ سَهماً أو رُمِي
حَارِسُ الثّلمةِ ، يُلقِي حَولَها		صخرةً من عَزمِهِ لم تُثلَمِ[1]
أدركوه ، واهزموها قُوّةً		لن تنالوا النّصرَ ما لم تُهزَمِ
انصروا اللّهَ ، وصُونُوا دِينَهُ		إنّ خيرَ الدِّينِ دِينُ المسلمِ
هو إن طَمَّ على الأرضِ الأذى		رحمةُ الأرضِ ، ومَحيَا الأُمَمِ[2]
وإذا ما أظلمتْ أرجاؤُها		فهو نورُ اللّهِ ماحِي الظُّلَمِ

* * *

ذَهَبَ الصَّحبُ كِراماً ، ورَمَوْا		بِيَدِ اللّهِ الأعزِّ الأكرمِ
يَذهَبُ السّهمُ سديداً راشداً		فهو مِلءُ العينِ أو مِلءُ الفمِ
وهو في النّحرِ قَضَاءٌ آخِذٌ		نافذٌ في كلِّ سَدٍّ مُحكَمِ

* * *

عادتِ الخيلُ سِراعاً وبها		مِن جُنودِ اللّهِ مِثلُ اللَّمَمِ[3]
وتَوَلّى الجندُ في زلزلةٍ		تَصدعُ الفيلقَ ، إن لم تهدِمِ

* * *

حارَتِ الأحزابُ : ماذا تَنتوي		وبِمَنْ فيما دَهاها تَحتَمِي ؟[4]
خَذَلَتْهَا في الوغى آلهةٌ		لو هَوَى الوادِي بها لم تَعْلَمِ
تَطلبُ الغوثَ وما من سامعٍ		أيُّ غوثٍ يُرتَجى من صَنَمِ ؟

---

(١) تُكسر .

(٢) طم الأمر غلب وتفاقم .

(٣) اللمم الجنون أو طرف منه .

(٤) انتوى بمعنى قصد .

يـا زعيمَ القـومِ أيقِـنْ وَاسْتَفِقْ   إنّــه الـحقُّ الــذي لـم تَــزعُـمِ
يـا زعيمَ القومِ هـل من نـادمٍ ؟   إنّـمـا يَـهـلكُ مَـن لـم يـنـدمِ
نَـهَضَ الـقـومُ بـرأيٍ مُـبـصِـرٍ   وَدَهَـتْكـم عَـثـرةُ الـرأيِ الـعَـمِ
إستفـيقـوا، وانـبـذوا أربـابَكـم   أو فـذوقـوا البـأسَ مُـرَّ المـطعمِ
إنّـكـم مِـمَّـن كـرهـتـم دِيـنَـهـم   بين نـابَيْ كـلِّ صِـلٍّ أرقمِ[1]

---

(١) الصل الحية ـ وارقم صفة لأخبث الحيات وأطلبها للناس ، أو ما فيه بياض وسواد منها ، أو هو الذكر خاصة .

نُعَيم بن مسعود الأشجعي وجنود الله

قدم نعيم بن مسعود الأشجعي على النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني أسلمت، وإن قومي (غطفان) لم يعلموا بإسلامي . فمرني بما شئت : فقال له ، إنما أنت رجل واحد ، فخذّل عنا ما استطعت ، فإن الحرب خدعة ، وأجاز له أن يقول ما أراد، فذهب الى بني قريظة وكان لهم نديماً ، فأخذهم بدهائه ، وقال لهم كالناصح الامين، لقد رأيتم ما وقع لبني قينقاع ولبني النضير من إجلائهم وأخذ أموالهم ، وإن قريشاً وغطفان ليسوا مثلكم . البلد بلدكم، وبها أموالكم ونساؤكم وأبناؤكم ، لا تقدرون على أن ترحلوا منه إلى غيره ، فإن رأى هؤلاء نهزة أصابوها ، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم ، وخلّوا بينكم وبين محمد ولا طاقة لكم به ، فلا تقاتلوا معهم حتى تأخذوا رهناً من أشرافهم سبعين رجلا يكونون بأيديكم. قالوا: أشرت بالرأي والنصح ، ودعوا له وشكروه . . ثم ذهب الى أبي سفيان ومن معه من أشراف قريش فقال ـ قد عرفتم ودي لكم وفراقي لمحمد، وأني ناصح لكم ، إن معشر يهود ندموا على ما صنعوا من نقض عهدهم الذي اعطوه محمداً ، وقد أرسلوا إليه وأنا عندهم يقولون : هل يرضيك أن نأخذ لك من قريش وغطفان سبعين رجلا من أشرافهم تضرب أعناقهم وترد جناحنا الذي كسرت الى ديارهم ، ثم نكون معك على من بقي منهم حتى نستأصلهم فقبل ذلك منهم . . ثم ذهب نعيم الى غطفان فقال: إنكم أهلي وعشيرتي، وأحب الناس إلي، ولا أراكم تتهمونني : قالوا صدقت ما أنت عندنا بمتهم، فقال لهم مثل ما قال لقريش ، فلما كان ليلة السبت أرسل أبو سفيان ورؤوس غطفان الى بني قريظة عكرمة بن أبي جهل في نفر منهم ، فقالوا لهم ، إنا لسنا بدار مقام وقد هلك الخف والحافر، فأعدوا للقتال حتى نناجز محمداً ونفرغ مما بيننا وبينه . . قالوا إن غداً السبت وقد علمتم

ما أصاب الذين اعتدوا منا يوم السبت . ومع ذلك فإنا لا نقاتل معكم حتى تعطونا سبعين رجلاً رهناً ـ قالوا صدق والله نعيم .

اختلفت كلمتهم وبعث الله عليهم ريحاً عاصفاً نقلت بيوتهم وكفأت قدورهم، وسفت عليهم التراب، ورمتهم بالحصى، وكانوا يسمعون في أرجاء معسكرهم التكبير وقعقعة السلاح، ومزق الله جمعهم فانقلبوا خاسرين ﴿ يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها ﴾ .

أقبِلْ نُعَيمُ هَداك ربُّكَ ساريا ... وكفى بربّك ذي الجلالةِ هاديا[1]

جِئتَ النبيَّ فقلتَ، إنّي مُسلمٌ ... من أشْجَعٍ لم يَدْرِ قومي ما بيا

مُرْني بما أحببتَ في القوم الأُلَى ... كَرِهوا الرشادَ أكن لأهرِكَ واعيا

قال: ارمهم بالرأيِ ، يَصدعُ بأسَهم ... عنّا ، ويتركُه ضعيفاً واهيا

عُدْ يا ابنَ مسعودٍ إليهم راشداً ... وَاصْنَعْ صَنيعَكَ آمراً أو ناهيا

قال: استعنتُ بمن هَداكَ بِنُورِه ... ومَحا بِملّتِكَ الظلامَ الداجيا

ومضى فهزَّ بَنِي قَريظَة هِزّةً ... يَغتالُ رَاجفُها الأشمَّ الراسيا[2]

قال: اتبعوا يا قومُ رأيَ نديمِكم ... إنّي مَحضتُكُمُ الودادَ الصافيا

أفما رأيتم ما أصابَ مُحمّدٌ ... مِن قومِكم لمّا اطاعوا الغاويا[3] ؟

جَهلوا، فعاجلهم ببأسٍ عاصفٍ ... لم يُبقِ منهم في الجزيرةِ ثاويا

فَدَعُوا قُريشاً لا تظنّوا أمرَها ... من أمركم أمَماً ولا مُتدانِيا[4]

إنّ البلادَ بلادُكم، فإذا انثنت ... ومَضى البلاءُ، فلن تُصيبوا واقيا

---

(١) كان مجيئه إلى النبي ﷺ بالليل .

(٢) إغتاله أهلكه وأخذه من حيث لا يدري .

(٣) حيي بن أخطب .

(٤) الأمم القريب .

إن تـأخـذوَا سَبعِين من أبــطالِهم رَهنـاً، يَكُنْ حَـزمـاً ورأيـاً شـافيـا

* * *

وأتى قـريشـاً في مَخِيلَةِ نـاصـحٍ يُبدِي الهَوى، ويُذيعُ سِرّاً خافيا[1]

يـا قـومُ إنّ بني قُـريـظَةَ أحـدثـوا أمـراً طَفقتُ لـه أعَضُّ بنـانيـا

قـال المنبِّىءُ : إنّهم نَـدمـوا على ما كان مِنهم، إذ أجابوا الداعيا[2]

بعثـوا فقالـوا يا محمـدُ مـا تـرى إن نحن أحْسَنّا ؟ أتُصبِحُ راضيا ؟

نُعطِي سُيـوفَـك من قـريشٍ ثُلَّةً ونَسوقُ من غَطفانَ جَمعاً رابيـا[3]

مـن هـؤلاءِ وهـؤلاءِ نَـعـدُّهـم سَبعـينَ تـقتـلهُـم جـزَاءً وافيـا

وَتُـردُّ إخـوتَـنـا إلى أوطـانـهـم بعد الجلاءِ، وكان حُكمُكَ ماضيا

كانوا على حَدَثِ الزّمـانِ جَناحَنـا فتـركتَ نـاهِضَـهُ كسيـراً داميـا[4]

* * *

ومَشى إلى غَـطفـان يُنبِئُهم بمـا سَمعتْ قـريشٌ أو يَـزيـدُ مُحـابيـا

أهلي مَنحتُ نَصِيحَتِي، وعَشِيرَتِي نَبَّهْتُ، أخشى أن يَجلَّ مُصـابيـا

* * *

هَفَتِ المخاوفُ بالنّفوسِ، فزُلزِلتْ ومَضتْ بها هُوجُ الظُّنونِ سَوافيا[5]

---

(١) المخيلة هنا ما يظن ويتوهم .

(٢) حيي بن أخطب .

(٣) الثلة الجماعة ، ورابيا زائدا .

(٤) حدث الزمان مصائبه ونوائبه ، والجناح الكناف والذّرى والظّل .

(٥) من الهوج بفتحتين وهو الطيش والتسرع . وهوج جمع أهوج وهوجاء .

لم يُبقِ منهـا الأشجعيُّ بـمكـرهِ   ودَهـائـهِ غيـرَ الهـواجِس بـاقيـا

* * *

جَلَس ابنُ حربٍ في سَرَاةِ رجالِه   هَمًّا يُـطالِعُهم، وخـطبـاً جـاثيـا
والـرّهطُ من غَطفـان يَنظُر واجماً   جِينـاً، ويهْدرُ عـاتِبـاً أو لاحِيـا[1]
لبثـوا ، يُديـرُ الرأيَ كـلُّ مُجـرِّبٍ   منهـم، فيـا للكِ حَيْـرةً هِيَ ماهيـا

* * *

بعثـوا، فقـالـوا لليهـودِ تـأهَّبـوا   للحـربِ، نَطوِي شـرَّها المتمـاديا
لم يَبْقَ من خُفٍّ ولا من حـافـرٍ   إلّا سَيُصبـحُ هـالكـا أو فـانيـا[2]
طـال المقـامُ، ولا مُقـامَ لمعشـرٍ   نـزلوا من الأرضِ البعيـدَ النـائيـا
أمستْ منـازُلهم بـأرضِ عَـدُوِّهم   والمـوتُ يَخْـطِرُ رَائحـاً أو غـاديـا
قـالوا : أيـومَ السَّبْتِ نبـرزُ للوغَى   ولَقَـدْ عَلِمْنا مـا أصابَ البـاغيـا ؟
لسنـا نُقـاتِـلُ ، أو تُؤدُّوا رَهْنَكم   إنّـا نـرى الـدّاءَ المُكتَّمَ باديـا
سَبْعِينَ إن خُنتم قَضينـا أمـرَنـا   فيهم، ولن يَجِدوا هُنالِكَ فـاديـا

* * *

غَضِبَ ابنُ حـربٍ ثم قال لقـومه   صَدَق ابنُ مسعودٍ وخـابَ رجائيـا
غَـدَرَ اليهـودُ وتلك من عـاداتِهم   يـا قومِ ، مـا للغـادِرينَ ومـاليـا ؟
ما كنتُ أحْسَبُ، والخطوبُ كثيرةٌ   أنَّ الأحبَّـةَ يُصبحـون أعـاديـا

* * *

(١) لحاه لامه وسبّه وعابه .
(٢) المراد ذوات الخف والحافر من الإبل والخيل ونحوها .

هــذا بِنـاءُ القــومِ مَـالَ عَمــودُه   فَــوهَى وأصبـحَ رُكنــهُ مُتـداعيــا
هَــدمَ الإمـامُ العبقــرِيُّ أسـاسَــهُ   وَسمــا بـدينِ العبقــريَّــةِ بــانيــا
شَيـخُ السِّيـاسـةِ ليس يَبعثُ غـارةً   أو يبعثَ الـرأيَ المظفَّـرَ غازيـا[1]
الله عَــلَّمَــهُ . فــليس كَــفَــنِّــهِ   فَنٌّ وإن بَهَــر العقـولَ معــانيـا

* * *

اللّهُ أرسـلهَ عـليـهــم عــاصـفــاً   مُتمــرِّداً يَــدَعُ الجِبــالَ نــوازيــا
شَرِسَ القُوى عَجْلانَ أهوجَ يرتمِي   يُـزجِي الغـوائــل مُستبِدّاً عــاتيـا
مــا لامــرىءٍ عَهــدٌ يُـظنُّ بمثلهِ   من بعــدِ عــادٍ رائيــاً أو راويــا
قلب المنازِلَ والبيوتَ، فلم يَـدَعْ   إلاّ مَـصــائِبَ مُـثَّــلا ، ودواهـيــا
ألقَى على القومِ العذابَ، فما يُرَى   مُتـزحـزِحــاً عنهم، ولا مُتجـافيــا
الأرضُ واسعــةُ الجـوانبِ حــولهم   مــا مسَّ منها عــامراً أو خــاليـا[2]

* * *

نَــزلَتْ جُنـودُ اللهِ رُعبــاً بــالغـاً   مَلأ القُلوبَ، فما بَرِحْنَ هوافيـا[3]
وأتى حُـذيفـة في مَــدارِعِ غَيْهَبٍ   ألْقَى على الدنيا حِجاباً ضـافيا[4]

---

(١) أو هنا بمعنى إلى أو إلاّ أي إلى أن يبعث أو إلاّ أن يبعث .
(٢) كانت الريح تقلبهم وتضربهم بالحجارة وهي لا تجاوز عسكرهم .
(٣) أرسل الله الملائكة في هذه الغزوة فقذفت الرعب في قلوب المشركين وهوافيا من هفا القلب إذا ذهب في أثر الشيء والمقصود ذهل .
(٤) حذيفة بن اليمان رضي الله عنه ، دعاه الرسول الكريم ليأتيه بأخبار القوم وقال له اذهب حفظك الله من أمامك ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك حتى ترجع إلينا .
قال حذيفة : فجئت إليهم ودخلت في غمارهم ، فسمعت أبا سفيان يقول : يا معشر قريش ، ليعرف كل امرىء منكم جليسه ، واحذروا الجواسيس والعيون ، فأخذت بيد جليسي الذي على يميني ، وقلت من أنت ؟ قال : معاوية بن أبي سفيان ، وقبضت يد من =

يَتَلَمّسُ الأخبارَ: ماذا عِندهم ؟ أأفاقَ غاويهم، فَيُصْبِحُ صاحيا ؟
جاء الرجالَ، يَدُسُّ فيهم نَفْسَهُ والحتفُ يَرْقُبه مخوفاً عاديا[1]
بيَدَي معاويةٍ وعمرٍو أمسكت كلتا يَدَيْهِ مُوارِباً ومُداجِيا
لولا الرسولُ ودَعوةٌ منه مضت لَقِيَ الأسِنّةَ والسُّيوفَ مواضيا
بَلغَ البلاءُ بهم مَداهُ، فلم يَجِدْ منهم سِوَى شاكٍ يُطارِحُ شاكيا
يدعو أبو سُفيانَ يا قومِ انظروا إنّا وجدنا الأمرَ صَعْباً قاسيا
فِيمَ المُقامُ ؟ كفى التعلُّلُ بالمنى هُبّوا، فإنّي قد مَللتُ مُقاميا
حَسْبي على ألمِ الرحيلِ وحَسْبُكم أن يرجعَ الجيشُ العرمرمُ ناجيا[2]
ثم اعتلى ظَهْرَ البعيرِ، وقال: سِرْ لا كانَ ذا الوادي المُروِّعُ واديا
فاهتاجَ عكرمةٌ وقال: أهكذا يَهِنُ الزعيمُ، ألا تُقيم لياليا ؟[3]
إنزلْ، وَسِرْ في القومِ سِيرةَ ماجدٍ لا تُشْمِتَنَّ بكَ العدوَّ ولابيا
نزل الزعيمُ يَجرُّ حبلَ بَعيرِهِ ويقولُ: سِيروا مُسرِعَين ورائيا

* * *

= على يساري ، وقلت من أنت ؟ قال : عمرو بن العاص ، ـ فعلت ذلك خشية أن يفطن بي ، فقال أبو سفيان يا معشر قريش إنكم والله لستم بدار مقام ، ولقد هلك الكراع والخف ، وأخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذي نكره ، ولقينا من هذه الريح ما ترون. فارتحلوا فإني مرتحل ، ووثب على جمله . والغيهب الظلمة الشديدة ، ومدارع جمع مدرعة وهي جبّة مشقوقة المقدّم .

(١) الحتف ـ الموت .

(٢) الجيش العرمرم الكثير .

(٣) عكرمة بن أبي جهل ، قال لأبي سفيان ، إنك رأس القوم وقائدهم : تذهب وتترك الناس ؟ فاستحيا أبو سفيان واناخ جمله ، وأخذ بزمامه وهو يقوده ، وقال للناس : إرحلوا فجعلوا يرحلون .

سـاروا وقـال ابنُ الـوليـدِ أمــالنـا　　يا عمرُو أن نَلقى اللُّيوثَ ضواريا ؟[1]
إن كنتَ صاحبَ نجدةٍ فأقِمْ معي　　وَلْيَبْقَ مَن رُزقوا النُّفوسَ أوابيا[2]
أبيـا الـرحيـلَ حَمِيَّةً فتَخلَّفـا　　وأبـاهُ قـومٌ يـتّـقـونَ الـزاريـا
ثم استبـدَّ بهِم قضـاءٌ غـالـبٌ　　فمضـوا، وأدبرَ جمعُهم مُتـراميـا

* * *

ومضى حُـذيفـةُ بـالبَشـارةِ يبتغِي　　عِنـدَ النبيِّ بها المحـلَّ العاليـا[3]
وافـاه في حَرَمِ الصّـلاةِ وقُدْسِهـا　　والنّــورُ نـورُ اللهِ يَسْـطَعُ زاهيـا
حتى قضـاهـا سَمحـةً مَقبـولـةً　　مُتهجّـداً، يتلو الكتـابَ مُنـاجيـا
رَكَعـاتُ ميمـونِ النَّقِيبَـةِ مُشـرِقٍ　　تَـرِدُ السَّـمَـاءَ أهِـلّةً ودراريـا[4]
سَمِعَ الحديثَ، فـراحَ يَحمدُ رَبَّـه　　فَـرحـاً ، ويشكُـر فَضلَه المتـواليـا

* * *

إن يَجمـعِ القـومُ الجنـودَ فـإنّمـا　　جمعـوا مَـزاعِمَ تُفتَـرى ودعـاويـا
جمعــوا لأغـوالٍ يَـطولُ غليلُهـا　　ممّـا تَحـامـاهـا المنـونُ تحـاميـا
من كُـلِّ مُقتحِمٍ، سَـواءٌ عنـده　　وَرَد المنيّـةَ شـاربـاً أو سـاقيـا

* * *

سِرْ في عبيدِكَ يا ابنَ حربٍ إنّما　　لاقيتَ منـهـم سـادةً ومَـواليـا

---

(١) أقام خالد بن الوليد وعمرو بن العاص في مائتي فارس بعد مسير أبي سفيان وعسكره ثم لحقوا بهم .
(٢) اوابى جمع أبيّة ، ونفس أبية : أي تترفع عن الدنايا .
(٣) رجع حذيفة بن اليمان إلى الرسول الكريم وهو يصلي ، فلما قضيت الصلاة نبأه بما كان من أمره وأمر المشركين فضحك حتى بدت ثناياه ثم حمد الله وشكره .
(٤) ميمون النقيبة أي محمود المختبَر .

لن تبلغَ النّصرَ المرومَ، ولن ترى	إلا ظُبىً مهـزومـةً وعـواليـا[1]
ذهبت لِـطيَّتهـا الكتـائبُ خُيَّبـاً	وذهبتَ تَبعثُ بـالكتابِ مُنـاويـا[2]
بِئسَ الكتابُ، عَوَيْتَ فيه ولن ترى	ضِرغامَةَ الوادي يخـاف العاويـا[3]
ورفعتَ لـلأصنـامِ فيـه لـواءهـا	وهيَ التي تـركتْ لِـواءكَ هـاويـا
اتعِيبُهـا أن لـم تكـن عـربيَّـةً ؟	أفمـا رأيتَ جَمـالَهـا المتنـاهيـا ؟
أنكـرتَ حُسْنَ الفـارسيّـةِ غَيْـرَةً	وحَسَدْتَها ، فجعلت نفسَكَ واشيا
زِدْهَا من الوصفِ البـديع، وغنِّنـا	للهِ دَرُّكَ يـا ابنَ حـربٍ شـاديـا
مـاذا أصـابـك من كتـابِ مُحمَّـدٍ	لا تُخْفِ ما بك إن أردت مُواسيا[4]
أفمـا صعـقتَ لـه، وبِتَّ بليـلةٍ	تَسْرِي أراقمُها، فَتُعيِي الراقيا ؟[5]
إنهض أبـا سُفيـانَ نهضـةَ مُهتَـدٍ	أفمـا تـزالُ القـاعِدَ المُتـوانيـا ؟

---

(١) الظبى السيوف والعوالي الرماح .

(٢) الطية النية والمقصد والمنزل المنتوى .

(٣) أرسل أبو سفيان كتاباً إلى النبي يقول فيه : باسمك اللهم فإني أحلف باللات والعزى وأساف ، ونائلة ، وهبل . لقد سرت إليك في جمع وأنا أريد أن لا أعود إليك أبداً حتى أستأصلكم ، فرأيتك قد كرهت لقاءنا ، واعتصمت بمكيدة الخندق ما كانت العرب تعرفها ، وإنما تعرف ظل رماحها ، وشبا سيوفها ، وما فعلت هذا إلا فراراً من سيوفنا ولقائنا ، ولك مني كيوم أحد ..

(٤) أجابه النبي بكتاب قال فيه : أما بعد فقد أتاني كتابك ، وقديماً غرك بالله الغرور ، أما ما ذكرت أنك سرت إلينا وأنت لا تريد أن تعود حتى تستأصلنا ، فذلك أمر يحول الله بينك وبينه ، ويجعل لنا العاقبة . وليأتين عليك يوم أكسر فيه اللات والعزى وأسافاً ونائلة وهبل .

(٥) الأراقم جمع أرقم وهو أخبث الحيات أو ما فيه بياض وسواد .

غزوة بني قريظة

كانت هذه الغزوة يوم رجع المسلمون من غزوة الخندق، فأمر النبي ﷺ بلالا رضي الله عنه فأذن في الناس بالقتال، وبعث منادياً يقول: يا خيل الله اركبي، ثم سار الى بني قريظة في ثلاثة آلاف مقاتل، وكانت الراية في يد علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .

ولجأ اليهود الى حصنهم فحوصروا فيه خمساً وعشرين ليلة ـ على أصح الروايات .

ونصح كعب بن أسد كبير اليهود لقومه وعمرو بن سُعْدَى ، فلم يقبلوا وضاق بهم الأمر. فبعثوا الى النبي يطلبون أن يرسل إليهم أبا لبابة ـ من الأوس حلفائهم ـ فلما جاءهم قالوا: تُحقن دماؤنا ، ونأخذ ما تحمل الجمال إلا الحلقة (السلاح)، وعرض ذلك على النبي فأبى ، وطلبوه ثانية ونزلوا عن الأموال والحلقة فأبى، ثم نزلوا على حكمه ﷺ . وحكم سعد ابن معاذ رضي الله عنه، فأمر بهم فكُتِّفوا، وبالنساء والذراري فجعلوا ناحية، وقتل حُيَيّ بن أخطب في من قتل منهم .

تـرامى الجيشُ، واندفَـع الـرعيـلُ ... فقـل لبني قريـظةَ مـا السَّبيـلُ ؟[1]

سَـلُوا كعـبـاً وصــاحَبُـه حُـيّـيـاً ... نَزِيلَ الشُّؤمِ هل صَدَقَ النزيلُ ؟[2]

أطـعـتـم أمــرَهُ، فـتـلقّفَـتـكـم ... مــن الأحــداثِ داهـيــةٌ أكــولُ

---

(١) الرعيل مقدمة الخيل أو القطعة القليلة منه تقدر بالعشرين أو الخمسة والعشرين .

(٢) إشارة إلى ما كان من أمر حيي بن أخطب مع كعب بن أسد حين ذهب إليه وحمله على نقض العهود وتمزيق الصحيفة راجع غزوة الخندق وإلى انه معه في الحصن وفاء بعهده .

وكــان دَلـيلَكـم، فجنى عـليكـم وقـد يَجنِي على القـومِ الـدليـلُ
دَليـلُ السُّـوءِ، لا عَقـلٌ حَصِيفٌ يُـسَـدِّدُه ، ولا رأيٌ أصـيـلُ[1]
تَـفـرَّقَتِ الـجـمـوعُ وأدركَـتْـكُـم جنـودُ اللهِ يَقْدُمُها الـرَّسـولُ[2]
جـهلتـم مـا وراءَ الغـدرِ حـتّـى رأيـتـم كـيـف يَـتَّـعظُ الـجـهـولُ
ألـم تـروا اللِّواءَ مـشى إلـيـكـم بـه وبسيفـهِ البـطلُ المَهـولُ ؟
حـذار بـني قـريـظة مـن عليٍّ ولا يغـرركـمُ الأُطُمُ الـطويـلُ[3]
ومـا يجـديكم الهـذَيـانُ شيئـاً وهـل يُجدِي المُخبَّلَ ما يَقـولُ ؟
ومـا لبني القرودِ سِوَى المواضي يكـون لهـا بـأرضِهِمُ صَليـلُ[4]

* * *

تَـوارَوْا كـالـنِّسـاءِ مُـحـجَّبـاتٍ حَمَتْهـا في المقـاصيرِ البُعُـولُ[5]
خـلا الميـدانُ، لا بَـطلٌ يُنـادِي ألا بَـطَلٌ ؟ ولا فَـرسٌ يَـجـولُ
أقـامـوا مُحْجَـرِينَ على هَـوانٍ أقـامَ، فمـا يَـرِيمُ ولا يَحـولُ[6]

---

(١) الحصيف كل محكم لا خلل فيه .
(٢) الذين جاءوا النبي في غزوة الخندق.
(٣) الأطم الحصن .
(٤) إشارة إلى قول الرسول الكريم لهم وقد دنا من حصنهم ـ يا إخوان القردة هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته ؟ ، فإن علياً كرم الله وجهه أقبل على الحصن في جماعة من المهاجرين والأنصار ، وغرز اللواء عند أصله . فسمع من بني قريظة كلاماً بذيئاً في رسول الله وأزواجه ، ثم رآه مقبلا فأوصى أبا قتادة الأنصاري رضي الله عنه أن يلزم اللواء وخف إليه فقال : يا رسول الله لا عليك أن لا تدنو من هؤلاء الأخابث ، قال : لعلك سمعت منهم لي أذى قال نعم فدنا من الحصن وقال لهم : يا إخوان القردة . . .) .
(٥) المقاصير جمع المقصورة وهي الدار الواسعة المحصّنة أو هي الحجرة من حجراتها ، والبعول الأزواج .
(٦) أحجره غطاه وستره ، كناية عن بقائهم في الحصن. رام مكانه زال عنه وفارقه .

يُـرنِّقُ عَيْشَهـم جُـوعٌ وخَـوْفٌ كِـلاَ الخـطبَيْنِ أيْسـرهُ جَليـلُ[1]
يَبِيـتُ الهـمُّ مُـنتَشِـراً عـليهـم إذا انتشرتْ من اللّيلِ السُّدولُ[2]
يـلفّهـمُ السّـهـادُ، فـلا رُقـادٌ يَـطِيبُ لهم، ولا صَبْـرٌ جَميـلُ
يخـاف النـومَ أكثـرُهم سُـهـاداً كـأنّ النـومَ في عـينيـه غُـولُ
إذا مـالـت بـه سِنَـةٌ تـنـزّى يـظنُّ جَوانِبَ الـدنيا تميـلُ[3]
تَـطوفُ بهم منـايـاهم ظُنـونـاً تَـوهَّـجُ في مخالبِهـا النُّصـولُ[4]
بـهم وبحصنِهـم مّمـا دَهـاهُـمْ وحَـاقَ بـهم جُنـونٌ أو ذُهـولُ

* * *

يقـول كبيـرُهم يـا قـومِ مـاذا تَـرَوْنَ؟ أهكذا تَعْمَى العُقـولُ ؟[5]

---

(١) يرنق بمعنى يكدر ، وجليل عظيم .

(٢) جمع سدل وهو الستر .

(٣) تنزى توثب وتسرع .

(٤) توهج تتوهج ، والنصول جمع النصل وهو حديدة الرمح والسهم وربّما سمي السيف نصلاً .

(٥) كعب بن أسد ، قال لهم ـ يا معشر يهود قد نزل بكم من الأمر ما ترون وإني عارض عليكم خلالا ثلاثا ، أيها شئتم فذاك ،قالوا . وما هي ؟ قال نتابع هذا الرجل ونصدقه ، فوالله لقد تبين لكم أنه نبي مرسل ، وأنه الذي تجدونه في كتابكم ، فتأمنون على دمائكم وأموالكم ونسائكم وأبنائكم ، وما منعنا من الدخول معه إلا الحسد للعرب ، حيث لم يكن من بني إسرائيل ، ولقد كنت كارهاً لنقض العهد ، ولم يكن البلاء والشؤم إلا من هذا الجالس (يعني حيي بن أخطب) أتذكرون ما قال ابن خراش حين قدم عليكم ، أنه يخرج بهذه القرية نبي فاتبعوه وكونوا له انصاراً فتكونوا قد آمنتم بالكتابين. الأول والآخر ـ قالوا : لا نفارق حكم التوراة أبداً ولا نستبدل به غيره : قال : فهلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا ، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالا مصلتين السيوف فإن نهلك نهلك ولم نترك وراءنا ثقلا ، وإن نظفر فلعمري لنجدن النساء والأبناء . . . قالوا : نقتل هؤلاء المساكين ، فما خير العيش بعدهم ؟ قال ـ إن الليلة ليلة السبت . وأن عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنوا فيها ، فانزلوا لعلنا نصيب منهم غِرّة ، فقالوا نفسد سبتنا ! وأبوا .

أليس مُحمــدٌ من قـد علمتم ... فما الخَبَلُ المُلِحُّ، وما الغُفُول ؟[1]
رســولُ اللهِ مـا عنـه صُـدوفٌ ... لمن يبغي النَّجـاةَ، ولا عُــدُولُ
أبعــدَ العِلم شَـكٌّ ؟ بـل ضللتم ... عـلى عِلْمٍ ، وذلـكـُم الـغُـلولُ[2]
هَـلمُّــوا نَـتَّبِـعْــهُ، فـإنْ أبيتُـم ... فليس لنـا سِوَى الأخـرى بَـديـلُ
نُضَـحِّي بـالنّسـاءِ وبـالـذراري ... ونَخـرجُ ،والـدّمُ الجـاري يَسِيـلُ
بـأيـدينـا السُّيـوفُ مُسَـلَّلَاتٍ ... نَصـونُ بهـا الـذِمـارَ إذا نَصـولُ
فـإلّا تـفـعـلوا فـالـقـومُ مـنّـا ... بمنـزلـةٍ تُنـالُ بهـا الـذُّحـولُ[3]
لـهم منّـا غـداً بـالسَّبْتِ أمْـنٌ ... فـإن تـكُ غِـرَّةٌ شُفِيَ الـغَليـلُ
هـلمّـوا بـالقـواضـبِ إن أردتـم ... فمـا يُغـنِي الـتَّردّدُ والنُّكـولُ[4]
عَصَوْهُ،وَراضَهُم عمروُ بن سُعْدَى ... فما اجتُنِبَ الجماحُ ولا الجُفولُ[5]
أبَـوْهـا جِـزيـةً ثَقُلَتْ عليهم ... وقالوا : بئسما يرضى الـذّليلُ
فـفَــارقَهـم على سُـخْطٍ وضِـغْنٍ ... ورَاحَ يـقـولُ: لا نِعْـمَ القـبيــلُ
نهـاهم قبل ذلـك أن يخونـوا ... فكــان الغـدرُ والـداءُ الـوبيــلُ

* * *

تَــوالَى الضُّــر عِبْئـاً بعـد عِبْءٍ ... فـهـدَّ قُـواهُمُ الـعبءُ الـثقيــلُ
دَعَــوْا يَسْتَـصْـرِخـونَ: ألا دَواءٌ ... فقد أشفَى على الموتِ العليـلُ ؟

---

(١) الغفول بمعنى الغفلة .
(٢) الغلول ـ الخيانة .
(٣) الذحول جمع ذحل والذحل الثأر .
(٤) النكول النكوص والجبن .
(٥) قال لهم عمرو بن سعدى : خالفتم محمداً ولم أشرككم في غدركم ، فإن أبيتم أن تدخلوا معه فاثبتوا على اليهودية ، وأعطوا الجزية . فأبوا ، وغضب فقال ـ إني بريء منكم ، ثم فارقهم ولم يعد إليهم .
الجفول النفور من كل شيء .

لعـل أبـا لُبـابـةَ إن ظفـرنـا بمقـدمـه لِعَثْـرتِـنَـا مُقيـلُ[1]
وأرسـله الـنـبـيُّ فـخـالـفـوه وقـالـوا: لا يُصـابُ لنـا قتيـلُ
لـكـم منّـا الـسّـلاحُ إذا أردتـم وتـنـطلق الـركـائبُ والـحُمـولُ
وعَـادَ ،فـرَاجَعُـوه على اضـطرارٍ وهـانَ عليهمُ المـالُ الجـزيـلُ
إليـكَ أبـا لُبـابـةَ مـا منعنـا وشـرُّ المالِ مـا مَنَعَ البَخِيـلُ
خُـذوهُ مـع السلاحِ، وأَطْلِقُـونـا فَحَسْبُ مُحمّـدٍ منّـا الـرحيـلُ
فقـال: دِمـاؤُكم لا بُـدَّ منهـا وذلـك حُكمـهُ، فمتى القُبـولُ؟
أجِبْ يـا كعـبُ إنّ الأمـرَ حَتْـمٌ فمـاذا بَعْـدُ إلّا المستحيـلُ؟
ومـا من معشـرٍ يـا كعـبُ إلّا علـى حُكْـمِ النبيِّ لـهم نُـزولُ
نَصحتُ لكم، ومـا للقـومِ عُـذْرٌ إذا نَصَـح الحـليفُ أو الـخليـلُ

* * *

هَوَوْا من حصنِهم ، وكذاك تَهوي وتهبطُ من مَعـاقِلِها الـوُعـولُ[2]
وجـاءوا ضَـارِعينَ ، لهم خُـوارٌ يـجـاوِبُـهُ بُكـاءٌ أو عَـوِيـلُ[3]
يـبثُّ الـوجـدَ مُبـتَئِسٌ حَـزِيـنٌ وَتُـذرِي الـدمـعَ وَالِهَـةٌ ثَكُـولُ[4]

---

(١) لما جاءهم أبو لبابة رضي الله عنه واسمه (رفاعة بن المنذر) قام إليه الرجال وأسرع النساء والأطفال يبكون في وجهه ،وقالوا : يا أبا لبابة أترى أن ننزل على حكم محمد (أن لا تحقن دماؤهم وأن لا تترك لهم نساؤهم وأبناؤهم) قال ـ نعم ، فأبوا وقالوا : نترك السلاح ونجلو ، فلم يقبل النبي ، وعادوا فقالوا نترك السلاح والمال ، فكذلك . وأقال عثرته أنهضه من سقوطه .

(٢) نزلوا على حكمه ﷺ فبرزوا من الحصن . وجاؤوه أذلاء ضارعين . فأمر بهم فكتفوا ، وأخرج النساء والذراري فجعلوا ناحية ـ الوعول جمع وعل . وهو التيس الجبلي أو ذكر الأروى .

(٣) الخوار الصياح والأصل صوت البقر والغنم .

(٤) تذري تصبّ .

قـضـاءُ اللّهِ مـن قتـلٍ وَسَـبْيٍ   مَـضَى ، والـبغيُ دَولَـتُـهُ تَـدولُ

* * *

يَـقـولُ الأوسُ إنّ الـقـومَ مـنّـا   على عهدٍ ، وقد طَمَتِ السُّيولُ[(١)]
مَـوالِينَـا ، إذا خَـطبٌ عَـنَـاهُمْ   عَنَـانَـا مـا يَشُـقُّ ومـا يَعُـولُ
وَهُمْ حُلَفـاؤُنـا ، نحنـو عليهـم   ونَحدَبُ إن جَفَا الحَدِبُ الوَصولُ
أنقتلهم بـأيـدينـا ؟؟ فعفـواً   رسـولَ الـلّهِ إن أَثِـمَ الـضَّـلولُ
فقـال : جَعلتُ أمرَ القـومِ طُـراً   إلى سَعْـدٍ فَنِعْـمَ هـو الـوَكيـلُ
وَجِـيءَ بـهِ ، يـقـول لـه ذَوُوهُ   تَـرفَّقْ ، إنّـك المـولى النَّبِيـلُ[(٢)]
فقـال : دعوا اللّجـاجَ فإنّ سعـداً   بِنُصـرةِ ربّـهِ الأعـلى كَفـيـلُ[(٣)]
فَصَـاحَ يقـولُ : وَاقَـومَـاهُ منهم   رجـالُ عـزمـهـم واهٍ كـلـيـلُ[(٤)]
أَتـى ، فـأقَـرَّ حُكـمَ اللّهِ فيهـم   وآلَ الأمْـرُ أَحْـسَنَ مـا يـؤولُ[(٥)]
عـليٌّ والـزُّبـيـرُ لِـكُـلِّ عَـضْـبٍ   صقيـلٍ منهمـا عَضْبٌ صَقِيـلُ[(٦)]

---

(١) تواثبت الأوس وقالوا يا رسول الله . موالينا وحلفاءنا ، وقد فعلت في موالي اخواتنا بالأمس ما قد فعلت يعنون بني قينقاع حلفاء الخزرج وقد كلمه فيهم عبد الله بن أبي بن سلول ، فوهبهم لـه على أن يجلوا ـ فقال : أما يرضيكم يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم ؟ قالوا : بلى ـ فقـال : فذلك إلى سعد بن معاذ .

(٢) بعث النبي إلى سعد بن معاذ وكان في خيمة رفيدة الأسلمية فحمله بعض قومه على حمار وهم يقولون له : يا أبا عمرو أحسن في مواليك . فإن رسول الله ﷺ إنما ولاك ذلك لتحسن فيهم ، فقد رأيت ابن أبي وما صنع في حلفائه ـ كانوا يقولون ذلك له وهو ساكت فلما أكثروا عليه قال رضي الله عنه : لقد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم . فصاح بعضهم : وا قوماه .

(٣) اللجاج التمادي والالحاح .   (٤) واه كليل : بمعنى ضعيف .

(٥) جاء سعد فقال لبني قريظة : أترضون بحكمي ؟ قالوا نعم ـ قال : فإني أحكم فيكم أن تقتل الرجال ، وتغنم الأموال . وتسبى الذراري والنساء .

(٦) كان الذي تولى قتلهم علي بن أبي طالب والزبير بن العوام . رضي الله عنهما .

هما استَبَقا نُفوسَ القومِ نَهباً ... ورُوحُ اللَّهِ بينهما رَسِيلُ[1]

* * *

تَقَدَّمْ يا حُيَيُّ فلا مَحِيصٌ ... وردْ يا كعْبُ ما وَرَدَ الزَّمِيلُ[2]

لِكُلٍّ من شَقَاءِ الجَدِّ وِرْدٌ ... وسَجْلٌ من مَنِيَّتِهِ سَجِيلُ[3]

أصابكما من الأقدارِ رامٍ ... هَوَى ، بكما ، فشأنكما ضَئِيلُ

لَبِئْسَ السَّيِّدَانِ لِشَرِّ قومٍ ... هُمُ البُرَحاءُ والدَّاءُ الدَّخيلُ[4]

منابتُ فِتنةٍ خَبُثَتْ وساءَتْ ... فلم تَطِبِ الفُروعُ ولا الأُصولُ

قُلوبٌ من سَوادِ القومِ عُمْيٌ ... وألبابٌ من الزعماءِ حُولُ

أضلَّهُمُ الغباءُ ، فهم كثيرٌ ... وَعَمَّهُمُ البلاءُ ، فهم قَليلُ

* * *

تَخَطَّفَهُمْ هَرِيتُ الشِّدْقِ ضارٍ ... له من مُحكَمِ التنزيلِ غِيلُ[5]

فما نَجتِ النّساءُ ولا الذراري ... ولا سَلِمَ الشّبابُ ولا الكُهولُ

---

(١) الرسيل المرسل ، والموافق في النضال وغيره .

(٢) جيء بحيي بن أخطب مجموعةٌ يداه إلى عنقه بحبل . فقال له النبي : ألم يمكن الله منك يا عدو الله ؟ قال بلى ، أما والله ما لمت نفسي في عداوتك ، ولكن من يخذل الله يخذل، ثم أقبل على الناس فقال : أيها الناس إنه لا بأس بأمر الله ، كتاب وقدر ، وملحمة كتبها الله على بني إسرائيل ، ثم جلس فضربت عنقه . أما كعب بن أسد فقال له بعض قومه : يا كعب ما تراه يصنع بنا ؟ قال : في كل موطن لا تعقلون، أما ترون أن من ذهب منكم لا يرجع ؟ هو والله القتل . . قد دعوتكم إلى غير هذا فأبيتم علي ، قالوا : ليس حين عتاب .

(٣) السجل الدلو . وسجيل بمعنى عظيم ، ولا يقال له سجل إلا إذا كان ممتلئاً . والجد الحظ .

(٤) البرحاء الأذى الشديد .

(٥) واسع الشدق . من صفات الأسد ، والمراد به النبي ﷺ .

تهلَّلتِ المنازِلُ والمغاني وأشرقَتِ المزارِعُ والحقولُ
وباتَ الحِصنُ مُبْتَهِجاً، عليه لآلِ مُحَمَّدٍ ظِلٌّ ظليلُ

* * *

لعمرُ الهالكينَ لقد تأذَّى تُرابٌ في حَفائِرِهم مَهيلُ[1]
طَوَى رِجْسَاً تكادُ الأرضُ منه تَمُورُ بمن عليها أو تَزولُ[2]
يُساقُ السبْيُ، شِرْذِمَةٌ بنَجدٍ وأخرى بالشآمِ لها أليلُ[3]
جَلَائبُ، لا أبٌ في السُّوقِ يَحمِي ولا وَلَدٌ يَذُبُّ، ولا خَليلُ[4]
تُجَرُّ على الهوانِ، ولا مُغِيثٌ بأرضٍ ما تُجَرُّ بها الذُّيولُ
أصابَ المسلمونَ بها سِلاحاً وَخَيْلاً في قَوَائِمِها الحُجُولُ[5]
مُكَرَّمَةً، تُعَدُّ لِكُلِّ يومٍ كَريمِ الذِّكْرِ، لَيْسَ له مثيلُ
إذا ذُكِرَتْ مَنَاقِبُهُ الغوالي تَعالَتْ أُمَّةٌ، واعتزَّ جيلُ
مَنَاقِبُ ما يزالُ لها طُلوعُ إذا الأقمارُ أدركها الأُفُولُ
لها من نابهِ الأدبِ انبعاثٌ فما يُخْفِي زَوَاهِرَها الخُمُولُ
ضَمِنتُ لها البقاءَ وإن عَنَتْنِي مِنَ الدّهرِ العوائِقُ والشُّغولُ
وما تُغْنِي الخزائمُ حين تُلوَى إذا انطلقَتْ لحاجتها الفُحولُ[6]

---

(١) أمر النبي فحفرت الحفائر، ثم ألقى قتلى بني قريظة فيها وهيل عليهم التراب .
(٢) تمور تضطرب .
(٣) بعث النبي سعد بن زيد الانصاري ببعض سبايا بني قريظة إلى نجد ، وسعد بن عبادة ببعض منها إلى الشام ليبتاعا بها خيلا وسلاحاً ـ الأليل الأنين ، ورفع الصوت بالصراخ عند المصيبة .
(٤) جلائب مسوقات،يذب يدفع .
(٥) الحجول جمع الحجل وهو البياض في رجل الفرس .
(٦) الخزائم جمع الخزامة وهي الحلقة من شعر يجعل في وترة أنف البعير يشد فيها الزمام

تُخَلِّدُها مَصوناتٌ حِسانٌ　　حرائِرُ ، مالَها أبداً مُذِيلُ
صفايا الشِّعرِ ، لا خُلُقٌ زَرِيٌّ　　يُخالِطُها ، ولا أدبٌ هَزِيلُ
لَعلَّ اللّهَ يجعلها ربيعاً　　لألبابٍ أضرَّ بها المحول
فَوا أسَفَا ، أتُطمعني القَوافِي　　فَيُخْلِفُ مَطمعٌ ، وَيَخِيْبُ سُولُ ؟
وَوَاحَربا ، أما يُرجَى فِكاكٌ　　لِأسْرَى ما تُفَارِقُها الكُبولُ ؟[1]

---

(١) يقصد الأمم الاسلامية المغلوبة على أمرها في أيامنا هذه ، وواحربا كلمة يندب بها الميّت وتستعمل للتأسّف .

ثابت بن قيس رضي الله عنه والزبير بن باطا

كان الزبير بن باطا (بزاي مفتوحة، وقيل مضمومة) شيخاً من بني قريظة مَنَّ على ثابت بن قيس في الجاهلية يوم بعاث(حرب بين الأوس والخزرج) كان الظفر فيها للأولين أخذه فجزّ ناصيته، ثم خلّى سبيله .

سأل الزبيرُ ثابتاً رضي الله عنه أن يشفع له لدى النبي ﷺ لينجو من القتل، فجاءه وذكر له ما كان من أمره معه، وقال: يا رسول الله إنها يد أحفظها له، وأحب أن أجزيه بها، فقال: هو لك ، وعاد فأخبر الزبير فقال: شيخ كبير لا أهل له ولا ولد، فما يصنع بالحياة ؟ ورجع ثابت فكلم النبي في أهله وولده . فقال: هم لك ، وأخبر الشيخ فقال أهل بيت بالحجاز لا مال لهم ، فما بقاؤهم على ذلك ؟؟ وشفع ثابت في ماله، فقال له الرسول الكريم : هو لك » .

قال اليهودي : أما انت فقد قضيت ما عليك . فماذا فُعل بالذي كان وجهه مرآة مضيئة- تتراءى منها عذارى الحي يعني كعب بن أسد سيد بني قريظة قال ثابت . قتل، قال، فما فُعل بسيد الحاضر والبادي من يحملهم في الجدب ، ويطعمهم في المحل. حيي بن أخطب ؟ قال: قتل . . ثم سأله عن آخرين من سادات قومه . فقال، قتلوا ، قال أسألك يا ثابت أن تلحقني بالقوم ، فوالله ما في العيش بعد هؤلاء من خير، أأرجع الى دار قد كانوا فيها حلولا فأخلد فيها ؟؟

قال ثابت: ما كنت لأقتلك، وقدّمه الى الزبير بن العوام رضي الله عنه فقتله .

كذلك يَشقى الجامحُ المتعسِّف ... ويركبُ متن الظُّلمِ مَن ليس يُنصِفُ
يَموتُ بِسُوءِ الرأيِ منَ ساءَ خُلقه ... وللمرءِ ذِي التقوى عن الغَيِّ مَصْرَفُ
أضاعَ الزبيرُ الأمرَ والأمرُ مُقبِلٌ ... وآثر حَدَّ السَّيْفِ، والسّيفُ يَصدُفُ
سَعَى ثابتٌ يُجزِيه سالِفَ صُنعِه ... لَدَى مُحسنٍ يُسدِي الجميلَ ويَعطفُ
فقال رَسولَ اللهِ جئتُكَ شافعاً ... لشيخٍ دعاني ضارِعاً يتلهّفُ
حباني دمي يوم البعاث وفكَّني ... وتلك يد بيضاء للشيخ تُعرف
فَهَبْهُ رسولَ اللهِ لي إنّني به ... على ما ترى من شأنِه لَمُكَلَّفُ
فقال: فعلنا، ثم عادَ شَفِيعُه ... يُبشِّرُه بالعفوِ، والشيخُ يَرجُفُ
فَجدَّ له في المُحسنِ السَّمحِ مَطمعٌ ... وقال: حَياةٌ شرُّها ليس يُوصَفُ
بنِيَّ وأهلي ليس لي إن فقدتُهم ... سِوى الموتِ، إنّي عن حياتي لأعزِفُ
فلما تسنَّى الأمرُ قال لثابتٍ ... أنبقَى بلا مالٍ، فَنَشقَى ونَتلفُ؟
وجادَ رسولُ اللهُ بالمالِ رحمةً ... وبِرّاً فراحَ الشيخُ يهذِي ويَهرِفُ
يسائل عن كعبٍ وساداتِ قومِه ... ويُطِري سجاياهم، فيغلو ويُسرِفُ
توجَّعَ لمّا قِيلَ: ذاقوا حِمامَهم ... وقال: أُريدُ الموتَ، فالعيشُ أخوفُ
خُذِ السّيفَ واضرب يا ابن قيسٍ فإنّهم ... هم الصحبُ، مالي بعدهم مُتخلَّفُ
كفى حَزناً يا صاحبي أن تَضُمّني ... ديارٌ بهم كانت تُحَبُّ وتُؤلَفُ
أرِحْنِي أرحني يا ابنَ قيسٍ بضربةٍ ... تَبيتُ لها نفسي تَرِفُّ وتَنطِفُ[1]
تَزوّدتُ من نَأْيِ الأحبّةِ غُلّةً ... فهل أنت للصّادِي المعذّبِ مُسْعِفُ[2]؟
فقال: معاذَ اللهِ، لستُ بفاعلٍ ... ومِثْلِيَ يأبَى ما تُريدُ ويأنَفُ
وجاءَ به يلقى الزُّبيرَ على أسىً ... يُغالِبُه، والموتُ بالشّيخِ يَهتفُ

---

(١) تسيل قليلاً قليلاً .

(٢) النأي البعد ، والغُلّة العطش الشديد ، والصادي العطشان .

وقال: اسْقِهِ رِيَّ الغليلِ مِنَ الردَى فطاحَ به ماضي الغِرارَيْنِ مُرهَف[1]
فيا لكَ من رأيٍ سفيهٍ ومركبٍ كريهٍ، وخطبٍ فادحٍ ليس يُكشَفُ
قَضَى ثابتٌ حَقَّ المروءةِ وافياً وبَرَّ رسولُ اللهِ والبِرُّ مجحفُ
ولكنّ شيخَ السُّوءِ أهلكَ نَفْسَهُ وذُو الجهلِ يُرمَى من يَدَيْه ويُقْذَفُ

---

(١) غرار السيف حده، والمرهف السيف المحدّد المرقّق الحدّ.

سعد بن معاذ رضي الله عنه
في خيمة رفيدة الأسلمية

لما رمى حبان بن العرقة سعد بن معاذ رضي الله عنه في غزوة الخندق بسهم في أكحله أمر النبي ﷺ أن يوضع في خيمة رفيدة الأسلمية رضي الله عنها ، وكانت في جانب من مسجده ليعوده من قرب ، فلما عاد إليها بعد أن أمضى رأيه في بني قريظة انفجر جرحه ، فاذا الذين في المسجد يرون الدم يسيل إليهم ـ وله هدير من خيمة زوج رفيدة ، وهو من (بني غفار) فسألوا فقيل لهم : إنه سعد بن معاذ انفجرت جراحته فمات ـ وقد كان سأل الله حين أصابه ذلك السهم أن لا يميته حتى يشفى صدره من بني قريظة وقد شفاه .

هـدأ المخيَّمُ ، واطمأنَّ المضجـعُ ... وأبى الـهـدوءَ الصَّـارِخُ المتـوجِّـعُ

الحقُّ جَنْبٌ بـالجـراحـةِ مُثْخَنٌ ... وَحُشَـاشَـةٌ تهفـو وقلبٌ يَفـزَعُ[1]

يا سعدُ خطبُكَ عنـد كلِّ مُـوَحِّدٍ ... خَـطبٌ يجيءُ بهِ الـزَّمانُ ويـرجعُ

السَّهـمُ حيـثُ تَـراهُ ، لا آلامـهُ ... تُـرجَى عَـوَاقِبُهـا ، ولا هُـو يُنـزَعُ

مـا أنتَ حَيْثُ يكونُ سَيِّـدُ قـومِـهِ ... أين الـولائِدُ والفِنـاءُ الأوسـعُ ؟[2]

لـكَ من رُفيدَةَ خَيْمَـةٌ في مَسْجِدٍ ... للمعشـرِ الجَفَلَى تُقَـامُ وترفَعُ[3]

بـل تلك منزلـةُ الصَّفِيِّ ، بَلَغتَهـا ... فَوَفَى الرجاءُ ، وصَحَّ مِنكَ المَطمعُ

حَدِبَ الرسولُ عليكَ ، يَكرهُ أن يَرى ... مَثـواكَ مـطَّرَحَ الجِـوارِ ويَجـزَعُ[4]

---

(١) أثخنته الجراحة أوهنته وأعجزت قواه .

(٢) جمع وليدة وهي الصبية والأمة ، أو التي تستوصف قبل أن تحتلم .

(٣) الجفلى جماعة الناس وعامتهم .

(٤) حدب بمعنى عطف .

جارَ الرسولِ وما بُليتَ بحاسدٍ الخيرُ والرضوانُ عِندَكَ أجمعُ
قال : اجعلوا البطلَ المنوَّهَ باسمِهِ منّي على كَثَبٍ ، أراهُ وأَسمعُ[1]
وَأعُودُهُ ما شئتُ ، أَقضِي حَقَّهُ وأرى قَضَاءَ اللَّهِ : ماذا يَصنعُ ؟
حَسْبُ المجاهِدِ أن يكونَ بمسجدي فَلَذَلكَ الحَرَمُ الأعزُّ الأمنعُ

* * *

اللَّهُ خَصمُكَ يا ابنَ قيسٍ إنّه سَهْمٌ أُصيبَ به التَقِيُّ الأروَعُ[2]
لا أخطأتكَ من الجحيمِ وَحرِّها مشبوبةٌ فيها تُدَعُّ وتُدفعُ[3]

* * *

لِمَنِ الدمُ الجارِي ، يَظَلُّ هَدِيرُهُ مِلءَ المسامعِ دائباً ما يُقلِعُ ؟
أفما تَرَوْنَ بَني غِفَارٍ أنّه من عندِ خيمتكم يفيضُ ويَنْبُعُ ؟
ماذا بِسَعْدٍ يا رُفَيْدَةُ خَبِّري إنّ القلوبَ من الجنُوبِ تَطَلَّع ؟
يا حَسْرَتَا : هو جُرْحُه يجري دَماً بعد الشِّفَاءِ، ونَفسُهُ تَتَمزَّعُ
حَضرتْ منيَّتُهُ ، وحُمَّ قَضَاؤُه ولكلِّ نَفسٍ يَومُها والمصرعُ

* * *

ضَجَّ النُّعاةُ،افهزَّ يثربَ وَجدُها وهفا بِمَكَّةَ شَجُوها المتنوِّعُ[4]
رُكنٌ من الإسلامِ ، زَالَ وما انتهى بانيهِ ، ذَلكمُ المُهمُّ المُفظِعُ

---

(١) على كثب على قرب .
(٢) هو ابن العرقة .
(٣) دعه دفعه دفعاً عنيفا .
(٤) الوجد الألم والشجو الحزن .

خَطبٌ أصابَ المسلمينَ ، فذاهلٌ ... مـا يَستفيـقُ ، وجـازِعٌ يَتَـفَجَّـعُ

* * *

صَبـراً رسـولَ اللَّهِ إن تَـكُ شِـدَّةٌ ... نَزَلَتْ ، فإنَّـكَ لَلأشَـدُّ الأَضلَعُ[1]

أنت المعلِّمُ لا شـريعـةَ للهُـدَى ... إلا تُسَنُّ عـلى يَـدَيْـكَ وتُشْـرَعُ

تَمضي على المُثْلَى ، وكلٌّ يَقتَفِي ... وَتَجِيءُ بـالفُضْلَى ، وكُـلٌّ يَتْبَـعُ

أَقِمِ الصَّلاَةَ على الشَّهِيدِ وسِرْ بِهِ ... في ظِلِّ رَبِّكَ ، والملائكُ خُشَّعُ[2]

يمشونَ حولَ سريره عَدَدِ الحصى ... فـالأرضُ ما فيهـا لِرِجلِكَ مَـوْضِعُ

تمشي بـأطـرافِ الأَصـابِـعِ تَتَّقي ... ولقـد تكـون ومـا تُـوقَّى الإِصبعُ

العـرشُ مُهتـزُّ الجـوانبِ ، يَحتَفِي ... واللَّهُ يضحَكُ ، والسَّماءُ تُـرجِّعُ[3]

* * *

(١) الأضلع الشديد القويّ من الرجال .

(٢) ورد في خبر وفاته رضي الله عنه أن سبعين ألفاً من الملائكة نزلوا لتشييعه إلى قبره وإن شأنه في ذلك كان كشأن ثعلبة بن عبد الرحمن الأنصاري رضي الله عنه ، فإن النبي ﷺ سئل بعد دفنه : لم كان يمشي على أطراف أنامله وهو يشيع جنازته فقال : والذي بعثني بالحق ما قدرت أن أضع قدمي من كثرة ما نزل من الملائكة لتشييعه .
وعن سلمة بن أسلم بن جريش رضي الله عنه ، قال : دخل رسول الله ﷺ وما في البيت أحد إلا سعد مسجى . فرأيته يتخطى . وأومأ إليّ قف . فوقفت ورددت من ورائي ، وجلس ساعة ثم خرج فقلت يا رسول الله ما رأيت أحداً ورأيتك تتخطى فقال : ما قدرت على مجلس حتى قبض لي ملك من الملائكة أحد جناحيه .

(٣) تواترت الروايات باهتزاز العرش لموته ، وهذا لفرح الملائكة بقدوم روحه ولما حمل على نعشه جعلت أمه تبكي فقال لها النبي ـ ليرقأ دمعك ، ويذهب حزنك . فإن ابنك يضحك الله له ـ قال صاحب السيرة : وهذا كناية عن إقبال الله تعالى عليه بالروح والريحان والمغفرة والرضوان . ورجّع الرجل ، قال ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، وردد صوته في حلقه ، والمؤذن أتى بكل من الشهادتين مرتين خافضا صوته ، ومرتين رافعاً إياه .

يا ناهضاً بالدينِ ، يَحملُ عِبْأَهُ | والبأسُ يعثرُ ، والسَّوابِقُ تَظْلَعُ
إهنا بها حُلَلاً حملت جِسَانَها | نُوراً على نُورٍ ، يُضيءُ ويَسْطَعُ[1]
هذا مكانُكَ ، لا العطاءُ مُقَتَّرٌ | عِندَ الإلهِ ، ولا الجزاءُ مُضَيَّعُ
لك يومَ بدرٍ عند ربِّكَ مَشهدٌ | هُوَ للهُدَى والحقِّ عُرسٌ مُمتِعُ
نُصِرَ النبيُّ به على أعدائِه | والجوُّ يُظْلِمُ ، والمنايا تَلمعُ
كانت مقالةَ مُؤمنٍ صَدَعَتْ قُوَىً | زعمتْ قُريشٌ أنّها لا تُصدَعُ[2]
بعثَتْ من الأنصارِ كلَّ مُدرَّبٍ | يَقِظِ المضارِبِ ، والقواضِبُ هُجَّعُ[3]
يا سعدُ ما نَسِيَ العريشَ مُقيمُه | يحمي غِياثَ العالمين ويمنعُ[4]
لمّا تَوالَى الزَّحفُ جئتَ تَحُوطُهُ | وتَرُدُّ عنه المشركِينَ وتَردع
في عُصبةٍ ممّن يَلِيكَ دَعَوْتَهَا | فالبأسُ يَدلفُ ، والحميَّةُ تُسرِعُ
قمتم صفوفاً كالهضابِ ، يشدّها | راسٍ على الأهوالِ ، ما يتزعزعُ
ولقد رَميتَ بني قريظةَ بالتي | سَمِعَ المجيبُ فهالكٌ ومُروَّعُ[5]
أحبِبْ بها مِن دعوةٍ لك لم تَمُتْ | حتى أصابك خَيرُها المتوقَّعُ

---

(١) أهديت إلى النبي حلة من الحرير فجعل أصحابه يمسونها ويعجبون من لينها فقال لهم أتعجبون من لين هذه الحلة ، والذي نفس محمد بيده لمناديل سعد في الجنة خير منها وألين .

(٢) إشارة إلى قوله هو والمقداد بن عمرو والملقب بابن الأسود للنبي ﷺ عند الخروج لغزوة بدر الكبرى - ولم يخرج الأنصار معه قبل هذه الغزوة - يا رسول الله إمض لما أمرك الله فنحن معك ، لسنا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى عليه السلام : إذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون - ولكنا نقاتل عن يمينك وعن شمالك ، وبين يديك وخلفك ، إلى آخر ما قال .

(٣) المضارب السيوف ، وهجّع نُوّم .

(٤) توسل إلى النبي يوم بدر أن يبني له عريشاً على تل يشرف منه على المعركة فقبل ، ولما التحم القتال جاء مع جماعة من الأنصار فوقفوا أمام العريش بسيوفهم مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

(٥) هو الله تبارك وتعالى .

نقـع الإلهُ غليـلَ صَـدرِك ، إنّـه يَشفِي صـدور المؤمنين وينقعُ[1]
إن شيعــوك . فلم تجـدني بينهم فـالخطبُ خـطبي ، والبيانُ مُشيِّـعُ
الـدهـرُ معمــورٌ بـذكـرِكَ آهــلٌ مـا في جـوانبِــهِ مكـانٌ بَلقــعُ[2]

---

(١) نقع الغليل سكنّه وقطعه .
(٢) بلقع : مُقفِر .

رُفَيْدَةُ الأسلمية

رضي الله عنها

أقامت هذه السيدة الفاضلة خيمة لمداواة جرحى المسلمين الذين ليس لهم من أهليهم وذوي قرابتهم من يقوم عليهم ، ويتولَّى أمورهم ، وكانت هذه الخيمة المباركة في ناحية من مسجد الرسول الكريم بالمدينة .

رُفَيْدَةُ عَلِّمِي النَّاسَ الحنانا ... وَزِيدي قومَكِ العالينَ شانا

خُذِي الجرحَى إليكِ فأكرمِيهم ... وَطُوفِي حولهم آناً فآنا

وإن هَجَعَ النِّيَامُ ، فلا تَنامِي ... عَن الصَّوتِ المردَّدِ حيثُ كانا

أعيني السَّاهِرينَ على كُلومٍ ... تُؤرِّقُهم ، فمثلُكِ مَن أعانا[1]

هُمُ الأهلون ، ما عرفوا أنيساً ... سِوَاكِ لهم ، ولا وَجَدُوا مكانا

حَبَاكِ اللَّهُ من تقواهُ قلباً ... وَسَوَّى من مراحِمِه البَنَانا

رَفعتِ لأسلمٍ ذِكراً جليلاً ... يُزاحِمُ في مواكِبِهِ الزمانا

ضُيوفُ اللَّهِ عِندَكِ في مَحَلٍّ ... تُذكِّرُنَا مَحاسِنُه الجِنانا

فيا لكِ خَيْمَةً لِلبِرِّ فيها ... جَلالٌ لا يُرامُ ولا يُدَانى

جلالُ اللَّهِ ألقاه عليها ... فَحَمَّلَها بروعتِهِ وزانا

نَسيجٌ من شُعَاعِ الحقِّ بِدْعٌ ... نَزِيدُ على الزمانِ بهِ افتتانا

تَقِلُّ بَدائِعُ النُّسَّاجِ عنه ... وإن نسجوا اللُّجَيْنَ أوِ الجُمانا[2]

---

(١) الكلوم : الجروح .

(٢) اللجين والجمان الفضة والذهب .

ومـا يَجِـدُ الأديبُ الفـردُ وصفـاً   يُحيطُ بـه ، ولـو أفنى البيـانـا
لـه في الـذّهنِ تـرجمـةٌ ومعنىً   جَليلُ الشأنِ، يُعيِي التُّرجمانـا
لساني مُـوثَقٌ ، يـا ربِّ هَبْ لي   جَنَـاحَ الـرِّيـحِ أجعلُهُ لسـانـا
فـأذهبُ حيثُ شِئْتُ من القـوافي   وأرسلُهـا مُحَـبَّبَـةً حِـسـانـا
وأُلـبِسُهَـا رُفَيْـدَةَ مُـعجبـاتٍ   ضَـوامِنَ أن تُجَلَّ وأن تُصـانـا

* * *

رُفَيْـدَةُ جاهِـدِي وَدَعِي الهُـوَيْنَى   فما شَرَفُ الحياةِ لمن تَـوَانى[1]
وَرُبَّ مُـجـاهِـدٍ بَـلَغَ الـثُّـريَّـا   وما عَرَفَ الضِّرابَ ولا الطِّعانا[2]
وكم هَـزَّ الممـالـكَ في عُـلاهـا   فَتىً مـا هـزَّ سَيفـاً أو سِنـانـا
ومن لم يَمتَحِنْ دُنيـا المعـالي   فمـا امتحَنَ الشُّجَاعَ ولا الجبـانـا
رُفَـيْـدَةُ ذَلِـكَ الإسـلامُ حَـقّـاً   تَبـارَكَ مَن هَـداكِ ومن هـدانـا
تَـبَـارَكَ ربُّـنـا ألـقَى عـلينـا   سَنا الوَحْيِ المنزَّلِ واصطفـانـا
هَـدَيْنَـا العـالَمِيـنَ بِـهِ ، وإنَّـا   لَنحنُ القـومُ ، لا هـادٍ سِـوَانَـا

* * *

---

(١) الهوينى التؤدة والرفق تصغير الهُونَى تأنيث الأهون .
(٢) الثّريّا مجموعة كواكب في عنق الثور .

سعد بن عبادة رضي الله عنه

كان طعام المسلمين في هذه الغزوة التمر يرسله سعد بن عبادة رضي الله عنه ، فهو الذي مون الجيش ، ومن مناقبه أنه أبى على عيينة بن حصن والحارث بن عوف أن يأخذا نصف تمر المدينة ليرجعا بمن معهما في غزوة الخندق ، وكان سعد بن معاذ رضي اللّه عنه على رأيه في ذلك ، ومن هذه المناقب طوافه على الأنصار يستفزهم للقتال في غزوة بدر ، وقد غاب عن هذه الغزوة المباركة لأن حية نهشته فلم يقدر على الغزو ، وقال النبي ﷺ في ذلك : لئن لم يشهدها سعد لقد كان حريصاً عليها : ثم ضرب له بسهمه وأجره .

كان رضي الله عنه نقيب بني ساعدة (من الخزرج) ومات بحوران من أرض الشام في السنة الرابعة عشرة ـ وقيل الخامسة عشرة ـ في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وقبره بالمنيحة (قرية من غوطة دمشق) .

يا مُطعِمَ الجيشِ أشبعتَ السُّيوفَ دَما ... لولاكَ ما شَبعتْ يَوماً ولا طَعِما

أَنتَ الحياةُ جَرَتْ في كلِّ مُنطَلقٍ ... تَغشَى الكميَّ وتغشى الصّارِمَ الخَذِما[1]

تَتابعَ الجودُ ، لا بُخلٌ ولا سَأَمٌ ... دِينُ المروءةِ يأبى البُخلَ والسَّأما

المسلمونَ يَدٌ للّهِ عامِلَةٌ ... تَمضِي أصابعُها في شأنِها قُدُما

لا تشتكِي إصبعٌ من إصبعٍ وَهَناً ... ولا تُغايِرُها إذ تَشتَكِي الألما

* * *

---

(١) الكمي الشجاع والصارم الخذم السيف القاطع .

يـا سعد أدَّيتَ حقَّ اللَّهِ من ثَمَرٍ لو كانَ من ذَهَبٍ ما زِدْتَه عِظَما
كذلك الخيرُ ، يُدعَى المُرءُ مُغتَنما إن راحَ يَنْهَبُه في القومِ مُغْتَنِما
زَادَتْكَ نَخْلُكَ يا سعدُ بن ساعدةٍ فَضلًا ، وزادَتْ على أمثالِهَا كرما
هذا جَنَاهَا بأيدِي القومِ مُنْتَهَبٌ واللَّهُ يكتبُ ، فَانْظُرْ ، هل تَرَى القَلَمَا
أحْصَاه يا سعدُ عَدّاً ثم ضَاعَفَهُ فلستَ تُحْصِيهِ حَتَّى تُحْصِيَ الأُمَما

* * *

إدفع عُيينةَ واردعْ جهلَ صاحِبِهِ إنّ الحديثَ حديثُ الدّهرِ لو عَلِما
تَمْرُ المدينةِ ما فيه مُسَاوَمَةٌ أو يَرْجِعَ السَّيْفُ عنه مُترَعاً بَشِما(١)
طَعَامُ كلِّ فَتىً للَّهِ مُنتَدَبٍ لا يُغمدُ السَّيفُ عَمَّنْ يُطعِمَ الصَّنما
مَنَعْتَهُ ونصرتَ اللَّهَ في هَمَلٍ من عُصبةِ الشّركِ لا يَرْضَوْنَهُ حَكَما
وَصُنْتَهُ عَلَماً للحقِّ تحفظُهُ لا يحفظُ العِرضَ مَن لا يحفظُ العَلَمَا
ما يَصنَعُ النّاسُ إن ضاعتْ مَحارِمُهم ؟ وما على الأرضِ أن لا تحمل الرِمَما ؟

* * *

ألم تُهِبْ يوم بَدرٍ بالأُلَى نفروا للحربِ ، يَصْلَونَ من نيرانِها ضَرَما ؟
يا قومُ إنّ جُموعَ الكُفرِ حاشدةٌ فأين يذهبُ دِينُ اللَّهِ إن هُزِما ؟
إن لم يَبِتْ ناجياً من سوءِ ما اعْتَزَمُوا فلا نجَا أحدٌ منّا ولا سَلِما

* * *

يا باعِثَ القومِ شَتَّى من مَجَاثِمِهم ما بالُ عَزْمِكَ في آثارِهم جَثَما ؟
من حَيَّةِ السُّوءِ أَلقيتَ السِّلاحَ على كُرْهٍ ، ورُحْتَ تُعانِي الهمَّ والسَّقَمَا

---

(١) مترعا ممتلئا ، بشما متخما .

كُنتَ الحـريصَ عليها وَقْعَـةً جَلَلاً لم تُبقِ للكُفرِ مِن آطـامِهِ أُطُمَا[1]
كـذاكَ قالَ رسـولُ اللَّهِ فـابتهجتْ مِنكَ المَشَاهِدُ لم تنقِلْ لهـا قَدَمَـا
أَعطَاكَ سَهْمَكَ يَجزِي نِيَّةً صَدَقَتْ شَرِيعةُ اللَّهِ ، ما حابَى ولا ظَلَمَـا

---

(١) الآطام: الحصون .

غزوة بني لحيان

كانت في ربيع الأول من السنة السادسة . وسببها حزن النبي صلى الله عليه وسلم لما أصاب عاصم بن ثابت وأصحابه . والمنذر بن عمرو الخزرجي وأصحابه (القراء السبعين) رضي الله عنهم من غدر بني لحيان وفتكهم ، وكانوا قد طلبوا منه أن يبعث إليهم من يفقههم في الدين ، ويدعوهم إلى الاسلام ، فقتلوا من قتلوا من الأولين في (الرجيع) واستأصلوا هؤلاء عند (بئر معونة) وكانت الواقعة الأولى في مستهل السنة الرابعة ، والثانية في صفر من هذه السنة .

والواقعتان داخلتان في باب السرايا ، وقد اعتمدنا في ملاحمنا هذه أن نبدأ بالغزوات ثم نأتي بعدها بالسرايا في مجموعة خاصة فنحن إذاً لا نجري على الترتيب التاريخي في هذين البابين احتفاظاً بالوحدة النوعية في كل باب .

خرج النبي إلى هذه الغزوة في مائة من أصحابه ، فلما بلغ (وادي غراب) من منازل بني لحيان . وهو المكان الذي قتل فيه أصحاب الرجيع ترحم عليهم ، ودعا لهم بالمغفرة فسمع القوم وهربوا في رؤوس الجبال ، فأقام يوماً ـ أو يومين ـ يبعث السرايا في كل ناحية من نواحيهم فلا تجد منهم أحداً ، ثم رجع صلى الله عليه وسلم » .

بني لِحيانَ لُوذوا بالجبالِ ... وَقُوا مُهَجَاتِكم حَرَّ القِتالِ

أَمِنْ غَدرٍ إلى جُبنٍ ؟ لعمري ... لقد ضِقْتُم بأخلاقِ الرِجالِ

لكم مِنْ خَصمِكم عُذرٌ مُبِينٌ ... فليس لنارهِ في الحربِ صالِ

أما انصدعتْ قُواكم إذ أخذتم صحابتَه بمكرٍ وَاحْتيالِ ؟[1]
كَذبتُمْ ، ما لأهلِ الشّركِ عَهدٌ وما الكُفّارُ إلا في ضَلالِ
قَتلتُمْ عاصماً بطلاً مَجيداً مَخُوفَ الكَرِّ ، مَرهوبَ النِزالِ[2]
فُنونُ الحربِ تَعرفُه عليماً بأسرارِ الأسنَّةِ والنِّصالِ
وَتَشهدُ أنه البطلُ المُرَجَّى إذا فَزِعَ الرُّماةُ إلى النِبّالِ
رَماكُمْ ، ثُمَّ جَالدَكم ، فأدَّى أمانَتهُ ، وَأوْدَى غيرَ آلِ[3]
وقاتِلُ عُقْبَةٍ في يَومِ بَدرٍ أيحفِلُ حِينَ يُقتلُ أو يُبالِي ؟[4]

---

(١) أصحاب الرجيع وهم عاصم بن ثابت ، ومرثد بن أبي مرثد الغَنَوي ، وخُبَيب بن عديّ الأوسيّ البدريّ ،وزيد بن الدَّثِنَّة ، وعبد الله بن طارق ، وخالد بن البكير ، وزاد بعضهم معتب بن عبيد وبعضهم مغيث بن عوف رضي الله عنهم ، لما بلغوا الرجيع ـ اسم ماء لهذيل بن مدركة بن إلياس بين مكة وعسفان ـ مع الذين بعثهم النبي معهم غدر هؤلاء بهم ، واستصرخوا هذيلاً ليعينوهم عليهم ، فثار إليهم القوم بأيديهم السيوف . وهم في رحالهم ، وكانوا نحو مائتي رجل ـ فأخذ عاصم ومن معه أسيافهم ليقاتلوهم فقالوا : إنا والله لا نريد قتلكم ، ولكم عهد الله وميثاقه ، فأما عاصم ومرثد وخالد فقالوا : والله لا نقبل من مشرك عهداً. وقاتلوا حتى قُتلوا . وأما زيد وخبيب وعبد الله ، فرغبوا في الحياة واعتصموا ببعض الجبال. فأحاطوا بهم وقالوا : لكم العهد والميثاق أن لا نقتلكم إن نزلتم إلينا ، فما نزلوا حتى ربطوهم بأوتار القسي ، فقال عبد الله بن طارق . هذا أول الغدر . لا أصحبكم ، إن لي بهؤلاء (يعني القتلى) أسوة ، فجردوه وعالجوه وهو يأبى فقتلوه وانطلقوا بخبيب وزيد إلى مكة ، فباعوا الأول لبني الحارث بن نوفل ، لأنه هو الذي قتل عامر بن نوفل يوم بدر ، وباعوا الثاني لصفوان بن أمية لأنه هو الذي قتل أمية .

(٢) لما كانت ليلة العقبة أو ليلة بدر قال النبي لمن عنده : كيف تقاتلون ؟ فقام عاصم بن ثابت فأخذ القوس والنبل وقال : إذا كان القوم قريباً من مائتي ذراع كان الرمي ، وإذا دنوا حتى تنالهم الرماح كانت المداعبة بالرماح حتى تنقصف ، فإذا انقصفت وضعناها وأخذنا السيوف وكانت المجالدة ، فقال النبي : هكذا أنزلت الحرب . من قاتل فليقاتل كما يقاتل عاصم .

(٣) الآلي المُقَصِّر .

(٤) عقبة بن أبي معيط ـ في رواية أنه قتله بعد الانصراف من بدر .

أردتُـمْ بَـيْـعَـهُ لِـيُـنـالَ وِتـرٌ ... رُوَيْـداً ، إنّ صاحبَكم لَغَـالِ[١]
وليس لـدى سُـلافَـة من كِفـاءٍ ... لِهَـامَةِ مـاجـدٍ سَمْـحِ الخِـلالِ[٢]
حَـمـاهُ الـلّهُ مـن دَنَسٍ وَرِجْسٍ ... وَسُـوءِ المُنكَـراتِ من الـفِعـالِ
شَهِيـدُ الـحقِّ تَـحـرسُـه جُنـودٌ ... مِنَ الـدَّبْرِ المُسلَّحِ للنِضَـالِ[٣]
وَعـبـدُ الـلّهِ فِـيـمَ قَـتـلتـمـوهُ ... وَسُقْتُمْ صاحِبَيْـهِ بشرِّ حـالِ ؟[٤]
طِـلاَبُ المـالِ يُـولِـعُ بـالـدّنـايـا ... ويَلوِي المرءَ عن طَلَبِ المعـالي
رَضِـيْتُـمْ بَيْـعَ أَنْـفُسِكم بِـبَخْسٍ ... قليـلِ النّفـعِ من إبِـلٍ ومـالِ

* * *

خُبَيْبٌ في يَـدَيْ جـافٍ شـديـدٍ ... يُعـذَّبُ في أداهِمِـهِ الثّـقـالِ[٥]
وَزَيْـدٌ عِـنْـدَ جَـبّـارٍ عـنـيـدٍ ... يَـصُبُّ عـليـه مُختلفَ الـنَّكـالِ
كِـلاَ أَبَـوَيْـهِـمَـا قُـتِـلاَ بِـبَـدرٍ ... فَتِلكَ حفـائظُ الرِّمَمِ البَـوالي[٦]
يَـزيـدُهمـا البلاءُ هُـدىً وَعِلمـاً ... بـأَنَّ الـحـادثـاتِ إلـى زَوالِ
وَأَنَّ لِـكُـلِّ نَـفْسٍ مُنْتَـهـاهـا ... وإنْ طَمِـعَ المضلَّلُ في المُحـالِ
لِـكُـلٍّ مَشـهـدٌ عَجَـبٌ ، عليـه ... جَـلالُ الحقِّ ، بُـورِكَ مِن جَـلالِ
يَـروحُ المـوتُ حـولهمـا وَيَغْـدو ... يُكَشِّـرُ عن نَـواجِـذِهِ الـطِّوالِ[٧]

---

(١) كانوا يريدون بيعه لولي القتيل . والوتر الثأر .
(٢) امرأة قتل عاصم ابنيها مسافعاً وجلاساً يوم أحد ، فجعلت لمن يجيئها برأسه مائة ناقة ، ونذرت لتشربن الخمر في فلقة جمجمته .
(٣) الزنابير ، أرسلها الله فحمت جسده الطاهر ، ولم يستطع أحد أن يناله بسوء . وكان قد دعا الله فقال : اللهم إني حميت لك دينك صدر النهار فاحم لحمي آخره .
(٤) عبد الله بن طارق .
(٥) الأداهم القيود .
(٦) حفائظ جمع حفيظة وهي الحميّة في الشيء الذي ينبغي أن يُحفظ والعبق رائحة الطيب .
(٧) النواجذ الأضراس .

وَذِكْـرُ اللَّهِ مُتَّصِـلٌ ، يُـوالِـي   مِنَ العَبَقِ المُقـدَّسِ ما يُـوالي[1]
هُـوَ الإيمـانُ ، مَن يشـدُدْ قـواهُ   يُزَلْزِلْ في الخطوبِ قُوى الجِبـالِ

* * *

هنيئـاً يـا خُبَيْبُ بلغتَ شَـأْواً   رَفِيـعَ الشَّـأنِ ، مُمتنعَ المَنَـالِ[2]
مَـلأتَ يَـدَيْـكَ مِن رِزقٍ كَـريمٍ   أتـاكَ بِـغَـيْـرِ كَـدٍّ أو سُـؤَالِ
تَـنـزَّلَ مِـن لَـدُنْ رَبٍّ رَحـيـمٍ   عَميمِ الجـودِ ، فَيّاضِ النَّـوالِ
كُـلِ العِنَبَ الجَنِيَّ ، وَزِدْهُ حَمداً   على حَمْـدٍ يَـدومُ مَـدى الليـالي
تَـقُـولُ الحـارِثِيَّةُ مَـا لِعَيْنِـي   أَفي سِحـرٍ تَـقَلَّبُ أم خَيـالِ ؟
أرى عِنَبـاً ، ومـا مِن ذَاكَ شَيْءٌ   بِـمكّـةَ يـا لـهـا عِـظَةً ويـالي
ويـا لـكَ من أسيـرٍ ما عَلِمنـا   لـه بـين الأسـارَى مـن مِثـالِ

* * *

أتى الأجـلُ الذي انتظروا وَهَذِي   سُيوفُ القومِ مُحَـدَّثَةُ الصِّقـالِ[3]
فمـاذا في يَـمينـكَ يـا خُبَيْبٌ   ومـا بالُ الصَّغيرِ من العِيالِ ؟[4]
كـأنَّ بـأُمِّـهِ حَـذَراً عـليـهِ   نَـوازِعَ مـن جنـونٍ أو خَبـالِ
تَرَى الموسَى بِكَفِّـكَ ، وَهْوَ رَهْنٌ   بِـذَبـحٍ فـوقَ فخـذك واغتيـالِ

---

(١) كان خبيب رضي الله عنه يتهجد بالقرآن فإذا سمعه النساء بكين ورققن عليه .

(٢) قالت زينب بنت الحارث ، والله ما رأيت أسيراً خيراً من خبيب ، لقد وجدته يأكل قطفاً من عنب مثل رأس الرجل، وإنه لموثق بالحديد ، وما بمكة من ثمرة عنب وما كان إلا رزقاً رزقه الله .

(٣) كان شراؤهما في ذي القعدة فحبسوهما حتى تنتهي الأشهر الحرم .

(٤) لما أجمعوا على قتلهما استعار خبيب من زينب بنت الحارث موسى ليستحد به فغفلت عن ابن لها صغير اقبل حتى جلس على فخذه والموسى في يده فخشيت أن يقتله وفزعت لذلك ، فقال لها، أتخشين أن أقتله ؟ ما كنت لأفعل ذلك إن شاء الله .

ولكنْ لـلكـريمِ السَّمْـحِ نـاهٍ مِنَ الشِّيَمِ السَّنِيَّـةِ والخِصَـالِ
ومـاذا كنتَ تحـذرُ من عقـابٍ وَوِرْدُ الموتِ مُحتضَرِ السِّجالِ ؟[1]
وَسِعْتَ عَـدوَّكَ الموتـورَ حِلمـاً ومكـرمـةً على ضِيقِ المجـالِ
فـأيُّكما الـذي رَمَتِ السَّجايـا مُـروءَتَـهُ بِـأسـرٍ واعْـتِـقَـالِ
وَأَيُّكمـا القتيـلُ ؟ وَمَنْ سيبقى حـيـاةً لـلأواخِـرِ والأوالـي ؟

* * *

ألا إنَّ الـصـلاةَ لَـخـيـرُ زادٍ وإنَّ الـركـبَ آذنَ بـارتحـالِ[2]
تـزودْ يـا خُبَيـبُ وَثِـقْ بِـرَبٍّ لِـمثلِكَ عِـنـدَهُ حُسْـنُ المـآلِ
فَسِـرْ في نورِهِ الـوضّاحِ ، وَأَلْبِسْ جَمـالَ الخُلدِ في وَطنِ الجمـالِ
هُـنـالِـكَ مَـعْـرِضٌ لـلَّهِ فخـمٌ بَـدِيْعُ الصُّنعِ ، لم يَخْـطُرْ بِبـالِ
أَتَـرْضَى أن تَـرى خَيْـرَ البـرايـا مَكانَكَ ؟ سَـاءَ ذَلِكَ من مَقـالِ[3]
صـدَقْـتَ خُبَيْبُ إنّـكَ لِلعـوادي إذا هِيَ أخـطأَتْـهُ لَـذُو احْتِمـالِ
تَـبِيعُ بِشَـوكَـةٍ تُؤذيـهِ نَفْسـاً تَشُـكُّ صَمِيْمَهـا صُمُّ العـوالي[4]
كـذلِكَ قـال زَيْـدُ الخيـرِ لمّـا تَـردَّى في السَّفاهـةِ كـلُّ قـالِ[5]

---

(١) جمع سجل وهو الدلو المملوء .

(٢) لما خرجوا بخبيب ليقتلوه قال : اتركوني أصلي ، فتركوه فصلى ركعتين ثم انصرف إليهم وقال : لولا أن تقولوا جزع من الموت لزدت ، ثم قال : اللهم أحصهم عدداً ، ولا تبق منهم أحداً ، واقتلهم بدداً ، وأنشد أبياتا منها :

ولست أبـالي حيـن أُقتَلُ مسلمـاً على أي جنب كـان في الله مصرعي
وذلـك فـي ذات الإلـه وإن يـشـأ يـبـارك عـلى أوصـال شـلو ممـزع

(٣) لما أرادوا قتله شدوه إلى خشبة طويلة ، وأعملوا فيه الرماح والحراب ، ثم قالوا له : أتحب أن محمداً مكانك ؟ قال : لا والله ما أحب أن يفديني بشوكة في قدمه .

(٤) الرماح الصلبة المتينة

(٥) كذلك قالوا لزيد بن الدثنة وقال لهم ، والقالي المُبغض .

هُـمـو قتلوكَ مَصلوبـاً وأَغْـرَوْا ... بِـهِ وَبِـكَ الضِّعـافَ مِنَ المـوالي
رَفِـيقُـكَ فـي التَـجَلُّدِ والـتـأَسِّي ... وَخِـذْنُكَ في التَّقـدُّمِ والصِّيالِ[1]
أتـعـتـزلانِ دِيـنَ الـلَّهِ خَـوْفـاً ؟ ... فَمنْ أولَى بخـوفٍ وَابْتِهَـالِ ؟[2]
مـعـاذَ الـلَّهِ ، إنّ الـلَّهَ حَـقٌّ ... وإنّ الـمجـرِمـينَ لَـفِي وَبَـالِ[3]
لَـدِينُ الشِّـركِ أجـدرُ بِـاجْتنـابٍ ... وأخـلقُ بـاطِّـراحٍ واعْـتـزالِ
هُـوَ الـدّاءُ العُضـالُ لِـمُبتغيـهِ ... وكـلُّ الشَّـرِّ في الـدَّاءِ العُضـالِ
كَمـالُ النَّفسِ إيمـانٌ وَتَـقْـوَى ... ومـاذا بعدَ مَـرتبـةِ الكمـالِ ؟

* * *

حَـبِيسَ الأربـعـيـنَ ألا انـطلاقٌ ... كَفَاكَ : ألم تَزَلْ مُلْقَى الرِّحالِ ؟[4]
أَسَـرَّك أن تَـظَلّ مَـدَى اللَّيـالي ... جَمِيْعَ الشَّملِ ، مَوصولَ الحِبالِ ؟
عَلَى خَـرْقَـاءَ يَكـرهُ مَن يـراهـا ... طِـلابَ الـوُدِّ مِنها والـوصـالِ[5]
عَلِقْتَ بهـا ، فما أحـدثتَ هَجراً ... ولا حَـدَّثْتَ نَفْسَكَ بـالـزِّيـالِ[6]
يَمـلُّ المـرءُ صـاحِبَـهُ فَيشقَى ... بِصُحْبَتِـهِ ، ومـا بِـكَ مِن مَـلَالِ
وَيَـسْلُو كـلُّ ذِي شَجَـنٍ وَوَجْـدٍ ... وأنتَ على مُصَـابِكَ غيـرَ سـالِ
بُـلِيتَ بِكـلِّ ذِي قَـلْبٍ غَـبِـيٍّ ... غُـدافِيٍّ مِنَ الإيـمـانِ خَـالِ[7]

---

(١) التجلد والتأسّي الصلابة والصبر .
(٢) قالوا لخبيب إرجع عن الإسلام أو لنقتلنك . قال : إن قتلي في سبيل الله لقليل ، وهكذا قالوا لصاحبه فأجاب بمثل هذا .
(٣) الوبال الشدّة وسوء العاقبة .
(٤) هو خبيب . تركوه مصلوباً على خشبته بعد قتله أربعين يوماً ، وحوله الحراس ليراه الناس .
(٥) المراد بها الخشبة .
(٦) الزيال الفراق .
(٧) الغداف الغراب والغدافيّ ما أشبه لونه .

لأنتَ الحجّةُ الكُبرى عليهم   فما نَفْعُ المِراءِ أوِ الجدالِ ؟[1]

* * *

تأهَّبْ يا خُبَيْبُ أتاكَ غَوْثٌ   يَؤُمُّكَ في رَكائبهِ العِجالِ[2]

مَضَى بِكَ ، يَتبَعُ الغُرَماءُ مِنه   بَعيدَ مَدَى التَعَلُّلِ والمِطالِ[3]

تَقاضَوْهُ فما ظَفِرَ التَّقاضي   بِغَيْرِ عُلالَةِ النَّقْعِ المُذالِ[4]

قَطيعٌ من طَغامِ القومِ يَعْدُو   على آثارِهِ عَدْوَ الرِّئالِ[5]

فلمّا أوشكوا أن يُدْرِكُوه   أهابَ : عليكَ يا ربِّ اتّكالي

وألقى بالشَّهيدِ فَغَيَّبَتْهُ   طِبَاقُ الأرضِ كَنزاً من لآلِ

يَزِينُ المسلمينَ إذا تداعَتْ   شعوبُ الأرضِ من عَطِلٍ وَحَالِ[6]

طَوَتْ جَسَداً من الريحانِ رَطباً   عليهِ جَلالةُ الشَّيخِ البِجالِ[7]

قَضَى ، وَكَأَنَّهُ حَيٌّ يُرجَّى   لِحُسنِ الصُّنْعِ من صحبٍ وآلِ

يُدِيْرُ القومُ أعيُنَهم حَيارَى   كأنّ اللّهَ ليس بِذِي مِحَالِ[8]

وَيَأْسَفُ مَعشرٌ باتوا سُهارَى   تَفيضُ جِراحُهم بعدَ انْدِمالِ

---

(١) المراء الجدال والنزاع واللجاجة .

(٢) بعث النبي ﷺ الزبير بن العوام والمقداد بن عمرو لإنزال خبيب عن خشبته ، فوجدا عنده أربعين رجلا يحرسونه ، ولكنهم سكارى نيام فحمله الزبير على فرسه وهو رطب لم يتغير منه شيء ، وشعر بهما المشركون فانطلقوا وراءهما : فلما لحقوا بهما بعد جهد قذفه الزبير فابتلعته الأرض .

(٣) الغرماء جمع الغريم .

(٤) المذال المسبل ، وتقاضوه طلبوه ، والعلالة البقيّة ، والنقع الغبار .

(٥) الرئال أفراخ النعام ، واحدها رأل .

(٦) الحالي المزين بالحلي والعطل الخالي منه .

(٧) البجال السيد العظيم المبجل من الناس .

(٨) المحال القوة .

أجـابَ الـلّهُ دَعْـوَتَـهُ ، فـبـادوا وعـادوا مِثـلَ مُحْتَـرَقِ الـذُبـالِ[1]

* * *

بَني لِحْيَـانَ مـا صَنَـعَ ابنُ عمـروٍ ومـاذا بـالأسُـودِ من النّمـالِ ؟[2]
قَـتـلتـم صـحـبَـهُ وصـرعـتـمـوه فـيـا لِلُؤْمِ والـخُـلُقِ الـرُّذالِ[3]
ولـولا الغَـدْرُ لم يخشَـوا أذاكم وهل تخشى القُرومُ أذَى الأفالِ ؟[4]
أأصحـابُ اليمينِ بكم أُصِيبـوا ؟ لأنتم شَـرُّ أصحـابِ الشِّمـالِ

* * *

بَنِي لِحْيَـانَ وَاعَـجبِي لِبـأْسٍ خَبَتْ جَمَـراتُـه بعـدَ اشْتِعـالِ
فـررتم ، تَتَّقـون المـوتَ زَحْفـاً على القِمَمِ الشَّـواهِقِ والقِلالِ[5]
هـو المَسْـخُ المُبِينُ ، فمن أُسـودٍ تَصِيـدُ القـانِصِينَ إلى وِعـالِ[6]
دَعُـوا الشِّركَ المُـذِلَّ إلى حيـاةٍ مِـنَ الإسـلامِ وارفـةِ الـظِّلالِ

---

(١) الذبال جمع ذبالة ، وهي الفتيلة للسراج .
(٢) هو المنذر بن عمرو رضي الله عنه ، بعثه ﷺ هو وأصحابه القراء مع أبي عامر بن مالك (ملاعب الأسنة) لما قدم عليه فقال إني أرى أمرك هذا أمراً حسناً شريفاً ، فلو بعثت رجالا من أصحابك إلى أهل نجد فدعوتهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك ، قال له : إني أخشى أهل نجد عليهم . فقال أبو عامر : هم في جواري وعهدي ، فساروا بكتاب من النبي إلى عامر بن الطفيل سيد بني عامر ، فلما انتهوا إلى بئر معونة ذهب أحدهم بهذا الكتاب إلى عامر فلم ينظر إليه وقتله . ثم صاح بقوم من بني لحيان ورعل وذكران فقتلوا القراء وبقي بكعب بن زيد رمق فحمل من المعركة وعاش بعد ذلك واستشهد في غزوة الخندق ، ونجى الله منهم عمرو بن أمية الضمري ورجلا آخر .
(٣) القبيح .
(٤) الافال جمع أفيل وهو الفصيل ، والقروم جمع قرم وهو الفحل .
(٥) رؤوس الجبال .
(٦) جمع وعلة وهي أنثى الوعل .

هو الدِّين الذي يُحيي البرايا ويُصلِحُ أمرَهم بعدَ اخْتِلالِ
يَظلُّ النُّورُ في الآفاقِ يَسْرِي وَيَسطعُ ما تَلاَ القرآنَ تالِ

* * *

أرى أُمَماً على الغبراءِ مَرْضَى تَبَطَّنَ جَوفَها داءُ السُّلالِ
تُخالُ أَشَدَّ خَلْقِ اللّهِ بأساً على الضَّعفِ المُبرِّحِ والهُزالِ
إذا مَلأَتْ جَوانِبَها دَوِيّاً فلا تَغْرُرْكَ جَلْجَلَةُ السُّعالِ
مُخضَّبةَ البَنانِ لكلِّ صَيْدٍ يَعِنُّ، وتلك أنيابُ السَّعالي[1]
حَيَارَى لا تُرِيْدُ الحقَّ نَهْجاً ولا تَدَعُ الحرامَ إلى الحلالِ
ألا هادٍ يُقَوِّمُ من خُطاها وَيَحْسِمُ دَاءَها بعد اعْتِلالِ ؟

---

(١) السعالي الأغوال جمع سعلاة .

غـزوة ذي قـرَد

كانت بعد أيام قلائل من غزوة بني لحيان ، وسببها أن عيينة بن حصن أغار في خيل من غطفان على لقاح رسول الله ﷺ ، وكان يرعاها رجل[١] من غفار ، وامرأة[٢] بمكان يقال له (الغابة) فقتلوا الرجل ، واحتملوا المرأة مع اللقاح ، وعـلم بذلك سلمة بن الأكوع ، فجعل يرميهم بالنبل بعد أن اشتد في أثرهم . وكان يسبق الفرس جرياً ، ففعل بهم الأفاعيل ، واستنقذ منهم كثيراً من اللقاح ، وصاح ابن الأكوع فسمعه النبي وقال : الفزع الفزع ، يا خيل اللّه اركبي ، فجاء الرجال ، وجعل اللواء لسعيد بن زيد ، رضي اللّه عنهم جميعاً .

تَـرفَّـقْ يـا عُيينـةُ بـاللّقـاحِ وبـالخيـلِ المُغيـرةِ والسّـلاحِ[٣]
وَخَفِّضْ من غُـرورِكَ والـطّمـاحِ فـمـا مـالُ النبيِّ بِـمُـسْـتَبَـاحِ
ولا هو يَومُ حربٍ أو كِفَاحِ

أتَحسَبُهـا صنـادِيـدَ الـرجـالِ تـداعَوا بـالقواضِبِ والعَـوالي ؟[٤]
وخـفُّـوا يـا عُيينَـةُ لـلقتـال ؟ يلفُّـون الرِّعـالَ على الرعـالِ ؟[٥]
فليس على الفوارِسِ من جُناحِ ؟

---

(١) هو ولد أبي ذر الغفاري .
(٢) زوجة أبي ذر .
(٣) كانت عشرين لقحة وهي ذات اللبن القريبة من الولادة .
(٤) صناديد جمع صنديد وهو الشجاع ، والعوالي الرماح .
(٥) الرعال الجماعة المتقدمة من الخيل .

رُويــداً ، إنّــهــا إبِــلٌ تُــســاقُ   وراعٍ واحــدٌ دَمُــهُ يُــراقُ
ومـا بـالُ التي احتمـلَ الـرفـاقُ ؟   أَخِفْتُم أن يكــونَ لـهـا انْــطِلاَقُ
فترميكم بِمُصْمَتَةٍ رَدَاح ؟[1]

كفى ابنُ الأكـوع البَطلُ الجَسُــورُ   فَـذُوقَـوا الـنَّـارَ حـامـيـةً تَفُـورُ
رَمَى بـالنَّبلِ ، فـاضـطرم السَّعيـرُ   كـذلـكَ يفعـلُ الـرَّامِي القـديـرُ[2]
وتلك سِهامُهُ ، ما من بَراحِ

يُـوالي الكَرَّ ، ســاعِدُهُ شـديـدُ   وبين ضـلُوعـه قلبٌ حـديـدُ
عــذابٌ إذ يــكــرُّ وإذ يـحـيــدُ   يفـوتُ الخيـلَ منـه مـا تُـريـدُ
وإن طارت بأجنحةِ الرياحِ

إذا طـلـبـتـه لـم تـبـلـغ مَـدَاهُ   وإن رجَعتْ ، فليس لهـا سِـوَاهُ
يـمـزِّقـهـا بـمـا تـرمي يَـداهُ   فتـذهبُ كلّما جـاشتْ قُـواهُ[3]
حَوامِلَ لِلجِرَاحِ على الجِرَاحِ

تَخَـطَّفَ لِقْحَـةً من بعـد أُخـرى   وجَـاهَدَ ، يُرْهِقُ الفرسـانَ عُسْـرَا
يُــريـدُ لِقَــاحَ خَيـرِ الخلقِ طُـرَّا   ويَكــرهُ أن يُســاءَ وأن يُضَــرَّا[4]
وتلك مَشَاهِدُ البطلِ الصُّراحِ

أذاقَهُمُ البــلاءَ ، فمـا استـطاعـوا   وغَــالَــهُــمُ ارتــجــافٌ وارتـيــاعُ

---

(١) الشيء المصمت المغلق المبهم الذي يمتنع على من يريده أو يريد أن يعلم ما ينطوي عنيه وهـو في الأصل ما لا جوف له ولا فراغ فيه والرداح الكتيبة الثقيلة الجرارة . والمعنى : أكنتم تخافون حين احتملتم هذه المرأة الضعيفة أن ترميكم بكتيبة هذه صفتها ؟؟ .

(٢) جعل يرميهم بالنبل ويقول إذا رمى : خذها وأنا ابن الأكوع . واليوم يوم الرضع ـ أي يوم هلاك اللئام ـ فإذا وجهت الخيل نحوه انطلق هارباً ، وكانت إذا دخلت في بعض مضائق الجبل علاه وأخذ يرميهم بالحجارة .

(٣) جاشت هاجت وتدفّقت .

(٤) طرا :جميعا .

قُـوىً ضـاقَتْ بهـا هِمَمٌ وِسَـاعُ   فـأسلمتِ الأكُـفَّ قُـوىً شَعـاعُ
وألقت بالبُرودِ وبِالرِّماحِ (١)

ويَـا لَكِ صَيْحَـةً ذَهَبَتْ تَـرَامى   فَنَبَّهَتِ الأُلَى كـانـوا نِيـامـا (٢)
تَـلَقَّـاهَـا الـنبيُّ فـمـا أقـامـا   وهبَّ الجيشُ يَحتَـدِمُ احْتِـدَامَـا (٣)
وحانت وَقعةُ القَدَرِ المُتاحِ

وطـار الأخـرمُ الأَسَـديُّ فَـرْدَا   يَسُبُّ المجـرمينَ ومـا تَعَـدَّى (٤)
ولم يَـرَ مِن وُرُودِ المـوتِ بُـدّاً   فجـادَ بنفسِـهِ ورَعـاهُ عَـهْـدا
دَعَا دَاعيهِ ، حيٌّ على الفلاحِ

هِي الـرُّؤْيَـا التي قَصَّ القتيـلُ   على الصِّـدِّيقِ صَدَّقَهَا الدّليـلُ (٥)

---

(١) ألقوا أكثر من ثلاثين بردة وثلاثين رمحاً ليخففوا عن أنفسهم وهو يجهدهم ويستفرغ قواهم ، وقوى شعاع أي متفرّقة متبدّدة من الخوف .

(٢) لما علم بأمرهم علا ثنية الوداع ، وصرخ بأعلى صوته : واصباحاه ثلاث مرات .

(٣) احتدم الرجل اشتعل غيظاً .

(٤) هو محرز بن نضلة . كان أول من لحق بالفريق الأول من المسلمين في هذه الغزوة . فلما انتهى إلى المغيرين تقدم فوقف بين أيديهم وقال لهم : يا معشر بني اللكيعة (اللئيمة) قفوا حتى يلحق بكم من وراءكم من المهاجرين والأنصار ، وقد أخذ سلمة بن الأكـوع بعنان فرسه . وقال له إحذر القوم لا يقتطفوك حتى يأتي رسول الله ﷺ وأصحابه ، فقال : يا سلمة إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر ، وتعلم أن الجنة حق والنار حق ، فلا تحل بيني وبين الشهادة . فخلى سبيله ، والتقى هو وعبد الرحمن بن عيينة ، فعقر فرس عبد الرحمن وطعنه ، وطعنه عبد الرحمن فقتله رضي الله عنه ، ولم يقتل في هذه الغزوة من المسلمين غيره .

(٥) رأى قبل ذلك بيوم أن سماء الدنيا فرجت له هي وما فوقها حتى انتهى إلى السماء السابعة ، ثم انتهى إلى سدرة المنتهى ، فقيل له . هذا منزلك . وقص رؤ ياه على أبي بكر فقال له : أبشر بالشهادة .

مَضَى لِسَبِيلِهِ نِعمَ السَّبيلُ فَتىً كالسَّيْفِ مَشهدُهُ جَليلُ
هَوَى بِمَصَارعِ البيضِ الصِّفاحِ(1)

أَتى جَيشُ النبيِّ فأيُّ خَطبِ أصابَ القومَ من فَزَعٍ ورُعْبِ ؟
إذا خَفَقَ اللّواءُ ، فكلُّ قلبِ مِنَ الخَفَقَانِ في هَمٍّ وكَرْبِ
فِرفقاً يا ابنَ زيدٍ بالقِدَاحِ(2)

رَمَوْا وَرَمَيْتَ بالأبْطَالِ شُوسا تَخُوضُ إلى الوَغَى يَوماً عَبُوسا(3)
تُفَلِّقُ من أعَادِيهَا الرُؤوسا وَتَبذُلُ دُونَ بَيْضَتِهَا النُفُوسا(4)
كذلِكَ فَلْيَكُنْ بَذلُ السَّماح

إلى ابنِ عُيينةَ انطلَقَ القضاءُ فما بأبيهِ إذ أودى غَناءُ(5)
له من حولِ مَصرعِهِ عُواءُ إذا شَفَتِ الصَّدَى البِيضُ الظِّماءُ
فأهونْ بالعُواءِ وبالنُّباحِ

وأين دَمُ ابنِ نَضْلَةَ هل يَضِيعُ ويَبقى بعده الحَدَثُ الفظيعُ ؟
لَعمرُكَ ما لقاتِلِهِ شَفِيعُ صَريعُ طاحَ في دَمِهِ صَريعُ
أُحِيْطَ بِهِ ، فَعُوجِلَ باجْتِياحِ

هو المِقْدَادُ إن دُعِيَتْ نَزالِ تَقَدَّمَ لا يَهابُ ولا يبالي(6)

---

(1) السيوف العريضة .
(2) سعيد بن زيد أمير الجيش،القداح سهام الميسر ، وكان من عادتها أن تقلب وتقلقل والمعنى أن قلوب القوم كانت تشبه هذه القداح في خفوقها واضطرابها .
(3) جمع أشوس وهو الذي ينظر بمؤخر عينه .
(4) البيضة ما يجب حمايته والدفاع عنه .
(5) قتله المقداد بن عمرو ، وأودى هلك .
(6) كان المقداد بن عمرو أول من خف إلى رسول الله ﷺ . حين قال : الفزع الفزع ، يا خيل الله اركبي ، ونَزَالِ اسم فعل للأمر بمعنى انزل ويقال حاربوا وهو ان ينزل الفريقان عن إبلهما إلى خيلهما فيتضاربوا .

ومـا بـأبي قَتَـادَةَ في الـرجـالِ   خَفَـاءٌ حين تَشْتَجِرُ العَـوالِي[1]

وحين يُقالُ : أينَ ذَوُو النِّطاحِ ؟

أصابَ السَّهمُ وَجهاً منـه نَضْـرا   وأبصـرَهُ النبيُّ فقـالَ : صَبْـرا

وعَـالَجَـهُ ، فـأخـرجَ منـه شَـرّا   وألـقـى نَـفْـثَـةً كَـرَمـاً وبِـرا

فراحَ يَزِفُّ في القومِ الصِّحاحِ[2]

تـزوَّدَ منـه كَنْـزًا ليس يَفْنَـى   تَـزَوَّدَ دَعـوةً سـعـداً ويُـمـنـا

تـزوَّدَ رحمـةً ، وَهُـدىً ، وأمْنـا   تَـزَوَّدَ مـا أحـبَّ ومـا تَـمَـنَّـى

وجاوزَ كلَّ سُؤْلٍ واقتراحِ

شَـفَيْـتَ أبـا قَتَـادَةَ كـلَّ صـادِ   لَهيفِ الصَّـدرِ حـرّانَ الفُـؤادِ

يَبيتُ على أسىً مِمّـن يُعـادِي   رَسـولَ اللهِ في دِيـنِ الجـهـادِ

وفي دُنيا المُروءةِ والصَّلاحِ

غَنِمْـتَ سِـلاَحَ مسعـدَةَ الشقِيِّ   وَفُـزْتَ بِـطَرْفِـهِ فَـوْزَ التَّقِـيِّ[3]

عَـطاءٌ مـن جَـوادٍ أريـحِـيِّ   غَـطاءُ اللَّهِ مِـن يَـدَيِ الـنَّـبِـيِّ

رسولِ اللَّهِ أفضلِ مُستَماحِ[4]

لقـد أحـدثتَ لـلأبـطالِ شُغْـلاً   وَهَـمَّـاً مـا أشـدَّ ومـا أجَـلاَّ[5]

---

(١) قتل أبو قتادة رضي الله عنه مسعدة الفزاري ، وقد أصيب بسهم في وجهه فنزعه النبي بيده الشريفة نزعاً دقيقاً ، ثم بزق فيه ووضع راحته عليه ثم قال : اللهم بارك له في شعره وبشره . فمات في السبعين وكأنه في السنة الخامسة عشرة وتشتجر العوالي ـ تشتبك الرماح .

(٢) يزف بمعنى يسرع .

(٣) الطرف الكريم من الخيل .

(٤) استماحه سأله العطاء .

(٥) لما قتل أبو قتادة مسعدة الفزاري ألقى عليه برده(برد أبي قتادة)فغطاه ، فلما رآه المسلمون استرجعوا وقالوا : قتل أبو قتادة ، فقال النبي ﷺ : ليس بأبي قتادة ولكنه قتيل له وضع عليه =

سُقُــوا مَكْــرُوهَــهُ نَـهَــلاً وَعَــلاًّ ولـولا فَضـلُ رَبِّــكَ ما تَجَلَّى[1]
دَعَــوْا إذ أبصـروا البُــرْدَ المخَلَّى على الجَسَـدِ الذي أوجعتَ قتـلا
نَـعَــاءِ أبـا قَـتَـادَةَ إذ تَـوَلَّـى نَعـاءِ الـفـارسَ البـطلَ المُـدِلاّ[2]
وضَجُّـوا بـالتي في الخـطبِ تُتْلَى فَـتنـفـعُ مَن تَـجَلَّدَ أو تَـسَلَّى[3]
فَقَــالَ مُحمــدٌ : يــا قــومُ كــلاَّ أخــوكم لم يَـزَلْ حَيّـاً ، فَمَهْـلا
كَـفَـاكُمْ رَبُّـكُـمْ فَـقْـداً وثُـكْـلا فـأشرقَتِ الـوجـوهُ ، وكـان فَضْـلا

طَوَى قَرْحَى القُلوبِ على ارْتِيَاحِ[4]

تَـدَاعَى القـومُ صَفّـاً بعد صَفٍّ وَوَلَّــوْا بـعــدَ إقــدامٍ وَزَحْـفِ[5]
مَضَوْا بالنّصفِ ، لـو ذهبوا بـألفِ من اللائي اصطَفَى النُّعْمَانُ صِرْفِ[6]

لَمَا فَرحوا بفوزٍ أو نجاحِ

وأقـبلتِ الأخـيــذَةُ بـعــد يــأسٍ على العَضْبَاءِ في شَعَثٍ وبُؤْسِ[7]

= برده ليعرف أنه صاحبه ـ أي قاتله فخرج عمر بن الخطاب حتى جاءه ، وكشف البرد عن وجهه فإذا هو مسعدة .

(١) النهل الشرب الأول والعل الشرب الثاني .

(٢) نعاء بالبناء على الكسر كنزال ، اسم فعل للأمر بمعنى إنع ، قال الأصمعي . كانت العرب إذا مات منها ميت له قدر ، ركب راكب فرساً . وجعل يسير في الناس ويقول : نعاء فلاناً . أي إنعه وأظهر خبر وفاته .

(٣) كلمة الاسترجاع . إنا لله وإنا إليه راجعون .

(٤) قرحى جمع قريح والقريح الجريح .

(٥) من تداعى البناء إذا انهار .

(٦) نصف اللقاح والنعمان بن المنذر كانت له إبل تسمى عصافير النعمان .

(٧) هي امرأة أبي ذر انفلتت من الوثاق. ليلا . فأتت الإبل ، فجعلت إذا دنت من البعير رغا فتتركه ، حتى انتهت إلى العضباء فلم ترغ ، فعقدت على عجزها ثم زجرتها . وعلموا بها فطلبوها فأعجزتهم ، فنذرت لئن نجاها الله عز وجلّ لتنحرنها وتأكل من كبدها وسنامها ، وأقبلت تخبر الرسول الكريم بذلك ، فتبسم وقال ، بئسما جزيتها لا نذر في معصية الله ، ولا فيما لا تملكين، إنما هي ناقة من إبلي ، إرجعي إلى أهلك على بركة الله .

عَنَـاهـا الضُّـرُّ من أَسرٍ وحَبْسٍ وسُوءِ الصُّنْعِ مِن ظُلمٍ وَوَكْسٍ[1]
على يدِ كلِّ عِرِّيضٍ وَقَاحِ[2]

أتت ، للمسلِمِينَ بـهـا ابتـهـاجُ ولـلكُـفَّـارِ إذ نَـجَـتِ اهْـتِـيَـاجُ
أبـا ذَرٍّ ولـلـضِّـيـقِ انـفـراجُ وَرُبَّما حَـلا الـورِدُ الأُجـاجُ[3]
هنيئاً ، بات صدرُكَ في انشراحِ

أتـذكُـرُ إذ يقـولُ لـكَ الـرَّسـولُ أقم فـالأمـرُ بـاطِنُـهُ مَـهُـولُ ؟
ومـا تَـدْرِي إلى مَ غَـداً يَؤُولُ سـتعـرِفُـهُ وتـذكـرُ مـا أقـولُ
إذا ما الغيبُ آذَنَ باتِّضاحِ

أتت فَرْحَى ، وقالت : حلَّ نَذرِي فـإن أَذِنَ الـرّسـولُ قَضيتُ أَمْـرِي
هِيَ العضباءُ تُعقَـرُ مـا لإصْـرِي سِوَاها ، إن أردتَ شِفَاءَ صَدْرِي[4]
عَلَيَّ اليـومَ بعـد فكـاكِ أسـرِي وفـاءُ النَّـذرِ ، مـا لي من مَفَـرِّ
وقَـانِـي الـلَّهُ مـن سُـوءٍ وشَـرٍّ لـه سُبحـانَـهُ حَمدِي وشُكْـرِي
على أن صِرْتُ مطلقة السَّراحِ

فـقـالَ لـهـا رسـولُ الـلَّهِ إيـهِ لـبئسَ جَـزَاءَهـا أن تـفـعـليـهِ
دَعِي النَّـذرَ المحـرَّمَ واتـركـيـهِ وخـافـي الـلَّهَ ربَّـكِ واتَّـقِـيـهِ
لَـشَـرُّ الـنَّـذرِ مـالا يـرتـضـيـهِ ومـا لا حَـقَّ لـلإنـسـانِ فـيـهِ
دَعِـي لـي نـاقـتـي وتـعـلَّـمـيـهِ قضـاءً مـا اهتـدى من لا يَعِيـهِ

(١) الوكس الخِسَّة .
(٢) العريض الذي يتعرض للناس بالشر .
(٣) استأذن أبو ذر الغفاري رسول الله أن يكون في اللقاح فقال له : لا تأمن عيينة بن حصن وذويه أن يغيروا عليك . فألح عليه فقال له : لكأني بك قد قتل ابنك ، وأخذت امرأتك ، وجئت تتوكأ على عصاك . فلما وقعت الواقعة جعل أبو ذر يعجب ويشيع الحديث ، والأُجاج الماء الملح .
(٤) الأصر الثقل أو العبء الثقيل .

وكيف تُقاسُ مَنزلةُ الفقيهِ   بمنزلةِ الغَبيِّ أوِ السَّفيهِ
هُنالِكَ حيٌّ أهلِكِ ، فاطلبيهِ   على بَرَكَاتِ رَبِّكِ واحمديه
إلٰهاً ما لما يَقضِيهِ ماحِ

* * *

قَضيتَ الحقَّ ، فاغتنِمِ الجزاءَ   وَزِدْ يا سعدُ في الدنيا عَلاَءَ[1]
وَسِعْتَ غُزاةَ ذِي قَرَدٍ سَخَاءَ   وكنتَ لهم أخاً يَرْعَى الإخاءَ
بَعثتَ التَّمْرَ يُعجِبُهُم نَماءَ   وَسُقْتَ البُدْنَ تُطربُهُم رُغَاءُ[2]
قِراكَ إذا هُمُ التمسوا الغذاءَ   وَبِرُّكَ ، لا يزالُ لهم رَجاءَ
كذلكَ أنتَ ما تألو وفاءَ   وَحُبّاً للأُلَى صدقوا البلاءَ
بُناةُ الحقِّ ، مَا مَلُّوا البِناءَ   وإن عَلَتِ الدِّماءُ بهِ الدِّماءَ
أجَلْ يا سَعْدُ فارفعها سماءَ   تُجاوِزُ كُلَّ مُطَّلَعٍ سَناءَ
جَرَى الكُرَماءُ ، فانتهبوا الثَّناءَ   وما بلغوكَ جُوداً أو عَطَاءَ
رُزِقْتَ البأسَ أجمعَ والمضاءَ   فكنتَ أحقَّ من مَنعَ اللّواءَ
بِشُكْرٍ في الهزاهزِ وامتداحِ[3]
رسولُ اللّهِ يُؤذِنُ بالإيابِ   وَيَرجِعُ بالأحبّةِ والصّحابِ
يَسيرُ مِنَ الجلالةِ في رِكَابِ   تَدِينُ لِعِزِّهِ غُلْبُ الرقابِ

---

(١) سعد بن عبادة رضي الله عنه ، بعث إلى المسلمين في هذه الغزوة بأحمال من التمر وبعشر جزائر ، فقال النبي : اللهم ارحم سعداً وآل سعد ، نعم المرء سعد بن عبادة، فقالت الأنصار : هو سيدنا وابن سيدنا . من بيت يطعمون في المحل ، ويحملون الكل الضعيف وينهضون بأمر العشيرة ، فقال ﷺ : خيار الناس في الإسلام خيارهم في الجاهلية إذا فقهوا في الدين .

(٢) البدن جمع بدنة ، وهي الأضحية السّمينة .

(٣) الهزاهز الأمور العظيمة تُحرّك الناس ، والحروب .

تُسَايِرُهُ بآياتِ الكتابِ   مُرَتَّلَةً بأنغامٍ عِذابِ
صُفوفُ من ملائكةٍ طِرَابِ   تُظَلِّلُهُ بأجنحةٍ رِطابِ
تَرِفُّ على الرّوابِي والبطاحِ

حبا ابنَ الأكوعَ الشَّرَفَ المُنِيفَا   وحَسْبُكَ أن يكونَ له رَدِيفَا[1]
كَذَلِكَ يَرفَعُ اللَّهُ الشَّرِيفَا   وَيَجْزِي المؤمِنَ البَرَّ الحنيفا
أطيلي ناقةَ اللَّهِ الوَجِيفَا   وَوَالِي الخطوَ مُرْتَجَلا خَفيفا[2]
حَملتِ أجلَّ مَن يحمي الضَّعيفا   وأعدل مَن يُحاذِرُ أن يَحيفا[3]
حَماكِ ، وعطَّلَ النَّذرَ السَّخيفا   وأمضى حُكْمَهُ سَمْحاً عَفيفا
حَملتِ اللّيثَ ، فالتمسِي الغريفا   جُزيتِ كرامةً ، وَرُزِقْتِ رِيفا[4]
وبُورِكَ في غُدوِّكِ والرّواحِ

رسولُ الخيرِ جاءَ بكلِّ سَمْحِ   مِنَ الأخلاقِ في صدقٍ ونُصْحِ
تَدَارَكَ سَوْرَةَ البطلِ المُلِحِّ   وأوصاهُ بإحسانٍ وصَفْحِ[5]
وكان القومُ في جُهدٍ وبَرْحِ   وَرَاءَ الماءِ ما ظَفروا بِرَشْحِ
تَنَحُّوْا عنه إذ كُرِهَ التنحِّي   فما ابتلَّتْ جَوانِحُهُم بِنُضْحِ[6]
ولو أُخِذُوا بتقتيلٍ وذَبْحِ   لما اعتصموا بِسَيْفٍ أو بِرُمْحِ

---

(١) رجع النبي إلى المدينة على ناقته العضباء مردفاً سلمة بن الأكوع رضي الله عنه
(٢) الوجيف نوع من سير الإبل والخيل .
(٣) حافَ جار وظلم .
(٤) الغريف الغيضة أو الأجمة ، والشجر الملتف ، والمقصود هنا بيت الأسد ، والريف السعة في المآكل والمشارب .
(٥) هو سلمة رضي الله عنه ، طارد القوم حتى أجلاهم عن الماء وهم عطاش ، وجاء يخبر النبي فقال له : ملكت فاصفح فتركهم يشربون ، والسُّورة السطوة والاعتداء .
(٦) النضح رشاش الماء .

صنيعـةُ مُحسنٍ يُمسـي وَيُضْـحِي   لـه تـاجـانِ من شُكْـرٍ وَمَـدْحِ
رَحِيمِ القلبِ ، يـأسو كـلَّ جُرْحٍ   ويَعْتَـدُّ الـجميـلَ أجـلَّ فَتْـحِ
ومـا يـنفـكُّ فـي كَـدٍّ وكَـدْحٍ   يُقيمُ الحقَّ صَـرْحَـاً بعـد صَـرْحِ
ويَحْمِي الدِّينَ مِن كلِّ النواحي

غزوة الحديبية

ويقال لها عمرة الحديبية بئر قريبة من مكة ، خرج إليها النبي صلى الله عليه وسلم في ألف وأربعمائة ـ على أصح الروايات ـ من أصحابه يوم الإثنين مستهل ذي القعدة من السنة السادسة . وكان قد رأى أنه دخل مكة وأصحابه آمنين ، محلقين رؤوسهم ومقصرين ، وأنهم دخلوا البيت وطافوا به ، وأخذ هو مفتاحه ، ووقف على عرفات مع الواقفين .

قص هذه الرؤيا على أصحابه ففرحوا ، وخرجوا معه معتمرين محرمين من ذي الحليفة والهدي يساق بين أيديهم ، ولم يكن معهم من السلاح سوى السيوف ، وكانوا يخافون أن تصدهم قريش عن البيت ، وعلم النبي أنهم خرجوا في نسائهم وصبيانهم متأهبين للقتال . فصف الجيش ومضى بعد أن استشار أصحابه ، واختلفت الرسل بين الفريقين ، فعقد الصلح على وضع الحرب مدة اختلف الرواة في تقديرها ، فقال بعضهم عشر سنين ، وقال بعضهم أربع ، وقيل سنتان ، وأن من جاء إلى النبي من المسلمين بغير إذن وليه رده إليه ، ومن أتى المشركين بمكة مرتداً من المسلمين احتسبوه عندهم وأن يرجع النبي وأصحابه ، ثم يعودون للطواف بالبيت في العام التالي ، لا يحملون سوى سلاح الراكب ، فتخلي لهم قريش مكة ثلاثة أيام يعودون بعدها إلى المدينة ، وقد ثارت نفوس المسلمين لهذا الصلح ، ولكن الله ثبت قلوبهم ببركة رسوله الكريم وحكمته التي تجلت آثارها بعد ذلك ، وكانت بيعة الرضوان من بركات هذه الغزوة الميمونة .

مِنكَ الحنينُ ، ومنه ما هو أَعظَمُ   لـو يَستـطيـعُ أتـاكَ لا يتلوّمُ[1]

---

(١) التلوم التمكث والانتظار .

البيتُ أنتَ بـه أحقُّ وإن أبَى ... من أهـلِ مَكـةَ جـاهـلٌ لا يعلمُ
مـا أصدقَ الـرُّؤيا وأقـربَ حِينَهـا ... فـاصبِرْ على ثقـةٍ ، وربُّـكَ أكـرم
إن يَخْلُ منها اليومُ ، فالغـدُ بعده ... بـالخيرِ والـرضـوانِ منهـا مُفْعَم[1]
سِرْ يا رسـولَ اللَّهِ جُندُكَ بـاسـلٌ ... وقُـواكَ مُحْصَدَةٌ ورأْيُـكَ مُحكم[2]
آثـرتَ رَبَّـكَ وحـده ، لا تَشتكِي ... فيـهِ من الأهـوالِ مـا تَتجشم
ومَضيتَ مُعتمِـراً بصحبِكَ مُحرمـاً ... والهَـدْيُ حالٍ بـالقـلائـدِ مُعْلَمُ[3]
والمؤمنـاتُ الصَّـالحـاتُ كـأنَّمـا ... فيهن سَـارَةُ والـرضيَّـةُ مَـرَيم[4]
مـن كـلِّ أُمٍّ بَـرَّةٍ لـم يُـلهِهَـا ... بَعْلٌ ، ولم يَغْلبْ نوازعهَـا ابْنَم[5]

* * *

يـا طِيْبَ مـا لَبَيتَ رَبَّـكَ إنّـه ... لَـلحقُّ يُـزلِفُـهُ فُؤادُك والـفم[6]
أين الشَّـريكُ لمن تَصـرَّفَ وحـده ... في مُلكـهِ ، أَمَّنْ سِـواهُ المُنعِم ؟
لَبَّيْكَ رَبِّ ، إن قَضيتَ لنا الهدى ... فَكِتـابُـك الهـادي ، وأنتَ المُلْهِم

* * *

تلكم قُـريشٌ أقبلتْ في غَضبـةٍ ... مَشبـوبـةٍ ، وحميَّـةٍ تَتضـرَّم[7]

---

(١) ملآن .
(٢) المحصد المحكم الفتل .
(٣) الهدي ما يهدي إلى الحرم من النعم .
(٤) خرجت أم سلمة وأم عمارة ، وأم منيع ، وأم عامر الأشهلية - رضي الله عنهن - مع الجيش في هذه الغزوة .
(٥) ابن .
(٦) لبى ﷺ بقوله - لبيك اللهم لبيك - لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك ، والملك لا شريك لك.يزلفه بمعنى يقربه .
(٧) مشبوبة موقدة ، والحمية الأنفة والإباء ، وتضرّمت اشتعلت .

قالت : أيدخلُها علينا عَنْوَةً ؟ السّيفُ أولَى أن يُحكِّمَ والدَّم[1]

وَرَوى ابنُ سُفيانَ الحديثَ ، فلو دَرى لُغةَ السُّيوفِ لَخَالها تَتَكلّم[2]

أَصغتْ إليه ، فلم يَقِرَّ بغمدِه منها على طول التحلّمِ مِخْذَم[3]

يَجِدُ التقاةُ المحرمونَ ولا كما يَجِدُ التقيُّ من السّيوفِ المُحْرِمُ

أبدتْ تَباريحَ الهُمُومِ شديدةً وأشدُّ منها ما تُجِنُّ وَتَكْتُمُ[4]

وَدَّتْ لَو أنَّ اللَّهَ قالَ لها ، اضرِبي فَمضتْ ، تُظلّلها النسورُ الحُوَّمُ

* * *

قال النبيُّ أَنَتَّقيها خُطَّةً هي ما علمتم ، أم نَجِدُّ وَنُقدِم ؟[5]

فأجابه الصّدّيقُ بلى نمضي إلى ما كنتَ تنوِي بالخروج ونعزم

وَرَمَى بها المقدادُ خُطبةَ مُؤمنٍ يَرمي الخطوبَ بنفسِه ، لا يُحجِم[6]

---

(١) قالوا : أيريد محمد ان يدخل مكة علينا في جنوده معتمراً ، فتسمع العرب أنه دخل علينا عنوة . وبيننا وبينه من الحرب ما بيننا ؟ والله لا كان هذا أبداً ومنا عين تطرف .

(٢) هو بُسر بن سفيان أرسله النبي إلى مكة لتعرف أخبارهم فعاد إليه يقول انهم استنفروا من أطاعهم من العرب ، وخرجوا بالنساء والصبيان ، ولبسوا جلود النمر ، وإنهم نزلوا بذي طوى يتعاهدون على صد المسلمين ـ قال : وهذا خالد بن الوليد في خيلهم عند كراع الغميم .

(٣) المخذم السيف القاطع .

(٤) أجنَّ الشيء ستره واخفاه .

(٥) لما سمع النبي أن المشركين يريدون منعه عن البيت ، قال لأصحابه : أشيروا علي أيها الناس ، أتريدون أن نؤم البيت فمن صدنا عنه قاتلناه ؟ قال أبو بكر : يا رسول الله خرجت عامداً لهذا البيت لا تريد قتل أحد ولا حرباً . فتوجه له ، فمن صدنا عنه قاتلناه .

(٦) المقداد بن عمرو ، قال يا رسول الله ـ لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى ولكنا نقول : اذهب أنت وربك فقاتلا ، إنا معكما مقاتلون . والله لو سرت بنا إلى (برك الغماد) سرنا معك ما بقي منا رجل ، قال : فامضوا على اسم الله ، فوالله لا أزال أجاهد على الذي بعثني الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة صفحة العنق ، كناية عن القتل .

ومضوا يرون المشركين بذي طوى والخيلُ شتَّى ، والخميسُ عَرَمْرم[١]

* * *

أبِلَالُ أذِّنْ للصَّلاةِ ، فإنّها أسنى وأشرفُ ما يُحبُّ المسلم[٢]
نَهَضَ النبيُّ يُقيمها في صحبهِ للَّهِ ، تُبدأُ بالخشوعِ وتُختَم
وأعدَّ طائفةً تقومُ ، فتتَّقي كيدَ العدوِّ إذا يَكرُّ ويهجم
حتى إذا سَجَدَ الرفاقُ تخلَّفوا عنهم ، فَضُوعِفَ أجرُهم والمغنم

* * *

جيشُ الهدى واليُمنِ عند جلالهِ بِيَمينِ قائدِهِ يُصَفُّ وَيُنظَمُ
جَعلَ ابنَ بِشرٍ[٤] في الجهادِ لخالدٍ يَلقاهُ إن جَمعَ الفوارسَ مَأزِمُ[٣]

* * *

سلكوا الطريقَ الوعَر يَسطعُ نُوره وأضلَّ غيرهَم الطريقُ المُظلِمُ[٤]
يمضي الدليلُ بهم ، ويذهبُ مُوقِناً ثَبْتاً ، فما يرتابُ أو يتوهّم

---

(١) الخميس العرمرم الجيش الكثير العدد .

(٢) صلاة العصر كانت بعسفان وهو موضع قريب من كراع الغميم - موقف خالد بن الوليد بالخيل - صف النبي المسلمين صفين ثم أحرم بهم وركع فركعوا ، واعتدل فاعتدلوا ، فلما سجد سجد معه الصف الأول سجدتيه ، وتخلف الصف الثاني فبقي معتدلا للحراسة ، ثم قاموا فسجد هؤلاء وقاموا ، ثم تقدم الصف الثاني وتأخر الأول ، فقام بالحراسة على النحو السابق . فلما جلس النبي للتشهد في الركعة الأخيرة جلسوا جميعاً فتمت الصلاة .

(٣) لما صف النبي الجيش جعل عباد بن بشر بإزاء خالد بن الوليد، والمأزم المضيق .

(٤) قال النبي : من يخرج بنا على طريق غير طريقهم ؟ فقال رجل من أسلم هو ناجية بن جندب : أنا يا رسول الله ، ومشى أمام الجيش في طريق وعر حتى جاءوا الحديبية بأسفل مكة .

بُوركتَ ناجِيةَ بن جندبَ من فتىً   جَلْدٍ على الضـراءِ لا يتبـرّم[1]
وَجَب الثنـاءُ لأسلميٍّ مـاجـدٍ   شَرفتْ بـه نَسبـاً ، وعـزّتْ أسلَمُ

* * *

تلك الحُدَيبِيَةُ المحبَّبُ ذِكْـرُهـا   لـلحقِّ فيـهـا منـزلٌ وَمُخيَّـم
نَـزلَ الهـداةُ بـأرضِهـا ، فكـأنَّمـا   طلعت لأهل الأرضِ فيها الأنجمُ
يـا مَبركَ القُصوَى أتلك رسـالـةٌ   جاءتكَ ، أم هي من كَلالٍ تَرْزُمُ ؟[2]
أَبتِ المُضِيَّ ، ولم يكن ليعـوقهـا   لـو شـاءَ ربُّـكَ مبَـركٌ أو مجثَمُ
لـو شـاءَ أرسلَهـا فزلـزلَ مكّـةً   خَطبٌ يَضِجُّ لـه الحطيمُ وزمـزم

* * *

أبديلُ أقبِلْ في رجالِكَ ، والتمسْ   عِلَم اليقينِ لمن يَـظنُّ وَيَـزعُـم[3]
قـال النبيُّ أتيتُ غيـر مُحـاربٍ   وانـظرْ ، فـإنّ الحـربَ لا تَتلثم
الهَدْيُ حولك ، والسّيوفُ كما ترى   مَقـروبـةٌ ، وكـأنّمـا هِيَ نُـوَّم[4]
مـا جئـتُ إلا لِلْبَـنِـيَّـةِ زائـراً   أَقضِي لـربِّي حقَّـهـا وأُعِـظّمُ[5]
إرجعْ إلى القومِ الغضابِ ، وقل لهم   ردُّوا النّفوسَ إلى التي هي أقوم

---

(١) الجلد الشديد القويّ .
(٢) ناقة النبي ، بركت في مكان هناك ، فعلم أن الله لا يحب أن يدخل مكة عنوة ، وترزم لا تقوم هزالاً .
(٣) بديل بن ورقاء سيد قومه أسلم يوم فتح مكة قدم إلى النبي من قبل قريش في رجال من خزاعة يسأله ماذا يريد ؟ فقال ، ما جئت للحرب ، ولكني جئت زائرا البيت . ومعظماً لحرمته ، فلما عادوا إلى قريش وأخبروهم بذلك اتهموهم وأحفظوهم بسيء القول .
(٤) مقروبة مغمدة في قربها جمع قراب وقراب السيف غمده .
(٥) البنيّة الكعبة المشرّفة .

إن تمنعوا البيتَ العتيقَ يَكُنْ لكم يَومٌ من الحِدثـانِ أَربدُ أقتم[1]

البيتُ بيتُ اللّهِ ، جـلَّ جَـلالُـه ولَنحنُ أولى بـالمنـاسـكِ مِنهـمُ

* * *

نَصَـح ابنُ ورقاءَ الـرجالَ ، فيـاله من ذي مُنـاصَحـةٍ يُسَبُّ وَيُشتم

قالوا : أَنذعِنُ صاغرِينَ ؟ وأقسموا أن ينبذوا المثلى ، فبئس المَقْسم

وتتـابعتْ رُسُـلٌ ، فمنهم غـادِرٌ يَبغي الفسـادَ ، وحَـاذِرٌ يتـأثّم[2]

ومُـقَسَّـمُ الأخـلاقِ يُحسِـنُ مَـرّةً وَيُسِيءُ أخرى في الحوارِ فَيعرِم[3]

أهـوى عَلى يدهِ المغيـرةُ ضـاربـاً لـولا الأنـاةُ لـطار منـه المِعْصَمُ

مـا انفكَّ يضـربُـه بِمقبضِ سَيْفِـهُ والسَّيفُ يُغضِي ، والمنيّـةُ تَحـلِم

أسرفتَ عُرَوة فاقتصِدْ ، واقبضْ يَداً رِيعَ السِّماكُ لها ، وَغِيظَ المِرزَمُ[4]

كيف ارتقيتَ إلى محـلٍّ مـالـه راقٍ ، ولـو أنّ الكـواكبَ سُلّم ؟

أبلحْيَـةِ المختـارِ تُمسـك ؟ إنّهـا لَتُصانُ في حَرَمِ الجلالِ وَتُعصَم

أحسنتَ قولَكَ في الـذين ذممتَهم وأَبى الذين طَغَوْا ، فأنتَ مُذمَّم[5]

---

(١) الحِدْثان والحَدَثان نوائب الدهر ، وأربد أغبر .

(٢) الغادر هو مكرز بن حصن ، بعثوه إلى النبي ، فلما رآه مقبلا قال : هذا الرجل غادر ، وكان ما أخبره به كالذي سمعه بديل بن ورقاء والحاذر هو الحليس بن علقمة سيد الأحابيش .

(٣) عروة بن مسعود الثقفي أسلم بعد ذلك، وفد على النبي فجلس بين يديه، ثم قال يا محمد جمعت أوباش الناس ثم جئت فيهم إلى بيضتك لتفضها بهم، إنها قريش خرجت معها العوذ المطافيل قد لبسوا جلود النمر، يعاهدون الله أن لا تدخلها عليهم عنوة أبداً، وأيم الله لكأني بهؤلاء قد انكشفوا عنك، ثم جعل يتناول لحيته الشريفة وهو يكلمه على عادة العرب، والمغيرة بن شعبة واقف على رأسه يضرب على يد عروة بمقبض السيف ويعرم بمعنى يفارق القصد ويجاوز الحد .

(٤) السماك نجم والمرزم نجم من نجوم المطر .

(٥) لما رجع عروة إلى قريش قال : إني جئت كسرى في ملكه ، وقيصر في ملكه، والنجاشي =

عَـابوكَ إذ قُلتَ الصّـوابَ جَهـالـةً   أيُعابُ مَن يأبى النفّـاقَ ويُوصَمُ ؟
صَـدَقَ الحُلَيْسُ فـأوجعـوه مـلامـةً   والقـومُ لِليَقِظِ المُسَـدَّدِ لُـوَّم[1]
بَعثَ الهُداةُ الهَدْيَ ، ثُمَّتَ أقبلوا   يـلقـونـه ، فعنـاه هَـمٌّ مـؤلـم
جـاءوه شُعْثاً يـرفعـون لـربّهم   صـوتـاً يُـردِّدُه الأصمُّ الأبـكـم
فَهَفَتْ جَوانِحُه ، وقـال على أسىً   سُبحـانَ ربِّي ، مالنـا نَتجـرَّم ؟[2]
سُبحـانـه ، أنصـدُّهم عن بيتـهِ ؟   إنّـا إذاً قـومٌ نَـجـورُ ونـظلم
مـولى الأحـابيشِ الـذين تـألّهـوا   لا يتبعـون سبيـلَ أقـوامٍ عَمُـوا
نبـذتْ قـريشٌ رأيَـهُ ، واستكبـرتْ   والغَيُّ أنكُـد مـا علمتُ وأشـأم

* * *

اذهب خراشُ إلى قريشٍ نـاصحاً   فلعلّهـا تبغي الصَّـوابَ فتفهم[3]

= في ملكه ، فوالله ما رأيت ملكاً في قومه قط كمحمد في أصحابه ،إني رأيت قوماً لا يسلمونه لشيء أبداً ، فرّوا رأيكم فإنه عرض عليكم رشداً ، إقبلوا ما عرض عليكم فإني ناصح لكم ، وأنكم لن تنصروا عليه ـ قالوا : لا تتكلم بهذا يا أبا يعفور . . قال ما أراكم إلا ستصيبكم قارعة ، ثم انصرف هو ومن معه إلى الطائف ـ وعروة هو ابن مسعود الثقفي الذي عنته قريش بقولها ﴿لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾ وقيل هو الوليد بن المغيرة .

(١) سيد الأحابيش لما رآه النبي قال : هذا من قوم يتألهون ، أي يتعبدون ويعظمون أمر الله ، إبعثوا الهدي في وجهه حتى يراه فلما رآه يسيل عليه بقلائده من عرض الوادي قد أكل أوباره من طول الحبس ، واستقبله المسلمون يلبون قد شعثوا ، صاح قائلا : سبحان الله . ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت ، هلكت قريش ورب الكعبة ، وعاد إليهم فنهاهم عما اجتمعوا له ، فغضبوا وقالوا : إجلس فإنما أنت أعرابي ولا علم لك ، فثارت نفسه، ونوى الإنفصال عنهم .

(٢) تجرم الرجل على الآخر نسب إليه الجرم وهو بريء .

(٣) خراش بن أمية الخزاعي بعثه النبي إلى قريش وحمله على بعير له ليبلغ رؤساهم أنه ما جاء محاربا فعقروا بعيره وأرادوا قتله فمنعه الأحابيش .

عقروا بَعيرَكَ ناقِمِيْنَ ، وأوشكوا أن يقتلوك ، فليتهم لم يَنقِموا
لولا الأحابيشُ استُحِلَّ بظلمهم منه دَمٌ ما يُستحَلُّ مُحرَّم

* * *

ذَهبَ ابنُ عفّانٍ إليهم يَبتغِي أن يؤثروا الرأيَ الذي هو أحزم[1]
فأبوا وقالوا ، لا فِكاكَ لكم وما نحن الألى نأبى الهوانَ فَنُرْغَمُ
هُمْ أمسكوه ثلاثةً في صحبه ورموا بها مَلمومةً تتقحّم
أفلا رَعَوْا رُسُلَ النبيِّ وَصِهْرَهُ ؟ إنّ العقولَ على المراسِ لتعقم

* * *

دَبَّ ابنُ حصنٍ في الظلام ، فراعه يقظانُ مثل الصلِّ ليس يُهوِّم[2]
حمل ابنُ مُسلمةٍ فغادَر صحبَه ومضى ، فلا رَجعَ الجبانُ الأيهم[3]
جاؤ وا المعسكرَ أربعينَ ، يقودُهم أَسْرَى عليهم للمذلّةِ مِيسَمُ
وأتى الرّماةُ فجال في أحشائهم سَهمٌ تظلُّ به السّهامُ تُحطَّم[4]
مَنعَ الأَسَى ، وشَفَى كُلوَم قتيلِهم شكوى قلوبٍ من قريشٍ تُكْلَم[5]

---

(١) هو عثمان بن عفان رضي الله عنه، ذهب إليهم في عشرة رجال من أصحابه بأمر النبيﷺ ليصرفهم عما هم فيه فلم يقبلوا، واحتبسوه ومن معه ثلاثة أيام .
(٢) مكرز بن حصن ، بعثته قريش في أربعين رجلا ليطوفوا بمعسكر المسلمين ليلا ، لعلهم يصيبون منهم أحداً ، أو يجدون منهم غرة ، وكان المعسكر في حراسة محمد بن مسلمة رضي الله عنه ، فحمل عليهم وأسرهم إلا مكرزاً (الغادر) فإنه أفلت، والصل الثعبان وهوم الرجل هوم رأسه من النعاس أو نام قليلاً .
(٣) الأيهم من لا عقل له ولا فهم .
(٤) لما أسر محمد بن مسلمة من أسر بعثت قريش قوة من رجالها فرموا المسلمين بالنبل والحجارة ، وأعان الله عليهم ، فأسروا منهم اثني عشر رجلاً.
٥) هو ابن زنيم رضي الله عنه أصابه سهم فمات .

أشقَى الأذى والغَدرُ جَدَّ رجـالِهم وَجَرَى لهم بالأسـرِ طَيْرٌ أسحم[1]
سقطوا ، فحسبُ القومِ ما يجدونه وكفى شهيـدَ الـحقِّ مـا يَـتَسـنَّم

* * *

بَعَثَتْ قُـريشٌ أطلِقـوا أصحـابَنـا وخذوا الرهائنَ والأسارَى مِنكمُ[2]
صُـدموا بقـارعـةٍ تَفـاقَم صَـدعُهـا لـولا سفـاهـةُ رأيهم لم يُصـدَمـوا
لـولا الضّراعـةُ من سُهَيْلٍ هَـدَّهُمْ بـأسٌ تُهـدُّ بـه الجنـودُ وَتُهـدَم[3]
بئس المـآبُ لعصبةٍ تـأبى الهُـدَى بِيضـاً مَعـالمُـه ، ونعمَ المقـدم
يـا تـاركَ الـطغيـانِ يَعبسُ جَـدُّه أقبِـلْ ، فَجـدُّك مُـقْبِـلُ يـتبسَّم
من حقِّ ذي النُّوريْنِ أن يَدَعَ الدُّجَى خَـزْيـانَ ، يُلْطَمُ وَجهُـه المُتجهِّم
أإليكَ مَدَّ ذوو العمَى أظفـارَهم ؟ فـانـظرْ إلى الأظفـارِ كيف تُقلَّم

* * *

هي بَيْعةُ الـرضـوانِ لم تتـركْ لهم ليـلاً يُنـامُ ، ولا صَبَـاحـاً يُنعَمُ[4]

---

(١) أسود .

(٢) هم عثمان بن عفان وأصحابه رضي الله عنهم .

(٣) سهيل بن عمرو، بعثته قريش إلى النبي في جمع ، فتقدم إلى ﷺ وقال : يا محمد إن الذي كان من حبس أصحابك وما كان من قتال من قاتلك لم يكن من رأي ذوي رأينا ، بل كنا كارهين له . حين بلغنا ، ولم نعلم به ، وكان من سفهائنا ، فابعث إلينا بأصحابنا الذين أسرت أولا وثانياً . قال رسول الله - إني غير مرسلهم حتى ترسلوا أصحابي : فقالوا نفعل ، وقضي الأمر على هذا .

(٤) كان النبي ﷺ جالساً تحت شجرة من التمر فدعا أصحابه - أيها الناس البيعة البيعة ، نزل روح القدس ، فاخرجوا على اسم الله - فأقبلوا فبايعوه على الصبر والثبات وأن لا يفروا ، فإما الفتح ، وإما الشهادة ، وقد خوطبوا بقوله : أنتم خير أهل الأرض ، وقد أحب الناس هذه الشجرة فاتخذوا لهم مسجداً عندها يصلون فيه ، وعلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأمرهم فتوعدهم وأمر بقطعها لئلا يفتنوا بها .

سُهْـدٌ يَشُقُّ على العُيـونِ مُبـرّحٌ … وأسىً يعَضُّ على القلوبِ مُسـمِّم

فكـأنمـا فـي كـلّ عيـنٍ مِبـرَدٌ … وكـأنّمـا في كـلّ قلبٍ أرقَم[1]

الـمسلمـون يُبـايعـونَ نبيَّهـم … يَستمسكـونَ بِعُـروةٍ مـا تُـفصَـم

لا يحسبـون دمَ المُجَاهـدِ مَغـرماً … هـو عندهم إنْ لم يُـرِقْهُ المغـرم

إن ضمَّهم عنـد الشَهـادةِ مَـورِدٌ … لَذَّ المذاقُ لهم ، وطـابَ المطعم

اللّهُ مـولاهم ، ونصـرُ رسـولِـهِ … حَقٌّ عليهم فـي الكتـابِ مُحتَّم

نهضوا خِفافاً ، لو رأيتَ جُموعَهم … لَعَلِمتَ أيّ النّـاسِ إيمـانـاً هُمُ

مـا مِنـهـمُ إلا عـلى يَـدِهِ يَـدٌ … للّهِ ، ينـظرُ نـورَهـا المتـوسِّم

لُثِمَتْ بـإيمـانِ القلوبِ ، وإنّهـا … لَتُـرَى على مَـرِّ الـزَّمـانِ فتُلثَمَ

نعم العـطاءُ لمعشـرٍ مـا بينهـم … نَـكِـدٌ يُـرَدُّ ، ولا شَقِـيٌّ يُحـرَم

مـا جـلَّ مُـدَّخَـرٌ فَخِيمٌ شـأنـهُ … إلاَّ الـذي ادَّخَـروا أَجَـلُّ وأفخم

* * *

هـذا سُهَيْـلٌ جـاءَ يحمـلُ سُؤْلَهم … وَيَعيبُ مـا صَنَعَ الـرُّماةُ وَيَنـدم[2]

ويقـولُ : دَعْهَـا يـا مُحَمَّـدُ خُـطّةً … يُـرمَى بهـا الشّـرفُ الـرفيـعُ فيُثلَم

إنّـا نخـافُ العـارَ ، فَلْيَـكُ بيننـا … صُلحٌ نَـدِينُ بـهِ ، وعهـدٌ مُبْـرَمُ

---

(١) الأرقم أخبث الحيات وأطلبها للناس أو ما فيه سواد وبياض أو ذكر الحيات .

(٢) سهيل بن عمرو ، بعثته قريش لعرض الصلح على النبي ، فرضيه حقناً للدماء ، وإيثاراً لما هو وأولى . فبدا التذمر من بعض المسلمين ، وذهب عمر غاضباً حتى أتى أبا بكر فقال له : أليس هو برسول الله ؟ قال . بلى ، قال : أولسنا بالمسلمين ؟ قال بلى : قال أوليسوا بالمشركين ؟ قال. بلى ـ قال . فعلام نعطي الدنية في ديننا ؟ فقال له أبو بكر: ياعمر الزم غرزه فإني أشهد أنه رسول الله ، قال عمر : وأنا أشهد أنه رسول الله ، ثم أقبل عمر على النبي فقال له مثل ما قال لأبي بكر، فقال له : أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره. ولن أخاف أن يضيعني .

الحــربُ تُـوضَــع بيننـا أوزارُهــا وَتَعودُ إن جَمعَ الحجيـجَ الموسمُ
لكَ من سلاحِـكَ ما تَقلَّدَ مُنجِـدٌ يَبغِي السلامَةَ ، أو تَـزوَّدَ مُتهِم[1]
واجعل سُيوفَكَ في الغُمودِ ولا تَضِقْ بـالشـرِّ يُـدرَأُ ، والمضَّـرةِ تُحسَم
حدُّ المُقامِ ثـلاثةٌ ، فـإذا انقضتْ فَـدعـوا منـازِلَنـا وَيثـربَ يَمِّمـوا
من جَاءَ منكم لا يُرَدُّ ومن يَجِيْء مِـنَّـا ، فمـردودٌ إليـنـا مُـسْـلَم
هذا الذي نَرضى ، فهل من كاتبٍ يَشفِي الصُّدورَ بما يَخُطُّ وَيـرقُم ؟

* * *

رَضِيَ النبيُّ يُـريـدُ رَحمـةَ رَبِّـهِ هُـوَ عبـدُه ، وهـو الأبـرُّ الأرحَمُ
صَاحَ الرجالُ ، وَرَاحَ فاروقُ الهدى يَهتـاجُ في بُـرْدَيْـهِ فَحـلٌ مُقْـرَمُ[2]
ويقـول للصـدِّيقِ مَن هـو يـا أبـا بـكـرٍ ؟ وَأَيَّـةَ مِـلَّةٍ نَتـرسَّـم ؟؟
أهُـوَ الرسـولُ ونحنُ نتبعُ دِينَـهُ ؟ فَلِمَ الهــوانُ ؟ ومـالنـا نَسْتَسْلِم ؟
اللينُ من خُلُقِ الـضَّعيفِ وَدَأْبِـهِ وَمِنَ العجـائبِ أن يَلينَ الضَّيـغَم
مَهْـلاً هـداكَ اللَّهُ ، وَالْـزَمْ غَـرْزَهُ إن كنتَ تَطلبُ خيرَ غَـرزٍ يُلزَم[3]
إهنـأ أبـا بكـرٍ قَضيتَ بحُـجَّـةٍ صَـدَع اليقينُ بها ، وأنتَ مُتَـرْجِم
وأبــو عُـبيـدَةَ إذ يَـعــوذُ بــربِّـهِ يَخشى بَـوادرَ صَدْعُهـا لا يُلأم[4]
يَـرقى من الفـاروقِ نَفْسـاً صعبـةً تـأبى عَـوارِمُهـا إذا مـا تُعْجم[5]

(١) أنجد الرجل أتى نجداً أو خرج إليها أو دخل في بلادها ، وأتهم أتى تهامة أو كان كذلك .
(٢) المقرم البعير المُكَرم ، لا يُركب ولا يُذلَّل .
(٣) الغرز ركاب الرحل من الجلد ويقال إلزَمْ غرزَ فلانٍ أي أمره ونهيه .
(٤) أبو عبيدة بن الجراح قال لعمر وهو يراجع النبي في الأمر : ألا تسمع يا ابن الخطاب رسول الله يقول ما يقول ؟ نعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، وجعل يكررها ، والصدع الشق ويلأم يلتئم .
(٥) عوارم النفس ما يخطر فيها من دوافع الأذى والشراسة ، وعجم الشيء امتحنه واختبره .

قالَ النبيُّ كفاكَ يا عُمَرُ اتَّئِدْ فالحقُّ في سُلطانِه لا يُهزَم
أَرْضى وتأبى أنتَ ؟؟ إنّ وراءَنا لو كنتَ تعلمُ ، ما نُحِبُّ ونرأم[1]
إني رسولُ اللّهِ ليس بخاذِلي واللّه يَقْدِرُ ما يشاءُ وَيَقْسِم
الأمرُ غَيْبٌ ، ما لمثلِكَ مطمعٌ في علمِهِ ، والغيبُ بابٌ مُبْهَم[2]

* * *

أُكتُبْ عَليُّ فلن ترى من جامحٍ إلَّا يُزَمُّ على الزّمانِ وَيُخطَم[3]
وَأَبى سُهَيْلٌ أن يكونَ كتابُه سَمْحاً ، عليه من النبوّةِ رَوْشَمُ[4]
قالَ : امْحُ باسمِ اللّهِ وامْحُ رَسُولَهُ أَتُريدُها صاباً بِسُمٍّ تُؤْدَم ؟[5]
الدِّينُ مختلفٌ ، وليس لنا سِوَى ما كان أورثَنا الزمانُ الأقدم

---

(١) قال الرسول الكريم لعمر : يا عمر إني رضيت وتأبى .

(٢) مغلق .

(٣) قال النبي لعلي بن أبي طالب ، اكتب باسم الله الرحمن الرحيم ، فقال سهيل : بل يكتب باسمك اللهم على عادة قريش ـ قالوا . واول من كتبها أمية بن الصلت ـ وقال لعلي بعد ان كتبها، اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو ، فقال سهيل : لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ولم أصدك عن البيت . فليكتب باسمك واسم أبيك . فقال النبي لعلي . امح رسول الله واكتب محمد بن عبد الله . فشق عليه الأمر وقال . ما أنا بفاعل ، فمحا النبي الكلمة بيده الشريفة وقال لعلي ، اكتب فإن لك مثلها تعطيها وأنت مضطهد ـ يشير إلى ما وقع بين علي ومعاوية في حرب صفين ، فقد كتب الذي تولى عقد الصلح بينهما : هذا ما صالح عليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه معاوية بن أبي سفيان فقال عمرو بن العاص (أحد الحكمين) اكتب اسمه واسم ابيه ، وقال معاوية لو كنت أعلم أنه أمير المؤمنين، فمحيت كلمة أمير المؤمنين وكتب مكانها (علي بن أبي طالب) ويزم يقاد بالزمام وهو الحبل يخطم بوضع الخطام وهو الحبل في عنقه أو عليه وعلى أنفه .

(٤) الروشم الطابع .

(٥) تؤدم بمعنى تخلط .

فـأبَى عليٌّ مـا أرادَ ، وهـاجَـهُ حَـرَدُ الأبيِّ ، فَغيظُه مـا يُكظَم[1]
قـال النبيُّ افعلْ ، وسـوفَ بمثلها تُسْقَى ، فَتُغْضِي الطَّرْفَ وَهْيَ العلقم

* * *

نظر ابنُ عمروٍ نظرةً ، فرأى ابْنَـهُ يَبغِي الخُطَى عَجْلَى وَيَأبَى الأدهم[2]
قال : ارجعوه فـذاك أوّلُ عهدكم فلئن أبيتم لَهْـوَ عَهْـدٌ أَجْـذَمُ[3]
وانقضَّ يضـرُبه ، فيـالـكَ مُسلِمـاً في اللّه يُضـرَبُ من أبيـهِ وَيُلْطَم
رقَّتْ قلوبُ المسلِمِيْـنَ لخـطبـه فجـوانحٌ تهفـو ، وَدَمعٌ يَسجُم[4]
أَخَـذَ النَبيُّ بثـوبِـهِ فـأعـادَهُ يَبْنِي لِأُمَّتِـهِ البِـنَـاءَ وَيَـدْعَـمُ
قال : انقلبْ ، وكَفَى بربِّكَ حافظاً إنَّ التـوكُّـلَ لـلسـلامَـةِ تـوْأَمُ
فمضى يقـولُ : ألا ذِمَامٌ لامـرئٍ يَبْغِي الفِـرارَ بـدينـهِ يَسْتَعْصِمُ ؟
عُدْ في قُيُودِكَ واصطَبِرْ ، إنَّ الأذى لأضـرُّ ما انتجـعَ الـرجـالُ وأوخمُ
كم للأُلَى اتَّبعُوا الهُدَى مِن مَغنَمٍ في حُـرمَـةٍ تُلغَى وحقٍّ يُـهْضَـمُ
خيـرٌ على خيـرٍ يَضُـمُّ رُكَـامَـهُ شـرٌّ عـلى شَـرٍّ يُضَمُّ وَيُـركَـمُ
يَتَـرَنَّمُ البـاكي وإن بَـلَغَ الأسى مِنـه ، ويبكِي النّـاعِمُ المُتَـرَنِّـمُ

(١) الحرد الغضب ، وكظم غيظه كتمه .

(٢) هو أبو جندل بن سهيل بن عمرو . كان يعذب بمكة لإسلامه فأفلت من المشركين وجاء يرسف في الحديد ثم رمى نفسه بين أظهر المسلمين فجعلوا يرحبون به ويهنئونه ، وقام إليه أبوه فصار يضربه على وجهه . فرقوا عليه وبكوا ، وقال أبوه . يا محمد هذا أول ما أقاضيك عليه . فقال : صدقت . وأخذ ببرده يرده إلى قريش فجعل يصرخ بأعلى صوته : يا معشر المسلمين أرد إلى المشركين يفتنوني عن ديني ، ألا ترون ما لقيته ؟ قال النبي يا أبا جندل اصبر واحتسب فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً ، إنا عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً وأعطيناهم على ذلك وأعطونا عهد الله أن لا نغدر بهم .

(٣) مقطوع .

(٤) يسيل وينصبّ .

أخذوا الصحيفَةَ فَهْيَ في أوهَامِهم كـالكنـزِ يـأخـذُهُ الفقيـرُ المُعْدِمُ

طاروا بها فَـرَحاً ، وبين سُـطُورِها دهيـاءُ بـارزَةُ النَّـواجِـذِ صَيْلَم[1]

نصـرٌ مَضَى لمـظفَّـريـنَ أعـزَّةٍ لم يَمْضِ منهم مِخْذَمٌ أو لَهْذَم[2]

ليس التَّصَـرُّفُ للقـواضِبِ ، إنّهـا بالرأيِ تَحكمُ في الرقابِ وتُحكم

للبغيِ حِينٌ ، ثم يُقصَمُ صُلبُـهُ والعَـدْلُ صُلْبٌ قائمٌ مـا يُقْصَم[3]

ولقد يُقَامُ العـرسُ من سَفَهِ الألى فَـرِحُـوا ، وأولى أن يقـامُ المـأتم

من مَكْـرُمـاتِ الـحقِّ أنّ وَلِـيَّـهُ بـأشـدِّ مـا يُـرمَى يُعـانُ ويُخـدَمُ

وأحقُّ مَن حَمَـلَ اللّواءَ مجاهـدٌ ماضٍ على هَوْلِ الخُطُوبِ مُصَمِّمُ

وَفِّ المطالبَ حَقَّها ، واصبِـرْ تَفُزْ مـا خـابَ إلاّ مَن يَمَـلُّ ويَسأمُ

هـذا نِـظَامٌ للشعـوبِ ، ومَنهـجٌ حـقٌّ يـراه فَصِيحُـهـا والأعجـم

نـزل الكتـابُ بـهِ ، فـأيقَنَ مُهتَـدٍ وَارْتَـابَ ضِلِّيـلٌ ، ولَـجَّ مُـرَجِّم[4]

طِبُّ الهُدى الشّافِي ، وأعجبُ ما أرى طِبٌّ تَصِـحُّ بـه النُّفـوسُ وتَسْقَمُ

---

(١) الصيلم الأمر الشديد والداهية .

(٢) المخذم من السيوف القاطع واللهذم من الأسنّة الحادّ .

(٣) يُقصم يُكسر .

(٤) المرجم الذي يتكلم بما لا يعلم .

خزاعة وبنو بكر

في هذه الغزوة المباركة دخلت خزاعة في عهد النبي ﷺ ، ودخل بنو بكر في عهد قريش ، فساء ذلك كثيراً من رجالهم ، ومنهم حويطب بن عبد العزى ، فقال لسهيل بن عمرو : بادأنا أخوالك بالعداوة وكانوا يستترون منا . قال سهيل : ما هم إلا كغيرهم ، هؤلاء أقاربنا ولحمتنا قد دخلوا مع محمد إنهم قوم اختاروا لأنفسهم أمراً ، فما نصنع بهم ؟ .

قال حويطب : ننصر حلفاءنا بني بكر ، قال سهيل : إياك أن يسمع هذا منك بنو بكر ، فإنهم أهل شؤم ، فيسبوا خزاعة ، فيغضب محمد لحلفائه ، وينقض العهد الذي بيننا وبينه .

خَزَاعَةُ أبشِري بالعهدِ سَمْحا ... وَزِيدِي دَولةَ الإسلامِ فَتْحا

كَفَى بذمامِ أوفى النّاسِ عهداً ... لكلِّ مُعاهدٍ غُنْما ورِبْحا

ألحَّ على بني بكرٍ شَقاءٌ ... تَزِلُّ له العُقُولُ إذا ألَحّا

هُمُ اتَّبعُوا الأُلى انقلبوا بقَرْحٍ ... فزادوهم بما اقترفوهُ قَرْحا[1]

حُوَيْطِبُ ما يَغيظُكَ من رجالٍ ... هموا ضربوا عن الغاوينَ صَفْحا ؟

أُتِيحَ لِقَدْحِهِم فوزٌ مُبينٌ ... وخُيِّبَ مَن أحبَّ ذويكَ قِدْحا[2]

* * *

(١) القرح الجرح .

(٢) القدح السهم .

رُويدَكَ ، إنَّ أخوالَ ابنِ عمـرٍو ... لأرفـعُ قُـبَّـةً وأعـزُّ صَـرْحـا
ولـولا مـا بـرأيِكَ من ضَـلالٍ ... لجانبتَ الملامَ ، وقُلتَ : مَرْحَى[1]
أَمَنْ عَـرَفَ الـرّشادَ فـطابَ نَفساً ... وأقبـلَ يبتغِيـهِ كَمَـنْ تَنَـحَّى ؟
تُحـاوِلُ أن تُثيـرَ الحَـرْبَ حَتّى ... تـراهـا تَلفـحُ الأبـطالَ لَفْحـا
لقـد مَضَتِ المقـالـةُ من لبيبٍ ... يقـولُ الحـقَّ ، لا يـألوكَ نُصْحـا
أتَقـدَحُ يـا حُـويطبُ زَنْـدَ سُـوءٍ ... دَعِ الـرأيَ الرشيـدَ ، وَزِدْهُ قَدْحـا
لـعـلَّكَ إن رأيـتَ لـه لـهـيـبـاً ... تكـونُ أشـدَّ مَن يصـلاهُ بَـرْحـا

* * *

وَرَاءَكَ يـا حُـوَيـطِبُ كُـلُّ عَضْبٍ ... يَسُـحُّ الموتُ من حَـدَّيْهِ سَحّـا[2]
يُـجَـرِّدُهُ لِـنَـصـرِ الـلّهِ قَـرْمٌ ... يَصـولُ فَيَمْسَحُ الأعنـاقَ مَسْحـا[3]
سَخِيُّ النَّفسِ ، والهيجـاءُ تَغـلِي ... فتمـلأُ أنْفُسَ الشُّجعـانِ شُحّـاً

* * *

بـني بـكـرٍ أمـا أُبْـتُـمْ خَـزَايَى ... كمـا آبَتْ خَـزَاعَـةُ وَهْيَ فَرْحَى؟
هـو الجَـدُّ الشَّقِيُّ عَـلاَهُ جَـدٌّ ... تَلَقَّى نِعمـةً ، وأصـابَ نُـجْحـا

---

(١) كلمة تقال للرامي إذا أصاب تعجبا .
(٢) العضب من السيوف القاطع ، وسحّ سال وانصبّ غزيراً .
(٣) القرم الفحل الكريم ، وبه يشبه السيد العظيم .

أم كلثوم رضي الله عنها

هي بنت عقبة بن أبي معيط ، وأخت عثمان بن عفان رضي الله عنه ، أسلمت وبايعت النبي ﷺ قبل هجرته إلى المدينة ، وخرجت من مكة بعد رجوعه من الحديبية مهاجرة لله ولرسوله . فلما بلغت المدينة ذهبت إلى دار أم سلمة رضي الله عنها وهي من أمهات المؤمنين ، فرحب بها الرسول الكريم ، وخرج أخواها عمارة والوليد في طلبها ، يريدان ردها بالحق الذي في العهد ، فقالت : يا رسول الله أنا امرأة ضعيفة لا تردني إلى الكفار ، إني أخافهم على ديني ، فنزل قوله تعالى : ﴿ يا ايها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن ـ الآية ﴾ والامتحان أن تستحلف المهاجرة أنها إنما هاجرت لله ورسوله ، وبهذه الآية خرجت المؤمنات المهاجرات من حكم الرد الذي وضع في ذلك العهد ، فبقيت السيدة أم كلثوم وكانت أول مهاجرة ، ولم يكن لها زوج بمكة فتزوجها زيد ابن حارثة رضي الله عنه .

أَجِيبِي أُمَّ كُلثومٌ أَجِيبِي ... تَرامَتْ دعوةُ الدَّاعِي المُهيبِ
لَمَكَّةُ إذ يُضَامُ الدِّينُ فيها ... أحقُّ بكلِّ أفّاكٍ مُريبِ
خُذِي قَصْدَ السَّبيلِ إلى ديارٍ ... مُحَبَّبَةِ المسالِكِ والدُّروبِ
حِمَى الإسلامِ يَمنعُ كلَّ عادٍ ... وغِيلُ الحقِّ يَدفعُ كلَّ ذِيبِ
رَعاكِ اللّهُ ، فانْطَلِقي وسِيري ... ولا تَهِني على طُولِ الدُّؤوبِ
أردتِ الدِّينَ مَعمورَ النَّواحِي ... فَخُوضِي البِيدَ مُقْفِرَةً وَجُوبي[1]

(١) من جاب قطع .

تُـطِيلِـينَ الـتَّـلَفُّـتَ مـن حِـذارٍ   وَقَـلْبُــكِ لا يَقَــرُّ مـن الـوَجِيبِ
رُويــدكِ، إنّ عــينَ الـلّهِ تَــرْعَى   خُــطاكِ، فلن يَسَــوءكِ أن تَؤُوبِي
أرى أَخَـوَيْـكِ في أمــرٍ مَـريــجٍ   وَهَمٍّ من مُصــابِهِمَــا مُــذِيبِ[1]
يَلُفُّ حَشَــاهُـمــا حُــزنٌ عَجِيبٌ   لِــرَوْعَــةِ ذلــكَ الحَـدَثِ العَجِيبِ
لِكُــلٍّ مِنهمــا فـي الحَيِّ عَيْــنٌ   تَــدورُ كـأنّهــا عَينُ الحــريبِ[2]
وَقَـلبٌ دائِـمُ الـخَـفَـقَــانِ هَــافٍ   طَـويـلُ الـوَجـدِ ، مُتَّصِـلُ اللّهِيبِ
هُنـا كانتْ ، فـأينَ مَضَتْ ؟ وأنَّى   تُعــاوِدُ خِـدْرَهــا بعــدَ المغيبِ ؟
أَمــا عِـنــدَ ابْنِ عَـفَّــانٍ شِـفَــاءٌ   فَيكشِفُ كُـرْبَـةَ العــانِي الكَئِيبِ ؟
أَتـذهبُ أُختُنـا ، لا نحنُ نَــدرِي   ولا هُــوَ عِـنــدَهُ عِـلمُ اللّبِيبِ ؟
كَفَى يــا بِنتَ عُقْبَــةَ مــا لَقِينَــا   مِنَ الأحـداثِ بَعـدَكِ والخــطوبِ

* * *

قِــفِــي يــا أمَّ كُــلثــومٍ فــهــذا   مَحُطُّ الـرَّحْـلِ للنَّــائِي الغـريبِ
حَلَلْتِ بفضْــلِ ربِّــكِ خيــرَ دارٍ   بِــطيبَــةَ فــانعِمي نَفْســاً وطِيبِي
تَــلقَّــاكِ الـنـبــيُّ فــأيَّ بــشــرٍ   رَعَتْ عيناكِ في الكَرَمِ الخَصِيبِ ؟
يُــرَحِّبُ مـا يــرحِّبُ ، ثمّ يُضفي   عليـكِ حَنانَ ذِي النَّسَبِ القـريبِ
ومــا نَسَبٌ بـأقــربَ من سبيــلٍ   يُـؤلِّـفُ بيـن أشتــاتِ القُـلوبِ
سَبِيــلُ الـلّهِ ، ليس لـه إذا مــا   بلوتِ السُّبْلَ أجمعَ من ضريبِ[3]
هُــدَى السَّـارِي ، يُسَـدِّدُهُ فيمضي   بِمُخْتَـرَقِ السَّبـاسِبِ والسُّهــوبِ[4]

---

(١) أمر مريج مختلط أو ملتبس .
(٢) الحريب الذي سلب ماله .   (٣) مثيل .
(٤) السباسب جمع سبسب ، وهو المفازة أو الأرض المستوية البعيدة ، والسهوب بمعناها جمع سهب .

يَمُرُّ بآخِرينَ ، لهم عُواءٌ   يُشيِّعُ بالتوجُّعِ والنَّحِيبِ
يَرى سُبُلَ النّجاةِ ، وكيف ضَلُّوا   فَيعجَبُ للمَصارِعِ والجنُوبِ
ويَحمدُ فالِقَ الإِصباحِ حَمْداً   يَهُزُّ جَوَانِحَ الوادي الطَّرُوبِ
تَعَالَى اللّهُ يُنْزِلُ كلَّ بَرٍّ   بِعالٍ مِن منازِلِهِ رحيبِ

* * *

عُمَارَةُ والوليدُ ولا خَفَاءٌ   على فَرْطِ التجهُّمِ والشُّحوبِ
هُما عَرَفَا السَّبِيلَ ، فلا مُقامٌ   وكيفَ مُقَامُ مُخْتَبَلٍ سَلِيبِ ؟
أهابا بالرّسولِ أعِدْ إلينا   وَدِيعَتَنا ، فما بِكَ مِن نُكوبِ[1]
هُوَ العهدُ الذي أخذَتْ قُرَيْشٌ   ومَالَكَ غَيْرُ نفسِكَ من حسيبِ
سَجِيَّتُكَ ، الوفاءُ ، وما عَلِمْنا   عليكَ الدَّهْرَ من خُلُقٍ مَعِيبِ
برأيِكَ فَاقْضِ ، وَارْدُدْها علينا   فإنّك أنتَ ذُو الرأيِ المُصِيبِ

* * *

عَنَاهَا أَنْ تُرَدَّ ولا ظَهِيرٌ   يَقِيهَا ما تخافُ مِنَ الكُروبِ
فَصَاحت : إنّني امرأةٌ وما لي   عَلَى المكروهِ من عَزمٍ صليبِ[2]
بِرَبِّكَ يا مُحَمَّدُ لا تَدَعْنِي   فَرِيْسَةَ كُلِّ جَبَّارٍ رَهيبِ
يُعَذِّبُني لأتركَ دِينَ رَبِّي   إلى دينِ المآثِمِ والذُّنوبِ
أأرجعُ يا حِمَى الضُّعفَاءِ وَلْهَى   وما لي في ظِلاَلِكَ مِن نَصيبِ ؟[3]

* * *

---

(١) النكوب الميل والعدول .
(٢) شديد .
(٣) ولهى حزينة متحيّرة .

أتى التنزيلُ يَصدعُ كلَّ شَكٍّ ويجلو ما اسْتَكَنَّ من الغُيوبِ
وَيَحْكُمُ حُكْمَهُ عَدْلاً وَبِرّاً فَيُلقِي بالدّواءِ إلى الطبيبِ
إذا جاءَ النساءُ مُهَاجِراتٍ يُرِدْنَ اللّهَ دَيَّانَ الشُّعوبِ
بَقِينَ مع النَّبيِّ وإن تَمَادَتْ لَجَاجَةُ كلِّ عِرِّيضٍ شَغُوبِ[1]

* * *

لِيَهْنِكِ أُمَّ كُلثومٍ مُقامٌ كريمٌ عِندَ مَرْجُوٍّ مُثيبِ[2]
وزوجٌ ذو مُحافَظةٍ نَجيبٌ يَفِيءُ إلى ذُرَى النَّسَبِ النَّجيبِ[3]
يَفيءُ إلى ذُرَى الإسلامِ منه فتىً للسِّلمِ يُرجَى والحُروبِ
وما زيدُ بنُ حارثةٍ بِنِكْسٍ إذا التَقتِ الكُماةُ ولا هَيُوبِ[4]
أخو المختارِ من عُليا قريشٍ ومَولاهُ الحبيبُ أبو الحبيبِ[5]

---

(١) العرّيض الذي يتعرض للناس بالشرّ .
(٢) مُجازٍ .
(٣) يفيء يرجع ، وذو محافظة أي أنّ له أنفةً .
(٤) النكس الضعيف الدنيء الذي لا خير فيه . والكماة جمع كمى . وهو الشجاع أو لابس السلاح ، لأنه كمى نفسه ، أي سترها بالدرع والبيضة .
(٥) في البيت إشارة إلى قول النبي ﷺ لزيد بن حارثة رضي الله عنه أنت أخونا ومولانا وأنه كان حبه كما كان ولده أسامة بن زيد يدعى الحب ابن الحب .

أبو بصير وأصحابه رضي الله عنهم

جاء أبو بصير رضي الله عنه إلى النبي ﷺ ، وكان من المحتبسين بمكة ، فبعث أزهر بن عوف، أسلم بعد ذلك، يطلب ردَّه من النبي في كتاب يحمله رجل من بني عامر اسمه خنيس وجاء معه آخر يهديه الطريق وقال النبي لأبي بصير: انطلق إلى قومك فليس الغدر من ديننا وسيجعل اللّه لك فرجاً، فرجع معهما ، واحتال على أخذ السيف من أحدهما فقتله به ، وحمل على الثاني ففر راجعاً إلى المدينة وهو يعدو في أثره ، وقال الرجل للنبيّ : قتل صاحبكم صاحبي وأفلت منه ولم أكد ، ثم استغاث به ، وقال أبو بصير للنبي : لقد وفيت بذمتك، فقال له : اذهب حيث شئت : فذهب إلى محل من طريق الشام تمر به تجارة قريش ، وطار الخبر ، فقدم إليه أبو جندل في سبعين فارساً ، ولحق به آخرون من المسلمين، فكانوا ثلثمائة مقاتل . ما رأوا عيراً لقريش إلا أخذوها ، ولا رجلا إلا قتلوه ، فبعثوا يسألون النبي بالأرحام إلا آوى هذه القوة إليه ، وقال بعضهم ـ إنا أسقطنا شرط رد اللاجئين من العهد ، فمن جاءك منهم فأمسكه ولا حرج عليك ـ فكتب إلى أبي بصير وأبي جندل يستقدمهما إليه ، ويأمر أن يذهب من معهما إلى بلادهم وأهليهم غير متعرضين بأذى لقريش ، فأخذ أبو بصير الكتاب وهو يحتضر فمات وهو في يده يقرؤه ، فدفنه أبو جندل وعاد مع ناس من أصحابه إلى النبي ﷺ .

رَحمةٌ يا أبا بصيرَ وَنُعمَى	أَذِنَ اللهُ أن تُحَلَّ وَتُحْمَى
جاءكَ الغوثُ ، فانطلقت حثيثاً	سِرْ طليقاً ، كفاكَ حَبْساً وَهَمّا
أنت أفلتَّ من حَبائِلِ قومٍ	ذُقْتَ منهم أذىً كثيراً وَظُلما

جَعَلُوا الحقَّ خصمَهُم مِن غَبَاءٍ وغَبِيٌّ من يجعل الحقَّ خصما
جِئتَ دَارَ النبيِّ فادخُلْ وَسَلِّمْ وَارْعَ حقَّ المقامِ رُوحا وجِسْما
كَم تَمنّيتَ أن ترى لك حصناً فَتَأَمَّلْ حُصُونَ ربِّكَ شُمَّا[1]
وَارْضَ حُكمَ الرسولِ إنّكَ مَرْدُودٌ ، ومَنْ مِثْلُهُ قضاءً وحُكما ؟
ذَا خُنَيْسٌ وذا كتابُ ابنِ عَوْفٍ فَالْزَمِ الصَّبْرَ ، أصبحَ الأمرُ حَتما
سألا العهدَ عِندَ أكرمِ مَسْؤُولٍ فأعطاهما وَفَاءً وَحِلما
إنقلبْ يا أبا بَصيرَ فليسَ الدِّينُ دينُ الهُدَاةِ غَدْراً وإثما
حَسْبُكَ اللَّهُ إنَّهُ لَكَ عَوْنٌ وسيكفيكَ كلَّ خطبٍ ألَمّا
هو مولى المستضعفينَ ينجّيهِمْ إذا ماطَغَى البَلاءُ وطَمَّا[2]

* * *

عاد يُخفي لصاحِبَيْهِ مِنَ الشنآنِ ما يَملأُ الجوانِحَ سُمَّا[3]
وشَفَاهَا بِذِي الحُلَيْفَةِ نَفْساً أوشكَتْ أن تزولَ هَمّاً وغَمّا[4]
نظر السيفَ في يَدَيْ أحدِ الخَصْمَيْنِ ، يُبدي من المنيّةِ وَسْما
وَهُوَ يُطريهِ في غُرورٍ وَيَسْقِيهِ نُفُوسَ الكُماةِ ظَنّاً وَزَعْما
قَال : بل أعطنيهِ أنْظُرْهُ، إنّي بسجايا السُّيوفِ أكثرُ علما
ثم غشّاهُ ضربةً عَلَّمَتْهُ كيف يخشى الهِزبرَ مَن كان شهما
جاء يصطاده غُروراً فأرداهُ ، وكان الغُرورُ شرّاً وَشُؤما
صدَّ عنه رَفيقُهُ وتولّى يتوقّى قضاءَهُ أن يَحُمّا
طار يهفو كالسّهمِ ، يَمضِي بعيداً وهو أنأى مَدًى ، وأبعد مَرْمَى

---

(١) الشمّ جمع الأشمّ المرتفع .
(٢) طمّ عظم وتفاقم .
(٣) الشنآن البغض .
(٤) المكان الذي قتل الرجل فيه .

طَلَبَ السّيفَ نفسَـهُ وَهْـيَ وَلْهَـى لـو تذوقُ الـردَى لمـا مَـرَّ طَعْما

* * *

كذب الوهمُ ، ما الحياةُ سِوَى الأمـ ـنِ ، شرُّ الأمورِ ما كان وَهْما
وَقَعَ الطّائِرُ المُسِفُّ على النَّسـ ـرِ الذي يملأُ السماواتِ عَزْما
الـرسـولُ الـذي تَـدينُ لـه الأر ضُ ، وتهفـو إليـه حَرْبـاً وسِلمـا
قـال : إنّي لهـالِـكٌ ، فـأجِـرْني لا تَـدَعْني لبعضِ صحبِـكَ غُنْمـا
رُدَّ عـنّي أبـا بـصيـرٍ فـحسبـي مـا جنـاهُ عليَّ صَـدْعـاً وكَلْمـا[١]
جَرَّعَ الحتفَ صاحبي وانبرى يطـ ـلبُ قَتلِي لِيُتْبِعَ الجُرمَ جُرما
إنّه جاءَ راكضـاً يحملُ السَّيـ ـفَ فهب لي دَمِي ، لَكَ الشّكرُ جَمَّا
عَفَّ عنـه ، وقال : مـا ثَمَّ شَيءٌ يـا نَبِيَّ الهُـدَى أرى الأمـرَ تَمّـا
صَدَقَ العَهدُ ، وانقَضَى الردُّ فانظرْ مـا تَـرَى فـاقضِـهِ سَـداداً وَحَـزْمـا
قال : فاذْهَبْ فقـد بُرِئْتَ ، وظُلمٌ أن يُـلاَمَ البـريءُ أو أن يُـذَمّـا
لـك مـا شِئْتَ أن تَحِـلَّ من الأر ضِ سِوَى أرضِ يثربٍ أو تَؤُمّا[٢]
فـتـولّى إلـى مكـانٍ يَـزيـدُ الـ ـكفـرَ والكافِـرينَ خَسْفاً وَرَغْمـا[٣]
كـلُّ مـالٍ تُقِـلُّ عِيـرُ قُـريشٍ بين عينيـهِ ظـاهـرٌ ليس يُكْمَى[٤]
إنّــه الأرقـمُ الأصَـمُّ تَـداعَـتْ فـارتمتْ حـولـه الأراقمُ صُمّـا[٥]
مُؤمِنٌ حـلَّ في العـراءِ مَـحَـلاًّ جَمَـعَ المؤمنينَ فيـهِ وَضَـمّـا

---

(١) الكلم الجرح .
(٢) أمّه قصده .
(٣) الرغم الكره والقسر .
(٤) كمى الشيء ستره وغطاه .
(٥) الأصمّ الصلبة المتين ، وصُمّاً أي ساكنة دون حركة ولا صوت .

أقبلوا يَنسلون مِن كلِّ أوبٍ ... يَطلبونَ المَصَالَ قَرْمًا فقرما[1]
لمَّ ذو العرشِ شَملهم بعد صَدْعٍ ... وَخَلِيْقٌ بِشَمْلِهِم أن يُلَمَّا

* * *

يا أبا جندلٍ عليك سلامٌ ... جِئْتَ بالخيلِ تَرجُمُ الأرضَ رَجْما
إغتَفِرْ ما جَنَى أبوك سُهَيْلٌ ... يومَ يطغَى عليك ضَرباً ولَطْما
إنّما الصابرونَ أوفى نَصِيباً ... يا أبا جَندلٍ وأوفرُ قِسْما
أعملوا القتلَ والنِّهابَ ، ورَدُّوا ... كلَّ غُنمٍ أصابه القومُ غُرْما
غارةٌ بعد غارةٍ تأكلُ الما ... لَ ، وتَطوي الرجالَ خَضْماً وَقَضْما[2]
زُلزِلُوا من أبي بَصيرٍ بخطبٍ ... بالغٍ صَدْعُهُ أبَى أن يُرَمَّا
مِخذَمٌ قاطعٌ ، ومِسْعَرُ حربٍ ... جَرَّبَتْهُ البِيضُ القواطِعُ قِدْما[3]
ضاقتِ السُّبْلُ والفجاجُ عليهم ... واستحالَ الفضاءُ سَدّاً ورَدْما
عادَ رَتْقاً كأنّه سدُّ يأجو ... جَ ومأجوجَ ما ترى فيه ثَلْما[4]
جأروا يشتكون ، وادّكروا الأر ... حامَ يستشفعون جُبْناً ولُؤْماً
واستمدّوا الحنانَ من أعظمِ النّا ... سِ حَناناً ، وأقربِ الرُّسْلِ رُحْما
قال ذُو أمرِهِمْ : أغِثْنا ولا تَعْـ ... ـنَفْ علينا ، إنّ القلوبَ لَتَعْمَى
أفْسَدَ العهدُ أمرَنَا فَعَرفْنا ... هُ ، وماذا لنا إذا الأمرُ غُمّا ؟[5]
قد تركنا لك الرجالَ فأمسِكْ ... كلَّ من شِئتَ مِنهُمُ أن تُذِمّا[6]

---

(١) ينسلون يسرعون ، وأوب مكان ، والقرم الشجاع .
(٢) الخضم الأكل بجميع الفم والقضم الأكل بأطراف الأسنان .
(٣) جاء في السيرة أن النبي ﷺ أطلق على أبي بصير هذا الوصف: (مسعر حرب) .
(٤) الرتق المسدود المغلق .
(٥) خَفِيَ واستعجم .
(٦) أذم فلاناً أجاره .

حَسْبُنا السَّلْمُ يا مُحمدُ إن تَبْـ سُطْ علينا ظلالـه ، فَنِعِمّا
بـدَّدَ الـضُـرَّ والأذى بكـتـابٍ نَـظَمَ البِـرَّ والمُـروءَةَ نـظما
لم يَدَعْهُ أبـو بَصيرٍ وَرَامِي الـ ـموتِ يُلقي عليهِ سَهْماً فسهما
جادَ بالنَّفسِ وهو في يدِهِ يَتـ ـلُوهُ ، ما أعظَمَ المقامَ وأسمى
آخرُ الزادِ إن أردنا له اسماً وأراهُ أجلُّ من أنْ يُسَمَّى
قال : أقْبِلْ وَفَرِّقِ النَّاسَ وليعـ ـفوا ، فحسبُ الطُغَاةِ قَمْعاً وَوَقْما[١]
رَجَعَ القومُ راشـدينَ ، ومن أر شَدُ مِمَّنْ رَمَى الضلالَ فَأصْمَى ؟[٢]
وأبو جندلٍ يؤمُّ رسولَ اللـ ـهِ في رُفْقَةٍ إلى اللّـهِ تُنْمَى
كـوكبُ الحقِّ والهـدى يَتَلَقّى من ذويـهِ الهُداةِ نَجماً فنجما
طَلَعُوا والـزمـانُ أسـوَدُ داجٍ فجلوا مِن ظلامِـهِ مَا ادْلَهَمّا[٣]
وَرَمَوْا بـالشُّعـاعِ مقتـلَ دِينٍ ردَّ وجـهَ الحَيَاةِ أغْبَـرَ جَهْما[٤]
إعْرِفِ الحقَّ ، لا تَرُعْكَ الدَّعاوى فـالمـروآتُ والمنـاقبُ ثَـمّا[٥]
أيُّ مجدٍ في الأرضِ ، أو أيُّ فضلٍ لم يكونوا له أساساً وَجِذْما ؟[٦]

* * *

إنّ في حكمةِ الرسولِ لَذِكْرَى للبيبٍ أصـابَ عَقْلاً وفـهـماً
هَـدمُ اللهُ مـا بنى العهـدُ من آ مالِ قومٍ يبغونَ للدينِ هَـدْما
كم رأوا من مَشَاهِدِ الوهمِ فيـه مَشهداً رائعَ التهـاويلِ فخمـا

---

(١) وقمه قهره وأذله .
(٢) أصَمى الصَيد رماه فقتله .
(٣) داج مظلم ، وادلهمّ الظلام كثف .
(٤) الوجه الجهم العبوس الكريه .
(٥) ثمّ وثَمَّة وثَمّت اسم يشار به إلى البعيد بمعنى هناك .
(٦) الجذم الأصيل .

لاَ يَغُـرَّنَّهـم من الـغـيـثِ وَكـفٌ   إنّـه السيـلُ مُـوشِـكٌ أن يَعُمَّـا[1]
هِمَّـةٌ من هُـدَى الـرسـولِ وَلُــودٌ   تُـورِثُ الشِّـرْكَ والضَـلالَـةَ عُقْـمـا
لم تـزل تَضـرِبُ الـطواغِيتَ حَتَّى   جَـرَّعَتْهـا الـرُزَأَيْنِ ثُكْـلاً وَيُتْمـا
إنَّ لـلحقِّ بـعـدَ لـيـنٍ وضـعـفٍ   قُـوَّةً تَحسمُ الأبـاطيـلَ حَسْمـا

(١) الوكف هو سيلان الماء ونحوه قليلا قليلا ، والغيث المطر وربما سمّوا السحاب غيثاً .

غزوة خيبر

كانت هذه الغزوة في المحرم من السنة السابعة ، فلما أشرف النبي ﷺ في جيشه على مدينة خيبر عند الصبح ، وكان اليهود قد أصبحوا يحملون الفؤوس والمساحي ليعملوا في مزارعهم ، فأخذهم الرعب وعادوا إلى حصونهم ، فبقوا محاصرين فيها ، ثم خرج رؤساؤهم يبارزون المسلمين فيأخذهم الله بسيوفهم ، ثم دارت رحى القتال بعد ذلك ، وكان علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قد تخلف بالمدينة لرمد أصابه ، فبعث إليه النبي سلمة بن الأكوع ، فجاء به يقوده وهو معصوب العينين ، وعقد له النبي اللواء فباشر القتال ، وفتح الله على المسلمين ، وقد طلب اليهود الصلح على أن تحقن دماؤهم . وتترك لهم النساء والذراري ، ثم ينقشعون عن خيبر لا يحمل الواحد منهم سوى ثوب واحد ، فقبل النبي ، وأراد الله له أن يقرهم على أرضهم عمالا ، فساقاهم على النخل وزارعهم على الأرض ، وبقي أمرهم كذلك إلى أن كانت خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فحدث أن ابنه عبد الله ذهب إليهم فأصابوه بسوء بليغ ، فأجلاهم عن أرضهم وديارهم ، وذهب بعضهم إلى تيماء وبعضهم إلى أريحاء .

أعِدِّي النّملَ خَيْبَرَ والذبابا ... أعدَّتْ يَثربُ الأُسْدَ الغضابا
وَمُدِّي من حُصونِكِ كلَّ عالٍ ... لِيرفعَ في السّماواتِ القِبابا
سَيَنزعُ بأسهُم حِصناً فَحِصناً ... وَيَفْتَحُ عَزمُهُم باباً فبابا
أتاكِ الفاتحُ المِقدامُ يُزجِي ... مع الجيشِ الدُّعاءَ المُستجابا[1]

(١) لما أشرف الرسول الكريم على خيبر قال لأصحابه قفوا ، ثم قال لهم قولوا ـ اللهم رب

أتـوكِ مُـكبِّـريـنَ فـلا تـلوذي	بغيـر الذُّعـرِ واضطربي اضـطرابـا
أمـا والـذاكـريـنَ الـلّـهَ فـرداً	لقـد هَـزُّوا المخـارِمَ والشِّعـابـا[1]
أجيبي : أين جُنـدكِ ؟ وَاسْأليـهِ	لِمَنْ جَمَعَ السِّلاحَ ؟ وكيف غابا ؟
تَـوارَوْا في الحُصُـونِ وخـادَعتهم	ظُنُـونٌ كنَّ حُلْمَـاً أو سَـرَابـا[2]
ولـو جَعلوا السَّحـابَ لهم مَحَـلاً	لَـطَارَ الجيشُ يَقتحِمُ السَّحـابـا
جُنـودُ مُحمّـدٍ كـالمـوتِ يَمضِي	عـلى قَـدَرٍ صُعـوداً وانـصبـابـا
وليسـوا في الحـروبِ إذا تلظَّت	كمن جَهِـلَ الأمورَ أَوِ استـرابـا[3]
وفي حِصْنِ النَّـطاةِ لسـانُ صـدقٍ	يُعَلِّمُ كـلَّ مَن جَهِـلَ الحُبَـابـا[4]
رَأى الـرأيَ الـذي ذاقت يَهـودٌ	مَـرارَتَـهُ ، فكـانَ لَهم عـذابـا
أصـابتهم حُمَـيَّـا اليـأسِ لـمّـا	تَنحَّى الجيشُ يَلتمِسُ الصَّوابـا[5]

السماوات وما أظللن، ورب الأرضين وما أقللن ، ورب الشياطين وما أضللن ، ورب الرياح وما أذرين ، فإنا نسألك من خير هذه القرية وخير أهلها ، وخير ما فيها ، ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها ، فلما قالوها قال : أقدموا باسم الله .

(١) المخارم جمع مخرم ، وهو منقطع الأكمة وأنف الجبل والطريق في الأرض الغليظة .

(٢) لما بلغهم أن النبي سيغزوهم جعلوا يخرجون ويقفون صفوفا ثم يقولون ، محمد يغزونا ، هيهات ، وذكر أن عبد الله بن أبي بن سلول أرسل إليهم : أن خذوا حذركم ، وأدخلوا أموالكم حصونكم ، واخرجوا لقتاله ، ولا تخافوا منه . إن عددكم كثير كانوا عشرة آلاف وقوم محمد شرذمة قليلون ـ عزل لا سلاح معهم إلا قليل .

(٣) تلظَّت الحرب تلهّبت .

(٤) وضع اليهود أموالهم وعيالهم في بعض حصونهم ، وعسكروا في حصن النطاة ، فنزل المسلمون قريباً من هذا الحصن . فتقدم الحباب بن المنذر إلى النبي وقال له : يا رسول الله إنك نزلت منزلك هذا ، فإن كان عن أمر أمرت به فلا نتكلم ، وإن كان الرأي تكلمنا، قال هو الرأي، فقال الحباب : إنهم قوم يجيدون الرمي، وهم مرتفعون عنا ، ولا نأمن من بياتهم يدخلون في حمزة النخل ، تحول يا رسول الله . ففعل .

(٥) حميا الشيء شدته .

سَلِ البطلَ المُجَرَّبَ لو أجابا أيعلمُ أيَّ داهيةٍ أصابا؟[1]
رَماهُ بعامرٍ قَدَرٌ إذا ما رَمَى المهجاتِ غادرها خرابا
ولكنَّ المنيَّةَ أخَّرتْهُ لِيبلغَ في غوايَتِهِ الكتابا[2]
وخانَ السّيفُ صاحِبَهُ، فأودى شَهِيداً، برَّ مَصْرَعُهُ وطابا
هنيئاً عامرٌ رضوان رَبٍّ حَباكَ الأجرَ جَمّاً والثّوابا
بسيفِكَ مِتَّ مَوْتَ فتىً كريمٍ يُحاذِرُ أن يُعيَّرَ أو يُعابا
بَرزتَ لِمرْحَبٍ بَطلاً مَهيباً أبى أن يُتَّقى أو أن يُهابا
ولولا نَبوَةٌ للسّيفِ طَاشَتْ بمضربِهِ لأورده التَّبابا[3]

* * *

تَوالَى الزّحفُ، واستعَرَتْ نفوسٌ مَضَتْ تَنسابُ في الله انسيابا
لئن خاضت غِمارَ الموتِ ظَمْأَى لقد عَرفتْ مَشاربَهُ العِذابا
سِهَامُ بَواسِلٍ لاقتْ سِهاماً يكادُ جَبانُها يخشى التُرابا[4]
تُحدِّثُ عن مَخاوفِ باعِثيها حَديثاً يَبعثُ العَجَبَ العُجابا
دعتهم للوغَى بِيضُ المواضِي وصَيَّرتِ السِّهامَ لهم خطابا
ولو ملكَتْ مَسامِعَهُم فَلَبَّوا لمَا مَلَكوا الجماجِمَ والرقابا

---

(١) هو مرحب ملك اليهود خرج يرتجز .

قد علمت خيبر أني مرحبُ شاكِي السّلاحِ ، بطلٌ مجرّبُ
إذا الحروبُ أقبلت تَلَهَّبُ

فبرز له عامر بن الأكوع فضربه مرحب بسيفه ، فوقعت الضربة في ترس عامر فأراد أن يضرب مرحبا من الأسفل فعاد إليه سيفه فأصابه فمات .

(٢) أي الأجل المكتوب له . (٣) التباب الهلاك .

(٤) اشتد الترامي بالنبل بين المسلمين واليهود . حتى لقد أصابت سهام هؤلاء ثياب النبي ﷺ وعلقت به .

لَـوَ انَّ الحصنَ أُوتِيَ مـا تمنَّى أبـى إلَّا هُـوِيًّـا وانـقـلابـا
رَمـاهُ مُـحـمَّـدٌ، فـألـحَّ حتَّـى لأوشـكَ أن يقولَ: كفى عِقـابا[1]
يَـظِلُّ الـظِّرْبُ يحمـلُ منه طـوداً طـوىَ الأطوادَ، وانتـظمَ الهضـابـا
وأمْسَـكَ هـذه الـدنيـا، فـأمستْ ومـا تخشَى الزَّوالَ، ولا الـذَّهابـا
لـواءُ الـفتـحِ فـي يـدهِ رَهِـينٌ بصـاحِبه الـذي فـاقَ الصِّحـابـا[2]
يُشيـرُ إليـهِ مُحتجبـاً بـوصفٍ يكـادُ سَناهُ يَختـرقُ الحِجـابـا
ويـذكـره وبـالـفـاروقِ حِـرصٌ على أن ليس يَعـدوه انتـخـابـا
عـليٌّ لـلعُـقـابِ، ومـا عـليٌّ سِوىَ البطلِ الـذي يحمي العُقابا
شِهـابُ الحربِ، لا عَجَبٌ ولكن عَجِبْتُ لِفَرْقـدٍ قـادَ الشِّهـابـا[3]
رسـولٌ جـاءَ بـالفَـرَجِ المُـرَجَّى وبـالنُّـورِ الـذي كشفَ الضَّبـابـا
تـقـدَّمْ يـا عَـلِيٌّ رَعـاكِ ربٌّ كَفَى عَينيـكَ دَاءَكَ والعِصـابـا[4]
بـطِبِّ مُـحَّـمـدٍ أدركـتَ مـالـو أراد الـطِّبُّ أعـجـزه طِـلابـا

---

(١) ألح الرسول الكريم بالرمي على حصن ناعم إلحاحاً شديداً ويهود تقاتل ، وهو على فرسه الظرب وعليه درعان ومغفر وبيضة ، وفي يده قناة وترس .

(٢) لما اشتد الأمر واستعصت الحصون قال النبي ﷺ لمحمد بن مسلمة رضي الله عنه : لأعطين الراية إلى رجل يحب الله ورسوله ويحبانه ، لا يولي الدبر ، يفتح الله عز وجل على يده ، فلم يكن من الصحابة أحد له منزلة عنده إلا رجا أن يكون هو المعني بذلك وعن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : ما أحببت الامارة إلا ذلك اليوم ، وبعث النبي إلى علي ابن أبي طالب وهو أرمد، فدفع إليه الراية وكان أسمها العُقاب ثم أعطاه سيفه ذا الفقار قال علي كرم الله وجهه ، يا رسول الله إني أرمد كما ترى ، لا أبصر موضع قدمي . فتفل في عينيه بعد ان وضع رأسه في حجره ـ وقيل أنه تفل في كفه الشريف ثم فتح عينيه ودلكهما ـ فبرىء .

(٣) الشهاب الكوكب عموماً ويقال فلان شهاب حرب إذا كان ماضياً فيها على التشبيه بالكوكب في فضيّته ، والفرقد نجم قريب من القطب الشمالي يُهتدى به .

(٤) ما يُعصب به .

شَفَى الـرَّمَدَ الـذي آذاكَ حِينًـا وكـان لِعزمِـكَ المـاضي قِـرابا[1]
خُذِ السَّيفَ الذي أعطاكَ، واصْدَعْ ببـأسِـكَ هــذهِ الصُمَّ الصِّــلابــا
حُـصُــونٌ كـلمـا زِيـدَتْ دُعـاءً إلى البيضـاءَ ، زادتهـا اجتنـابـا
تُحِبُّ الكبـرَ، لا تـرضَىَ سِــواهُ عـلـى آفـاتِـه خُـلُقـاً ودابـا

* * *

تقـدَّمْ، مـا لصيـدِكَ من قـرارٍ إذا لـم تُـؤْتِـهِ ظُـفـراً ونـابـا
خُـذِ الـذِّئبَ اللعين ولا تَـدَعْـهُ صُـدُودَ اللَّيثِ، يَحتقِرُ الـذئـابا[2]
كفى بـالحـارثِ المغـرورِ عِلماً لِمنَ رُزِقَ الـغَبَـاءَ ومَنْ تَغـابى
أرقتَ حَيـاتَـهُ ، فـأرقتَ منهـا صَـرِيـحَ الكُفْـرِ يـأبى أن يُشـابا
وَرُعْـتَ بـه أدِيـمَ الأرضِ لـمّـا جَعلتَ عليـه من دَمِـه خِضـابـا

* * *

تَخَيَّـلَ مـرْحَبٌ مـا لـيس حَقّـاً وَمنَّتْـهُ الـظُّـنونُ مُـنىً كِـذابـا
مشى يَختـالُ مُـرتـجِـزاً فَـلاقَى قضـاءَ اللهِ ينسـربُ انسـرابـا[3]
سَقـاهُ المـوتَ أبيضُ مَشْـرَفـيٌّ يُـذِيبُ المـوتَ يجعله شـرابا[4]
لَـكَ الـويـلاتُ من مَلِكٍ غَـوِيّ أحيطَ بِمُـلكـهِ، فـهـوَى وذابـا
أعــدَّتْـهُ اليهـودُ لـكـلِّ خَـطبٍ فَضَـلَّ رَجـاؤُهم فيــهِ وخـابـا

---

(١) الغمد .
(٢) ذهب علي إلى الحصن فركز الراية تحته ، وكان أول من خرج إليه الحارث أخو مرحب ، وكان معروفاً بالشجاعة ، فثبت له وتضاربا فقتله ، وانهزم اليهود إلى الحصن ، ثم برز له مرحب فقتله .
(٣) ارتجز انشد أرجوزة ، وانسرب سال .
(٤) الابيض المشرفيّ السيف المنسوب إلى مشارف الشام وقيل لموضع في اليمن .

أمـا نَـظروه مـأخـوذاً بـبـأسٍ يَهُـدُّ البأسَ أخْـذاً واستلابـا ؟
وكـلُّ مُـغـالـبٍ، فَـلَهُ عـليٌّ غَـداةَ الكَـرِّ يـأخُـذه غِـلابـا
تَـوثَّـبَ يـاسِـرٌ، فَتَـلَقَّـفَـتْـهُ مَخالِبُ فاتكٍ أَلِفَ الوِثـابـا[1]
أمـا سمعَتْـهُ خيبـرُ حين يَهـذِي فَصَـدَّتْ عنه تُـوجِعُه عتـابـا ؟
ولـو تَسْـطِيـعُ لاتَّخـذَتْ حَيـاءً من البيضِ الرقـاقِ لهـا نِقابـا
غُـرَابُ الشُّؤْمِ يفـزِعُهـا نَعيـاً فيـا لـكِ بُـومةً وَلَـدْت غُـرابـا
فتىً شـاكي السِّلاحِ، ولا سـلاحٌ لِمَنْ يَبغِي مِنَ المـوتِ اقتـرابـا
ألا إنَّ الـزُّبـيـرَ لَـذو بـلاءٍ وإن خَشِيَتْ صَفِيَّـةُ أن يُصـابـا
حَـوَارِيُّ الرسُـولِ يَكـونُ منـه بحيثُ يُـريـدُ صَبـراً واحتسـابـا

* * *

تجلَّتْ غُـرَّةُ الفتـحِ المُـرَجَّى وأمْسَى النَّسْرُ قد طَرَد الذُّبـابـا
وَأعـولتِ النَّـطاةُ لِفَقْـدِ حِصنٍ يَعُمُّ يَهـودَ شَجْـواً وانتحـابـا[2]
هـو البـأسُ المُـدَمِّـرُ يـا عَلِيٌّ فَـدَعْ آطـامَهـا العُليا يَبـابـا[3]
وحِصْنُ الصَّعْبِ أذعنَ بعـد كبرٍ وأعلنَ بعـد غِلظَتِـه المَتـابـا[4]
وأدَّى مـا أعَـدَّ الـقـومُ فـيـهِ فـأمَسى بين أعْيُنِهـمْ نِهـابـا

---

(١) لما قتل مرحب خرج أخوه ياسر وكان من مشاهير فرسان اليهود وشجعانهم وهو يرتجز .
قـد عـلـمت خـيـبـر أنـي يـاسـر شـاكـي الـسـلاح بـطل مـغـاور
ويقول ، هل من مبارز ؟ فخرج إليه الزبير بن العوام فقتله ، وكانت أمه صفية . قالت عند خروجه : يا رسول الله إنه يقتل ابني ، فقال لها : بل ابنك يقتله إن شاء الله .

(٢) هو حصن ناعم ، فتحه الله على يد علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، فانتقل الذين بقوا فيه من اليهود إلى حصن الصعب .

(٣) الاطام جمع الأطم الحصن ، واليباب الخراب .

(٤) كان اليهود قد وضعوا في حصن الصعب شعيرهم وتمرهم ، وسمنهم وزيتهم وشحمهم وماشيتهم ومتاعهم ، فغنم المسلمون كل ذلك ، وكانوا في حاجة إليه شديدة .

وراحَ المسلمونَ بخيرِ حالٍ ... ولولا اللهُ ما برحوا سِغابا
أتاح لهم على الضَّرَّاءِ رِزقاً ... فأمسى اليُسْرُ بعد العُسْرِ ثابا
مَغانِمُ من عَتَادِ القومِ شَتَّى ... تُجاوِزُ حين تُحصِيها الحِسابا
كفى بالصَّبرِ للأقوامِ عَوْناً ... إذا حَدَثٌ من الأحْداثِ نابا
وما أمرُ اليهودِ إلى صلاحٍ ... إذا الدّاعي إلى الهيجا أهابا
مَشَى لهمُ الحُبابُ يَجُرُّ جيشاً ... شَدِيدَ البأسِ، يلتهبُ التهابا[1]
فَزلزَلَ حِصنَهم، حتّى لَوَدُّوا ... لو انَّ لهُ الى الطيرِ انتسابا
ولو مَلَك الجَناحَ لطار يَطوي ... طِباقَ الجوِّ ذُعْراً وَارْتِعَابا
تَنَادَوْا للقتالِ، فبادَرَتْهُم ... سُيوفُ اللهِ شَيِّقَةً طِرابا
وليس لقومِ يُوشَعَ من بَقاءٍ ... إذا طعموا الطعانَ أو الضِّرابا[2]
عُبابُ الموتِ يَملكُ جانِبَيْهِمْ ... فَنِعَم القومُ إن مَلَكوا العُبابا

* * *

تَتابعتِ الفتوحُ مُحَجَّلاتٍ ... تَزِيدُ يَهودَ حُزناً واكتئابا[3]
أُهِيبوا بالقوارعِ راجفاتٍ ... تَهُدُّ الشِّيبَ مِنهم والشَّبابا[4]
فَتِلكَ حُصونُهم أمْسَتْ خَلاءً ... كأنْ لم يَعمروا منها جَنابا[5]
تَساقَوْا بالعَرَاءِ الذُّلَّ مُرّاً ... يَوَدُّ طُغاتُهم لو كانَ صَابا[6]

---

(١) الحباب بن المنذر، دفع النبي اللواء إليه ووجهه إلى حصن الصعب ففتح على يده.

(٢) يوشع هذا رجل من اليهود خرج من هذا الحصن قبل فتحه مبارزاً، فقتله الحباب رضي الله عنه.

(٣) محجلات مضيئة مشرقة.

(٤) القوارع جمع القارعة وهي النكبة المهلكة.

(٥) الجناب الفناء أو ما قرب من محلة القوم.

(٦) الصاب شجر مرّ أو هو عصارته.

وأَلْقَـوْا بـالسِّـلاحِ ومـا أصـابـوا من الأمـوالِ جَمْعـاً واكتسـابـا

وضَـاقُـوا بـالجـلاءِ فـأدركتْـهُمْ عَـواطِفُ مُحْسِنٍ تَسَعُ الرُحابا[1]

أصـابـوا من رسـول اللهِ مَـوْلىً يَتـوبُ على المُسيءِ اذا أنـابـا[2]

قَضَى لهم القضـاءَ ،فلا انتـزاحـاً لَقُـوا بعـد المُقـام ، ولا اغتـرابـا

ثَـوَوْا في الأرضِ عُمَّـالاً عليهـا يُـؤَدُّونَ الإتـاوةَ والـنِّـصـابـا

وُلاةُ الـزَّرْعِ لـلإسـلامِ منهـم شَـريـكٌ ليس يُـظلَمُ أو يُحابى

هُـداةُ النّـاسِ أرشَـدُهُمْ سَبِيـلاً وأحْسَنُـهُـم إذا انـقـلبـوا مـآبـا

---

(۱) جمع الرحب المتّسع من كلِ شيء .

(۲) أقبل وتاب.

كنز بني النضير

هو حليهم الذي كان سلام بن أبي الحقيق حمله في جلد بعير- وقيل في جلد ثور- يوم إجلاء بني النضير وهو يقول : إنا أعددنا هذا لرفع الأرض وخفضها- لما فتحت خيبر سأل النبي عنه فقالوا: أذهبته الحروب والنفقات، فدفع رجلا منهم اسمه سعية بن عمرو عم حيي بن أخطب الى الزبير بن العوام فَمسَّهُ بعذاب، فدل على مكانه، وكان حيي قد دفنه في ذلك المكان .

مَنَايا القومِ في جلدِ البعيرِ ... فأين يَضيع كنزُ بنى النَّضيرِ ؟

مَرَدُّ الأمرِ في رفعٍ وخَفْضٍ ... لهذِي الأرضِ في الحَدَثِ الكبيرِ

كذلك قال أكذبُهم مَقالاً ... وأجهلُهم بأعقابِ الأُمورِ

هُمُ اتَّخذوا الخِداعَ لهم سبيلاً ... وكانوا أهلَ بُهتانٍ وَزُورِ

فما صَدقوا النبيَّ ولا استحبُّوا ... سِوَى الطمعِ المخيَّبِ والغُرورِ

وما الكنزُ الذي دفنوهُ إلاّ ... نذيرُ الويلِ أجمعَ والثُّبورِ(١)

يقول غُواتُهم: لم يَبْقَ شيءٌ ... مَقالَ ذَوِي السَّفاهةِ والفُجورِ

فلمّا مَسَّ صاحبهم عذابٌ ... بَدا الشَّرُّ المغيَّبُ في الصُّدورِ

وَجِيءَ بكنزهم إرثاً عتيداً ... لِوُرَّاثِ الممالكِ والدُّهورِ(٢)

---

(١) الهلاك والويل .

(٢) العتيد الجسم .

ولــو جَحَــدُوهُ أقبلتِ المنــايــا تُؤذِّنُ في الــرقــابِ وفي النُّحــورِ
فَبــادُوا في مـصــارِعِهــم وعــادوا كَـطَسْمٍ أو كعــادٍ في الــدُّثـورِ[1]
وما بَرحتْ عَـوادي الدهـرِ تَجرِي عـلى أهــلِ المــآثـمِ والشُّــرورِ
لـهـم فــي ذِمَّــةِ الـفــاروقِ يَومٌ يُــطالِعُهــم بِشــرٍّ مُـسـتـطـيــرِ[2]
فـصــبــراً، إنّــه لا بُــدَّ آتٍ فمــا لِيَهُــودِ خَيْبــرَ مِن مُـجيــرِ

(١) بادوا هلكوا ،وطسم قبيلة من عاد انقرضوا،والدثور ، الاسم من دثر بلي وامّحى .
(٢) إشارة إلى إجلائهم في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

المخلفون

جاء الذين تخلفوا عن غزو الحديبية الى النبي ﷺ ليخرجوا معه طلباً للغنيمة فقال لهم، لا تخرجوا معي الا راغبين في الجهاد، فأما الغنيمة فلا، ثم أمر مناديا ينادي بذلك .

هو الدينُ، ما في الدينِ غُنمٌ ولا غُرمُ ... هو المغنمُ الوافي هو المقتنى الضَّخمُ

أتى القومُ يبغون القتالَ لمأربٍ ... وعند رسولِ اللهِ من أمرهم عِلمُ

فقال: ارجعوا لا تجعلوا المالَ هَمّكم ... ولا تجهلوا، إنَّ الجهادَ هو الهمُّ

فمن جاءنا يبغي مَغانِمَ خَيبرٍ ... فليس له فيها نَصِيبٌ ولا سَهمُ

هو الدينُ دِينُ اللهِ يا قوم خالصاً ... فإنْ تُلحدوا فيهِ، فذلكم الظُّلم

ألم أدْعُكُمْ من قبلُ، فانصرفتْ بكم ... عن اللهِ دُنيا الناسِ وانتقضَ العَزمُ ؟

عَمِيتُمْ عِن المُثلَى، وأقبلَ مَعشرٌ ... مَناجِيدُ، لا عُمْيُ القلوبِ ولا صُمُّ[1]

رَمَوْا في صُدورِ المبطلينَ وجاهدوا ... لِنُصرةِ رَبٍّ حَقُّه وَاجِبٌ حَتْمُ

أولئكَ أهلُ الرأيِ، لا النَّفَرُ الأُلَى ... تَوَلَّوْا ، فلا رَأيٌ لديهم، ولا حَزْمُ

أولئكَ أوفى النّاسِ قِسْماً وخيرُهم ... جَزاءً، فعودوا، لا جَزاءٌ ولا قِسْمُ

هُوَ الدَّمُ والحقُّ المحتَّمُ فاعلموا ... ولله ما يَقضِي ، له الأمرُ والحُكمُ

---

(١) مناجيد جمع مِنجاد وهو الشجاع السريع الإجابة إلى ما دُعِي اليه .

عبد الله بن أُبَيّ بن سلول

عَقربُ السُّوءِ تَمادَى في الأذى ... والأذَى بَعضُ سجايا العقربِ
وَيْلَكَ عبدَ اللهِ ماذا تَبتغِي ؟ ... تَعِبَ الشَّرُّ ولمَّا تتعبِ
إتَّئِبْ يا ابنَ أُبَيٍّ واجتنِبْ ... خَطَلَ الرأيِ وَسُوءَ المذهبِ[1]
أنتَ أضللتَ الألَى أطْمَعْتَهم ... من وصاياكَ ببرقٍ خُلَّبِ[2]
ليس فيما نَابهَم من عجبٍ ... خَائِبٌ طاحَ بقومٍ خُيَّبِ
قَومُكَ الأبطالُ: ماذا صَنعوا ... بالحصونِ الشُّمِّ ؟ قُلْ، لا تكذِبِ
أتُراها في صَياصِيها العُلَى ... دَافعتْ عن ياسرٍ أو مَرحبِ ؟[3]
إمتلِىءْ يا ابنَ أُبَيٍّ غَضَباً ... ليس يَرضَى الحقُّ إن لم تَغضبِ
أفما يُرضِيكَ في الدُّنيا سِوَى ... موقفِ الجاني ومثوى المُذنِبِ ؟
لو صدقتَ اللهَ في دينِ الهدى ... فُزْتَ منه بالذمامِ الأقربِ
خُطَّةُ المؤمنِ يُمْنٌ مَالَهُ ... دُونَها من خُطَّةٍ أو مَركبِ
لَكَ في الإسلامِ من أعدائِه ... خُلُقُ الذئبِ، وطَبعُ الثعلبِ
هكذا قَدَّرَ ربِّي وقَضى ... ما الخبيثُ النَّفسِ مثلُ الطيِّبِ

---

(١) إتئب بمعنى استح . خطل الرأي فساده .
(٢) البرق الخلب الخادع الذي لا مطر فيه .
(٣) الصياصي الحصون .

صفية أم المؤمنين رضي الله عنها

هي بنت حيي بن أخطب سيد بني النضير، وهو من سبط هارون بن عمران أخي موسى عليهما السلام، سبيت من حصن الوطيح وكان اسمها زينب. فلما هداها الله إلى الاسلام سميت صفية وكانت زوجاً لكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، تزوجها بعد أن طلقها سلام بن مشكم الذي روي انه لم يدخل بها - خيرها النبي ﷺ بين أن يعتقها فترجع الى من بقي من أهلها، أو تسلم فيتخذها لنفسه، فقالت: أختار الله ورسوله.

إن جَلَّ غُنْمُ المسلِمينَ بخيبرٍ ... فَلَما غَنِمْتِ أجلُّ منه وأكبرُ

اللهُ أكبرُ يا عروسَ مُحَمدٍ ... هذا هو الشَّرفُ الأعمُّ الأوفرُ

هذا مكانكِ عالياً ما مِثله ... في السُّؤدُدِ العالي مَكانٌ يُؤثَرُ

يا دُرَّةً صِينَتْ لِتاجِ جَلالةٍ ... الدُّرُّ مِن لَمحاتِه والجوهرُ

الشَّأنُ شأنُكِ، أنتِ خيرُ صَفيَّةٍ ... والتَّاجُ أنتِ به أحقُّ وأجدرُ

أدركتِ بالاسلامِ في حَرَمِ الهُدَى ... جُهْدَ المنى مما يُتاحُ ويُقدَرُ

أدركتِ دُنيا الصالِحينَ ودِينَهمْ ... فظفرتِ بالحُسنَى، ومِثلُكِ يَظْفَرُ

ولقد غَنِيتِ وَدُونَ ما تَجِدينَهُ ... دُنيا مُذمَّمةٌ، وَدِينٌ مُنْكَرُ

ذُعِرَ الوطيحُ فأسلمتكِ حُماتُه ... وحَللتِ بالحصنِ الذي لا يُذعَرُ

ما مِثلُ رُؤياكِ التي كانت أذىً ... رُؤيا تُفسَّرُ للنِّيامِ وَتُعْبَرُ[1]

---

(١) رأى النبي ﷺ خضرة في إحدى عينيها فسألها ما خبرها فقالت إنها نامت في حجر زوجها كنانة بن الربيع وهي عروس. فرأت كأن القمر وقع في حجرها، وأخبرته بذلك فلطمها وقال، تريدين ملك العرب فكان هذا الأثر الأخضر.

أَفَكُنتِ نـاسيةً ، فجــدَّدَ ذِكـرَهـا   أثـرٌ بِعينـكِ يـا صفيّةُ أخضــرُ ؟
يــا وَيلتَـا لابنِ الــربيـعِ يغيــظُه   هــذا المقـامُ الصَّعبُ كيف يُيَسَّـرُ
لَـطمتـكِ من سَفـهٍ وسُـوءِ خَلِيقَـةٍ   يَــدُهُ، وتلكَ جنـايــةٌ مــا تُغْفَـرُ
مــاذا رَأيتِ من الــذي أبغضِتِيــه   ونَقمتِ ما يَرضَى ومـا يَتخيَّرُ[1] ؟
أردَى أبـاكِ وهَـدَّ زوجَـكِ بـأسُــهُ   وأصـابَ قومَـكِ منه مـوتٌ أحمرُ
مـاذا رأيتِ ؟ أما عَـذرتِ سُيـوفَـهُ   وَعَـلِمـتِ أنَّ عــدوَّه لا يُعــذَرُ ؟
ولقــد بَلوتِ خِـلالَــهُ فـوجــدتـه   نِعَـم الخليــلُ إذا يَســوءُ المعَشــرُ
أحببتِـه الحبَّ الكثيـرَ على القِلَى   وَلَحُبُّ ربِّكِ ذي الجلالـةِ أكثرُ[2]
ذَهَب الـرُّعاةُ،فما يَسُرُّكِ صـاحبٌ   ورعـاكِ صاحبُـكِ الأبرُّ الأطهــرُ
آثــرتهِ، ورَضِيـتِ رَبَّــكِ إنّـهـا   للهِ عِـنَــدكَ نِـعـمـةٌ لا تُـكْـفَـرُ
أعْلَى محَلَّكِ فـانعمي وتـقــدّمي   بــأجـلِّ مــا يُثْنَى عليه وَيُشْكَـرُ
ولأنتِ إن عـظُمتْ فـوائــدُ خيبـرٍ   أسْنَى وأعــظَمُ مـا أفـادتْ خَيبـرُ

* * *

يـا قُبّةَ المُختـارِ دُونَـكِ مــا بَنَى   في مُلكِـه كِسْرَى وشيَّدَ قيصـرُ[3]
مَثــوى يهـولُ النــاظـرين ومنــظرٌ   عَجَبٌ يــروعُ مقـامُــه والمـظهــرُ
فيِهِ الجلالُ الضّخمُ، تـرتدُّ المنى   مــن دُونِــه مــذعــورةً تـتـعـثّـرُ
فيــهِ السّــلامُ لكــلِّ جِيـلٍ يُبتغَى   فيـه النظامُ لكـلِّ عصرٍ يُـذخَـرُ[4]

---

(١) قالت : انتهيت إلى رسول الله وما من الناس أحد أكره إلي منه ، قتل أبي وزوجي وقومي ، فما قمت من مقعدي ومن الناس أحد أحب إلي منه .

(٢) القلى البغض .

(٣) أعرس بها النبي في قبة بمكان يقال له الصهباء بين خيبر والمدينة .

(٤) ذخره اعدّه لدنياه وآخرته .

فيــه الحيــاةُ تَسُــلُّ من أكفــانِهــا ... هَلْكَى الشّعوبِ، إذا تموتُ وتُقبَرُ[1]

* * *

إيــهٍ أبــا أيّــوبَ مــا بِــكَ رِيبــةٌ ... إنّ المحبَّ على الحبيبِ لَيسهرُ[3]

تَأبَى الكرَى وتطوفُ حول مُحَمـدٍ ... والسّيفُ يَقظانُ المضـاربِ يَنــظرُ

ماذا تخافُ على حبيبِكَ من أذىً ... واللّهُ كـافٍ ما تخـافُ وتَحـذرُ ؟؟

إهْنَــأْ بـدعــوتِـه، فتلِكَ وقــايــةٌ ... مـن كــلِّ ذِي جَبَـرِيَّةٍ يـتنَّـمــرُ[3]

تِلكَ الـولائمُ في رِحـابِ مُحَمــدٍ ... شَتَّى، تُسَـرُّ بهـا النُّفُـوسُ وتُحْبَـرُ

الصَّحبُ من فـرحٍ عليهـا عُكَّفٌ ... والرُّسْلُ أجمـعُ والملائـكُ حُضَّـرُ

عُــرْسُ النبيِّ وأيُّ عُـرسٍ مِثلُه ؟ ... هَيهــاتَ، تلك فضيلةٌ لا تُـنْكَــرُ

---

(١) تَسلّها تنزعها وتخرجها برفق .

(٢) بات أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه ليلة العرس متوشحاً سيفه يحرس النبي ويطوف حول قبته فلما أصبح ورأى مكانه سأله : ماجعلك تفعل ذلك، فقال : خفت عليك من هذه المرأة . قتلت أباها وزوجها وقومها وهي حديثة عهد بكفر فبت أحفظك : قال : اللهم احفظ أبا أيوب كما بات يحفظني ، فلما دفن ببلاد الروم أرادوا به شراً فحفظه الله

(٣) الجبرية الجبروت والعتوّ والتكبّر ، وتنمّر تنكّر وتغيّر .

رجوع المهاجرين من الحبشة

كانت هجرة المستضعفين من المسلمين من مكة الى الحبشة مرتين، الأولى في شهر رجب من السنة الخامسة للنبوة والثانية بعد رجوع أكثرهم في شهر رمضان ـ وقيل شوال ـ عندما بلغهم ان مشركي مكة أسلموا ثم ظهر لهم غير ذلك ،وسبب هذه الهجرة أن النبي ﷺ قال للمسلمين لما أصابهم الأذى: تفرقوا في الأرض : قالوا وأين نذهب ؟؟ فأشار الى جهة أرض الحبشة وقال : إن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد ـ وكان عدد المهاجرين في المرتين ثلاثة وثمانين رجلا، وثماني عشرة امرأة وبعثت قريش في أثرهم عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بهدية الى النجاشي وعظماء رجاله ليرد هؤلاء المهاجرين اليهم، وقال عمرو وصاحبه: انهم لا يسجدون لك كما يسجد الناس. ويقولون في عيسى بن مريم عليه السلام مالا يرضيك ، فبعث النجاشي الى الأساقفة فجاءوا بمصاحفهم ، وتولى جعفر بن أبي طالب الكلام عن المهاجرين الذين كان يسميهم (حزب الله) فقال: إنا لا نسجد إلا لله عز وجل ولا نقول في عيسى عليه السلام إلا ما يقول إنه روح الله وكلمته ألقاها الى مريم . . قال النجاشي: يا معشر القساوسة هذا ما عندكم في المصاحف، أشهد أنه رسول الله الذي بشر به عيسى في الانجيل، ثم قال للمسلمين: إنزلوا حيث شئتم من أرضي آمنين ، وأمر لهم بما يصلحهم من الرزق، وقال: من نظر الى هؤلاء الرهط نظرة تؤذيهم فقد عصاني ردوا هذه الهدايا فلا حاجة لي بها، وكان عودة هؤلاء المهاجرين في غزوة خيبر فأمر لهم النبي بأخذ أنصبتهم من الغنائم .

مَـرحـبـاً بـالأحبَّـةِ الـمُقـبلينـا أطفِئُوا شَـوقَكم، وقَضُـوا الحنينا

أذِنَ اللهُ بـالـلقـاءِ، وكـانـتْ لـوعـةً لـلفِـراقِ دَامْت سِـنينـا

إنّ هَـذِي دِيـارُكـم فـادخلوهـا طَـيِّبـاتٍ لـمعـشـرٍ طيّبيـنـا

أُدخـلوهـا بـنـعـمـةٍ وسـلامٍ وَاعْمـرُوهـا بـأهلِكم والبـنينـا

أقبلوا أقبلوا، وحَيُّـوا رسـولَ اللّـ ـهِ مُستبشـراً يَـمـدُّ اليـمينـا

صَـافحـوُه مُحبَّبَ الـوجـهِ سَمْحـاً والـزمـوهُ مُبـاركـاً مَيـمـونـا

وانـظروا حـولـه الجنـودَ أُلـوفاً بعـد أن لم تكنْ تُـداني المئينـا

واذكـروا خـطبَكم وكيفَ ذَهْبتُـمْ خِيفةَ الضَّيْمِ في البلادِ عِـزينا[1]

تـركبـونَ العُبـابَ يـأخـذُه الكِبْـ ـرُ، فيـأبَى عِنَانُـه أن يَلينـا[2]

يَضربُ الموجُ في جوانبِه المو جَ، وتُـزجِي السّفينُ فيـه السَّفينا

إتَّـخـذتم أرضَ الـنجـاشيِّ داراً وتَـركتُمْ، دِيـارَكم والقَـطِينـا[3]

مَـلِكٌ عـادِلٌ أقـامَ عـليـكـم من كـريمِ الجوارِ حِصْنـاً حَصينا

وَرَعـاكـم رَعْـي الـحفيِّ يُـؤَدي حقَّ أضيـافِـه وَفِيّـاً أمينـا[4]

وَجَـد العـارَ في هَـدّيَةِ عمـروٍ فـأبـاهـا وَردَّ عَـمْـراً حـزينـا

قـال: يـا ويلتـا، أأهـدمُ مَجـدِي وأُعـادِي أبُـوَّتـي الأوَّلـيـنـا؟

أأبيـعُ الضُّيوفَ يـا عمـرُو؟ دَعْهـا خُـطّةً تجعـلُ العـزيـزَ مَهِـينـا

إنهـا سُبَّةٌ على الـدهـرِ يَـأبَى كـلُّ حـرٍّ مُـهـذَّبٍ أن تكـونـا

راعـه جـعـفـرٌ بـقـولٍ مُـبـينٍ فـرأىَ الحقَّ واضحـاً واليـقينـا

وَدرَى أنّمـا الـسُّـجـودُ لغيـرِ اللّـ ـهِ إثـمٌ يَحيـقُ بـالسّـاجـدينـا

وَاهْـتَـدى قَلبُـه فـآثـرَ دِيـنَ الـ ـحقِّ في مجمـعِ القَساوسِ دِينا

---

(١) عزين بمعنى متفرقين .

(٢) العباب الموج ، والعنان سير اللجام .

(٣) أهل الدار .

(٤) الحفيّ الذي يكثر السؤال عن حال الرجل حُبّاً له .

دَلَف القـومُ بـالمصـاحفِ لا يَـدْ رُونَ مـاذا يُـريـدُ أن يَسْتَبِينـا
قال: ما عندَكم ؟ أما قَال عِيسَى سـوفَ يأتي مِن بعـدِه من يلينا ؟
بَـطَلَ الشّركُ، وانتهى الإفـكُ هذا خـاتـمُ الأنبيـاءِ والـمـرسلينـا
كيف نَـأْبَى مُحَمداً وَهْوَ حقٌّ ؟؟ أيـقـولُ الهُـداةُ إنّـا عَـمِينـا ؟
رَبِّ إنّي آمنتُ. فـاغِفـر ذنـوبي وَاهْـدِني في عبـادِكَ المؤمنينـا
هـكذا فـاز بـالكـرامـةِ حزبُ اللّـ ـهِ طـوبَى لِحـزبـهِ المفلحينـا

* * *

أُدْنُ يـا جعفـرٌ لـك الـرتبُ العلـ ـيـا ، وكنتَ أمـراً بهن قَمِينـا(١)
وَخُـذِ الـقُبـلةَ التـي هِيَ أَقْصَى مـا تُـرجِيّـهِ أنْفُسُ المتّقينـا(٢)
إدنُ يـا أشبهَ الـرجالِ بـأعلى الـ ـنّاسِ قَدْراً وخيرهم أجمعينا(٣)
ولـك العـذرُ إنْ رقصتَ فَهـذِي نَشـوةُ الحبِّ تَأخُذُ المخُلِصينا(٤)
نـادِ يـا شـاعـرَ العُـروبـةِ واهتفْ مـرحباً بـالأمـاجـدِ الأكـرمينـا
هـذه خـيـبـرُ الـعـصيّـةُ دَانَـتْ لِسيـوفُ البـواسـلِ الفـاتحينـا
نَـصَـر اللّهُ جُـنـدَهُ وحَـبـاهُ فـي لـواءِ النبيِّ فَتْحـاً مُبينـا
فَـخُـذوا حقَّكم هَـنِيئـاً مَـرِيئـاً واشكـروا الله أكـرمَ المُنعِمينـا(٥)

---

(١) القمين الخليق الجدير .
(٢) عانقه النبي وقبل ما بين عينيه .
(٣) قال له ﷺ : أشبهت خلقي وخلقي .
(٤) لما قال له ذلك رقص من لذة هذا الخطاب .
(٥) إشارة إلى أخذ أنصبتهم من الغنائم .

أم حبيبة رضي الله عنها

هي رَمْلة بنت أبي سفيان. هاجرت إلى الحبشة مع زوجها عبيد الله بن جحش ، فارتد عن الإسلام هناك ومات نصرانياً ـ أرسل النبي صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه في المحرم سنة سبع إلى النجاشي ليزوجها منه ، ففعل ودفع الصداق من ماله أربعمائة دينار . أو أربعمائة مثقال ذهب ثم أولم للناس بعد ذلك ، وكانت إحدى جواريه قد أخذت منها بعض الهدايا والأموال لما بشرتها بخطبة الرسول الكريم ، فأمرها برد ما أخذت ، وأمر نساءه أن يقدمن إليها العطر والطيب ، ثم أرسلها إلى النبي مع شرحبيل بن حسنة .

بُشـراكِ أُمَّ حَبِيبَـةٍ بِمُحَمَّـدِ ... تَمَّتْ لكِ النُّعمى فَفوزِي وَاسْعَدِي

هَـذا بَشِيرُ الخيـرِ أيُّ طَلاقـةٍ ... تَحكِي طلاقَةَ وجهِهِ الغَضِّ النَّدِ ؟[1]

حَمَلَ الرِسالَةَ مَشرعاً من رَحمـةٍ ... فيـهِ الشِّفـاءُ لِغُلَّةِ القَلْبِ الصَّـدِ[2]

بُشْـراكِ أُمَّ المـؤمِنِيـنَ فهـذِهِ ... رؤيـاكِ عِنـدَ أوانِهـا والمـوعِـدِ[3]

بَعثَ النَجاشِيُّ الولِـدةَ فـاسمعِي ... أشهَى الحديثِ إلى الكرائمِ واشْهَدِي[4]

---

(١) عمرو بن أمية الضمري .

(٢) المشرع المورد ، والغلّة العطش الشديد ، وصدٍ عطشان عطشاً شديدا .

(٣) رأت في المنام كأن قائلا يقول لها . يا أم المؤمنين ، ففزعت وأولتها بأن النبي يتزوجها ، قالت : فما شعرت إلا وقد دخلت على جارية النجاشي فقالت لي . إن الملك يقول لك إن رسول الله ﷺ كتب إليه أن يزوجك منه . فقلت بشره الله بالخير ، ووكلت عني خالد بن سعيد بن العاص (رضي الله عنه) .

(٤) الوليدة العبدة .

هَـذا عَـطَاؤُكِ لـو يكـونُ مَكَـانَـهُ أغلىٰ الكُنوزِ خَشَيْتُ أن لا تُحْمَدِي[1]
نِعمَ العـطاءُ بَـذَلْتِـهِ مَـرْضَيّـةً في اللّهِ راضيـةً . وَيَالـكِ من يَدِ
قلّدتِ أمـرَكِ خـالـداً فمضَى بـهِ شَـرفـاً على شَـرَفٍ أشمَّ مُخَلَّدِ[2]
هَتَف الرسولُ : أَجِبْ وكيلَ مُحَمَّدٍ فمشَى إلى المَلِكِ الأعزِّ الأصيَدِ[3]
يَلقـاهُ في تَـاجِ الهُـدى وسـريـرِه بين الأرائـكِ والجُمـوعِ الحُشَّـدِ
في مشهـدٍ زانتـه غُـرَّةُ جَـعفـرٍ زَيْنِ النَّدِيِّ ونُورِ عَيْنِ المنتـدي[4]
جَمَـعَ الأحبَّـةَ والـرفـاقَ ، فـأقبلوا من كلِّ عالٍ في الرجالِ مُمَجَّـدِ
أدَّى النجـاشيُّ الصَـداقَ مُبـارَكـاً مِلءَ اليدينِ يَسوقُه من عَسْجَـدِ[5]
وأقـامَ لـلّهِ الـولائـمَ كـلّمـا زَادتْ وفودُ القومِ قال لها : ازْدَدِي

* * *

مَضَتِ الوليدُة بـالصّداقِ فَصـادفتْ كَـرَماً يُجـاوِزُ مَطْمَـعَ المُسْتَرْفِـدِ[6]
نَالتْ . ولـم تَسألْ . وَلِـمَ تمدُدْ يداً خَمسِينَ دِينـاراً عـطاءً كـالـدَّدِ[7]
فضـلُ لأُمِّ المـؤمنِيـنَ تَـفجَّـرَتْ عنه ، فَرَاحَ يَفِيْضُ غَيْـرَ مُصَرَّدِ[8]

* * *

---

(١) أعطت الجارية سوارين وخلخالين وخواتم فضة سروراً بما بشرت به .
(٢) أشمّ شامخ .
(٣) عمرو بن أمية ، والأصيد الذي يرفع رأسه كبراً .
(٤) أمر النجاشي أن يحضر جعفر بن أبي طالب ومن معه من المسلمين حفل عقد الزواج ، والغُرة من الرجل وجهه وطلعته .
(٥) ذهب .
(٦) دفع النجاشي الصداق إلى خالد بن سعيد بن العاص فأرسله إلى أم حبيبة مع جارية النجاشي فأعطتها خمسين ديناراً ، والمسترفد الذي يطلب العطاء .
(٧) الدد اللعب .
(٨) المصرد المقلل .

تِلْكَ الوليدةُ قال سيّدُها : ارجِعي　　أَنَسِيتِ حَقَّ الضَّيفِ عِنْدَ السَّيِّدِ ؟[1]
رُدِّي العَطِيَّةَ والهَدِيَّةَ واذكـري　　آلاءَ رَبِّكِ ذي الجلالِ الأَوْحَـدِ
لاَ تَـرْزَئِي زوجَ النبيِّ بـأرضِنـا　　شَيئـاً ، فَبِئسَ الزّادُ للمتـزوّدِ[2]

* * *

قالت : إليكِ المالَ والحلْي الذي　　أَعْطَيتِنيهِ ، فليس أمري في يَدِي
أمـرَ المليكُ فـلا مَـرَدَّ لأمـرهِ　　وَلَكِ الكرامةُ في الفريقِ الأرشـدِ
لـي في ذمامِكِ حاجـةٌ مَنْشُودَةٌ　　لـولا الهُـدَى وَسَبيلُهُ لم تُنْشَـدِ
هـل تحملِينَ إلى الرَّسولِ تَحِيَّةً　　منّي إذا انطلقتْ رِكابُكِ في غَدِ ؟
حَيِّيـهِ مُنْعِمـةً وَقـولي : إنّـني　　أحببتُـه حُبَّ التَّقِيِّ المُهْتَـدِي
وَرَضِيْتُ مِلَّتَـهُ لنفسـي ، إنَّـه　　لـعلى طـريـقٍ للسـدادِ مُعَبَّـدِ

* * *

رَضِيَ المليكُ وراحَ يَحمدُ رَبَّه　　حَمْدَ امرئٍ للصالحاتِ مُسدَّدِ
وَدَعا إلى الصُّنعِ الجميلِ نِساءَهُ　　فـالطيبُ ذو عَبَقٍ يَـروحُ وَيَغتـدِي
تَمشِي الـولائـدُ خلفَـهُ يَحْمِلْنَـهُ　　في مُلْتَقىً بَـهِـجٍ وَحُسـنِ تَـودُّدِ
يَـأتـينَ أمَّ الـمؤمنينَ يَـزِدْنَـهـا　　وَيَقُلْنَ : مَهْلاً كلمّا قالت : قَدِي[3]

* * *

---

(١) أمر النجاشي أن ترد الجارية جميع ما أخذت ففعلت . وأمر نساءه أن يهدين الطيب إلى أم حبيبة ففعلن ، وقالت الجارية لها حاجتي إليك أن تقرئي النبي السلام وتبلغيه أني قد اتبعت دينه .

(٢) رزأ الرجلَ مالَه أصاب منه شيئاً مهما كان أي نقصه .

(٣) قدي بمعنى كفّي من قَدّاني هذا الأمر أي يكفيني .

سِيـــرِي هَـداكِ اللَّهُ شَـطْرَ نَبِيِّـهِ في مـوكبٍ مِن نُورِهِ المتـوقِّـدِ
إلّا يكنْ من هـاشمٍ وَفْـدٌ فـكم للَّهِ حَـولَـكِ من رَسـولٍ مُـوفَـدِ
جِبريْلُ يَمشِي في رِكـابِكِ خَاشِعاً بَيْنَ الملائِكِ ، فَاشْهَدِي وَتَفَقَّـدِي
الـلّهُ بَـوَّأكِ الـكـرامَـةَ مَـنـزلاً وأعـزَّ جَـدَّكِ بـالـنبيِّ مُحَـمَّـدِ

أهل فدك

هم قوم من اليهود بعث إليهم النبي صلى الله عليه وسلم محيصة بن مسعود رضي الله عنه وهو على مقربة من خيبر يدعوهم إلى الإسلام وينذرهم عاقبة أمرهم إذا عصوا فقالوا : إن في خيبر عشرة آلاف مقاتل فيهم عامر وياسر والحارث ومرحب ، فلن يغلبهم المسلمون ، على أننا سنبعث معك بعد يومين رجالاً للصلح ، وذلك من مكرهم ليروا لمن يكون النصر ، فلما جاءهم الذين هربوا من حصن ناعم بعد فتحه ، أرسلوا نون بن يوشع وهو رجل من رؤسائهم في جماعة منهم إلى النبي يطلبون الصلح فأجاب سؤلهم .

مَحيصــةُ بلّغْ مـا أُمِــرتَ فـإنّمـا ... هو الدينُ دينُ المسلِمِينَ ، أو القتلُ

إلى فَـدَكٍ فَـاحْمِـلْ بَـلاَغ مُحمّـدٍ ... وَأنْـذِرْ بهـا قـومـاً أضلَّهُمُ الجَهْـلُ

أَبَوْا أن يُجِيبوا دَاعِيَ اللَّهِ وَابْتَغُـوا ... سَبِيْلَ الألى أعماهُم الحِقْدُ والغِلُّ

يَقولونَ : لن يَسْـطِيعَ جيشُ مُحمّدٍ ... بخيبَر نصراً ، إنّها مَطلبٌ بَسْلُ[1]

يُـدافِعُ عنهـا من صَنَـادِيْـدِ أهلِهـا ... رِجالٌ إذا خاضوا الوَغَىٰ بَطَلَ الهَزْلُ[2]

لهـا عـامـرٌ عِنْـدَ البـلاءِ ويـاسـرٌ ... لها مَرْحَبٌ والحارثُ البطلُ الفَحْلُ

وإنَّ بهـا من كُـلِّ رامٍ وَضَـارِبٍ ... أُلوفاً، هُم السُّمُّ الذُّعافُ لمن يَبْلو

على أنّنا لا نكـرهُ السّلْمَ، فانتـظِرْ ... مَحيصـةُ واصبِـرْ إنّها خُـطّةٌ فَصْـلُ

* * *

---

(١) بَسْل : محرّم .

(٢) الصناديد : الشجعان .

كَـذَلِكَ قـالوا ، يَمكـرون كَـدَأْبِهِمْ وماذا يُفِيْدُ المكرُ أو يَنفعُ الخَتْلُ ؟[1]

أطالوا المدَى حَتَّى يَروا جَدَّ قومِهم وَجَـدَّ رسـولِ اللَّهِ أيُّهمـا يَعْـلُو

فلمَّا رُمُوا بالحقِّ من حِصْنٍ نَاعمٍ وَقِيْلَ لهم : ضاقت بقومِكمُ السُّبْلُ

مَشتْ رُسْلُهم للصَّلحِ ، تَهوِي أمامَها قُلوبٌ . هِيَ الكُتْبُ الحثيثةُ والرُّسْلُ[2]

يَظَلُّ عَمِيْدُ القومِ نُونُ بنُ يُـوشَعٍ يَقُولُ : هَلُمُّوا ذَلِكَ المركبُ السَّهْلُ[3]

ولاذُوا بـأكنـافِ النبيِّ فصـادفـوا كرِيماً يُرجَّى عنده العفـوُ والفَضْلُ[4]

أَحـلَّ لهم صُلحـاً ، وإنَّ دِمَـاءَهم وَأَمْـوَالَهم ، إن رَدَّهُمْ خُيَّبـاً حِـلُّ

لئن خُلِقـوا لِلّؤْمِ أهــلاً فـإنّـه لكلِّ الذي يسمـو الكِرامُ بـه أَهْلُ

له النِّصْفُ من تِلْكَ الحُقولِ يُعِدُّهُ لِكُلِّ فقيرٍ عضَّـهُ البؤسُ والأزْلُ[5]

كذلكَ مَوْلَى القومِ ، يَرْجُونَ ظِلَّهُ وما خيرُ مولىً لا يَكونُ له ظِلٌّ ؟

---

(١) الخداع .

(٢) الحثيثة السريعة .

(٣) جاء عميدهم نون بن يوشع مع رجال منهم يطلبون من النبي أن يصالحهم على أن تحقن دماؤ هم ، ويخلى بينهم وبين الأموال ، فوقع الصلح على أن يكون له نصف الأرض ولهم نصفها ، فكان ﷺ يعود من هذا النصف على صغير بني هاشم وفقيرهم ، ويزوج منه أيمهم ، وجرى الخلفاء الصالحون من بعده على ذلك ، فجعلوا ما يخرج منه صدقة للمسلمين .

(٤) أكناف جمع كنف وهو الجانب ويقال في كنف الله أي في حرزه ورحمته .

(٥) الأزل الضيق والشدة .

بنو غطفان وسيدهم عيينة بن حصن

لما علم أهل خيبر أن المسلمين قادمون لغزوهم ، بعثوا إلى حليفهم عيينة بن حصن سيد بني غطفان يستعدونه وقومه عليهم ، ولهم في ذلك نصف ثمار خيبر ، وقيل إن النبي ﷺ وسلم بعث إليهم ينهاهم عن مظاهرة اليهود . فأبوا وقالوا حلفاؤنا وجيراننا . ثم خرجوا لنصرتهم فسمعوا من ورائهم صوتاً في ديارهم وقع في نفوسهم أنه صوت الغزاة من المسلمين ، فأخذهم الرعب ، وارتدوا على أعقابهم مسرعين .

أَمَا تَدَعُ العَمَايَةَ يا ابنَ حصنٍ ... وَتَسلُكُهَا مُعَبَّدَةً سَوِيَّهْ ؟
أَضَلَّتكَ اليهودُ فَرُحْتَ تَبْغِي ... ثِمارَ النَّخلِ ، يَا لَكَ من بَلِيَّهْ
لَبِئْسَ الأجرُ أجرُكَ مِن أُناسٍ ... يَرَوْنَ الحقَّ مَنزِلَةً دَنِيَّهْ
أَتَرضَى أن تكونَ لهم حَلِيفاً ؟ ... لَعَمْرُكَ إنّهم شَرُّ البَرِيَّهْ
رَمَوْكَ بِرُسْلِهِم ، يَرجونَ نَصراً ... فَمَا وَجَدوكَ من أهلِ الرَّوِيَّهْ
أَهَبْتَ بِقَوْمِكَ : انطَلِقُوا وَرَائِي ... فَتِلْكَ سَرِيَّةٌ تتلو سَرِيَّهْ
تُرِيدُ مُحَمَّداً وبَنِي أبيهِ ... أُولِي النَّجَداتِ والهِمَمِ العَلِيَّهْ
حُماةُ الحقِّ ، ليس له سِواهم ... إذا غَلَتِ الحفيظَةُ والحَمِيَّهْ
نهاكَ مُحَمَّدُ فأبيتَ رُشْداً ... لِنَفْسِكَ ، إنّها نَفْسٌ غَوِيَّهْ
وقلتَ : أنتركُ الحلفاءَ نَهْباً ... ونحن أُولُو السُّيُوفِ المَشْرَفِيَّهْ ؟

* * *

رُوَيْــدَكَ يَــا عُيَيْنَــةُ أيُّ خــطبٍ أصابَكَ ؟ ما الحديثُ ؟ وما القَضِيَّةْ
وما الصَّوتُ المــردَّدُ يا ابنَ حِصنٍ وَرَاءَكَ في منــازِلِــكَ القَصِيَّــةْ ؟
وَرَاءَكَ يَــا عُــيَيْنَــةُ لا تَــدَعْــهــا فمــا هِيَ عن دِفَــاعِــكَ بــالغَنِيَّــةْ

* * *

رَجعتَ بِجُنْــدِكَ المهــزومِ رُعْبــاً فَمَرْحَى ، ما الهــزيمةُ كـالمَنِيَّــةْ
لَـوَ انّكَ جِئْتَ خَيْبَـرَ وَهْيَ ظَمْأَى سَقَتْـكَ من الـرَّدَى كـأساً رَوِيَّــةْ
نَــوَيْتَ غِيَــاثَهــا . فَشُغِلْتَ عنهــا وأمــرُ الله يَــغــلــبُ كــلَّ نِــيَّــةْ
بِــرَبِّــكَ يــا فتى غَــطفَــانَ آمِنْ فــإنَّ لــهُ لآيــاتٍ جَــلِيَّــةْ

* * *

رَجعتَ إلـى النَّـبيِّ تَـقــولُ مَــالاَ يَقــولُ المرءُ ذُو النَّفْسِ الحَيِيَّــةْ[1]
ألستُ لمن ظَفَــرْتَ بهم حَلِيفــاً ؟ فَهَبْ لِي من مَغَــانِمِــهم عَــطِيَّــةْ
وَإنّـي قــد أَبَيْـتُ فــلم أُعِــنْــهُــم عَلَيــكَ ، وما تَــرَكْتُكَ عن تَقِيَّــةْ[2]
فقال : كَذَبْتَ ، مَالَكَ مِن خَـلاقٍ ومــا تَــخْــفَــى على الله الــطَّوِيَّــةْ
عَلَيــكَ بِــذِي الــرُّقَيْبَــةِ إنّ فيــه لَـمَــا أحببتَ مــن صلةٍ سَنِيَّــةْ
تَــأمَّلْ : هــل مَلَكتَ عليَّ أمرِي ؟ وهــل صَــدَقَتْــكَ رُؤيَــاكَ الغَبِيَّــةْ ؟
لكــلٍّ من دُعَــاةِ الشِّــركِ حــربٌ مُــظَفَّــرَةُ الــوقــائِــعِ خَــيْبَــرِيَّــةْ
سَجَايـا المُـرهفَـاتِ البيضِ أوْلَى بمن جَعلوا النِّفــاقَ لهم سَــجِيَّــةْ

---

(١) جاء عيينة إلى النبي بعد فتح خيبر في رجال من قومه فقال : أعطني مما غنمت من حلفائي ، فإني امتنعت عن قتالك » فقال له : كذبت ، ولكن الصياح الذي سمعت أنفذك إلى أهلك ، لك ذو الرقيبة . قال عيينة . وما ذو الرقيبة ؟ قال الجبل الذي رأيت في منامك أنك أخذته ، وكان عيينة قد رأى ذلك فلما انتبه من نومه قال لقومه أبشروا فإني رأيت أني اعطيت ذا الرقيبة لقد والله أخذت برقبة محمد ، ذو الرقيبة من جبال خيبر .

(٢) التقيّة المخافة والمخشية .

حجاج بن علاط السلمي رضي الله عنه

قدم على النبي ﷺ بخيبر فأسلم ، وكان له مال كثير متفرق في تجار مكة . فاستأذنه في أن يذهب اليها ليجمعه قبل أن يعلم إسلامه وأن يقول للقوم ما يرضيهم ليعينوه على ذلك فأذن له ، وذهب فرأى عند البيت جماعة منهم يتلمسون أخبار خيبر ، فأقبلوا عليه يقولون . إيه يا حجاج ، فقال : هزم محمد وأصحابه هزيمة لم يسمع بمثلها ، وهو أسير في أيدي اليهود ، لا يريدون أن يقتل في غير مكة . ففرحوا وأعانوه ، وشاع الخبر فحزن المسلمون . وكان أشدهم حزناً العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه ، فبعث غلامه إلى حجاج يسأله . وجاءه يبشره بكذب ما أذيع من هذه الأنباء ، فأعتقه سروراً بذلك ، وجاءه حجاج فصدقه الحديث ، وسأله أن يكتم الخبر ثلاثة أيام حتى ينجو بنفسه وماله ففعل وخرج العباس بعدها على المشركين في زينة فأنبأهم بما غاظهم وأوجع قلوبهم » .

تَقَدَّمْ، فهذا مَطلعُ الحقِّ والهُدَى ... ألستَ تَرى النُّورَ الذي جَاوَزَ المدى ؟
أتيتَ رَسُولَ اللهِ تَتبعُ دِينَهُ ... وتُؤثِرُ خيرَ الزّادِ فيمن تَزَوَّدا
لَكَ اللهُ يا حجَّاجُ أَمْسَيْتَ مُشْرِكاً ... وأصبحتَ تَدعوهُ تَقِيّاً مُوَحِّدَا
سَيغفِرُ ما أسلفتَ من جَاهِليَّةٍ ... لَيَالِيَ تأبَى أن يُطاعَ وَيُعبَدَا
سألتَ رسولَ اللهِ ما لو سألتَهُ ... سِوَاهُ لأعطاكَ الحُسَامَ المُهَنَّدَا[1]
تَقولُ له : دَعْنِي أزوِّرْ مَقَالَةً ... تَسُوءُكَ ، إنّي أحذرُ المعشرَ العِدَى

---

(١) السيف القاطع المطبوع من جديد الهند .

بِمَكَّـةَ لـي مـالٌ كثيـرٌ مُـوزَّعٌ أخـافُ عليـهِ أن يَضيـعَ وَيُفْقَـدا
سـأكتمُ إسـلامِي وأُوذِيـكَ ، إنّهم هُمُ القومُ ، لا يُؤْذُونَ إلاّ مَنِ اهْتَدَى
وَرُحْتَ تُجـابِيهم وَتَشْفِي صُدورَهم بِخـرقاءَ تستهـوي الغَبِيَّ المُبَلَّدَا[1]
نَقـولُ : لقد فـازَ اليهـودُ وأدركـوا على الفاتحينَ الغُرِّ نَصْراً مُؤَيَّدا[2]
أغاروا ، فَرَدُّوهُم ، وأمسى مُحَمَّدٌ أسيـراً لدى سـاداتِهِم ليس يُفتَدَى
أَبَـوْا أن يَـذوقَ القَتـلَ إلاّ بمكـةٍ وإنَّ لـه عمّـا قـريبٍ لَمَـوْعِـدَا
فَـطَاروا سُـروراً واستمـرَّ غُـواتُهم يُـذِيعُـونَـهُ زُوراً وإفكـاً مُـرَدَّدا
وَطَاشَتْ عُقُولُ المسلمينَ فأصبحوا حَيـارَى يَرَوْنَ العيشَ أَغْبَـرَ أَنْكَـدَا
وأرضَى الأُلى ضَلُّوا السَّبِيلَ بشيرُهم لَدُنْ جَمَعوا مِن مـالِهِ مـا تَبَدَّدا[3]
تَـزَوَّدَ همّـاً كـلُّ من كـانَ مُسلِمـاً وأَعْيَـا على العبّاسِ أن يَتَجَلَّدَا[4]
فَأَرْسَلَ : ما هذا الذي أنتَ قائِلٌ؟ قُلِ الحقَّ يا حَجّاجُ وَانْقَعْ بِهِ الصَّدَى
تَبـارَكَ ربِّي ، إنّـه جَـلَّ شـأنُـهُ لَـحَقٌّ عـليـهِ أنْ يُعِـزَّ مُـحَمَّـدَا
فقال : نَعَمْ : عُدْ يا غلامُ وَقُلْ له أبا الفضلِ أَبْشِرْ وانتظِرْ مَقدمي غدا
فَـأعتَقَ من فَـرَطِ السُّـرورِ غُلاَمَهُ وَراجَـعَـهُ مِن أمـرِه مـا تَـعَـوَّدا
ووَافـاهُ حَـجّـاجُ بـأنبـاءِ خَـيْبَـرٍ فَأمسَى الذي أخفَى من الأمرِ قد بَدَا
ونـاشَـدَهُ أن لا يُـذيـعَ حَـدِيثَهُ ثَـلاَثَةَ أيـامٍ حِـذاراً مِنَ الـرَّدَى[5]
فَلَمّا انقضَتْ رَاعَ الرجـالَ بِطَلعَـةٍ تَشُقُّ على الأعداءِ مَرْأَىً ومشهدا[6]

---

(١) الخرقاء المقالة الحمقاء ، والمبلّد العاجز الرأي الضعيف الهمّة .
(٢) الغر جمع الأغرّ وهو الشريف الكريم الفعال .
(٣) لدن ظرف زمان ومكان بمعنى عند .
(٤) تكلّف الجَلَدَ وصبر .
(٥) الهلاك .
(٦) عمد إلى حلة فلبسها ، ثم تخلق بخلوق . وأخذ بيده قضيبا ، ثم أقبل يخطر حتى أتى =

تَدَفَّقَ بِشراً وَجهُهُ ، وَجَرَى السَّنا على صَفْحَتَيْهِ سَاطِعاً فَتَوَقَّدا
يقولونَ ، لا تحزَنْ ، فيا للأُلَى عَمُوا ويَا لَكَ من حُزنٍ أقامَ وأَقْعَدَا
رماهم بأخبارِ الفُتوحِ فَغَاظَهُم وَردَّ ذَلِيلاً كُلَّ عاتٍ تَمرَّدا
يَضِجُّونَ : أين ابنُ العلاطِ ؟ أما لنا إليهِ سَبيلٌ ؟؟ إنّه كان مُفْسِدا
لقد غَرَّنَا كَيْما يَفُوزُ بِمَالِهِ فحاقَ بنا من إثمِهِ ما تَعَمَّدا
فواهاً لَهُ مِن ماكرٍ لو نُصِيبُه إذَنْ لَجَزَيْناهُ الجزاءَ المشَدَّدَا
جَزَاهُم إلهُ النّاسِ ، ما ذنبُ مُسْلِمٍ كَريمِ السَّجَايا ، ما أَساءَ ولا اعْتَدَى ؟
رَأَى شَرَّهُمْ فاحتالَ يَحفظُ مالَه عليهِ ، ويَأْبَى أن يُغادِرَهْ سُدَى

= مجالس قريش وهم يقولون إذا مر بهم : لا يصيبك إلا خير يا أبا الفضل . هذا والله التجلد لحر المصيبة ، قال : كلا والله الذي حلفتم به ، لا يصيبني إلا خير ، وذكر الفتح وغنائم المسلمين فحزنوا وقالوا . انفلت عدو الله ـ يعنون حجاجاً ـ أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن » .

الشَّاةُ المَسْمُومَة

عمدت زينب بنت الحارث أخي مرحب ـ وهي امرأة سلام بن مشكم ـ إلى عنز لها فذبحتها ،وجاءت بسم قاتل لساعته فأشاعته فيها ،وعلمت أن النبي ﷺ يحب الذراعين فأكثرت فيهما من ذلك السم ، ثم جاءت فوضعتها بين يديه ومعه طائفة من أصحابه فيهم بشر بن البراء بن معرور رضي الله عنه .فلما ذاقها النبي أنبأه الله بأمرها ،فقال لأصحابه :ارفعوا أيديكم وكان بشر قد أصاب منها ففعل فيه السم ومات بعد ساعة ، فأمر النبي بقتل تلك اليهودية الخبيثة .

أكـانـوا كُـلُّهُـم دَاءً عَـيَـاءً ؟ … فمـا يَجِـدُ الأُسـاةُ لـهم دَواءَ ؟

ألَا إنّ الـنّـطَاسِيَّ الـمـرجَّـى … أتى يَلقى الأُلى انتـظروا اللّقـاءَ

أتى بـالحكمـةِ الكُبـرى رسـولاً … فكـانَ لِعـلّةِ الـدُّنيـا شِـفَـاءَ

أَتَـطمَـعُ زَيـنـبُ بـذراعِ شـاةٍ … يُـسمَّـمُ أن يُـضَـرَّ وأن يُـسـاءَ ؟

أبى المَلِكُ المُـهيـمِنُ مـا أرادتْ … فَـخَـيَّـبَـهـا ، وكـان لـهُ وَقَـاءَ

أَتَتْ تمشِي بها ، وتقولُ : هـذا … طعـامُكَ ، فَـارْضَهُ ، وانعمْ مَساءَ

فـقـال لصـحبِـهِ : رِزقٌ أتـانـا … فبـاسمِ الله ، لا نُحْـصِي ثَـنَاءَ

فَـلَمَّا ذَاقَـهـا قـال: اتركـوهـا … فـإنّ الـلّهَ قـد كَشَـف الـغِـطاءَ

طَعَـامُ السُّـوءِ مَسْمُومٌ ، وهـذا … أخِي جبـريـلُ بـالأنبـاءِ جَـاءَ

فَكُـفُّـوا غَـيْـرَ بَـادِرَةٍ لِبِـشْـرٍ … مَضَتْ قَـدَراً لِـرَبِّـكَ أو قَضَـاءَ

فَيَـا لَـكِ طَعنَـةً لم تُبْقِ منـه لِحـاجَـةِ نَـفْـسِـهِ إلاّ ذَمـاءَ[1]

إذا رَامَ الـتَّـحَـوُّلَ أمـسكـتـه ولـو قَـدرتْ مَـفـاصِـلُهُ لَـنَـاءَ

قَضَـاهَـا حِجَّـةً مَن ذاقَ فيهـا مَـرَارَةَ عَـيـشِـهِ كَـرِهَ الـبقـاءَ

وحُمَّ قَضَـاؤُهُ ، فَمَضَـى رَضِيّـاً يُبَـوَّأُ جَـنَّـةَ المـأوَى جَـزاءَ[2]

وقـال مُـحَـمَّـدٌ يـا آلَ بِـشـرٍ كَفَى بِـدَمِ التي قُتِلَتْ عَـزَاءَ

فـلاقَت زَيـنـبٌ قتـلاً بقتـلٍ ومـا كـانت لصـاحبهم كِفَـاءَ[3]

أمَنْ حَمَـلَ الخِمَـارَ من الغـواني كمن حَمَـلَ العِمَـامَـةَ واللِّواءَ[4] ؟

كَـذَلِـكَ حُمـكُ رَبِّـكَ في كتـاب أمَـامَ السُّبْـلَ بَـيِّـنَـةً وِضَـاءَ

هُـوَ القِسْـطَاسُ أُنـزلَ مُسْتَقِيمـاً لِمن يَـزِنُ النُّفـوسَ أو الـدِّمـاءَ

أتى يحمي الحُقُـوقَ ويقتضيهـا فـلا جَنَفاً يُـريـدُ ولا عَـدَاءَ[5]

بِنـاءُ العـدلِ ، ليس بـه خَفـاءٌ فَسُبحـانَ الـذي رَفَـعَ البِنَـاءَ

ألا خَسِـرَ اليهـودُ ولا أصـابـوا طِـوَالَ الـدّهْـرِ خَيـراً أو نَمـاءَ

كَـأنَّ الغـدرَ عِنـدَ القـومِ دِينٌ فَمَـا يَـدَعُ الـرجـالَ ولا النسـاءَ

---

(١) ذماء بقية .

(٢) بوّأه منزلاً هيّأه له وأنزله فيه .

(٣) الكفاء المِثل والمُساوِي والنّظير .

(٤) الخمار ما تغطي به المرأة نفسها .

(٥) الجنف الجَوْر والمَيل عن العدل والحق .

المؤمنات في جيش الرسول

«خرج في هذه الغزوة مع جيش الرسول الأعظم ﷺ عشرون امرأة من نساء المسلمين فيهن عمته السيدة صفية رضي الله عنها وعنهن ، وقد أعطين نصيباً من الغنائم » .

أَتَيْنَ بِهِنَّ من شَوقٍ غَليلُ ... وَعُدْنَ لَهُنَّ مُنْقَلَبٌ جَلِيلُ
خَرَجْنَ من الخدورِ مُهاجِراتٍ ... فلا دَعَةٌ ، ولا ظِلٌّ ظَلِيلُ[1]
يَسِرْنَ مع النَّبِيِّ على سواءٍ ... ولا هادٍ سِوَاهُ ولا دَلِيلُ
يُرِدْنَ الله ، لا يَبغِينَ دُنيا ... كثيرُ مَتاعِهَا نَزْرٌ قَلِيلُ
عَقَائِلُ في حِمَى الإسلامِ يَسْمُو ... بِهِنَّ مِنَ العُلَى فَرْعٌ طَوِيْلُ
يَفِئْنَ إلى صَفِيَّةَ حيث كانت ... وكان سَبِيلُهَا ، نِعمَ السَّبِيلُ
عَلَيْهَا من رسولِ الله وَسْمٌ ... مُبِينُ العِتقِ ، وضَّاحٌ جَمِيلُ[2]
عَشِيرَهُ سُؤْدُدٍ ، وقَبِيلُ مَجْدٍ ... فَبُورِكَتِ العَشِيرةُ والقَبِيلُ
يُجَرِّدْنَ النُّفُوسَ مُجاهِدَاتٍ ... بِحَيْثُ يُجرِّدُ العَضْبُ الصَّقِيلُ[3]
فَلا ضَعْفٌ يَعوقُ ولا لُغُوبٌ ... ولا وَلَدٌ يَشوقُ ولا حَلِيلُ[4]

---

(١) الدعة الراحة وخفض العيش .
(٢) العِتق الشرف والنجابة والجمال .
(٣) العضب الصقيل . السيف القاطع المصقول .
(٤) اللغوب التعب والأعياء ، والحليل الزوج .

نِساءُ الصِّدْقِ ، ما فِيهِنَّ عَيْبٌ وليس لَهُنَّ في الدنيا مَثِيلُ
أَخَذْنَ عَطَاءَهُنَّ على حَياءٍ يَزِيدُ جَمالَهُ الْخُلُقُ النَّبِيلُ
لَئِنْ قَلَّ الذي أُوتِينَ مِنْهُ فأجرُ الله مَوفورٌ جَزِيلُ

غزوة وادي القرى

كانت بعد خيبر ، وأهل هذا الوادي من اليهود دعاهم النبي ﷺ إلى الإسلام ، فأبوا الا القتال ، وحمل ثلاثة منهم في الطليعة واحداً بعد واحد ، وحمل علي بن ابي طالب والزبير بن العوام وأبو دجانة فقتلوهم ، ثم نشب القتال بين الجيشين فكان النصر للمسلمين . وطلب اليهود الصلح فتركت الأرض والنخيل والبساتين والحدائق في أيديهم يعملون فيها أجراء كإخوانهم يهود خيبر .

خُوضُوا الوغَى يا أهلَ وَادِي القرى ... واستقبلوا الموتَ وأُسْد الشَّرَى[1]

أنكـرتُمُ الإسـلامَ دِينَ الهُـدَى ... والله والـسَّيفُ لـمـن أنـكـرا

إن تَـطْلُبـوا البُـرهـانَ فـاستخبـروا ... جِيـرانَكم ، أو فـاسـألـوا خَيْبَـرا

اقْـتُـلْ علـيُّ إنّـهـم مَـعْـشَـرٌ ... مَـا مِثْلَهم أعمَى الهَـوَى مَعْشَـرَا

ويـا حَـوارِيَّ الـرَّسُـولِ اقْتَنِصْ ... كُـلَّ غَـوِيٍّ جَـاءَ مُسْتَهْتِـرا[2]

وأنتَ فَـاضْربْ في الطُّلَى يا أبَـا ... دُجانَـةَ اضْـرِبْ مُقْبِلاً مُـدْبِرَا[3]

كُـرُّوا جُنـودَ اللـهِ فـي نَـصْـرِهِ ... ليس لـغيـرِ اللّهِ أن يُـنْـصَـرَا

لا تتركوا جَيْشَ الأُلَى اسْتَمْسَكـوا ... بـالكفـرِ حتّى يَـرجِعَ القهقـرى

يـا صَـوْلَـةً هَـدَّتْ فَـراعِينَـهُمْ ... مَـا أَشْجَـعَ القـومَ وكمـا أصْبَـرا

---

(١) مأسدة جانب الفرات يضرب بها المثل فيقال « هو كأسد الشرى » .

(٢) الحواريّ الناصر وقيل ناصر الأنبياء .

(٣) الطلَى جمع الطُلية والطُلاة وهي العنق .

ابـطالُ حـربٍ لم يَـزَلْ بـأسُهُم يَـلْتَهِمُ العَـسْكَـرَ فـالـعَـسْكَـرَا
وادِي القـرى الْتَـفَّ على رَوْعَـةٍ يـا وَيْحَ للمُـرتاعِ ، مـاذا يَـرَى ؟
مَـنْ مَثَّـلَ الأغـوالَ تَـهْـفُـو بِـهِ أهـوالُها العُـظْمَى ؟ ومَنْ صَـوَّرا ؟
بَـأْسُ رسـولِ اللهِ في صَـحْبِـهِ مـا أَعـظَمَ البـأسَ ومـا أَكْبَـرَا
ذَلَّـتْ يَهـودُ بـعـد أن لم تكـن تَـظُنُّ أن تُـغـلَبَ أو تُـقْـهَـرَا
إسـتَعْـمَـرَ الـفـاتحُ زُرَّاعَـهُـمْ في الأرْضِ ، لولا الرفقُ ما اسْتَعْمَرَا
فَـلْيَشْكُـروهـا مِـنْـهُ أُكْـرُومَـةً مِن حَقِّهـا الـواجبِ أن تُشكـرا[1]
وَلْـيَـرْقُبـوا الـعُقْبَى وَزِلْـزَالَـهـا إنْ أَظْهَرَ الـحِدْثَـانُ ما أَضْمَـرَا[2]
لا حَـولَ لـلقـومِ ولا حـيـلَةٌ فـيمـا قَـضَى اللهُ ومـا قَـدَّرَا
لـن يَصـحبَ الإسـلامَ فـي دارِهِ أصـحـابُ دِينٍ غـيـرِهِ مُفْتَـرى
بِـشَـارَةُ الـلهِ أتـانـا بـهـا أَصْـدَقُ مَـن بَـشَّـرَ أوْ أَنْـذَرَا

---

(١) الأكرومة فعل الكرم .
(٢) الحدثان الدهر .

أهل تيماء

«رأى أهل تيماء انتصارات المسلمين في خيبر ، وفدك ، ووادي القرى ، فارسلوا إلى النبي ﷺ يسألونه على أن يؤدوا إليه الجزية فقبل وأقرهم على حالهم» .

هُـوَ النَّصْرُ يـا تَيْمَاءُ يَتبعُـهُ النَّصْـرُ ... فإن كُنتِ في رَيْبٍ فقد وَضَحَ الأمرُ
دَعِي الرُّسْلَ تَمضي ما عليكِ مَلامَةٌ ... وكيف يَعافُ الأمنَ من غَاله الذُّعْرُ ؟
فإن تَخفضي منكِ الجَناحَ لِتَنْعَمِي ... بأفياءِ عيشٍ سـاكنٍ ، فَلَكِ العُذْرُ
وهل يَرفـعُ العصفورُ يـوماً جَنَـاحَهُ ... إذا حَلَّقَ البازِي ، أو انطلَقَ النَّسْرُ ؟[1]
إذا أمسـكَ الصَّبرُ البـلادَ وأَهْلَهـا ... فليس على هـذا قَـرارٌ ولا صَبْـرُ
ألم يَكُ أهلُ الأرضِ مَوْتَى ، فجاءهم ... رَسُـولُ حياةٍ دِينـهُ البَعْثُ والنَّشْرُ ؟
أبى أن يَظَلُّوا آخِـرَ الدَّهرِ فـوقَها ... يَسِيرونَ في الأكفانِ وَهْيَ لهم قَبْرُ
حَيـاةُ الـدُّنى في سَيْفِـهِ وكِتَـابِـهِ ... ومـا منهما إلاّ لهـا عنـده سِـرُّ[2]

* * *

لَكِ الأمنُ يا تَيْمـاءُ لا الدَّمُ دَافِقٌ ... ولا النَّقْعُ مُسْوَدٌّ ، ولا الجَوُّ مُغْبَرُّ[3]

---

(١) البازي والباز طيرٌ من الجوارح يُصاد بِه .
(٢) الدنى جمع الدنيا .
(٣) النقع الغبار .

ولا أنتِ ثَكْلَى ، ما تُغِبُّكِ لوعةٌ | مُؤَجَّجةٌ كالجمرِ ، أو دونها الجمرُ[1]
أعانَكِ رأيٌ أبصَرَ القصدَ فانْتَحَى | بأهلِكِ مَا لَا يَنْتَحِي الجاهلُ الغِرُّ
ولو آثروا الإسلامَ دِيناً لأفلحوا | ولكنَّهُ الشِّركُ المُذَمَّمُ والكُفْرُ
أَبَوْا وَتَولَّوا يَشترُون نُفُوسَهم | بأموالِهِم، هذا هو الغَبْنُ ، والخُسْرُ[2]
يُؤدُّونَها من خِيفَةِ القتلِ جِزْيَةً | على الهُونِ، ممّا يرزقُ الحَبُّ والتَمْرُ
أقاموا يُريدونَ الحياةَ بأرضِهِم | وكيفَ حياةُ القومِ إن فَسَدَ الأَمْرُ ؟
رُوَيْدَ الأُلَى اختاروا الضلالةَ خُطَّةً | فتِلكَ - وإن يعلموا - خُطّةٌ نُكْرُ
يَضِلُّونَ والفَجرُ المنوِّرُ طَالِعٌ | ولا عُذْرَ للضُّلّالِ إن طَلَعَ الفَجْرُ
لِكُلِّ أُناسٍ مُدَّةٌ ثُمّ تَنجَلِي | عَمَايَتُهُمْ، فَلْيَصْبِرُوا إنّه الدَّهْرُ

---

(١) اغبّته الحُمّى اخذته يوما وتركته يوماً ، واللوعة حرقة الحزن والوجد ، ومؤججة مضطربة متلهبة ، والجمر واحدتها الجمرة النار المتقدة .
(٢) الغبن ضعف الرأي .

عُمرة القضاء

ويقال لها عمرة القضية . والصلح والقصاص ، وهي التي أجازها عهد الحديبية للرسول الكريم وأصحابه رضوان اللّه عليهم ، وكانت في شهر ذي القعدة من السنة السابعة . وهو الشهر الذي صده المشركون فيه عن البيت سنة ست ، ويقال لهذه العمرة غزوة الأمن ولهذا ألحقت بالغزوات لأن النبي ﷺ خرج إليها بالخيل والسلاح مخافة أن يغدر المشركون فيقاتلهم ، وخرج معه من أصحابه ألفا رجل أكثرهم ممن شهد الحديبية ، فلما رأى احترام القوم للعهد أمر بوضع السلاح في مكان قريب من الحرم يقال له بطن ناجح ثم دخل مكة هو وأصحابه آمنين وقضوا مناسكهم من صلاة وطواف ونحر وخرجوا بعد ثلاثة أيام وفاء بالعهد .

مَضَى العامُ ، وَانْبَعَثَ المُنتظَرْ وَخُلِّيتِ السُّبْلُ لِلْمُعْتَمِرْ
لقد يَسَّرَ اللّهُ تِلكَ الصعابَ فما من عَصِيٍّ ولا مِن عَسِرْ
بَدارِ بَدارِ جُنودَ النَّبيِّ فإنّ الغنيمةَ للمُبْتَدِرْ[1]
إلى البيتِ سِيرُوا سِرَاعَ الخُطَى فما ثَمَّ من خِيفَةٍ أو حَذَرْ
وَسُوقُوا الهدايا إلى ربِّكم فما خَابَ مَن سَاقَها أو نَحَرْ
دَعُوها لِنَاجِيَةٍ إنّه لَنِعْمَ الفتى إن تَمَطَّى السَّفَرْ[2]

---

(١) بدار اسم فعل بمعنى أسرع .

(٢) ناجية بن جندب جعله النبي على الهدايا ، وفي البيت وما بعده إشارة إلى ما كان من أمره في الحديبية وهو مذكور في مكانه ، وتمطى امتدّ وطال .

دَليلكم الصّدقُ فيما مَضَى	يَشُقُّ الصّعابَ ، ويَهدِي الزُّمَرْ[1]
ولِلخَيْلِ قائدُها المُجتَبى[2]	وفَارسُها الشَّمَّريُّ[3] الأغرّ
رأوْها مُطَهَّمَةً في السّلاح	فطاروا يقولونَ : أمرٌ قُدِرْ[4]
أيا قومَنا إنّهم أقبَلوا	على الجُرْدِ في المُرْهَفَاتِ البُتُرْ[5]
خُذُوا حِذْرَكم ، وَاجمَعُوا أمركم	ألا إنّنا لا نَرى غيرَ شَرّ
وجاء ابنُ حصنٍ رسولاً يقول	مُحمدُ ما شأنكُم؟ ما الخَبَرْ؟[6]
أَتنتقضُ عهدَكَ تبغِي القِتالَ	وما كنتَ ممّن بَغَى أوغَدَرْ؟
قُريشُ على العهدِ ما بَدَّلوا	ولا كان منهم أذىً أو ضَرَرْ
عَلَى مَ السّلاح؟ وماذا تُريد؟	أتأبى لأنْفُسِنَا أن تَقرّ؟
فقال النبيّ : اهْدَأُوا إنّني	لأَوْلَى الوَرَى بوفاءٍ وبِرّ
سيبقَى السّلاحُ بعيدَ المكانِ	لِيأمَن مِن قومِنَا مَن ذُعِرْ
لِمَكّةَ حُرمتُها والذمام	ولِلّهِ سُبحانَهُ ما أَمَرْ
وأقبلَ في صحبِهِ الأكرمين	يَؤُمُّ البَنِيَّةَ ذاتِ السُّتُرْ
فيا ابنَ رُواحَةَ خُذْ بالزِمام	وقل في النبيِّ وفي مَن كَفَرْ[7]

---

(١) الجماعات .

(٢) هو محمد بن مسلمة . أقيم على الخيل .

(٣) الماضي في الأمور المجرب .

(٤) المطهم التام من كل شيء وهؤلاء نفر كانوا بمر الظهران فلما بلغته الخيل ورأوا السلاح طاروا إلى مكة فأذاعوا الخبر . وفزع القوم وقالوا إنا على عهدنا فما لمحمد يغزونا .

(٥) الجرد جمع الأجرد وهو من الخيل السّبّاق ، والمرهفات السيوف المرققة الحد ، والبُتُر القاطعة .

(٦) هو مكرز بن حصن الغادر .

(٧) عبد الله بن رواحة أخذ بزمام ناقة النبي وهو مقبل على البيت وصار يرتجز : خلوا بني الكفار عن سبيله إلى آخر ما قال .

جَـلا القـومُ يـأبـون لُقْيَـا النبي وأصحـابِهِ الـطاهـرينَ الغُـرر[١]
فـطافـوا وَصَـلُّوا وخَـفُّـوا مـعـاً إلى الـركنِ يَغشَـونـه والحَجَـرْ
وَقَضُّـوا المنـاسِـكَ مُسْتَبْشِـرينَ فـلم يـبـقَ مـن مـأربٍ أو وَطَـرْ
وجـاء حُـوَيـطبُ[٢] يَلْقَى النَبيَّ وصـاحِبَـهُ[٣] المـرتَجَى لـلغِيَـرْ
يـقـولان : إنّـا عـلى مَـوعـدٍ فما لَـكَ عن أرضِنَـا لم تَسِـرْ ؟
قَضَيْتَ الثـلاثَـةَ فـاذْهَـبْ إلى منَـازِلِ يَثْـرِبَ مـا مـن مَـفَـرّ
فـأرعـدَ سـعـدُ وجـاشتْ بـه حَـمِيَّـةُ مُسْتَـوفِـزٍ كـالـنَّمِـرْ[٤]
وألـقَـى بـصـاعـقَـةٍ تـسـتـطيـر على جَـانِبَـيْهَـا بُـروقُ الـشَّـرَرْ
فـقـال النبـيُّ : رُويـداً رُويـداً وأطـفـأ من غَـيْـظِهِ المستـعِـرْ
وحُمَّ الـرحيـلُ ، فنعمَ السَّـبيـل سبيـلُ القبيـلِ الجليـلِ الخَـطَرْ
هُمُـو صَبَرُوا ، فـانثـنـوا ظـافـرين ومـا الصّبـرُ إلا بَشِيـرُ الـظَّفَـرْ
فَـشُـكْـراً لـربٍّ يُـحبُّ التَّـقِـيَّ وَيُضفِي العـطَاءَ على مَن شَكَـرْ

---

(١) خرجوا من مكة حتى لا يدخلها عليهم النبي إلى أن يمضي الموعد ، وهكذا كتب في العهدى .

(٢) حويطب بن عبد العزى .

(٣) سهيل بن عمرو الذي تولى ابرام عهد الحديبية مع النبي .

(٤) سعد بن عبادة . غضب وأغلظ القول للرجلين ، فهدأ الرسول الكريم نفسه .

أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلالية
رضي الله عنها

إختارها اللّه زوجاً لرسوله الكريم في هذه العمرة ، وكان اسمها قبل ذلك (برة) فسماها (ميمونة) وهي أخت أم الفضل زوج العباس بن عبد المطلب ، وأخت أسماء بنت عميس زوج حمزة لأمها .

إسمٌ سَمَا لَفظُهُ وازدَانَ مَعناهُ ... حَلاَّكِ رَبُّكِ بالحُسْنَى وحَلاَّهُ

مَيمونةٌ أنتِ : هذا ما تَخيَّرهُ ... لَكِ الذي اختاره مِن خَلقِهِ اللّهُ

أوفى بِحمزَةَ والعبّاسِ مَجدهُما ... يا أختَ زَوْجَيْهِما والنّاسُ أشْبَاهُ

لأنتِ أكرمُ عند اللّهِ مَنزلةً ... يا زَوجَ أحمدَ إذ أعطاكِ إيّاهُ

لم تَعلمي : أمَطايا اللّهِ حاملةٌ ... منكِ الجلالَ المحلَّى ، أم مطاياهُ ؟

إلى المدينةِ سِيري في كِلاءتِهِ ... يا طِيبَ مثواكِ إن شارفتِ مَثواهُ[1]

قرِّي بِبعلكِ عَيْناً ، إنّه شَرَفٌ ... ما مِثلُهُ شَرَفٌ عالٍ ولا جاهُ

أطرَيْتُ فيكِ وفي المختارِ مُؤمنةً ... عَزَّتْ بأبلجَ ما تُحْصَى مَزَاياهُ[2]

عِزٌّ يُوطِّدُ للإسلامِ جَانِبَها ... مِنْ جانبِ اللّهِ مَوْلاها ومَوْلاهُ

ما انفَكَّ يتّخِذُ الأصهارَ يجعلهم ... لدينِهِ الهادمُ البانِي ودُنْياهُ

سياسةٌ ما رَمَى الطَّبُّ اللَّبِيبُ بها ... إلاّ أَصابَ باذنِ اللّهِ مَرماهُ[3]

---

(١) الكلاءة الحفظ .

(٢) الأبلج الحسن الطلق الوجه .

(٣) الطب الحاذق الماهر ، واللبيب العاقل .

وقُـوّةٌ لـرسـولِ اللّهِ شـائعـةٌ   بين القبـائِـلِ يـرعـاهـا وتَـرعـاهُ
وسنَّـةٌ لبني الإسـلامِ يَشـرعُهـا   والخيـرُ أجمعُ شـرعٌ من سجايـاهُ
همْ أسرةٌ في ظلالِ اللّهِ واحـدةٌ   تَمضِي على الحقِّ ، تَرجوه وتخشاهُ
لا تَعـرِفُ الرُّشـدَ إلا في شَرائِعِـهِ   ولا تَـرَى الخيـرَ إلا في وَصَـايَـاهُ
دِينُ الأُلَى يُؤثـرون العـزَّ مَنـزلـةً   مـا كانَ أَهْـوَنَ دُنيا النّـاسِ لولاهُ
لكـلِّ شعبٍ بِنـاءٌ ليس يُمسِكُـهُ   شـيءٌ إذا نـام عنـه مَـن تَـولّاهُ
لولا الأواصِرُ والأرحـامُ ما التـأمتْ   مِنه الصُّدوعُ ، ولا انضمَّتْ شَظَايَاهُ

إسلام خالد بن الوليد وعثمان بن أبي طلحة وعمرو بن العاص رضي الله عنهم

قال خالد رضي الله عنه، لما جاء النبي ﷺ لعمرة القضية تغيبت ولم أشهد دخوله، وكان أخي الوليد دخل مكة معه. فطلبني فلم يجدني فكتب إليَّ.

« بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد فإني لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الإسلام، وقلة عقلك. ومثل الاسلام هل يجهله أحد ؟؟ سألني عنك رسول الله ﷺ فقال: أين خالد ؟؟ قلت . يأتي به الله : قال: ما مثله يجهل الإسلام ، ولو كان يجعل نكايته مع المسلمين على المشركين لكان خيراً له، ولقدمناه على غيره، فاستدرك يا أخي ما فاتك . فقد فاتك مواطن صالحة » .

قال خالد : فلما جاءني كتابه نشطت للخروج، وزادني رغبة في الإسلام، وسرتني مقالة رسول الله ﷺ . ورأيت في المنام كأني في بلاد ضيقة جدبة. فخرجت الى بلاد خضراء واسعة .

ثم خرج إلى المدينة. فلقي صفوان بن أمية، وعكرمة بن أبي جهل، وعثمان بن طلحة، فعرض عليهم الاسلام. فما قبله الا عثمان، ولقي خالد وصاحبه عمرو بن العاص فوافقهما، وقدموا على النبي فأسلموا، رضي الله عنهم .

قُـم وَدِّعِ الأوثـانَ والأصنـامـا أفمـا ترَى بُـرهـانَ رَبِّـكَ قـامـا ؟
يـا خالـدُ اعمدْ للتي هي عِصمـةٌ لِـذَوِي البصائِـر، وانبـذِ الأوهـامـا
اللّهُ ربُّ الـعـالـمـيـنَ وديـنُـه دِينُ السّـلامِ لمن أراد سـلامـا

قـرأ كِتابَ أخيـكَ،مالـك مصرفٌ عّمـا يُريـدُ ،ولن ترى الإحجـاما
قْبِـلْ رَعـاكَ اللهُ، إنّـك لن تَـرى كسبيـلِ رَبِّـكَ مَـطلبـاً ومَـراما
سَـألَ النبيُّ بـأيِّ حـالٍ خـالـدٌ أفمـا يَـزالُ يُجـانِبُ الإسلامـا ؟
إنّـي رأيتُ لـخـالـدٍ مـن عـقـلِهِ فيمـا يُمارسُ مُـرشـداً وإمـامـا
مـا مِثلهُ يـرتـابُ في دينِ الهُـدى فَيرى الضّيـاءَ المستفيضَ ظـلامـا
إنّـا لنَعـرفُـه رشـيـداً حـازمـاً ونـراه شَهماً في الـرجالِ هُمـامـا
لـو أنّـه جَعـلَ المضـرَّة والأذى للمشـركينَ لمـا استحقَّ مَـلامـا
ولكـان عِنـديَ يـا وليـدُ مُقَـدَّمـاً يَـلْقَى لَـدَيَّ الـبِـرَّ والإكـرامـا

* * *

أقبِلْ أخي وتَلافَ أمرَكَ، لا تكن مِمَّنْ إذا وَضَـح السَّبيـلُ تَعـامَى
كم مَوطنٍ جَلَلٍ لو انّك لم تَغِبْ عنـه، لكنتَ إذاً أجـلَّ مَقـامـا
يَكفيكَ ما ضيَّعت ، ليس بحـازمٍ مـن لا يـزالُ يُضيِّـعُ الأيـامـا

* * *

نشط الهمـامُ، وراحَ يُـدرِكُ نفسَـه يبغِي لهـا عِـنـدَ النبيِّ ذِمـامـا
ألقَى إلى الوادي الخصيبِ بِرَحْلِهِ فـأصـابَ فيـه مَـرْتَعـاً ومَسـامـا[1]
أيُقيمُ بالوادي الجـديبِ فلا يـرى إلّا سَـرابـاً كـاذبـاً وجَهـامـا[2]
لاقـى بعكـرمـةٍ وبـابـنِ أُميَّـةٍ شَـرّاً يَـعُـبُّ عُـبَـابـهُ وعُـرامـا
قـالَ: ائْتِيَا نَبغِي النجـاةَ فأعـرضا وتَنـازعـا قـولاً يشبُّ ضِـرامـا[3]

---

(١) المسام المرعي :
(٢) الجهام السحاب لا ماء فيه .
(٣) قال خالد: «لقيت صفوان بن أمية فقلت يا أبا وهب أما ترى أن محمداً ﷺ ظهر على العرب والعجم . فلو قدمنا عليه فاتبعناه فإن شرفه لنا » ـ قال : لو لم يبق غيري ما اتبعته أبداً . =

وأجابها عثمانُ دعوةَ ناصحٍ يأبى الهوى ويُجانِبُ الآثاما
مَضَيا على سَنَنِ الطريقِ فصادفا عَمْراً فقالا مالنا ؟ وإلى ما ؟[1]
يا عَمْرُو دِينَ اللهِ،لسنا كالأُلى جعلوا الحلالَ من الأمورِ حَراما
قال: اهتديتُ، ولن أكونَ كمن يُرى طُولَ الحياةِ لنفسِهِ ظَلّاما
ومَشَوْا، فما بَلَغَ الرسولَ حَدِيثُهم حتّى بدا متهلّلاً بَسّاما
سرَّته مَكّةُ إذ رَمَتْ أفلاذَها كَبِداً تُكِنُّ الحُبَّ والإعظاما[2]
بعثَتْ إليهِ من الجبالِ ثلاثةً رَضوى يُصاحِبُ يَذْبُلاً وشِماما[3]
خَفَّ الوليدُ يقولُ: لا تتمهّلوا إنّ الحديثَ إلى النبّي تَرامى[4]

قلت هذا رجل قتل أبوه وأخوه ببدر ، فلقيت عكرمة بن أبي جهل فقلت له مثل ما قلت لصفوان . فقال مثل الذي قال صفوان، ثم لقيت عثمان بن طلحة . فقلت . هذا لي صديق ، فأردت أن اذكر ما عندي . ثم ذكرت من قتل من آبائه وأخوته فكرهت ثم قلت وما علي ؟ فقلت له : انما نحن بمنزلة ثعلب في جحر لو صب عليه ذنوب من ماء لخرج . ثم قلت له ما قلت لصفوان وعكرمة فأسرع الإجابة (الذين قتلواهم أبوه طلحة وعمه عثمان ، وإخوته مسافع والجلاس والحارث وكلاب) قتلوا جميعاً يوم أحد .

(١) قال خالد : لقينا عمرو بن العاص فقال : مرحباً بالقوم ، أين مسيركم ؟ قلنا : الدخول في الإسلام ، قال : هذا الذي أقدمني : وفي رواية أنه قال لخالد : يا أبا سليمان أين تريد ؟ قال : والله لقد استقام الميسم ، وظهر الأمر ، وإن هذا الرجل لنبي . فاذهب فأسلم . فحتى متى ؟؟ قال عمرو : أنا ما جئت إلا لأسلم ، وسنن الطريق نهجه وجهته ومعظمه .

(٢) لما بلغ النبي خبر قدومهم قال لأصحابه : رمتكم مكة بأفلاذ كبدها .

(٣) رضوى ويذبل وشمام أسماء جبال .

(٤) قال خالد : لقيني أخي فقال : أسرع فان رسول الله ﷺ قد سر بقدومكم وهو ينتظركم ، فأسرعنا المشي ، فاطلعت عليه ، فما زال يبتسم لي حتى وقفت عليه ، فسلمت عليه بالنبوة فرد علي السلام بوجه طلق . فقلت . أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ، قال ، الحمد لله الذي هداك،قد كنت أرى لك عقلا رجوت أن لا يسلمك إلا إلى خير ، قلت يا رسول الله ادع الله أن يغفر لي تلك المواطن التي كنت أشهدها عليك . قال : الاسلام يجب ما كان قبله ، وتقدم عثمان وعمرو فأسلما . رضي الله عنهما وعنه .

حُثُّوا المَطِيَّ، فإنّه مُترقّبٌ   وأرى جوانحكم تَرِفُ أُواما

* * *

وَفَدوا كِراماً يؤمنون بربّهم   ورسوله بيضَ الوجوهِ وِساما
نَفَضُوا الهوانَ عن الجباهِ فأصبحوا   شُمَّ المعاطِس يرفعون الهاما[1]
أفيعبدونَ مع الغُواةِ حِجارةً ؟   أم يَعبدونَ الواحدَ العلّاما ؟
كُشِف اللِثامُ عن اليقينِ، ولن تَرى   كالجهلِ سِتراً، والغرورِ لِثاما[2]
لو طَاوعَ النّاسُ الطبيبَ لما اشتكى   مَن يَحمِلُ الأدواءَ والآلاما
إعرفْ لربّكَ حقَّهُ، فَلِحكمةٍ   خَلقَ العُقولَ وأنشأَ الأحلاما[3]
أرأيتَ كالإسلامِ دِيناً قَيّماً   سَاسَ الأُمورَ، ودبَّرَ الأحكاما ؟
اللهُ أحكَمَ أمرَهُ وأقامَهُ   للعالمينَ شريعةً ونظاما
نادىَ النبيُّ به فأفزعَ صوتُه   أُمماً بآفاقِ البلادِ نِياما
وَدعَا إليه، وسَيْفُه بِيَمينهِ   يَمضِي حياةً مَرَّةً وحِماما
تَمضِي أباطيلُ الحياةِ، ولن ترى   لِسَوى الحقائقِ في الزّمانِ دَواما

* * *

صَعقتْ نُفوسُ المشركينَ وهالهم   هَمٌّ إذا انجلتِ الهمومُ أقاما
قالوا: فقدناهم ثلاثةَ قادةٍ   ما مِثلهمُ بأساً ولا إقداما
ما أعظمَ البلوى ويا لكِ نَكبةً   ملَكتْ علينا النّقضَ والإبراما[4]

---

(١) المعاطس جمع المعطس وهو الأنف ، والهام جمع الهامة وهي الرأس .
(٢) اللثام النقاب .
(٣) العقول .
(٤) الحلّ والعقد من نقض الحبل إذا حلّه وابرمه جعله طاقين ثم فتله .

نـزل البـلاءُ بنـا فكـانَ مُضـاعفـاً وجَرَى العذابُ معاً، فكانَ غَراما[١]

* * *

إني إخـالُ البَيْتَ يُشـرقُ جَـوُّهُ وإخـالُ مكّـةَ تـرَفـعُ الأعـلامـا

يـا ابن الوليـدِ لـك الأعِنَّـةُ كلّهـا فَالْقَ المقانِبَ، وادفعِ الأقوامـا[٢]

سترى المشاهِدَ تَرجُفُ الدنيا لهـا وتـرى الحصـونَ تَمِيـدُ والآطـامـا

بَشِّـرْ حُمـاةَ الشّـرِك منـك بـوقعـةٍ تُـوهي القُوَى وتُـزلزِلُ الأقـداما[٣]

---

(١) هلاكاً .

(٢) ما زال خالد على أعنة الخيل منذ أسلم . والمقانب جمع مقنب والمقنب الجماعة من الخيل من الثلاثين إلى الأربعين أو زهاء الثلثمائة .

(٣) توهي تُضعِف .

غزوة مؤتة

كانت في جمادى الأولى سنة ثمان. ومؤتة موضع معروف عند الكرك بالشام. وسببها أن النبيﷺ بعث الحارث بن عمير الأزدي إلى هرقل ملك الروم بالشام بكتاب منه، فلما بلغ مؤتة تعرض له شرحبيل بن عمر الغساني من عمال قيصر ثم ربطه وقتله[1].

فسير النبي لمقاتلة ملك الروم ثلاثة آلاف رجل من أصحابه بقيادة زيد ابن حارثة[2].

وعقد له لواء أبيض دفعه إليه، وأوصاهم أن يأتوا مؤتة فيدعوا من بها إلى الإسلام فإن أبوا قاتلوهم. فلما أتوا معان بلغهم أن هرقل في مائة ألف من قومه، ومثلهم من العرب المتنصرة[3].

ومعهم من الخيل والسلاح ما ليس مع المسلمين، ولقيتهم الجموع فاقتتلوا، وهزم الروم والذين معهم من العرب هزيمة منكرة بعد مقتلة كبيرة على يد خالد بن الوليد رضي الله عنه، وقد لقبه النبي ﷺ بسيف الله من يومئذ.

وَدِّعْ ذَوِيكَ وسِر في شأنِكَ الجَلَلِ ... لله يا ابنَ عُمَيرٍ أنتَ من رَجُلِ
سِرْ بالكتابِ رَسولاً حَسْبُهُ شَرفاً ... أن راحَ يَحمله مِن أشرفِ الرُّسُلِ

(١) لم يقتل للنبي رسول غيره.
(٢) قال النبي: إن أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب على الجيش، فإن أصيب فعبد الله بن رواحة، وقد أصيب الثلاثة رضي الله عنهم.
(٣) هم بنو بكر ولخم وجذام.

يا حاملَ الجبلِ المرقومِ دُونَكَـهُ   مَن ذا سِواكَ رعَاكَ اللّهُ لِلجَبَـلِ ؟

إلى هِـرَقْـلِ تـأنّى دُونَ سُـدَّتِـهِ   صِيدُ الملوكِ، وتلقاهُ على مَهَلِ[1]

تَـرتدُّ عن تـاجِهِ الأبصـارُ خاشعـةً   فمـا تُـلاحِـظُه إلاّ على وَجَـلِ[2]

إليـهِ يـا ابنَ عُمَيْرٍ لستَ وَاجِدَهُ   إلاّ امْـرءاً هَمَلاً في معشـرٍ هَمَلِ

لأنتَ أعــظمُ منــه في جـلالتِـه   وما جلالةُ غاوِي الرأيِ مُختبَلِ ؟

لا يَعـرِفُ الدّينَ إلا فتنـةً وهَـوىً   أعْمَى المقـاصدِ والآفـاقِ والسُّبُلِ

هــذا كتـابُ رَسـولِ اللّهِ يُنـذِره   فـاذهبْ إليه وخُـذْهُ غيـرَ مُحتفَـلِ

* * *

مَهْلاً شُرَحَبيلُ لا حُيِّيتَ من رَجُلٍ   إن هَمَّ بالشَّرِّ لا يحفِـلْ ولم يُبَلِ

بـادي الشراسـةِ عـادٍ مـا يُـلائِمُـه   في موضعِ الذَّمِّ إلا أسوأَ المَثلِ

هـاجَتْهُ من نَـزَواتِ الجهلِ ثـائرةٌ   لم تُبْقِ من كَلَبٍ يَهتاجُ أو ثَوَلِ[3]

فـطاح بـابنِ عُمَيْرٍ بـاسـلاً بـطلاً   يَفُلُّ في الرَّوْعِ بأس الباسلِ البطلِ[4]

يـا للرَّبيطِ، يَسـلُّ السيفُ مُهجتَـهُ   في غيـرِ مُعتَرَكٍ حَـامٍ ومُقتَتـلِ[5]

كـذلـك الغـدرُ، لا ظُلْمٌ بِمُجتَنبٍ   في الغـادرينَ ، ولا لُؤْمٌ بِمُعْتَـزَلِ

ما كانَ ذَنْبُ امرىءٍ في اللهِ مُرتَحِلٍ   يرجوه في كـلِّ مُحتَلٍّ ومُـرتَحَل ؟

* * *

سِرْ يا ابنَ حارثةٍ بالجيشِ ، تقدمه   هـذا لواؤكَ فـابعثـه على عَجَـلِ

---

(١) السدّة الرتبة والمنصب .

(٢) خوف .

(٣) الثول عارض من جنون ، والكَلَب داء يشبه الجنون يأخذ الكلاب .

(٤) الروع الحرب ، ويفلّ يثلم أي يكسر .

(٥) الربيط المربوط .

أُدْعُ الألى اتخذوا العَمياءَ وارتكسوا ... فيها إلى أرشدِ الأديانِ والمِلَلِ (١)
فإن أبَوْا فَسيوفُ الله تأخذهم ... من كلِّ مُتَّقِدِ الحدَّيْنِ مُشْتَعِلِ
أمْرُ النبيِّ فَسِرْ يا زيدُ مُمتثلاً ... والجندُ جُندُكَ ما تَأمُرْهُ يَمْتَثِلِ
فإن أُصِبْتَ، فمن سَمَّى على قدرٍ ... وليس للنفسِ إلا غايةُ الأَجَلِ
إتْبَعْ وصاياه فيما لا يَحِلُّ لكم ... ولا يَلِيقُ بكم مِن سيِّءِ العَمَلِ (٢)
دَعُوا الصوامِعَ واسْتَبْقُوا النِساءَ ولا ... تُؤذوا صَغيراً، ولا تُودُوا بِمُكْتَهِلِ (٣)
لا تقطعوا شَجَراً، لا تَهدِموا جُدُراً ... لا تقربوا ما استطعتم مَوطِنَ الزَّلَلِ (٤)

* * *

هذا هرقلُ يسوقُ الجيشَ مُرتكماً ... كالعارِضِ الجوَنْ يرمِي الأرضَ بالوَهَلِ (٥)
يُزجِي الكتائبَ من رُومٍ ومن عَرَبٍ ... في المُرْهفاتِ المواضي والقَنا الذُّبُلِ (٦)
والصَّافناتِ تَهادَى لا عِدادَ لها ... من كلِّ مُنذَلِقٍ في الكَرِّ مُنجفلِ (٧)
إنّ الذين أداروا الرأيَ وانتظروا ... لم يَبْرحِ النَّصرُ مولاهم ولم يَزَلِ (٨)

---

(١) ارتكسوا أقاموا وثبتوا .

(٢) قال لهم الرسول الكريم وهو يودعهم - أوصيكم بتقوى الله وبمن معكم من المسلمين خيراً ، اغزوا باسم الله فقاتلوا عدو الله في الشام ، وستجدون فيها رجالا في الصوامع معتزلين فلا تتعرضوا لهم ، ولا تقتلوا امرأة ولا صغيرا ، ولا بصيراً فانيا ولا تقطعوا شجرا ، ولا تهدموا بناء .

(٣) الصوامع جمع الصومعة والصومع جبل أو مكان مرتفع يسكنه الراهب أو المتعبّد قصد الانفراد ، وأودي به أهلكه .

(٤) الانحراف عن الحقّ أو الصواب .

(٥) العارض السحاب المعترض في الأفق، والجون الأسود، الوهل الضعف والفزع .

(٦) يزجي يسوق ، والقنا الذبل الرماح الدقيقة .

(٧) الصافنات الخيل، ومنجفل مسرع .

(٨) علموا بأمر هرقل وجنوده ، فأقاموا ليلتين ينظرون في أمرهم : أيطلبون النجدة . أم ماذا ؟ .

الـغـالبـون وإن قـلّوا وظَنّ بـهم ... ما يكرهُ اللّهُ أهلُ الزُّورِ والخَطَلِ[١]

لم يلبثِ القـومُ حتّى قال قـائلُهم ... فِيمَ الحوارُ؟وهل في الأمرِ من جَدَلِ[٢]

إنّا خرجنـا نريـدُ اللّهَ، فـاسْتَبِقُـوا ... من كـلِّ مُنتَهِبٍ للخيرِ مُهْتَـبِلِ[٣]

لو زالتِ الأرضُ أو حَالتْ جَوانبُها ... بِمَنْ عليهـا مِنَ الأقـوامِ لم نَحُلِ

هُمـا سبيلانِ، إمّـا النصرُ نُـدرِكُـه ... أو جنّـةُ الخُلدِ فيها أطيبُ النُّـزُلِ

لسنـا نُقـاتِـلُ بـالآلاف نَحشُـدهـا ... ألفـاً لألفٍ من الأبـطالِ مُكتمِـلِ

إنّـا نقاتـلُ بالـدِّينِ الـذي ضَمنتْ ... أعـلامُه النّصـرَ في أيّـامِنـا الأُوَلِ

لـولا مقالـةُ عبدِ اللهِ مـا انكشفتْ ... تِلكَ الغَواشِي، ولولا اللّهُ لم يَقُلِ

* * *

تَقلَّدُوا العــزمَ للهيجـاءِ وادَّرَعُــوا ... من صادِقِ البأسِ ما يُغني عن الحِيَلِ[٤]

وأقبلوا لـو تَميـلُ الشُّمُّ من فَـزَعٍ ... لم يضطربْ جَمعُهم خَوْفَاً ولم يَمِلِ[٥]

يـا مُؤْتَةُ احْتَمِلي الأهـوالَ صابِـرةً ... هيهاتَ ذلك شيءٌ غيـرُ مُحتَمَلِ[٦]

جِنُّ الكريهةِ يَستشِري الصِّيالُ بهم ... في مَوطنٍ لو رأته الجِنُّ لم تَصُلِ[٧]

---

(١) الخطل الحمق والمنطق المضطرب.

(٢) عبد الله بن رواحة. قال لهم يا قوم والله إن الذي تكرهون للذي خرجتم له، خرجتم تطلبون الشهادة ونحن ما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله تعالى به فإنما هي إحدى الحسنيين، إما ظهور وإما شهادة. قالوا: صدقت ومضوا للقتال.

(٣) اهتبل الأمر اغتنمه.

(٤) ادّرع لبس الدرع.

(٥) الشم جمع الأشم المرتفع والمقصود الجبال.

(٦) هيهات اسم فعل معناه بَعُدَ.

(٧) استشرى تفاقم وعظم، والصيال السطو والقهر.

مـا زَالَ قـائـدُهم يُلقِي بِمُهجتِه ... يَرمِي المنيَّةَ في أنيابِها العُصُـلِ [1]
يَغْشَى مَـواردَ من أهـوالِهـا لُجَجـاً ... تلك الموارِدُ، ليس الغَمْرُ كالوَشَلِ [2]
ما مَن يخوضُ الوغَى تطغَى زَواخِرُها ... كَمَنْ يُجـانِبُهـا خَـوْفـاً من البَلَلِ
يا زَيْدُ أدَّيتَ حقَّ اللّهِ فامْضِ على ... نَهْجِ الأُلى انتقلوا من قبلُ وانْتَقِلِ
أبـوُا إلى خيـرِ دارٍ، مـا لِنَـازِلِهـا ... من أَوْبةٍ تبعثُ الأشجانَ أو قَفَلِ [3]
يَسْلُو أخو العقلِ عن دارِ الهُمومِ بها ... ويَحْتَـوِي مَنـزِلَ الأدواءِ والعِلَلِ [4]
جَـاهدْتَ في اللّهِ تُـرضيهِ وتَنصُـره ... لم تَلْقَ من سَـأمٍ يومـاً ولا مللِ
هـذا الذي نَبَّأَ اللّهُ الـرسـولَ بـهِ ... فَاغْنَمْ ثَوابَك، وَالْقَ الصَّحْبَ في جَذَلِ
وأنتَ يـا جعفرُ المـأمـولُ مَشْهَـدُه ... خُـذِ اللّواءَ وجَـاوِزْ غـايـةَ الأمـلِ
هـذا جَـوادُكَ مـا حَـالتْ سَجِيَّتُـه ... ولا ارْتَضى بِـوَفاءِ الحُـرِّ من بَدَلِ
عَقَـرْتَـهُ، ورَكبتَ الأرضَ ،تَمنعُـه ... مَواطِنَ السُّوءِ من ضَنٍّ ومن بَخَلِ [5]
أكـرمتَهُ ، وحَـرمتَ القـومَ نجـدتَـهُ ... فَصُنتَ نفسَكَ عن لَوْمٍ وعن عَذَلِ [6]
دَلَفتَ تَمشي على الأشلاءِ مُقتحِماً ... والقومُ مُنجدِلٌ في إثرِ مُنْجَدِلِ [7]
فقدتَ يُمناكَ، فانصاتَ اللّواءُ على ... يُسراكَ ، ما فيه من أَمْتٍ ولا خَلَلِ [8]
حَتَّى هَوَتْ فجعلتَ الصدرَ مَوضِعَهُ ... كـأنّه منـه بِضْعٌ غيـرُ مُنفَصِلِ [9]

---

(١) المعوجة .
(٢) الغمر الماء الكثير والوشل القليل منه .
(٣) رجوع .
(٤) اجتوى المنزل والشيء كرهه .
(٥) عقره نحره .
(٦) عذل : ملامة .
(٧) دلف تقدّم، والمنجدل المقتول .
(٨) انصات بمعنى انتصب، والأمت الاعوجاج .
(٩) البضع من الشيء القطعة منه .

يَضمُّهُ ضَمَّ صَادِي النّفسِ، يُولِعهُ بمنَ أطـالَ صَـداهُ لَـذّةُ القُبَـلِ [1]
يا قائدَ الجيشِ، ضَجَّ الجيشُ من ألمٍ وأنت عن دَمِكَ المسفوكِ في شُغُلِ
تَقضِي الذمامَ، وتَمضِي غيرَ مُكتَرِثٍ كأنّما الأمرُ لم يَـفدَحْ ولم يَهُـلِ [2]
لَقِيتَ حَتْفَـكَ في شَعْوَاءَ عَـاصِفـةٍ حَرَّى الجوانحِ ظَمْأى البيضِ والأسَلِ [3]
أعـطيتَهـا مِنـكَ نَفْسـاً غيـرَ واهنـةٍ أعْطَتْكَ سَوْرَةَ مَجدٍ غيرِ مُنْتَحلِ [4]
لـكَ المنـاقبُ لم تُقْـدَرْ غَـرائِبُهـا مِلءَ المشاهِد، لم تُعْهَدْ ولم تُخَلِ [5]
مَن يُؤْثِـر الحقَّ يبذُلْ فيـه مُهْجَتَه ومن يَكُنْ هَمُّهُ أقصَى المدَى يَصِلِ
لا شيءَ يُعجِزُ آمالَ النّفـوسِ إذا خَلَتْ من الضّعفِ واسْتَعصتْ على الكَسَلِ
إنهضْ بِعِبْئِـكَ عبدَ اللهِ مُضـطلِعـاً بكلِّ ما تحمـلُ الأطوادُ من ثِقَـلِ
هـذا مَجالُـكَ، فَارْكُضْ غيـرَ مُتَّئِدٍ وإنْ رأيتَ المنـايـا جُـوَّلاً فَجُـلِ
كم جِئْتَ بالعَرَبيِّ السَّمْحِ مُرتَجِلاً واليومَ يومُ منـايا الـرُّومِ فَارْتَجِـلِ
لـلعبـقـريّـةِ فيـهِ مَـظْهَـرٌ أنِـقٌ يا حُسْنَهُ مَظهراً لو كان يَقـدِرُ لي
قَنعتُ بالشّعرِ أغـزو المشركينَ بـه فلم أُصِبْ فيـه آمـالي ولم أنَـلِ
لَقَـطْرَةٌ من دَمِي في اللهِ أبـذلُهـا أبقَى وأنفعُ لي مِن هذهِ الطِّوَلِ [6]
تَقَلَّدَ القومُ مِلءَ الدّهرِ من شـرفٍ وليس لي من غَواليِها سِوَى العَطَلِ
إن شاءَ ربّي حبَاني من ذَخائِرهـا أغْلَى الحِلَى، وكَساني أشرفَ الحُلَلِ
الحمدُ للهِ، أجرى النّـورَ من قَلمي هُدًى لقومِي، وعافاني من الخَبَلِ [7]

---

(١) الصادي هنا المشتاق .
(٢) هال الأمر عظم .
(٣) صفات للحرب . والبيض السيوف، والأسل الرماح .
(٤) سورة المجد أثره وعلامته .
(٥) المناقب جمع المنقبة المفخرة ، وتُعهد تُعرف ، وتُخال تُظن .
(٦) القصائد الطوال .
(٧) الفساد .

أوتيتُ ما جاوزَ الآمالَ من أدبٍ ... عالِي الجلالِ، مَصُونٍ غيرِ مُبْتَذَلِ
يا شاعرَ الصِّدقِ ما خابَ الرجاءُ ولا ... مِثْلُ العطاءِ الذي أدركَت والنَّفَلِ [1]
خُذْ عِندَ ربِّكَ دارَ الخُلدِ تَسكنُها ... قُدسيَّةَ الجوِّ والأرواحِ والظُّلَلِ
آثرتَهُ، واصطفيتَ الحقَّ تَكْلَؤُه ... مِمّا يُحاوِلُ أهلُ الغَيِّ والضَّلَلِ [2]
ليس العرانينُ كالأذنابِ منزلةً ... ولا الغَطارِفةُ الامجادُ كالسَّفَلِ [3]

* * *

يا عُقبَةُ اصْدَعْ بها بَيضاءَ ناصِعَةً ... تَنْفِي الوَساوِسَ، أو تَشفِي من الغُلَلِ [4]
القتلُ أجدرُ بالأحرارِ يأخذُهم ... مُستبسِلينَ، ويَنهاهم عن الفَشَلِ
ويا ابن أرقمَ نِعمَ المرءُ أنتَ إذا ... تُنوزِعَ الأمرُ عند الحادثِ الجَلل [5]
قالوا: لكَ الأمرُ فاخترتَ الكفيَّ له ... وأنتَ صَاحِبُهُ المَرجوُّ لِلعُضَلِ [6]
لكنَّها نَفْسُ حُرٍّ ذِي مُحافَظَةٍ ... صَافِي السَّريرةِ، بالإيمانِ مُشْتَمِلِ
صُنْتَ اللّواءَ وآثرتَ الأحقَّ به ... إيثارَ أغلبَ لا واهٍ ولا وَكَلِ [7]

---

(١) اشارة إلى قوله عند خروجه إلى هذه الغزوة .

لكنّني أسألُ الرحمن مغفرةً ... وضربةً ذات فرغٍ تَقذفُ الزَّبَدَا
أو طعنةً بِيَدَيْ حَرّانَ مُجهِزَةً ... بحربةٍ تَنفذُ الأحشاءَ والكبدا
حتّى يقولوا إذا مَرُّوا على جَدَثِي ... أرشدَكَ الله من غازٍ وقد رشدا

(٢) الضلل اسم من الضلال .

(٣) العرانين جمع العرنين الأنف والمقصود السادة الشرفاء ، والغطارفة جمع الخطريف السيّد .

(٤) هو عقبة بن عامر . لما قتل عبد الله بن رواحة اختلط المسلمون مع المشركين ، وأراد بعض الأولين التنحي عن القتال فقال ـ يا قوم لأن يقتل الأنسان مقبلا خير له من أن يقتل مدبراً فثبتوا وقويت أنفسهم » .

(٥) ثابت بن أرقم . أخذ اللواء بعد عبد الله بن رواحة وقال للمسلمين : من تختارون له ؟؟ قالوا أنت ، فتقدم به إلى خالد بن الوليد وأعطاه إياه . فأبى خالد أن يقبله لأول مرة إيثاراً لثابت . فألح عليه فقبله .

(٦) العضل الدواهي . جمع عضلة ، والكفّي الذي يكفيك ويُغنيك عن غيره .

(٧) الواهي الضعيف والوَكِل الجبان العَاجز .

أبى عليه حَياءٌ زادَهُ عِظماً ... ما مِثْلُه من حَياءٍ كان أو خَجَلِ
قُلتَ: اضْطِلِعْ خالدُ بالأمرِ فَاسْتَعَرتْ ... مِنهْ حَمِيَّةُ لا آبٍ ولا زَحِلِ[1]
وَراحَ يُبدِعُ من كَيْدِ الوغَى نَمطًا ... طاشتْ مَرائيهِ بالألبابِ والمُقَلِ[2]
رَمَى العِدَى حُوَّلُ شَتَّى مَكائِدُه ... جَمُّ الأحابيلِ، يُعيي كلَّ مُحْتَبِلِ[3]
ظَنُّوا الجنودَ تَنحَّتْ عن مَواقِفِها ... لغيرها مِن عَمىً بالقومِ أو حَوَلِ
جَيْشٌ من الرعبِ يَمْشِي ابنُ الوليدِ بِهِ ... في مُسْبِلٍ من مُثارِ النَّقعِ مُنْسَدِلِ
ضَاقُوا بمُفْتَرِسٍ، في الهَوْلِ مُنْغَمِسٌ ... لِنَفْسِهِ في غِمارِ الموتِ مُبْتَسِلِ[4]
أذاقهم من ذُعافِ الموتِ ما كرهوا ... ما كَفَّ عَنْ عَلَلٍ منه ولا نَهَلِ
ما لِلمُسِيئِينَ إلاّ كلُّ مُعْتَزِمٍ ... في الرَّوْعِ يُحْسِنُ ضَرْبَ الهامِ والطُّلَلِ[5]
رَمَتْ بِهم هَبَواتُ البأسِ فانكشفوا ... يَنْدَسُّ هَارِبُهم في كُلِّ مَدَّخَلِ
بِئسَ الجنودُ أضلّتهم عَمَايَتُهُمْ ... فما لهم بجنودِ اللّهِ من قِبَلِ
ظَنّوا الأُمورَ لغيرِ اللهِ يَملكها ... إذا جَرَتْ بين مُعْوَجٍّ وَمُعْتَدِلِ
وحاربوا الحقَّ من جَهْلٍ ومن سَفَهٍ ... والحقُّ فوقَ مَنالِ المعشرِ العُثُلِ[6]
ما يَنقمُ الناسُ من دِينٍ يُرادُ بهِ ... فَكُّ العقولِ من الأغلالِ والعُقُلِ[7]

---

(١) الزحل المتنحي المتباعد، والآبي الكاره.
(٢) غير خالد نظام الجيش فجعل مقدمته ساقة وساقته مقدمة، ووضع الميمنة مكان الميسرة والميسرة في موضع الميمنة. فظن القوم أن مدداً لحق به، فأصابهم الرعب، ووهنت قواهم فانهزموا، والنمط الطريق والمذهب.
(٣) الجوّل ذو الحيلة، والمحتبل الصائد الذي يأخذ الصيد بالحبالة.
(٤) وأل نجا.
(٥) ابتسل نفسه للموت بمعنى وطنها له.
(٦) الطلل الاعناق جمع طلة.
(٧) العثل جمع عثول وهو الأحمق.
(٨) جمع عقال. وهو الحبل يعقل به البعير في وسط ذراعه.

فَلْيَصْبِرِ القومُ: إنّ اللهَ مُظهِرُه على الممالكِ والأديانِ والنِّحَلِ
لَدولةُ اللهِ أبقى في خليقتِه فلا يَغُرَّنْكَ ما اسْتَعْظَمْتَ من دُوَلِ
أدعوكَ يا ربِّ للاسلامِ مُبتهِلاً وأنت تسمعُ دَعْوَى كلِّ مُبْتَهِلِ
نَام المحامونَ عنه، فهو مُضطهدٌ يشكو الأذى في شُعوبٍ خُضَّعٍ ذُلُلِ
صَرحٌ من العزِّ والسُّلطانِ ما بَرِحتْ تَهْوِي صَياصيهِ حتّى عَادَ كالطَّلَلِ (٨)

---

(١) الصياصي الحصون، والطلل ما ظل باقيا من البناء المنهدم .

الفتح الأعظم - فتح مكة

كان خروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى مكة مع جنوده المظفرين في شهر رمضان من السنة الثامنة على أصح الروايات، وكان عدد الجيش عشرة آلاف مقاتل أو اثني عشر ألفاً - وسبب ذلك أن رجالا من بني بكر الذين دخلوا في عهد قريش عهد الحديبية عدوا على رجال من خزاعة فقتلوهم، وكانت خزاعة قد دخلت في عهد النبي، فانتقض العهد بذلك . وحل القتال، وإنما دخلت خزاعة في عهده ﷺ لحلف كان بينها وبين جده عبد المطلب بن هاشم حين أخذ عمه نوفل ما كان بيده من أمر السقاية . فحالف عبد المطلب خزاعة، وحالف نوفل بني أخيه عبد شمس وقد جاء رجال خزاعة يوم الحديبية الى النبي بكتاب جده عبد المطلب في ذلك الحلف، فقرأه عليه أُبَيّ بن كعب رضي الله عنه، وكان يعرفه قبل ذلك فقال: ما أعرفني بحلفكم، وأنتم على ما أسلمتم عليه من الحلف. وكل حلف كان في الجاهلية فلا يزيده الإسلام إلا شدة[1] ولا حلف في الإسلام[2] .

حلف عبد المطلب

باسمك اللهم . هذا حلف عبد المطلب بن هاشم لخزاعة، إذ قدم عليه سرواتهم وأهل الرأي منهم يقر بما قاضى عليهم شاهدهم . أن بيننا وبينكم عهود الله وعقوده، وما لا ينسى أبداً، اليد واحدة. والنصر واحد، ما أشرف ثبير، وثبت حراء. وما بل بحر صوفة، ولا يزداد فيما بيننا وبينكم إلا تجدداً،

(١) الحلف الذي يراد به دفع الظلم .

(٢) أي على الشر والفساد .

أبد الدهر سرمدا، وفي رواية ـ حلفاً جامعاً غير مفرق الأشياخ على الأشياخ ، والأصاغر على الأصاغر ، والشاهد على الغائب . وتعاهدوا وتعاقدوا أوكد عهد وأوثق عقد. لا يُنقَض ولا يُنْكَث ما أشرقت شمس على ثبير ،وحنّ بفلاة بعير وما أقام الأخشبان ، واعتمر بمكة إنسان حلف أبد، لطول أمد يزيده طلوع الشمس شدّاً ،وظلام الليل مداً، وإنْ عبد المطلب ومن معه ورجال خزاعة متكافئون . متضافرون ، متعاونون . . . على عبد المطلب النصرة لهم بمن تابعه على كل طالب، وعلى خزاعة النصرة لعبد المطلب وولده ومن معهم على جميع العرب في شرق أو غرب أو حَزْن أو سهل، وجعلوا الله على ذلك كفيلا، وكفى به حميلا .

بنو بكر وخزاعة

إسلام أبي سفيان وحكيم بن خزام وبديل بن ورقاء

بَنِي بَكْـرٍ ومـا يُغني الـمـلامُ   تَلَظَّى البـأسُ ، وانتفضَ الحُسامُ
ذِمَـامُ صـادِقٌ ، وَدَمٌ حَـرَامُ   وَعِـزٌّ مـن خُـزاعَـةَ لا يُـرامُ
يَقومُ عليه حامٍ لا يَنامُ[1]

أعـانكمُ الأُلَى نَبَذُوا الـوفـاءَ   ورَاحَ القـومُ يمشونَ الضَّـراءَ[2]
ومـا تَخفَى جَـرِيـرَةُ مَن أسـاءَ   سُيـوفُ مُحمَّدٍ جُعلتْ جَـزاءَ[3]
فما البَغْيُ الذَّمِيمُ وما العُرامُ ؟[4]

قَتلتُم من خُـزاعَـةَ بـالـوتيـرِ[5]   رِجـالاً مـا أتـاهـم من نَـذيـرِ
لَـبِئْسَ الغـدرُ مـن خُلُقٍ نكـيـرِ   ويـا للنـاسِ للحَـدَثِ الكبيـرِ
أكان محمدٌ مِمّن يُضَامُ ؟

---

(١) النبي ﷺ .

(٢) قاتل مع بني بكر قوم من قريش خفية ، منهم صفوان بن أمية ، وحويطب بن عبد العزى ، وعكرمة بن أبي جهل ،وشيبة بن عثمان ،وسهيل بن عمرو(أسلموا بعد ذلك) ، والضراء الاستخفاء ويمشي الضراء أي مستخفياً .

(٣) الجريرة الذنب والجناية .

(٤) العرام الشراسة والأذى .

(٥) الوتير ماء كان لخزاعة بأسفل مكة .

أَتَـوْهُ ، يَنشُـدونَ الحِلْفَ وَفْـدا تَهُـدُّ شَكـاتُـهُ الأحـرارَ هَـدّاً
فقـال لهم : نُصِـرتُم واسْتَعِـدُّا وَرَاحَ يَسـوقُـه للحـربِ جُنْدَا[٢]
تُظلِّلُهُ الملائكَةُ الكِرامُ

أبـا سُـفيـانَ ذلـك مـا تـراهُ هـو البأسُ المصمِّمُ لا سِـواهُ[٣]
أليسَ الحِلفُ قـد وَهنتْ عُـراهُ فـكيف تُشَـدُّ بـعـدئـذٍ قُـواهُ ؟
أبا سُفيانَ ليس لكم ذِمَامُ

كتمتَ الحقَّ ، تطمعُ في المحالِ فما بالُ الثِّقـاتِ من الرجـال ؟[٤]
فـتحـتم بـالأذى بـابَ الـقتـالِ فمـا دُونَ اللقـاءِ سِـوَى ليـالٍ
وَيَفتحُ مَكَةَ الجيشُ اللُّهامُ[٥]

دَعِ الأرحـامَ ليس لكـم شفيـعُ لقـد حَـاوَلْتَ مـا لا تستطيـعُ[٦]

---

(١) أقبل عمرو بن سالم ومن معه من خزاعة على النبي فدخلوا عليه المسجد . وأنشده عمرة أبياتاً منها .

يا رب إني ناشد محمداً حلف أبينا وأبيه الأتلدا إن قريشاً أخلفوك الموعدا
ونقضوا ميثاقك المؤكدا هم بيتونا بالوتير هجدا وقتلونا ركعاً وسجدا

(٢) قال الرسول الكريم : نصرت يا عمرو بن سالم ، إرجعوا وتفرقوا في الأودية ـ يريد إخفاء مجيئهم إليه .

(٣) قال أبو سفيان حين طلب إليه أن يصلح الأمر ، ليغزونا محمد إن صدق ظني وهو صادقي .

(٤) كان بديل بن ورقاء الخزاعي قد قدم على النبي ومعه نفر من قومه بعد رجوع عمرو بن سالم ومن معه فأخبره بما كان من أمر الواقعة . فجاء أبو سفيان إلى المدينة وهو يظن أن الخبر لم ينقل إلى النبي فدخل عليه ، وسأله أن يجدد العهد ويزيد في المدة فأبى عليه وسأله : هل ثم من حدث ؟ فقال معاذ الله نحن على عهدنا وصلحنا لا نغير ولا نبدل ، ثم أعاد الكلام عليه فسكت عنه .

(٥) العظيم كأنّه يلتهم كل شيء .

(٦) ذهب أبو سفيان إلى أبي بكر وعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وغيرهم يناشدهم الأرحام ويسألهم أن يكلموا النبي فيما جاء له . فصدفوا عنه ، ولم يقبلوا له قولا .

رُويــدَكَ ، إنّــه الــرأيُ الجميــعُ   وإنّ الــلهَ لــيس لــه قَــرِيــعُ[1]
تَعالَى جَدُّهُ وَسَمَا المقامُ

رَجعتَ وأزعـجتـك الـحـادثَـاتُ   فَسِرْتَ تقولُ : هـل قَدمَ الغُـزاةُ ؟
نَعَمْ ، قَـدمَ الميـامـينُ الـهُـداةُ   وتـلكَ جِيـادُهـم والـمُـرهـفـاتُ
فَدَعْ دينَ الغُواةِ ، وقُلْ : سَلامُ

أبـا سُفيـانَ هـل أبصـرتَ نـارا   كنـارِ القـومِ إذ بـاتـوا سُهـارى
أَبَــتْ وأَبَـوْا، فـما تـألـو استعـارا   ولا تُحْصَى وإن عُــدَّت مِـرارا[2]
هو الفَزَعُ المؤَجَّجُ لا الضَّرامُ[3]

لقـد أنذرتَ قـومَـكَ فـاستـطاروا   وراحــوا مـا يقــرُّ لهم قَـرَارُ[4]
نَـبَتْ بـهـمُ الـمنـازلُ والـديـارُ   وضـاقَ سبيلُهُم فـيهـا فـحـاروا
وقال سَرَاتُهُم : خطْبٌ جُسَامُ

فـدعهُم يا ابن حـربٍ تَلْقَ رُشْدَا   وبـالحقِّ اعتصِمْ فـالحقُّ أجـدى
سبيــلَ مُحمّـدٍ فَـاسْلكــه أهــدى   وخـذه يا ابن حـربٍ منـه عهـدا
لِبيتِكَ فيه من شرفٍ دِعامُ[5]

مـع العباس سِـرْتَ إلى الرسـولِ   لأعـظَمِ مـطلبٍ وأجـلِّ سُـولِ[6]
لِــدينِ اللهِ ، دينِ ذوي العُقُــولِ   مِنَ النَّفــرِ المسـاميـحِ العُــدولِ
صَدقْتُكَ ، ليس كالنّورِ الظّلامُ

---

(١) غالب في المقارعة .   (٢) ألا قصّر وأبطأ ، واستعارا اتقادا .

(٣) كانت عشرة آلاف نار أمر النبي بإيقادها لما بلغ الجيش مر الظهران ليراها المشركون فيرعبوا .

(٤) لما رجع إلى قريش قالوا : ما وراءك ؟ هل جئت بكتاب من محمد أو عهد ؟ قال لا والله . لقد أبى علي . وقد تتبعت أصحابه فما رأيت قوماً لملك أطوع منهم له .

(٥) جعل له النبي حق الجوار فقال : من دخل دار أبي سفيان فهو آمن .

(٦) حمله العباس بن عبد المطلب على بغلته وقدم به على النبي فأسلم .

لَقِيتَ مُحمداً حُرّاً رشيدا فَعُدْتَ بِيُمْنِهِ خَلقاً جديدا
هُدِيتَ وكنتَ جَبَّاراً عَنِيداً هَنيئاً فاصحبِ الْجَدَّ السعيدا
بما أولاك صاحِبُكَ الهُمامُ
أصبتَ الخيرَ أجمعَ والرشادا على يدِهِ وَنِلْتَ به المُرادا
أفادَكَ يا ابن حربٍ ما أفادا فبارَكَ فيكَ ربُّكَ ثم زادا
وعند الله يُلْتَمَسُ التَّمامُ
نظرتَ فهل رأيتَ أشدَّ صبرا وأحسنَ منظراً وأجلَّ قَدْرا ؟[1]

---

(١) أمر به النبي فحبس على الطريق في رجوعه إلى مكة ليرى جيوش المسلمين ، وأمر أن تكون كل قبيلة عند راية قائدها . فجعلت تمر به كتيبة كتيبة . وهو ينظر إليها ويسأل عنها ، فلما مرت الكتيبة الاولى وكانت من بني سليم وعددها ألف رجل أو تسعمائة معهم لواءان يحملهما العباس بن مرداس . وخفاف بن ندبة كبرت ثلاثاً فقال أبو سفيان للعباس بن عبد المطلب : من هؤلاء ؟ قال : خالد بن الوليد معه بنو سليم ، قال ـ ما لي ولبني سليم ، ثم مرت الثانية فكبرت ثلاثاً . قال : من هؤلاء ؟ قال العباس : الزبير بن العوام في خمسمائة من المهاجرين وأفتاء العرب ، قال : الزبير بن أختك ؟؟ قال نعم ، ثم مرت كتيبة بني غفار في ثلثمائة يحمل رايتهم ابو ذر . فلما حاذوه كبروا ثلاثاً ، فقال من هؤلاء ؟ قال : غفار ، قال ما لي ولغفار ، ثم مرت أسلم في أربعمائة لها لواءان يحملهما بريدة بن الحصيب . وناجية بن الأعجم . فلما حاذوه كبروا ثلاثاً . فقال من هؤلاء ؟ قال ما لي ولأسلم ، ثم مرت بنو كعب بن عمرو ، وهم خزاعة في خمسمائة يحمل رايتهم بشر بن سفيان ، فلما حاذوه كبروا ثلاثاً فقال من هؤلاء ؟ قال بنو كعب اخوة أسلم ، قال ، هؤلاء حلفاء محمد ؟ قال نعم ثم مرت مزينة فيها مائة فارس وثلاثة ألوية يحملها النعمان . وعبد بن عمرو بن عوف ، وبلال بن الحارث . فلما حاذوه كبروا ثلاثاً فقال من هؤلاء ؟ قال : مزينة ، قال ما لي ومزينة . قد جاءتني تقعقع من شواهقها ثم مرت جهينة في ثلاثمائة فيها أربعة ألوية يحملها معبد بن خالد . وسويد بن صخر ، ورافع بن مكيث وعبد الله بن بدر فلما حاذوه كبروا ثلاثا . فقال من هؤلاء ؟ قال العباس : جهينة ، قال . ما لي وجهينة. والله ما كان بينهم وبيني حرب قط . ثم مرت كنانة ـ بنو ليث وضمرة ، وسعد بن بكر ـ في مائتين يحمل لواءهم أبو واقد الليثي ، فلما حاذوه كبروا ثلاثاً فقال من هؤلاء ؟ قال . بنو بكر . قال . نعم أهل شؤم والله ، هؤلاء الذين غزانا محمد بسببهم ، ثم مرت أشجع وهم =

كتائبُ من جُنودِ اللّهِ تَتْرَى   تَمُرُّ عليكَ واحدةً فأخرى

لها مِن دِينِها العالي نِظامُ

تُكبِّرُ رَبَّها وتَراهُ حقّا   وتَبذُلُ فيه أنْفُسَها فَتَبْقَى

لَكَ البُشْرَى ، نعمتَ وكنتَ تشقى   فماذا من أيادِي اللّهِ تَلْقَى ؟

لقد جَلَّتْ فليس لها انصرامُ

لَنِعْمَ الصّاحبانِ النْاجيانِ   على طُولِ التَّرَدُّدِ والتَّوانِي

حكيمٌ وابن ورقاءَ اللذانِ   أرادا اللّهَ فيما يَبغيانِ

فليس بغير سُنّتِهِ اعتصامُ

كِلا الرجلينِ غِطريفٌ كريمُ   له في قومِهِ حَسَبٌ قَدِيمُ

زعيمٌ جاءَ يصحبه زعيمُ   كذلك يظهر الدينُ العظيمُ

فتعرفُهُ الغطارفةُ العِظَامُ

مَضَى لك يا حكيمُ ولابن حربِ   قَضَاءٌ زادَ حُبّاً كُلَّ قلبِ[1]

= ثلثمائة معهم لواءان يحملهما معقل بن سنان ونعيم بن مسعود الأشجعي فكبروا ثلاثا فقال من هؤلاء قال اشجع : قال هؤلاء كانوا أشد العرب على محمد ، قال العباس . دخل الاسلام في قلوبهم وهذا من فضل الله . ومرت بنو تميم ، وبنو فزارة . وسعد بن هذيم . وهو من قضاعة ففعلوا مثل ذلك . ثم جاءت كتيبة خضراء فيها ألفا دارع ومنهم رسول الله ﷺ وأصحابه المهاجرون والأنصار وفيها الرايات والألوية . مع كل بطن من بطون الأنصار لواء وراية وهم في الحديد ، لا يرى منهم الا الحدق ، وكانت راية الأنصار مع سعد بن عبادة فلما رآهم أبو سفيان قال : سبحان الله يا عباس ، من هؤلاء ؟ قال : هذا رسول الله في الأنصار ، فقال أبو سفيان ، ما لأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة .

(١) حكيم بن حزام ، وبديل بن ورقاء ، قدما على النبي فأسلما (حكيم بن حزام بن خويلد أخي السيدة خديجة أم المؤمنين ، فهي عمته ، كان عمره حين أسلم ستين سنة ، وعاش بعد ستين سنة ، وكان من أشراف قريش في جاهليته وإسلامه ، أعتق في عهده الأول مائة رقبة ، وحج في الإسلام فلما كان بعرفة أعتق مائة وصيف في أعناقهم أطواق الفضة منقوش عليها =

ومَن أولَى من الهادِي بِحُبّ؟ وأجدرُ من عشيرتِهِ بِقُربِ ؟
قريشٌ قومه ، وهو الإمامُ

إذا جَعَلتْ قلوبُ الناسِ تهفو فمن بَيْتَيْكُما حِرْزٌ وكَهْفُ
وعندكما ظِلالُ الأمن تضفو وَوِرْدُ العيشِ للوُرّادِ يصفو
هما البيتان كُلّهما حَرامُ

وفي حَرَمِ اللّواءِ لكلِ نَفْسِ تَلُوذُ بهِ كِفايَةُ كُلِّ بأسِ[1]
يَراهُ سَراةُ مَكّةَ فوق رَأْسِ لِميمونِ النَّقِيبةِ غيرِ نِكْسِ
مِنَ النفرِ الأُلَى صَلُّوا وصَاموا

لِواءُ أبي رُوَيْحَةَ ما أعزّا لِواءٌ قامَ للإيمانِ رَمْزا
يَهُزُّ قُلوبَ أهلِ الشِّركِ هَزّا ويَترُكُ بأسَهُمْ ضَعْفاً وعَجْزا
فَمَنْ للقومِ إن وَقَعَ الصّدامُ ؟

= عتقاء الله عن حكيم بن حزام، وفي هذه الحجة جعل النبي لحكيم ما جعل لأبي سفيان من الإجارة .

(١) كذلك قال الرسول الكريم، من دخل في لواء أبي رويحة فهو آمن .

وقعة الفتح الأعظم

جعل النبي ﷺ لواء المهاجرين مع الزبير بن العوام . وأمره أن يدخل مكة من كداء وأن يركز رايته بالحجون ثم يمكث عندها لا يبرح حتى يأتيه ، وبعث خالد بن الوليد في كتائب من قضاعة وسلم وأسلم وغفار ومزينة وجهينة وغيرهم ، وأمره أن يدخل من أسفل مكة ، وقد تجمع بها ناس من بني بكر وبني الحارث بن عبد مناف . وناس من هذيل ، فقاتلوا خالداً ومنعوه الدخول ، وشهروا السلاح ورموه بالنبل ، فصاح حكيم لا تدخلها عنوة . فقاتهلم وانهزموا[1] واشتد الأمر بمكة . فصاح حكيم ابن خزام : وأبو سفيان : يا معشر قريش على م تقتلون أنفسكم ؟ ؟ من دخل المسجد فهو آمن، ومن دخل داره فهو آمن . ومن وضع السلاح فهو آمن ، فجعلوا يقتحمون الدور ويغلقون أبوابها ، ويطرحون السلاح في الطرق ، فيأخذه المسلمون ، وقد أيد الله رسوله وأدخله مكة فائزاً منصوراً .

دِيــارَ مَكّـةَ هــذا خــالــدٌ دَلَفَــا فما احتيالُكَ في الطَّوْدِ الذي رَجَفَا ؟
طَـوْدٌ مِنَ الشّـركِ خَـانَتْـهُ جَـوانِبُـهُ لَمّا مَشَى نحوهُ الطودُ الذي زَحَفَا

---

(١) كان من هؤلاء صفوان بن أمية، وعكرمة بن أبي جهل، وسهيل بن عمرو، تجمعوا بمكان يقال له الخندمة ليقاتلوا المسلمين . فقتل من هؤلاء مسلمة بن الميلاء، وقتل من المشركين إثنا أو ثلاثة عشر رجلا، ثم انهزموا وخالد من ورائهم، وقد استشهد من أصحابه رجلان آخران هما حبيش بن الأشعر الخزاعي أخو أم معبد التي مر بها النبي في هجرته إلى المدينة وكرز بن جابر الفهري الذي أسلم بعد غزوة بدر وكان قبل ذلك من رؤساء المشركين، وهو الذي أغار على سرح النبي .

إن الجبالَ التي في الأرضِ لو كفرتْ ... لَـدَكَّها جَبـلُ الإسـلامِ أو نسَفَـا
لَـمَّـا دَعـاهُ بسيفِ الله سَيِّـدُهُ ... زَادَ السُيُوفَ بِهِ في عِـزِّها شَـرَفَا
ديـارَ مَكَّـةَ أمَّـا من يُسـالِمُـهُ ... فَـلاَ أذىً يَتَّقِي منـهُ ولا جَنَفَـا[1]
تلك الوصيَّةُ مـا يَرْضَى بهـا بَدَلاً ... ولا يرى دُونَها مَعْدىً ومُنْصَرَفَـا[2]
لا تجزعي ، إنّهُ العهدُ الذي انبعثت ... أنـوارُهُ تَصدَعُ العهـدَ الذي سَلَفَـا
ليـلُ الأباطيـلِ ما التفَّتْ غيـاهِبُـهُ ... على الحقائِقِ إلا انجابَ وَانْكَشَفَا
هُنَّ المنايا . فيا للقومِ من بطلٍ ... رُمُـوا بِـهِ حَيَّـةً من حَيَّـةٍ خَلَفَـا
ضـاقوا بِسْعـدٍ فقالـوا: قائـدٌ حَنِقٌ ... لو جاوز الحدَّ بعد الحدِّ ما وَقَفا[3]

---

(١) الجنف الجور والميل عن العدل والحق .

(٢) أمره النبي أن يغرز رايته عند أدنى البيوت من مكة، وألا يقاتل إلا من يقاتله .

(٣) لما حاذى سعد بن عبادة أبا سفيان وهو في كتيبة النبيﷺ قال له يا أبا سفيان . اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الكعبة ، أي يقتل من يهدر دمه ولو تعلق بأستارها ، فلما حاذاه النبي قال له : أمرت بقتل قومك ؟ قال: لا! فذكر له ما قال سعد . وناشده الرحم . فقال: يا أبا سفيان اليوم يوم المرحمة ، ثم تعرضت امرأة للنبي فأنشدته :

يـا رسـولَ الهـدى إليك لجا حـ ... ـيُّ قـريش، ولاتَ حِينَ لجاءِ
حِينَ ضـاقت عليهُم سَعَـةُ الأر ... ضِ ، وعـاداهُمُ إلَـهُ السَّمـاءِ
والتقَتْ حلقتـا البطانِ على القـو ... مِ ، ونُـودوا بـالصَّيلمِ الصَّلعـاءِ
إنَّ سعـداً يُـريـد قـاصمةَ الظهـ ... ـرِ بأهـلِ الحُجـونِ والبطحـاءِ
خَـزَرجيٌّ لـو يستـطيعُ من الغيـ ... ـظِ رمـانـا بـالنّسـر والعَـوّاءِ
وَغِـرُ الصّـدرِ لا يهـمُّ بشـيءٍ ... غيـرَ سفكِ الـدّما وسَبْيِ النّساءِ
قـد تَلظَّى على البـطاحِ وجاءت ... عنـه هنـدٌ بـالسَّـواةِ السَّوْآءِ
إذ يُنـادِي بِـذُلِ حيِّ قُـريشٍ ... وابنُ حَـرْبٍ بـذا من الشُّهـداءِ
ولئـن أقـحـمَ الـلوَّاءَ ونـادَى ... يـا حُماةَ الأدبـارِ أهـلَ الثّـواءِ
ثم ثـابَتْ إليـه من بُهمِ الخـز ... رجِ والأوسِ أنـجمُ الـهـيـجـاءِ
لـتكـونَـنَّ بـالبـطاحِ قـريشٌ ... فقعـةَ القـاعِ في أكفِّ الإمـاءِ
فَـأنْهَـيَنْـهُ فـإنّـه أسـدُ الأسـ ... ـد لدى الغابِ والغٌ في الدّماءِ
إنّـه مُـطرِقٌ يـريـد بنـا الأمـ ... ـرَ سُكـوتـاً كـالحيّـةِ الصَّمّـاءِ =

واستصرخوا من رسول اللهِ ذا حَدَبٍ إذا استغاثَ به مُستصرِخٌ عَطَفَا
هَبَّتْ إلى الشَّرِّ من جُهَّالِهِم فِئَةٌ لم تَأْلُ من جهلِهَا بَغياً ولا صَلَفَا
واستنفرت من قريشٍ كلَّ ذي نَزَقٍ إذا يُشارُ إليهِ بالبنانِ هَفَا[1]
فخاضها خالدٌ شعواءَ كالحةً . . . إذا جَرَى الهولُ في أرجائِهَا عَصَفَا[2]
رَمَى بها مُهَجَ الكُفّارِ فاسْتَبَقَتْ تَلْقَى البوارَ ، وتشكو الحَيْنَ والتَّلَفَا[3]
وقال قائلُهُم : أسرفتَ من بطلٍ ما كان أحسنه لو جَانَبَ السَّرَفا
وهَاجَ همَّ أبي سُفيانَ ما وَجَدَوا فَرَاحَ يَشفعُ فيهم جَازعاً أَسِفا[4]
فَلاَنَ قلبُ رسولِ الله مرحمةً وَرَقَّ من شدَّةِ البطشِ الذي وَصَفَا
وقال : سِرْ يا رسولي ، فَانْهَ صَاحِبَنَا عَنِ القِتَالِ ، فَحَسبي ما جَنَى وَكَفَى

* * *

مَضَى الرسولُ يقولُ : اقْتُلْ فَهَيَّجَها مَشْبُوبَةً . هَتَفَتْ بالوَيْلِ إذ هَتَفَا
وَعَادَ والدَّمُ في آثارِهِ سَرِبٌ والقومُ من خَلْفِهِ يدعون : وَالَهَفَا[5]

= فأمر النبي بأخذ الراية منه ودفعها الى ولده قيس، ثم خشي سعد أن يقع من ابنه شيء ينكره النبي فسأله أن يأمر بأخذها منه ففعل، وبقي سعد في مقدمة كتيبة الرسول الكريم ولا راية معه وهو بذلك راض، رضي الله عنه .

(١) النزق العجلة في جهل وحمق، وهفا أسرع في طيشه .
(٢) حرب عشواء منتشرة ممتدة، وكالحة عابسة متكشرة .
(٣) الحين الهلاك .
(٤) جاء أبو سفيان فقال يا رسول الله : أبيحت خضراء قريش، لا قريش بعد اليوم، فقال لرجل : إذهب إلى خالد وقل له لا تقتل، فذهب الرجل وأجرى الله على لسانه أن نبي الله يقول لك اقتل من قدرت عليه . فقتل سبعين رجلا . فلما رجع الى النبي وكان قد علم بأمر القتلى قال لـه ألم آمرك بأن تدعو خالداً إلى الكف عن القتل، فذكر له ما كان وقال: أردت أمراً وأراد الله غيره، فكان أمر الله فوق أمرك. وما استطعت إلا الذي كان .
(٥) السرب السائل، ووالهفا تقال في التحسّر والحزن .

قـال النَّبيُّ ألم تَـذْكُـرْ مَقـالَتَنـا لِخَالِدٍ ؟ أعَصَيْتَ الأمرَ أم صَدَفَا ؟
فقـال : بُورِكْتَ ، إنّ الله حَرَّفَها وما تَغَيَّرَ لي رأيٌ ولا انْحَرَفَا
سُبحانَهُ : إنَّ أمرَ النَّاسِ في يدهِ لَا يَعْرِفُ المرءُ من خَافِيهِ ما عَرَفَا

* * *

لَا يَجْزعِ القوْمُ إنّ السّيفَ مُرتَدَعٌ عمَّا قليلٍ ، وإنّ النّصرَ قد أزِفا[1]
لم يرفعوا الصَّوتَ حتّى لاحَ بارِقُهُ تحت العَجَاجَةِ، يجلو ضَوْؤهُ السُّدُفا[2]
هـذا الـزُّبَيـرُ تَـرَامَى في كتـائِبِهِ كالسَّيْلِ ، لا تُمسِكُ الأسدادُ ما جَرَفَا
يَلْقَى كَـدَاءً بِـهِ والخيـلُ راكضَـةٌ ما قَالَ حَسّانُ من قبلِي وما ازْدَهَفا[3]
اللهُ اكبرُ ، جاء الفتـحُ وابتهجتْ للمؤمنين نُفـوسٌ سَـرَّهـا وَشَفَى
مَشَى النَّبِيُّ يحفُّ النَّصـرُ مَـوكِبَهُ مُشَيَّعـاً بجـلالِ اللّهِ مُكتَنَفـا
أضحى أُسامةُ من بينِ الصَّحابِ له رِدْفاً ، فكان أعزَّ النَّاسِ مُرْتَدَفا[4]
لم يبقَ إذ سَطعتْ أنـوارُ غُـرَّتِـهِ مَغْنًى بِمَكَّـةَ إلاّ اهْتَزَّ أو وَجَفا[5]
تحـرّكَ البيتُ حَتَّى لـو تُـطاوعُـهُ أركـانُـهُ خفَّ يَلْقَى رَكبَـهُ شَغَفَـا
وَافَـاهُ في صَحبِهِ من كـلِّ مُزْدَلِفٍ فلم يَـدَعْ فيـه للكُفَّـارِ مُـزْدَلَفـا[6]

---

(١) مرتدع أي مردودٌ إلى غمده .
(٢) السدف الظلم .
(٣) لما دخل النبي مكة رأى النساء يلطمن وجوه الخيل بالخمر. فتبسم وقال لأبي بكر: ماذا قال حسان، فأنشده :
عـدمتُ بُنـيَّتي إن لم تـروهـا تُثيـر النَّقـعَ، مـوعـدهـا كـداءُ
ينـازعـن الأعـنّـة مُـسـرَجـاتٍ يُلطِّمهـنّ بـالـخُمُـرِ النّسـاءُ
فقال النبي : ادخلوها من حيث قال: وازدهف بمعنى انحرف أو تزيد في الكلام .
(٤) الردف الراكب خلف الراكب .
(٥) الغرّة الوجه، والمغنى المنزل، ووجف اضطرب .
(٦) انتهى النبي إلى الكعبة ومعه المسلمون. فاستلم الركن بمحجنه، وكبر فكبروا مرجعين حتّى =

العاكفون على الأصنامِ أضحكهم | أنّ الهوانَ على أصنامِهِمْ عَكَفا[1]
كـانوا يَـظنُّونَ أنْ لا يُستَبَـاحُ لهـا | حِمىً ، فلا شَمماً أبدتْ ولا أنَفَا[2]
نـامت شَيـاطِينُهـا عنهـا مُـذَمَّـمَةً | وبـاتَ مَارِدُهـا بـالخـزيِ مُلْتَحِفـا
هَـوَتْ تفاريقَ ، وانقضَّتْ مُحَـطَّمةً | كأنَّها لم تكن إذ أصبحَتْ كِسَفا[3]
رِيعَتْ شيـوخُ قريشٍ من قـذائِفِها | وَرِيـعَ منها الخُـزاعِيُّ الذي قُـذِفَا
رأتـه يَنحَطُّ من عَليـائِـهِ فـزعـاً | من بعد ما أفزَعَ الأجيالَ مُشتَرِفَا[4]
ومـا دَرَى هُبَـلٌ والـطعْنُ يـأخُـذُهُ | هل غَوَّرَ الدمعُ في عَيْنَيْهِ أم ذَرَفَا ؟
لـو كان للدّمِ يجـري حَولـهُ دُفَعاً | طُولُ المَدى مَثْعَبٌ في جوفِهِ نَزَفا[5]
رَمَى به اللّهُ ، يحمِي البيتَ من عَبَثٍ | يَعافُ باطِلَهُ مَن عافَ أو عَزَفَـا[6]
لم يَبْقَ بـالبيتِ أصنـامٌ ولا صُـوَرٌ | زَالَ العَمَى ، واسْتَحَالَ الأمرُ فَاخْتَلَفا[7]

= ارتجت مكة . وكان يشير إليهم أن اسكتوا، وكان محمد بن مسلمة يأخذ بزمام ناقته في طوافه، ازدلف تقدم وتقرب .

(١) قال ابن عباس: كان على الكعبة يوم الفتح ثلاثمائة وستون صنماً، لكل حي من أحياء العرب صنم قد شدوا أقدامها بالرصاص، فجعل النبي يهوي بقضيب كان معه إلى كل صنم فيها فيهوي، وإنه كان يقول، جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً، وكان هبل من أعظم هذه الأصنام فجاءه النبي ومعه قوس جعل يطعن بها في عينه وهو يقول: جاء الحق الآية، ثم أمر به فكسر، وبقي من هذه الأصنام على الكعبة صنم كبير من نحاس ـ وقيل من صفر ـ لخزاعة جعلوا له اوتاداً من الحديد مثبتة في الأرض ، فأمر النبي علياً بن أبي طالب أن يرميه فرمى به وكسره .

(٢) الأنف والأنفة عزّة النفس .

(٣) تفاريق : قطع متفرقة . الكِسَف : القطع .

(٤) المشترف المنتصب .

(٥) المثعب مسيل الماء من الحوض .

(٦) عزف عن الأمر زهد فيه وانصرف عنه .

(٧) أبى النبي أن يدخل البيت وفيه ما فيه من التماثيل التي اتخذها القوم على صور شتى ، فأمر بها فأخرجت ثم نادى مناديه: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع في بيته صنما إلا =

للجـاهِلِيَّـةِ رَسمٌ كـان يُعجبهـا — في دهرِها ، فَعَفَتْ أيامُها وَعَفَا[1]

لا كُنتَ يا زمنَ الأوهامِ مِن زَمَنٍ — أرخَى على النّاسِ من ظَلْمائِهِ سُجُفا[2]

إنّ الشريدَ الذي قد كـان يظلمـه — ذَوُو قَرَابتِهِ قـد عـادَ فـانْتَصَفـا[3]

ردَّ الـظلامَـةَ في رفقٍ وإن عَنَفـوا — ولـو يَشـاءُ إذَنْ لاشْتَـدَّ أو عَنَفـا

إنّ الـرسـولَ لَسَمْـحٌ ذو مُيَاسَـرَةٍ — إذا تملَّكَ أعنـاقَ الجُنـاةِ عَفَـا[4]

شكـراً مُحَمَّـدُ إنّ اللّهَ أسبغَهَـا — عليـكَ نُعْمَى تَرَامَى ظِلُّهـا وَضَفَـا

وَعْـدٌ وَفَى لإمـامِ المـرسلينَ بـه — واللّهُ إن وَعَدَ الرُّسْـلَ الكِرامَ وَفَى

خُـذِ المحصَّبَ إن وَافَيْتَـهُ نُـزُلاً — وَاذْكُرْ بهِ ذلكَ الميثاقَ والحَلِفـا[5]

قد عادَ يكلفُ بالإسلامِ مِن رَشَدٍ — مَن كان بالكفرِ من غَيِّ الهَوَى كَلِفَا

ثم استقـامَ على البيضَاءِ يَسْلكُهـا — مَن كان يضربُ في العمياءِ مُعْتَسِفا[6]

مَشَى طَليقـاً إلى غـايـاتِـهِ مَـرِحـاً — وكان في القَيْدِ إن رامَ الخُطَى رَسَفَا

يَغشَى مَـوارِدَ لـلأيمـانِ صـافِيَـةً — ما امتاحَ من مثلِها يوماً ولا اغْتَرفا[7]

= كسره، فكسروا الأصنام التي كانت في بيوتهم، وعمدت هند بنت عتبة زوج أبي سفيان إلى صنم كان عندها فجعلت تضربه وتقول: كنا منك في غرور ، ثم بعث النبي السرايا لكسر الأصنام التي كانت حول مكة .

(١) عفا الرسم امّحى ودرس وبلي .

(٢) جمع السَجْف الستارة والحجاب .

(٣) النبي ﷺ .

(٤) المياسرة هي الملاينة .

(٥) قال النبي : إذا فتح الله لنا مكة نزلنا الخيف ـ خيف بني كنانة يعني المحصب وهو الذي تحالفت فيه قريش وكنانة على مقاطعة بني هاشم وبني عبد المطلب حتى يسلموه إليهم، وقد فتحت مكة وفعل ذلك .

(٦) المعتسف الذي يركب الأمر او الطريق على غير هداية ولا دراية .

(٧) امتاح الماء غرفه .

عادوا طَهَارى ، فلم يَعْلَقْ بهم وَضَرٌ ... ممّا جَنَى الكفرُ قبل الفتحِ واقترفا[1]

تَتابعَ القومُ أفواجاً ، فآمَنَهم ... دِينُ السّلامِ وأمسَى الأمرُ مُؤْتَلِفا

كذلك الحقُّ يعلو في مَصاعِدِهِ ... حتى يَنَالَ الذُّرَى أو يَبلغَ الشَّعفَا[2]

مَرْمَى العُقُولِ إذا ما غرَّها هَدَفٌ ... فلن تُريدَ سِوَاهُ إن رَمَتْ هَدَفا

وما على الحقِّ من بأسٍ ولا حَرَجٍ ... إن هَوَّمَ العقلُ عنه مَرَّةً فَغَفَا[3]

إنّ الذي جَعَلَ الإسلامَ مَعقلَهُ ... أعلى لأُمَّتِهِ الأركانَ والسُّقُفا

لم يَرْضَ ما نَالَ من مجدٍ فَأَورَثَهُ ... مَجداً طريفاً ، وَعِزّاً منه مُؤْتَنَفا[4]

شَتّانَ ما بين صَرْحٍ ثابتٍ رُفِعَتْ ... منه القِبابُ وصَرْحٍ واهنٍ خُسِفا

* * *

لِتُنصتِ الأرضُ، وَلْتَسْمَعْ ممالكُها ... ماذا يقولُ لها الرّعدُ الذي قَصَفَا[5]

---

(١) الوضر الوسخ .

(٢) الشعف رؤوس الجبال جمع شعفة .

(٣) هوّم هزّ رأسه من النعاس .

(٤) إئتنف الشيء بمعنى استأنفه أي ابتدأه .

(٥) دعا النبي عثمان بن طلحة ففتح له الكعبة فدخلها معه ومع بلال وأسامة بن زيد، وصلى فيها ركعتين ثم خرج فوقف على بابها وقال : ـ

لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده . ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده.ثم خطب خطبة طويلة منها ـ يا معشر قريش، إن الله اذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء . والناس من آدم، وآدم من تراب، وتلا قوله تعالى ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير ﴾ ثم قال: يا معشر قريش ماذا تظنون أني فاعل بكم ؟ قالوا خيراً ، أخ كريم وابن أخ كريم ، وقد قدرت. وأول من قال ذلك سهيل بن عمرو، فقال الرسول الكريم، أقول كما قال أخي يوسف (لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين) اذهبوا فأنتم الطلقاء ، فخرجوا وكأنما نشروا من القبور ثم أسلموا .

وذكر في هذه الخطبة بعض الأحكام ومنها، لا يقتل مسلم بكافر ، ولا يتوارث أهل ملتين=

شــرائــعُ الخيــرِ يُلقيهــا مُحبّبــةً شيـخُ النَبيِّينَ يَبغي البِـرَّ واللُّطَفَــا
النـــاسُ من آدمٍ والبَغْيُ مَهْـلَكَــةٌ فَلْيَتَّقِ اللّهُ منهم مَن قَسَــا وجَفَــا
قُلْ للأُلَى خطبوا الأقـوامَ أو كتبوا دعـوا المنـابِـرَ والأقـلامَ والصُّحُفَـا

= مختلفتين، ولا يجمع المرء بين المرأة وعمتها، ولا بينها وبين خالتها، والبينة على من ادعى واليمين على من أنكر. ولا تسافر المرأة مسيرة ثلاثة أيام إلا مع محرم . ولا صلاة بعد العصر وبعد الصبح ، ولا يصام يوم الأضحى ويوم الفطر،ثم قال: أيها الناس إن الله حرم مكة يوم خلق السماوات والأرض ، إلى آخر ما قال صلوات الله وسلامه عليه .

العبّاس بن عبد المطّلب رضي الله عنه

خرج العباس بأهله وعياله مهاجراً إلى المدينة ، فلقي النبي ﷺ بالجحفة وكان قد أمره بالإقامة بمكة ليكتب إليه أخبار قريش ، واستأذنه في الهجرة فكتب إليه : يا عم أقم مكانك الذي أنت فيه ، فإن اللّه يختم بك الهجرة كما ختم بي النبوة ، وكان ينفع المستضعفين من المسلمين ، وقد أعلن إسلامه يوم الفتح وكان يكتمه قبل ذلك ، وكان أجود قريش كفاً ، وأوصلها رحماً ، ومن مناقبه أن عمر بن الخطاب كان يستسقي به في خلافته إذا قحط الناس فيسقون ، وفي ذلك يقول عقيل بن أبي طالب :

بعمّي سقى اللّهُ البلادَ فأهلَها ... عَشِيّـةَ يستسقِي بِشَيْبَتِهِ عُمَــرُ
توجّه بالعباسِ في الجدبِ داعياً ... فما حادَ حتّى جادَ بالدِّيمة المَطَرُ

أبا الفضلِ أَقبِلْ وارفعِ الصّوتَ شاكرا ... فـذلك فَضْـلُ اللّهِ ، أسداهُ وافـرا
أقمتَ تُـراعِي الركبَ حَـرَّانَ شَيّقاً ... هَنِيئـاً ، فهذا الـركبُ وَافاكَ زائـرا
هنيئـاً ، فقـد أُوتيتَ سُؤْلَـكَ كُلَّهُ ... وَلُقِّيتَ عن قُرْبٍ من السَّعْدِ طائرا
إذا ما التمستَ الركبَ : أين مكانَهُ ... فحيثُ تَـرَى نُـورَ النُبُـوَّةِ بـاهـرا
أبا الفضلِ أقبِلْ ، واقضِهَا من لُبانةٍ ... لنفسِكَ ، تَشفِي منك دَاءً مُخامِرا[1]
حَبِيبٌ نأى يَطْوِي السِّنينَ ، وذُو هَوىً ... يُعـالِـجُ وَجـداً بين جَنْبَيْـهِ ثـائـراً
ويلقى الأذَى بعد الأذى في سبيلِهِ ... فَيَرضَى ويُغضِي الجفنَ في اللّهِ صابرا

---

(١) اللبانة الحاجة من غير فاقة بل من همّة، والمخامر من خامره الداءُ اي دخل جوفه .

لَـكَ اللّهُ يـا عبـاسُ هـذا مُحَمَّـدٌ فَسَلِّمْ ، وَطِبْ ما شِئْتَ نَفْساً وخَاطِرا
أتى بَعدَ ما جَرَّ السنينَ مُهاجـراً يَجُـرُّ السَّـرايـا خَلفَـهُ والعسـاكِـرا
رَآكَ فَقَـرَّتْ عَينُـهُ، وتـرافَـدَتْ تَحيّـاتُـهُ تلقَـاكَ زُهْـراً نَـواضِـرا
لها عَبَقٌ من رَحْمَةِ اللّهِ ، لم يَزَلْ مَكانَكُما منه إلى اليومِ عـاطرا[1]

* * *

أقمتَ على المُسْتَضعَفِيـنَ بِمَكَّـةٍ تَرُدُّ الأذَى عنهم ، وَتَرْعَى الأواصِرا[2]
إذا فزعوا للظلمِ كنتَ لهم حِمىً وإن أعـوزَ الأنصارُ أُلْفَـوْكَ ناصـرا
يَـظنُّكَ أهـلُ الكُفْرِ منهم ، وإنّمـا أرَدْتَ بهم أمراً ، ومـا كُنتَ كافرا
شددتَ قُوى الإسلامِ بين رُبوعِهِم وخـادعتَهم عنه ، فـأصبَحَ ظـاهـرا
وكنتَ لـه عينـاً تُـظاهِـرُهَـا يَـدٌ تُذيعُ خَفَايَاهُم ، وتُبـدِي السَّرائِـرا
تُمِـدُّ رسـولَ اللّهِ بـالْكُتْبِ حُفَّـلاً بـأنبائهم، تَـطوي الفِجاجَ سـوائرا
بَريدٌ ، إذا كفَّ البريدُ مِنَ الـوَنَى مَضَى دائبـاً في شأنِـهِ مُتـواتِـرا[3]
وكنتَ إذا استأذَنتَ ، تبغِي جِوارَهُ أَبَى ، وَهَـوَاهُ أن يَـراكَ مُجـاوِرا
وقال : انتظرْ يا عمِّ، إنّكَ مُـرْجَأٌ إلى مـوعـدٍ يـأتِي بِـهِ اللّهُ آخـرا
فَـبِي خَـتَمَ الـلّهُ النبيِّيـنَ كُـلَّهُـم وَتَمَّمَ هـاتِيـكَ العُلَى والمـآثِـرا
وَإنّي لأرجـو أن تكـونَ بيثـربٍ بَقِيَّـةَ من يـأتِي إلَينـا مُهـاجِـرا

* * *

هو اللّهُ فانْظرْ يا أبا الفضلِ ما قَضَى من اليُسرِ بعد العُسْرِ ، بُورِكْتَ ناظرا

---

(١) العبق رائحة الطيب .
(٢) جمع الآصرة ما عطفك على رجل من قرابة أو معروف .
(٣) الونى الضعف والإعياء ، ومتواتر متتابع .

تجلَّتْ دَيـاجيرُ الهُمـومِ ذَميمةً ... وأضحتْ وجوهُ العيشِ بِيضاً سَوافِرا
ألا رُبَّ يومٍ ذُقْتَ من سُوءِ ما جَنَى ... ذَوُو الشِّرْكِ فيه مـا يَشُقُّ المرائـرا
وليـلٍ كما اهتـاجَ الجبانُ مُفَـزَّعٍ ... طويتَ دُجاهُ كاسِفَ البالِ سـاهرا
كَـدَأْبِـكَ إذ قـالـوا أُصيبَ مُحَمَّـدٌ ... وقد جاءَهم بالزُّورِ مَن كان سَاحِرا[1]
فلمّـا عرفتَ الحقَّ أوفيتَ نـاهضاً ... تُقَبِّـلُ مَن وَافَاكَ يُـزْجِي البَشَـائِـرا
وتُــرْسِـلُهُ حُــرّاً طليقــاً ، وإنّــه ... لفي عِـزَّةٍ تُعيِي النفوسَ الحـرائرا
نَهضتَ خَفِيفَ الجانِبَيْنِ ، ولم تَكُنْ ... على مثلِهـا من قبلِ ذلـكَ قـادرا
يَسُـرُّكَ ما سَـرَّ الرسـولَ ومـا يكن ... بـهِ من أذىً ألفيتَـه لـك ضـائـرا
هَـدَيْتَ أبـا سُفيـانَ تَـرحَمُ نَفسَــهُ ... وَتَكرَهُ أن يَبْقَى مَدَى الدّهرِ حائرا
وَجِئْتَ بِهِ ، والجندُ باللَّيْلِ رَاصِدٌ ... يُقَلِّبُ للحـربِ الرِّقـاقَ البواتِـرا[2]
فـأسلمَ يُرضِي اللّهَ من بَعـدِ نَفْرَةٍ ... ولـولاكَ لم يبرحْ عن الحقِّ نـافرا
وفي ابن حِزامٍ وابنِ ورقاءَ شاهدٌ ... بما لَكَ من فضلٍ لمن كانَ ذاكرا
ثــلاثــةُ أقــطابٍ صَــرَفتَ قُلوبَهُم ... إلى اللّهِ تُحْيِيهِم ، وترجو المصائرا
ولو أعرضوا لم يَرْدَعِ الحربَ رَادِعٌ ... ولم يَنتــزِعْ أنيـابَهَــا والأظــافــرا
حقنْتَ دِمـاءً ، لـو يُخَلَّى سَبِيلُهــا ... جَرَتْ تحتَ أعلامِ الغُزَاةِ مَوَائِرا[3]
فـأمسَتْ قُرَيشٌ مـا لهـا من بَقِيَّـةٍ ... وأَمْسَى الذي اعتادت من العزّ داثرا[4]
بِيُمْنِـكَ يا عمَّ الـرسـولِ تَتَـابعتْ ... أيـادٍ يـراهَــا المسلمـونَ ذخــائـرا
وكنتَ امْرأً من قبلِ ذلـك مُحسِناً ... يُقِيمُ بِجَـدْواهُ الجُدُودَ العـواثـرا[5]

---

(١) إشارة إلى قصة حجاج بن علاط السلمي رضي الله عنه وقد تقدمت .
(٢) السيوف القاطعة .
(٣) جمع مائر من مار الدم على الأرض جرى فتردّد عرضا .
(٤) داثر بالٍ من دثر الرسم بلي وامّحى .
(٥) الجدوى العطية ، والجدّ العاثر الحظ التعس .

عظيماً تُرَجِّيهِ قريشٌ لِمَا بها إذا فَزِعتْ للأمرِ تَخْشَى الدوائرا
وإنّكَ إذ تَسْقِي الحجيجَ لَسيِّدُ يُعَلِّمُ ساداتِ الرجالِ المفاخرا
لِعُثْمَانَ مَا يَرْضَى ، ومالكَ غيرُها وَلاَيَةُ مَن يُعطِي ويَبذلُ كابرا[1]
وليس الذي يأتي الخميلةَ غارِساً كمثلِ الذي يأتي الخميلة هَاصِرا[2]
حُرِمْتُ الرِضَى إن عِبتُ عُثمانَ إنّه على سُنَّةٍ غلباءَ تُعيِي المُكاثرا
له من عَطَاءِ اللّهِ كَنزٌ مُبارَكٌ يُقيمُ لدينِ اللّهِ فيه الشعائرا
يَضنُّ بمفتاحِ البنيّةِ جُهْدَهُ ويعرفه مجداً على الدهرِ غابرا
أمانةُ ربِّ البيتِ لم تُعْطَ خائناً يُريدُ بها دُنيا ، ولم تُؤْتَ فاجرا

* * *

أبا الفضلِ هذا ما أحَبَّ مُحمَّدُ ظفرتَ بهِ ، لا زالَ سهمُكَ ظافرا
إذا أظمأ اللّهُ البلادَ وأهلَها فَباسْمِكَ يَسْقِيهَا الغُيوثَ المواطرا
لعمري لقد غادرتَ غيرَ مُنازَعٍ مَناقِبَ ذِكراها تَهُزُّ المنابرا
صَدقتُك ، إنّي لو تَنَاسَيْتُ حَقَّها على ما عَنانِي ، لم أجِدْ لِيَ عاذرا
أعِنّي بروحٍ منكَ يا ربِّ واهدِني سَبِيلَكَ ، إنْ أضللتَ في النّاسِ شاعرا
دَعوتُكَ للإسلامِ أمْسِكُ مَجدَهْ وأُدرِكُ منه ما طَوَى الدّهرُ ناشرا

---

(١) كان مفتاح الكعبة مع عثمان بن طلحة بن أبي طلحة من ولد عبد الدار بن قصي بن كلاب ، فلما جاء وفتحها للرسول الكريم سأله عمه العباس أن يعطيه إياه ليجمع بين السقاية والسدانة فأبى وقال ما معناه ـ إنما أعطيكم يعني آل بيته ، ما تبذلون فيه أموالكم للناس ، لا ما تأخذون فيه من الناس أموالهم ـ ثم رد المفتاح إلى عثمان وقال : خذوها (يعني السدانة) خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم ، يا عثمان إن الله استأمنكم على بيته فكلوا مما يصل إليكم من هذا البيت بالمعروف . وفي هذه الواقعة نزل قوله تعالى ـ ﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ـ الآية . ﴾ .

(٢) الخميلة الموضع الكثير الشجر او الشجر نفسه ، وهصره كسره .

إسلام هند بنت عتبة زوج أبي سفيان

لما فرغ النبي ﷺ من مبايعة الرجال تقدم إليه النساء يبايعنه ، وفيهن هند بنت عتبة زوج أبي سفيان ، وكان قد أهدر دمها لأنها مثلت بعمه حمزة رضي الله عنه يوم أحد ، ولاكت كبده ولم تقدر على ابتلاعها فلفظتها ، واتخذت القلائد من جلده لأنه قتل أباها يوم بدر - تقدمت إلى الرسول الكريم منتقبة خوفاً منه فعرفها ، وقالت له : أعف عما سلف ، عفا اللّه عنك ، يا نبي الله ثم بايعته . ومما يؤثر عنها أنه لما قال (ولا تزنين) قالت: أو تزني الحرة يا رسول اللّه .

يـا هنـدُ حسبـكِ مغنمـاً وكَفـاكِ ... إنّ الـذي يَهـدِي النُّفـوسَ هَـداكِ

أقبلتِ ، تُـرخِينَ القنـاعَ حَيِيَّـةً ... تُـخفِينَ نفسَـكَ والـنبيُّ يَـراكِ

أوَ لَستِ هِنداً ؟ قلتِ في خَجَلٍ : بَلَى ... لا تخجلي ، فـاللّهُ قـد عَـافَـاكِ

داويتِ بـالإسـلامِ قلبـكِ فـاشتَفَى ... وغَسَلْتِ من تلكِ الجـريمَـةِ فَـاكِ

لا تَـذكُرِي الكَبِـدَ التي مَـارَسْتِهـا ... فَـأبَتْ عَليـكِ ، لعلّهـا تَنسـاكِ

ودَعِـي قـلائِدَ يـومِ بَـدرٍ وَالْبَسِي ... في بَهْجَةِ الفتـحِ المُبينِ حِـلاكِ

أَخَذَ الهُدَى بكِ في سبيلِ مُحَمَّدٍ ... فَخُذِي عنِ الشَّيخِ الجليلِ أذَاكِ[1]

---

(١) لما رجع أبو سفيان إلى قريش من عند النبي فقال لهم : هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به ، أسلموا تسلموا ، قامت هند فأخذت بشاربه وقالت : اقتلوا الحميت (الزِّقّ الضخم) الدّسم الأحمس ، قُبِّحَتْ من طليعة قوم - وفي رواية أنها أخذت بلحيته ونادت : اقتلوا الشيخ الأحمق ، هلا قاتلتم ودافعتم عن أنفسكم وبلادكم ؟؟ .

مـا كـان بـالمفتـونِ حِينَ شَتَمْتِـهِ	وبَلَغْتِ في سُـوءِ الصَّنيـعِ مَـدَاكِ
قُلْتِ : اقتلُوهُ ، ولو أطاعَكِ جَمعُهُم	لَجَـرَى الدَّمُ المسفـوكُ من جَرَّاكِ
يـا هنـدُ إنّ الحقَّ أعـظمُ صَـوْلَـةً	مِن أنْ يَهـابَكِ أو يَهـابَ أبـاكِ
مـا مِثلهُ إن رُمْتِ في الـدّنيـا أبـاً	يـا بنتَ عُتبةَ مِن أبٍ يَـرعـاكِ
مَنْ قَـدَّمَ الدُّنيـا ، فليس ببـالـغٍ	مـا قَـدَّمَتْ عِنـدَ الـرسـولِ يَـدَاكِ
فِيمَ اعتـذارُكِ ، والهـديَّةُ سَمحـةٌ	وهَـواكِ في تَقْوَى الإلـهِ هَـواكِ[1]
بـايعتِ أهـدَى العـالمينَ طـريقـةً	ورَضِيتِ منـه مُهَـذَّبـاً يَـرضَـاكِ
يَنْسَى الإسـاءَةَ ، وَهْيَ جُرحٌ بـالغٌ	ويعـوذُ بـالخُلُقِ الكـريمِ الـزّاكِي
مهمـا تَنَلْهُ المُحفِـظَاتُ مِنَ الأُلَى	جَهِلوا ، فليس بعـاتبٍ أو شاكِ[2]
أعَجِبْتِ إذ ذَكَـرَ الفواحِشَ هـاديـاً	فَـنَهَـى اللّواتِـي جِئْنَـهُ وَنَـهـاكِ ؟
إن تَعْجَبِي لِلعِـرضِ يُـبذَلُ هَيِّنـاً	وهـو الحيـاةُ بـأسـرهـا فَكَـذاكِ
عِـرضُ الحرائـرِ مـا عَلمتِ وإنّمـا	يَـرضَى سِـواهُنَّ الـزِّنَـا وسِـوَاكِ
يَحْفَـظْنَـهُ ، ويَـذُدْنَ عن مَمنـوعِـهِ	شَـهَـواتِ كـلِّ مُخـادِعٍ فَـتَّـاكِ
تَـأْبَى التي منهنّ يَقتلُهـا الـطَّوَى	أن يُشتَـرى بـذخـائـرِ الأَمـلاكِ[3]
وتَصُـدُّ مُعـرِضَـةً تَضنُّ بنفسِهـا	ولو أنّ مَضجَعَها ذُرَى الأفـلاكِ[4]
عـارُ الزِّنَـا يُخزِي الـوُجـوهَ وشَـرُّه	يَـرمِـي البـلادَ وأهـلَهَـا بِهَـلاَكِ
يـا هِنْـدُ إنّ اللّهَ أمضى حُكْمَـهُ	فَـكَفَـاكِ سُـوءَ عـذابِـهِ وَوَقَـاكِ
أُوتيتِ زَادَكِ مِـن تُقـىً وهـدايـةٍ	فَتَـزوَّدِي ، سُبحـانَ مَن نَـجَّـاكِ

---

(١) أهدت إلى النبي مع جارية لها جديين مشويين وقديداً ، وأوصتها أن تعتذر إليه على لسانها وتقول : إن غنمنا قليلة الوالدة .

(٢) المحفظات المصائب والأمور المحرّكة للغضب جمع المُحفِظة .

(٣) الطوى الجوع ، والذخائر جمع الذخيرة ما ذُخِر ، والأملاك الملوك .

(٤) الذُرى جمع الذِروة أعلى الشيء .

إسلام عثمان أبي قحافة والد أبي بكر الصديق
رضي الله عنهما

لما خرج رسول الله ﷺ من الكعبة وجلس في المسجد والناس حوله ، ذهب أبو بكر رضي الله عنه وجاء بأبيه عثمان ـ ويكنى بأبي قحافة ـ يقوده وقد كف بصره فلما رآه قال لأبي بكر : هلا تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتيه ؟ قال أبو بكر يا رسول الله هو أحق أن يمشي إليك من أن تمشي أنت إليه ، ثم أجلسه بين يديه الشريفتين فمسح صدره وقال : أسلم تسلم ففعل ، وهنأ النبي أبا بكر بإسلامه فقال : « والذي بعثك بالحق لإسلام أبي طالب كان أقر لعيني من إسلامه » .

شَيْـخٌ يُقادُ إلى النَّبيِّ على يَـدِ ... هِـيَ للنَّبيِّ إذا رَمَى أعلى يَـدِ
هـذا أبـو بكـرٍ يُقَـدِّمُ شَيْخَـهُ ... يهـديـه ، إنَّ الألمعيَّ لَيَهْتَـدِي
قـال النَّبـيُّ ألا رَثِيتَ لِضَعفِـهِ ... وتـركتَـهُ في دارِهِ لم يُجهَـدِ ؟
لـو لم يَجِيءْ لَمَشِيتُ أشهدُ أمرَهُ ... وأُجِلُّهُ شَيْخـاً كـريمَ المَشْهَـدِ
يـا والِدَ الصِّدِّيقِ خُذْهَـا نِعمـةً ... سِيقَتْ إليـكَ من النبيِّ مُحمَّـدِ
ما كنتَ بالمصروفِ عن دينِ الأُلَى ... كفـروا بـآلهـةٍ كـأنْ لم تُعبَـدِ
العـاكفينَ على شـرائـعِ ربِّهـم ... من رُكَّـعٍ بيضِ الجباهِ وسُجَّـدِ
الظامئينَ إلى الجهادِ ، فـإن دُعُوا ... ورَدوا حِياضَ الموتِ عَذْبَ المَوْرِدِ
يتهَـافَتـونَ على جـوانِبِهـا إذا ... نَـادَى رسولُ اللّهِ أيُّكُمُ الصَّـدِ ؟؟
مَن كان يسعدُ في الرجالِ بـوالِدٍ ... فَبِمَنْ وَلَـدتَ أبا قحـافَةَ فاسْعَـدِ

من سُؤدُدِ الصّـدّيقِ أنّ زمـانـهُ لـو لم يَلِدْهُ لكـانَ خَصْمَ السُّؤدُدِ
الحـاضِنِ الإِسـلامَ يجعـلُ صَـدرَهُ كَهفـاً يقيـهِ أذى العَـدُوِّ المُفسِـدِ
يُعـطيـهِ مُهجَتَـهُ وَصَفْـوَةَ مـالِـهِ ويَكُونُ للحَدَثِ الجليـلِ بِمرصَـدِ
قـال النبيُّ اهْنَـأْ ، فقـال وَددتُها كانت لِعَمِّكَ ذي الفِعـالِ الأمجَدِ
هذا هو الإيثـارُ ، فاعجَبْ وَاعْتَبِـرْ وأَعِـدْ على الدَّهـرِ الحديثَ ورَدِّدِ

كعب بن زهير وأخوه بجير رضي الله عنهما

هو كعب بن زهير بن أبي سلمى المزني أحد أصحاب المعلقات ، كان يرعى غنما مع أخيه بجير ، وكان يهجو النبي ﷺ ، قال له بجير : أثبت أنت في غنمنا ودعني أذهب إلى محمد فأسمع كلامه وأعرف ما عنده ، وجاءه بالمدينة فهداه الله للاسلام ، وبعث إلى كعب يخبره بذلك ، ويدعوه لمثل ما فعل[1] فأجابه كعب على رسالته لائماً ، وكان الرسول الكريم قد أهدر دم كعب لما قال فيه ، فأقام يغالب نفسه ثم قدم فأسلم ، وقال قصيدته المشهورة بانت سعاد .

بُجَيْـرُ كيفَ يُخـطِئُـكَ السَّـدادُ ... ويَجنـحُ ضِلَّةً منـكَ القِيـادُ ؟[2]

ألا إنَّ الـلبيـبَ لـذو صـلاحٍ ... إذا مـا الـرأيُ خَـالَـطَهُ الفَسـادُ

تـركـتَ أخـاكَ تَنْشُـدُهُ مُـراداً ... لنفسِـكَ صـالحـاً ، نِعمَ المُـرادُ

---

(١) بعث بجير إلى كعب يقول : إنّ رسول الله قتل رجالا ممن كانوا يهجونه ويؤذونه ، فإن كانت لك في نفسك حاجة فطر إليه مسرعاً فإنه لا يقتل من جاءه تائباً ، وإن أنت لم تفعل فانج إلى نجائك من الأرض ثم كتب إليه :

فمن مُبلغٌ كعباً ، فهل لك في التي ... تَلومُ عليهـا باطـلاً وهي أحزمُ ؟

إلى الله ـ لا العَزّى ولااللاّت ـ وحده ... فتنجـو إذا كـان النجـاءُ وتَسلمُ

لدى يوم لا ينجـو وليس بمفلتٍ ... من الناسِ إلا طاهرُ القلبِ مُسلِمُ

فَـدِينُ زُهيرٍ وهـو لا شيء دينـه ... وديـن أبي سـلمى علـيّ مُحـرّم

(٢) الضلّة ضد الهدى .

تقولُ له : أَنَبْقَى في ظُنونٍ تَذودُ البيِّناتِ ، ولا تُذَادُ ؟[١]
فَدَعْنِي وَانْتَظِرْ يا كعبُ إنّي لأَخْشَى أن يَطيحَ بنا العِنادُ
أجِيءُ مُحمّداً فأرى : أَغَيٌّ يُرادُ بِمَنْ يَلِيهِ أم رَشادُ ؟[٢]

* * *

أتى ، فَرَأى اليقينَ له جَلاءً فطابتْ نَفسُه ، وصَفَا الفُؤادُ
وَأَسْلَمَ ، لا يَرَى للّهِ نِدّاً تَدينُ له الخلائِقُ والعِبادُ
وأنفذَهُ إلى كعبٍ كتاباً كأنَّ سُطُورَهُ البِيضُ الحِدادُ[٣]
دَعَاهُ إليهِ يَكرهُ أن يَراه كَمَنْ صَدَفوا عَنِ المُثلَى وَحادُوا[٤]
وقال : لئن أبيتَ فلا تَلُمْني إذا أخذتكَ داهيةٌ نآدُ[٥]
رَمَيْتَ مُحمّداً فَلأنْتَ صَيْدٌ له يا كعبُ والرّامي يُصادُ
إذا لم تأتِنا فاذْهَبْ بَعيداً عَسَى مَنْجىً يُغيثُكَ أو مَصادُ[٦]

* * *

أتاه نَذيرهُ فَعَناهُ هَمٌّ وَطَالَ اللّيلُ وَامْتَنَعَ الرُّقَادُ
إذا التمسَ القَرارَ أبى عليه وغَالَ قُواهُ ذُعْرٌ وَارْتِعادُ[٧]
يَظُنُّ الأرضَ تَرجفُ أو تَنَزَّى فما تَرسو الجبال ولا الوِهادُ[٨]

---

(١) تذود تدفع وتطرد .
(٢) يليه يتبعه .
(٣) السيوف القاطعة .
(٤) صدف أعرض وصدّ ، وحاد مال وعدل ، والطريقة المثلى الشّبهى بالحقّ .
(٥) حالّة به لا خلاص منها .
(٦) أعلى الجبل يُتخذ ملجأً .
(٧) غال قواه ذهب بها .
(٨) جمع الوهدة وهي الأرض المنخفضة .

وأرسلَ : يا بُجَيْرُ صبأت لمّا سَقَاكَ بكأسِهِ السمحُ الجَوَادُ[1]
أدينَ أبيكَ تتركُ يا بُجَيْرٌ ولا دِينٌ سواه ولا اعتقادُ ؟

* * *

وَسَاوِسُ ذاهلٍ يَغْشَاهُ رُعبٌ فُيورِثُهُ جُنوناً أو يَكادُ
فلمّا ضَاقَتْ الدُّنْيَا عليه وَهَدَّتْ رُكنَهُ الكُرَبُ الشِّدَادُ
أتى يَبغِي الأمانَ لَدَى كريمٍ يُرَجَّى الخيرُ منه ويُسْتَفادُ
تَدَارَكَ نَفسَهُ منه بعفوٍ فعادت حين لا يُرْجَى مَعَادُ
ولاذَ بِمَعْقِلِ الإسلامِ كَعبٌ فلا رُكنٌ يَمِيلُ ولا عِمادُ

* * *

هَلُمَّ فَلاَقِهِ يا كعبُ رِزْقَاً مِنَ الرضوَانِ ليس له نَفادُ
لَنِعمَ الزرعُ زرعُكَ حِينَ تَبغِي جَناهُ ، وحِينَ يُدركُهُ الحَصَادُ
لَقِيتَ كرامةً ، وسَعِدْتَ جَدّاً فَغَنِّ إذاً ، وقُلْ بَانَتْ سُعادُ[2]
وَخُذْهَا بُردَةً للشِّعْرِ فيها طَرِيفُ العِزِّ والمجدُ التِّلادُ[3]

---

(١) لما جاءت رسالة بجير أخاه كعباً كتب إليه :

ألا أبلغا عنّي بُجيراً رسالةً فهل لك فيما قلتَ ويحكَ هل لكا ؟
فَبَيِّنْ لنا إن كنتَ لستَ بفاعلٍ علي أيِّ شيءٍ غير ذلكَ دلّكا ؟
على خُلُقٍ لم تُلْفَ أُمّاً ولا أباً عليه . ولا تلفى عليه أخا لكا
سَقَاكَ بها المأمونُ كأساً رويّةً فأنهلَكَ المأمونُ منها وعَلّكا

صبأ الرجل خرج من دين إلى دين .

(٢) أنشد كعب قصيدته « بانت سعاد » في مسجد المدينة وهي سبعة وخمسون بيتاً ومنها :

بانت سعادُ فقلبي اليومَ متبولُ مُتَيَّمٌ إثرها لم يُفْدَ مكبولُ
وما سعادُ غداة البين إذ رحلوا إلا أغنُّ غضيضُ الطرف مكحول
إنّ الرسول لسيفٌ يُستضاءُ به مُهنّدٌ من سيوف الله مسلول

(٣) القديم .

غـزوة حُنين

لما فتحت مكة اجتمع أشراف هوازن وثقيف يقولون ، قد فرغ لنا محمد، فالرأي أن نغزوه نحن قبل أن يغزونا، وجعلوا أمرهم إلى مالك بن عوف ـ أسلم بعد ذلك ـ على أن يرجع فيما يريد إلى دريد بن الصمة لسنه وتجربته ، وكان عدد جيشهم ثلاثين ألفاً ـ خرجوا بالنساء والأولاد والمواشي ـ وكان خروج النبي ﷺ من مكة إلى هذه الغزوة يوم السبت سادس شوال من السنة الثامنة في اثني عشر الفاً ، وبعد ان رتب الجيش أعطى الرايات إلى علي بن أبي طالب ، وسعد بن أبي وقاص ، وعمر بن الخطاب ، والحباب بن المنذر ، وأسيد بن خضير . وقد اشتد القتال في هذه الغزوة ، فتراجع المسلمون ثم نصرهم اللّه .

لِمَنِ الجُمــوعُ كـثيــرةٌ تَـتــألَّبُ ؟ ... مَهْـلاً هوازنُ أينَ أينَ المـذهبُ ؟

مَهْلاً ثَقِيفُ رَكِبْتِ من غَيِّ الهَوَى ... وَعَمـايَـةِ الأوهـامِ مـا لا يُـركَبُ

مَهْــلاً بُغـاةَ السُّـوءِ مـا لِمُحَمَّــدٍ ... كُفْؤٌ ، ولا مِنـه لِبـاغٍ مَهْـرَبُ

قلتم : قَضَى حاجاتِهِ ، وخَلاَ لـنا ... فَبِــدَارِ ، إنَّــا معشــرٌ لا نُغـلبُ

وبَعثتمــوهـا ظـالِمِينَ ، تَهـزُّكُـمْ ... نَشواتُها، فَرِدوا المواردَ وَاشْرَبُوا

حَمَلَ ابنُ عوفٍ في الكريهَةِ أمرَكُمْ ... فَـانْهَـارَ كـاهلُهُ ، وَخَـرَّ المَنْكِبُ

ولـقــد دهــاكُم مـن دُرَيْـدٍ أنّــه ... شَيـخٌ تُسـاسُ بـه الأمـورُ مُجـرَّبُ

فسـألتمـوه الـرأيَ يَعصمُ مـالكـاً ... وَيُـريــهِ مـا يـأتِي ومـا يَتَجَنَّبُ

هَيهاتَ ، كلُّ الرأيِ ـ إن غَضِبَ الأُلَى ... لا يرتضونَ سِوَى الجِهـادِ مُخَيَّبُ

سُـوقوا النِّسـاءَ ، وَجَنِّدوا أنعـامَكم وَدَعُوا البَنِينَ بكلِّ أرضٍ تَدأبُ[1]
وإذا الحـديثُ الحقُّ جاءَ كَبيـرَكُمْ فالزُّورُ أَوْلَى ، والحماقةُ أَوْجَبُ[2]
شَتَمَ الأُلَى صـدقـوه ألا يَـدَّعـوا مـا لم يَرَوْا شَـطَطَاً، وألَّا يَكذبـوا
وَرَمَى بهم في الحبسِ خَوْفَ حَدِيثِهِم فـالأمرُ فَـوضَى ، والصَّوابُ مُغَيَّبُ

* * *

إغْضَبْ دُرَيْدُ أوِ ارْضَ، لستَ كمالكٍ في القومِ إذ يَرضَى وإذ يَتَغَضَّبُ
مَـلَكَ القِيـادَ فـلا مَـرَدَّ لأمـرِهِ ولسـوفَ يُهلكُ مَن يقـودُ وَيَجْنُبُ
أكَذاكَ زَعمُكَ يا ابنَ عَوفٍ ؟ إنّها لكبيرةٌ ، بل أنتَ وَيْحَكَ تَلعبُ[3]

---

(١) أمرهم مالك بن عوف أن يسوقوا معهم مواشيهم وأموالهم ونساءهم وأبناءهم ليمنعهم من الفرار ، فلما نزلوا بأوطاس (مكان الواقعة) قال دريد بن الصمة : مالي أسمع رغاء الإبل ونهاق الحمير ، وبكاء الصغير ، ويعار الشاء ، وخوار البقر ؟ قالوا : هكذا أراد مالك ، فدعاه إليه ، وسفّه رأيه ، وكان مما قاله له ـ إنك رويعي ضأن . فما لك وللحرب ، هل يرد المنهزم شيء ؟ هي إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه ، وإن كانت عليك فضحت في نفسك ومالك ، ثم أشار عليه بأمور لم يقبلها ، وقال والله لا أطيعك ، إنك قد كبرت وضعف رأيك . فقال دريد لهوازن ، أنا راجع إلى أهلي إذن . فمنعوه ، فقال لهم ، والله لتطيعني يا معشر هوازن أو لأتكئن على هذا السيف يخرج من ظهري ، فقالوا : أطعناك ، وقال دريد .

يا ليتني فيها جذعْ ، أخب فيها وأضعْ أقود وطفاء الزمعْ ، كأنها شاة صدعْ

(٢) أرسل مالك بن عوف ثلاثة من رجاله يستطلعون أخبار المسلمين ، فرجعوا إليه مذعورين . فقال : ويلكم ما شأنكم ؟ قالوا : رأينا رجالاً بيضاً على خيل بلق ، فأصابنا ما ترى ، ولئن أطعتنا لترجعن بقومك . فقال : أف لكم ، بل أنتم أجبن القوم ، ثم حبسهم كيلا يشيع الخبر .

(٣) بعث النبي عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي ليأتيه بأخبار القوم ، فلما انتهى إلى مالك بن عوف وعنده رؤ ساء هوازن سمعه يقول لهم : إنّ محمداً لم يقاتل قبلنا أحداً من أبطال الحروب إنما كان يلقى قوماً أغماراً فيظهر عليهم وانا لغالبوه ، وعاد عبد الله فقص الحديث على النبي .

أزعَمْتَ أنّ مُحمّداً لم يَلْقَهُ ... مِن قبلِ قَومِكَ مَن يُخَافُ ويُرهَبُ ؟
وَظَنَنتَ أنّكَ إن لَقِيتَ جُنودَهُ ... لم تُغْنِ عنه كَتيبَةٌ أو مِقْنَبُ[1]
إنّ الذي حَدَّثتَ قومَكَ جاءَهُ ... فَلَئِنْ عَجِبْتَ لَما أَصابَكَ أَعْجَبُ

* * *

هُوَ مُلتَقى الجيشَيْنِ، فَانْظُرْ هل تَرَى ... قَوماً تَظَلُّ عُيُونُهُم تَتَلهَّبُ ؟
وَلِع الرُّماةُ بهم ، فتِلكَ سِهامُهُم ... مِلءَ القسيِّ إلى النُّحورِ تُصَوَّبُ[2]
غَفلتْ مَواقِعُها عَنِ الدّمِ إذ جَرَى ... فكأنّها بِدَمِ الرُّمَاةِ تُخَضَّبُ
كَرِهُوا السُّيوفَ ، وَلِلوَغَى أبطالُها ... تُدْعَى ، فَتَستَلُّ السُّيوفَ وتَضْرِبُ

* * *

حِيدُوا جُنودَ اللّهِ ثمّ تَقَدَّمُوا ... فالحربُ في أطوارِهَا تَتَقلَّبُ[3]
آنا تَرُدُّ عنِ الفَريسةِ نَابَها ... تَبغِي مَقاتِلَها ، وآنا تَنْشَبُ
تُزْجِي رَواعِدُها البروقَ ، فصادقٌ ... يَنْهَلُّ صَيِّبُهُ ، وآخرُ خُلَّبُ
غَرَّارةٌ ، يَشْقَى الغَبِيُّ بِكَيْدِهَا ... إنْ بانَ من غَيْبِ الأمُورِ مُحَجَّبُ
تُبدِي من الحاجاتِ ما لا تَبتَغِي ... حَذَراً ، وتَكتُمُ ما تُريدُ وتَطلُبُ
عِلمٌ تَوَارَثَهُ الثِّقاتُ ، وَزَادَهُ ... شَيْخُ الوغَى وأبو الثقاتِ المُنجِبُ

* * *

---

(١) جماعة من الخيل تجتمع للغارة .

(٢) كانت هوازن رماة لا يكاد يخطىء لهم سهم ، فألحوا على المسلمين بالنبل ، والقسيّ جمع القوس على غير قياس .

(٣) هكذا حدث حين اشتد القتال ، وثبت النبي ﷺ في مكانه مع طائفة من أصحابه ، منهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والعباس وابنه الفضل ، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب (بن عمه) وأسامة بن زيد ، وربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وكان يدفع بغلته إلى الأمام ويقول : أنا النبي لا كذب . أنا ابن عبد المطلب .

حَمِيَ الوطيسُ أجلْ : تَبَارَكَ رَبُّنا فَافْزَعْ إليهِ ، هو الغياثُ الأقربُ[1]
هَـذِي كَتـائِبُـهُ عَلَيـكَ تَنـزَّلَتْ وَمَضَتْ إلى أعـدائِـهِ تتـوثَّبُ[2]
بَصُـرُوا بهـا ، فتـزايلت أوصـالُهم رُعْبـاً ، وضَاقَ سَبيلُهُم والمَـذهَبُ
هُمْ في حُنَيْـنٍ يـا مُحَمَّدُ مِثلهم في يـومِ بدرٍ صَـدْعُهُم ما يُـرْأَبُ
مَـدَدُ السَّمـاءِ أعـدَّهُ لـكَ مُنجِـدٌ لا جُنْـدُهُ يَفنَى ، ولا هُـوَ يَتْعَبُ
سُبحـانـهُ، مـا مِن إلـهٍ غيـرهُ لـو يَستقيمُ الجـاهـلُ المتنكِّـبُ

* * *

يا مُولَعَاً بالحربِ ، يَستقصِي المَدَى في وصفهـا منـه البيـانُ المُسْهَبُ
سَلْ بَغْلةً حَملتْ رَسولَ اللّهِ هـل حَمدتْ فَوارِسَهَا العتاقُ الشُّزَّبُ ؟[3]
طَـارُوا عليها مُـدبِرِيْنَ ، ولم يَـطِرْ وَمَضَـوْا فُلولاً ، وَهْوَ راسٍ يَـرقُبُ
بَـطَلٌ يَـرَى مَـوْجَ المنـايـا حَـوْلَـهُ فَعَـزِيمَـةٌ تَـطفـو ، وقَلْبٌ يَـرْسُبُ
تَجـري ظُنونُ القـومِ في حَرَكَـاتِهِ فَيَفـوتُ غـايـةَ من يَـظُنُّ ويَحْسَبُ
كُـلُّ امرىءٍ يـأتي الأمورَ عـظيمـةً فـإليهِ في الـدُّنيا العـريضـةِ يُنْسَبُ
مـا العبَقرِيَّـةُ في مَراتِبهـا العُلَى ؟ هُـوَ في سَمـاءِ العبقـريَّـةِ كَـوْكَبُ
مُتَـأَلِّقٌ ، مَنْ لم يسِـرْ في نُـورِهِ أَوْدَى الظَّلامُ بِهِ وَطَـاحَ الغَيْهَبُ[4]

---

(١) قال النبي حين استعر القتال (الآن حمي الوطيس) وقد رفع يديه في هذا الموطن وقال : اللهم أنشدك ما وعدتني ، اللهم لا ينبغي أن يظهروا علينا ، اللهم كنت وتكون ، وأنت حي قيوم ، اللهم إن تشأ لا تعبد بعد اليوم.. اللهم لك الحمد ، وإليك المشتكى ، وأنت المستعان .

(٢) أنزل الله الملائكة في هذه الغزوة ، وقد اختلف في عدتهم فقيل خمسة آلاف ، وقيل ثمانية آلاف ، وقيل ستة عشر ألفاً.

(٣) الشزب جمع شازب وهو الضامر .

(٤) أودى أهلك والغيهب الظلمة .

أينَ الأُلَى مَلأَ الفضاءَ سَوادهُم وأضلَّهُم ساداتُهُم فتحزَّبوا ؟
غَنِمُوا الفِرارَ ، فما يُرَى مِن بعدِهِم إلاّ المغانِمُ ، تُستباحُ وتُنْهَبُ[1]
خَيرٌ أُتِيحَ ونعمةٌ مَشكورةٌ سِيقَتْ على قَدَرٍ ، ورزقٌ طَيِّبُ
رَاحَتْ بأيدِي المُسْلِمِينَ ، وإنّهم لأحقُّ من يُعطَى الجزيلَ ويُوهَب
تُقضَى الدّيونُ بها ، فلا ابنُ أميّةٍ يشكو المَطَالَ ولا حُوَيْطِبُ يَعْتِبُ[2]
وَيُقَامُ دِينُ اللّهِ في القومِ الأُلَى فُتِنُوا بأصنامٍ تُقَامُ وتُنْصَبُ

* * *

قَتْلَى هَوازِنَ هل تَفَجَّعَ مالِكٌ ومضَى لِمَصرَعِكُم يَنوحُ ويَندُبُ ؟[3]
قُمْ يا دُرَيْدُ فقل لِقومِكَ خُطبةً تجلو الهمومَ ، فقد عَهِدْتُكَ تَخْطُبُ[4]
أنظُرْ إلى الأسرَى وسَلْهُم : ما لهم نُكِبُوا، وكانَ الظنُّ ألا يُنْكَبوا
وَيحَ النّساءِ وَمَن وَلَدْنَ ألا فتىً يَحمِي الذّمارَ ؟ ألا كَمِيٌّ مِحرَبُ[5] ؟
إسمعْ دُرَيْدُ فقد أهابَ محمدٌ يحنو على النشءِ الضّعيفِ ويَحدِبُ[6]
لا تقتلوا الأولادَ ، ما فيهم لنا خَصْمٌ ، ولا مِنهم أثيمٌ مُذنِبُ

---

(١) غنم المسلمون من الإبل أربعة وعشرين ألفاً . ومن الغنم أكثر من أربعين ألف شاة . ومن الفضة أربعة آلاف أوقية ، وعدداً قليلا من البقر .

(٢) استقرض النبي قبل خروجه من مكة إلى هذه الغزوة خمسين ألف درهم من صفوان بن أمية ، وأربعين ألفاً من عبد الله بن ربيعة ومثلها من حويطب بن عبد العزى فرقها في أصحابه من أهل الضعف ، ثم ردها مما غنم في حنين .

(٣) قتل من المشركين في هذه الوقعة أكثر من سبعين قبل الهزيمة وثلثمائة بعدها ولم يقتل من المسلمين غير أربعة .

(٤) كان دريد بن الصمة من فحول الشعراء . وهو صاحب القصيدة التي يقول فيها :

أمرتهمُ أمري بمنعرج اللوى فلم يستبينوا الرشدَ إلا ضُحَى الغدِ
وهل أنا إلاّ من غزيّة إن غَوتْ غويتُ ، وإن تَرشُدْ غزيَةُ أرشُدِ

(٥) المحرب الشجاع الشديد الحرب .

(٦) نهى النبي عن قتل الأولاد رحمة بهم .

أَسَخِرْتَ بالبطلِ الصَّغيرِ فهل نَجَا ... مِنه بِمُهجَتِهِ الكبيرُ الأَشْيَبُ ؟[1]
أعطاكَ سُؤْلَكَ ، ما تردَّدَ سَيْفُهُ ... وَلأنتَ سُؤْلُ غِرارِهِ والمأرَبُ[2]
إن ضاق صَدرُكَ حِينَ تذكُرُ أُمَّهُ ... فَلَصدرُها لو كنتَ تعلمُ أَرْحَبُ
قالت : أَتقتلُهُ ، رَبيعةُ ؟ إنّه ... شَيْخٌ له فَضلٌ يُعَدُّ وَمَنْصِبُ[3]

* * *

ما بالُ سَيْفِ اللّهِ ؟ أين مكانهُ ؟ ... أيغيبُ عن نَظَرِ النبيِّ ويَعْزُبُ ؟[4]
سأل النبيُّ فَقِيلَ : عِندَ جِراحِهِ ... لو يَستَطِيعُ أتى يَهُشُّ ويَطْرَبُ
فمشى إليه يَعُودُه في مَوكِبٍ ... لِلّهِ فيهِ من الملائكِ مَوكبُ
بُورِكْتَ خالدُ ما رَأتْ عَينٌ دَماً ... كَدَمٍ جَرَى من خالِدٍ يَتَصَبَّبُ
قُمْ في جِراحِكَ ، إنّها لك قوةٌ ... تَدَعُ القواضِبَ وَهْيَ حَيْرَى هُيَّبُ
قُمْ للشَّدائِدِ ، ما تَلِينُ صِلاَبُها ... فَلأنتَ صاحِبُها الأشدُّ الأَصْلَبُ
لَكَ هِمَّةٌ ما تُستطَاعُ وَنَجدةٌ ... مَذخورةٌ للأمرِ سَاعَةَ يَحْزُبُ[5]
مَن يَجهلُ الرِئبالَ ، يَنفُذُ نَابُهُ ... في كلِّ مُقتَنَصٍ وَيَمْضِي المِخلَبُ؟[6]

* * *

---

(١) هو ربيعة بن رفيع السلمي . أخذ بخطام جمل دريد فقال له : ما تريد ؟ قال : أريد أن أقتلك ثم ضربه بالسيف فلم يصب منه شيئاً ، فقال دريد يسخر به ، بئس ما سلحتك أمك خذ سيفي فاضربني به ، ثم إذا أتيتَ أمك فأخبرها أنك قتلتَ دريد بن الصمة فقتله ، فلما أخبر أمه قالت : هلا تكرمت عن قتله ؟ إن له لفضلا .

(٢) الغرار حدّ السيف .

(٣) المنصب المنبت والمحتد .

(٤) أثقلت خالدا الجراحات فبقي في مكانه . وقال النبي : من يدلني على خالد ، فدلوه عليه فمشى إليه وتفل على جراحه .

(٥) حزب الأمر اشتد .

(٦) الرئبال الأسد .

إشهَدْ حُنَيْنُ بما رأيتَ ولا تَخَفْ خَصماً يُنازِعُ، أو عَدُوّاً يَشْغَبُ

حَدَّثْتُ عنكَ ، وقلتُ : يا أرضُ اسمعِي فاهتزَّ مَشرِقُها وماجَ المغربُ

ماذا أقولُ ؟؟ أنا العَيِيُّ وإن جَرَى قَلَمِي بأبلغِ ما يُقَالُ ويُكتَبُ

الأنصار يبكون

جاء النبي ﷺ بعد فتح مكة إلى الصفا ، وجعل ينظر إلى البيت ، ثم رفع يديه يدعو الله بما أراد والأنصار حوله ، فقال بعضهم لبعض : إنه يحن إلى قريته وعشيرته ، وظنوا أنه سيقيم بمكة، فجزعوا لذلك وبكوا ، وعلم الرسول الكريم بأمرهم فقال لهم : هاجرت إلى اللّهِ وإليكم ، فالمحيا محياكم ، والممات مماتكم ، ففرحوا بذلك وطابت نفوسهم .

ما للدُّموعِ على التَّظَنُّنِ تَذرِفُ ؟ ... الجارُ وافٍ ، والهَوى متألِّفُ
لا تُنكروا حُبَّ النبيِّ لآلِهِ ... وديارِهِ الأولى ، ولا تَتأسَّفُوا
أحَسِبْتُمُوه يُرِيدُ عنكم مَصرفاً ؟ ... مَهْلاً ، فليس عن الأحبّةِ مَصْرَفُ
لمَّا فزعتم قال : يا قومُ اسْكُنُوا ... هِيَ يَشرِبُ ما دُونَها مُتَخَلَّفُ
دارُ الحياةِ ومَنزِلُ الموتِ الذي ... مَالِي سِوَاهُ ، فإنْ جَهِلْتُم فَاعْرفوا

* * *

فَرِحُوا ، وأشرقَتِ الوجوهُ فما تَرَى ... عَيناً تَفيضُ ، ولا فُؤاداً يَرجُفُ
صَدَقُوا نبيَّهُمُ الهَوَى فَقلوبُهم ... مِن حولِهِ شَغَفاً تَرِفُّ وَتَعطِفُ
أنصارُهُ في الحادِثَاتِ إذا طَغَتْ ... وجنودُهُ في الحربِ سَاعَةَ تَعصِفُ
هُمْ أنصفوهُ مُشرَّداً يَجِدُ الأذَى ... من كلِّ ذِي جَبَريَّةٍ لا يُنْصِفُ
وَتَكنَّفوهُ يُعَظِّمُونَ مَكَانَهُ ... وَذوُو قرابَتِهِ تَصُدُّ وَتَصدِفُ
ما عَزَّ منزلُ قادمٍ أو زائرٍ ... إلاّ ومنزلُهُ أعزُّ وأشرَفُ

شَدُّوا عُرَى الإسلامِ حَتّى استحكمتْ وَلَوَى السّواعِدَ حبلُهُ المُسْتَحْصِفُ[1]

كـانوا أُسـاسَ بِنـائِـهِ وعِمـادَهُ والأرضُ تُخْسَفُ والشّوامخُ تُنْسَفُ

انـظرْ بِناءَ اللّهِ حَـوْلَ رَسـولِـهِ وَصِفِ الذُّرى إن كنَّ مما يُوصَفُ

في كـلِّ سـورٍ منـه جُنـدٌ يَـرتَمِي يغزو الأُلَى كفروا ، وموتٌ يَزحَفُ

صَبُّـوا على المستضعفِينَ نَكـالَهُمْ وَجَرَى القَضَاءُ ، فَهُمْ أذلُّ وأضعَفُ[2]

* * *

يـا معشرَ الأنصـارِ ما مِن صـالحٍ إلّا لـكم فيـهِ يَـدٌ أو مَـوقِفُ

لَكمُ المواقِـفُ ما يُـذاعُ حَـدِيثُهـا إلّا يُهِـلُّ بهـا الـزّمـانُ ويَهتِفُ[3]

لا الشّعْـرُ مُتَّهمٌ إذا بَلَغَ المَـدَى يُـطرِي مناقِبَكُم ، ولا أنـا مُسْرِفُ

أوَ مـا كَفَـاكُمْ مـا يَقُـولُ إلَهُكُم في مَدْحِكُمْ، وَيَضُمُّ منه المُصْحَفُ ؟

---

(١) من استحصف الحبلَ شدّ فتله .

(٢) النكال العذاب .

(٣) أهلّ رفع صوته .

هدم العزى وسواع ومناة

كانت هذه الأصنامُ أعظم أصنام قريش بموضع يقال له «نخلة» على ليلة من مكة ، وكان عمرو بن لحيّ قال لهم : إن الرب يشتي عند اللات ويصيف عند العزى فعظموها وبنوا لها بيتاً يهدون إليه كما يهدون إلى الكعبة ، ويطوفون وينحرون عنده .

بعث النبي ﷺ بعد الفتح وهو ما يزال بمكة خالد بن الوليد مع بعض أصحابه لهدم العزى ، وعمرو بن العاص ومعه طائفة أخرى لهدم سواع ، وسعد بن زيد لهدم مناة ، فهدموها ، وعادوا مأجورين .

إلى العُـزَّى فقد بَلَغتْ مَـدَاهـا ... وإنَّ عـلى يَـدَيْـكَ لَمُنتـهَـاهـا

أزِلْـهـا خَـالـدٌ وَاهْـدِمْ بِـنـاءً ... أُقِيمَ على جَـوَانِبِهـا سَفَـاهـا[1]

بَنـاهُ الجـاهـلونَ لهـا ، ودَانـوا ... بِـهـا من دونِ خَـالِقِهِم إلَـهـا

مُـذَمَّمَـةٌ تُسـاقُ لهـا الهَـدَايـا ... تَـظَلُّ دِمَـاؤُهـا تَسْقِي ثَـرَاهـا

رَمـاهـا ابنُ الـوليدِ فـأيُّ شـرٍّ ... أزالَ ؟ وأيَّ داهـيـةٍ رمَاها

وأيـن غُـرورُ سَـادِنِهـا ؟ ومـاذا ... أفَـادَ دُعـاؤُهُ لمّـا دَعـاهـا ؟[2]

---

(١) السفاه الجهل .

(٢) لما علم سادنها بمقدم خالد علق سيفه واستند الى الجبل الذي هي فيه وجعل يقول :

أيا عُزّ شدّي شدةً لا سوى لها ... على خـالدٍ ألقي القنـاعَ وشمّري

أبا عُزّ إن لم تقتلي المرءَ خالداً ... فَبُوئي بإثمٍ عـاجلٍ أو تَنَصـري

أجلْ يا ابنَ الوليدِ لقد دَهَاهَا ... من الهُونِ المُبَرِّحِ ما دَهاها[1]
ويا عَمْرُو اتَّخِذْ لِسُوَاعَ بأساً ... يُذِلُّ من الطَّواغِيتِ الجِباها[2]
وَيَنتَزِعُ الغَوايَةَ مِن نُفُوسٍ ... ألحَّ ضَلالُها ، وَطَغَى هَواها
هَدَمْتَ ضَلالَةً شَابَتْ عليها ... هُذَيْلُ بعدَ ما قَضَّتْ صِبَاها
تَطَاوَلَتِ القُرون وما تَناهَتْ ... فَقُلْ لِسُواعَ دَهْرُكَ قد تَناهَى
رآه وَلِيُّهُ كَذِباً فَوَلَّى ... يُسائِلُ نفسَهُ : ماذا عَرَاها ؟[3]
وقال : شَهِدتُ أنّ اللّهَ حَقٌّ ... وأنَّ النَّفسَ يَنفعُها هُدَاها
جَعلتُ محمداً سَبَبِي فإنّي ... أرَى أسبابَهُ شُدَّتْ عُراها

* * *

مَناةُ، مَنَاةُ . مالَكِ من بقاءٍ ... وأيُّ شَقِيَّةٍ بَلغتْ مُناها ؟[4]
رماكِ اللّهُ من زَيْدِ بْنِ سَعْدٍ ... بِمَنْ تَرمِي الجِبالُ لَه ذُراها
أما نَفَضَتْكِ من خوفٍ وذُعْرٍ ... عَرانينُ المُشَلَّلِ إذ لَواها ؟
تَبَارَكَ هادمُ الأصنامِ ، إنّي ... أرىَ الأصنامَ تَهْدِمُ مَن بَنَاها
تُضِلُّ العالمينَ ، وقَد أتاهم ... كِتابُ اللّهِ يُنذِرُهُم أذَاها
وما للنَّفسِ تُؤثِرُ أن تُحَلَّى ... سِوَى الإيمَانِ يُلْبِسُها حِلاَها

---

(١) إشارة إلى قول خالد لما هدمها :

يا عُزّ كفرانك لا سبحانك ... إنّي رأيتُ الله قد أهانك

(٢) كان سواع هذا لهذيل، قال ابن جرير۔ لما مات سواع بن شيث بن آدم صورت صورته وعظمت لموضعه من الدين، ولما عهدوا في دعائه من الإجابة ، وهو أبو يغوث ويعوق ونسر، وكذلك صوروا هؤلاء بعد موتهم، فظن الذين جاءوا بعدهم أن لهذه الصورة عملا في النفع والضر فاتخذوها آلهة ثم عبدوها .

(٣) هو سادنه ، قال لعمرو: ما تريد ؟ قال أريد أن أهدمه ، قال: لا تقدر على ذلك. فلما هدمه قال السادن: أسلمت لله رب العالمين .

(٤) كانت مناة للأوس والخزرج وغيرهم من العرب على جبل اسمه (المشلل) يقع على ساحل البحر ،يهبط منه إلى قديد .

أم سليم زوج أبي طلحة زيد بن سهل الأنصاري

رضي الله عنهما

«كانت رضي الله عنها حازمة وسطها ببرد لها ، وفي حزامها خنجر ، وكانت حاملا بابنها عبد الله بن أبي طلحة ، فقال لها زوجها : ما هذا الخنجر الذي معك ؟ قالت : إن دنا مني أحد من المشركين بعجته به ، فقال أبو طلحة : ألا تسمع يا رسول الله ما تقول أم سليم ؟ وأعاد عليه القول . فجعل عليه الصلاة والسلام يضحك ، قالت له : بأبي أنت وأمي ، أقتل هؤلاء الذين انهزموا عنك فانهم لذلك أهل ؟ فقال صلوات الله وسلامه عليه : إن اللهَ قد كفى وأحسن» .

لِأُمِّ سليمٍ يـا أبـا طَلْحَـةَ العُـذْرُ ... وَهَل يأمنُ الإسلامُ أن يغدُر الكُفْرُ ؟

سألتَ فقالت : خَنجري أتَّقي بِهِ ... أذى كـلِّ عادٍ من خَـلائِقِه الغَـدْرُ

أشُقُّ بهِ في حَوْمَـةِ الحربِ بَـطنَهُ ... إذا رامَني بالسّوءِ واسْتَـوْعَرَ الأمْـرُ

أتعجَبُ منها : كيف تحمي ذِمارَها ... وَتَدْرَأُ عنها الشَّرَّ إن هاجها الشَّرُّ ؟

وتدعو رسولَ اللهِ هل أنتَ سامِعٌ ؟ ... فَيَفْـرَحُ من رجعِ الحـديثِ ويَفْتَـرُّ

نعم ، أنتَ تحمِيهـا ولكنَّ نفسَهـا ... لهـا نخـوةٌ من ذَاتِهَـا وبهـا كِبْـرُ

ألم تَـرَ إذ قَالَتْ : أأقتُـلُ مَعشـراً ... تَوَلَّوْا ، فلا بأسٌ شديدٌ ولا صَبْرُ ؟

ومـاذا عليها حين تكفيـكَ أمـرَهـا ... وتَرمِي بكَ الأبطالَ والنَّفْعُ مُغْبَـرُّ ؟

أرادتك للأمرِ الجليلِ ، ولن ترى ... كـأمِّ سليمٍ حُـرَّةً حـازهـا حُـرُّ

ألم تَنْتَظِمْ بالسّيفِ عِشرينَ فارِسـاً ... مَغانِمُهُم شتّى ، وأسلابُهُم كُثْرُ ؟[1]

(١) قتل أبو طلحة في غزوة حنين عشرين رجلا من المشركين فأعطاه النبي ﷺ أسلابهم وأسلحتهم .

إذا طَـارَ منهم مُدبِـرٌ يَتَّقِي الـرَّدَى تَلَقَّاكَ منه في مَطَارِ الرَّدى الصَّدْرُ
تخوضُ الدمَ المسفوكَ ، لا جِسْرَ دُونَهُ ومـا لَكَ كـالإيمانِ في مثلِهِ جِسْرُ
أبا طَلحَةَ اسْمَعْ ما يقولُ ابنُ حُرَّةٍ إليهِ سَرَى من صَفْحَتَيْ جَارِهِ البِشْرُ[1]
يَقُولُ : اطْعَنِي أُمَّاهُ مَن شِئْتِ وَانْصُرِي ببـأسِـكِ دِينـاً مِن كَتَـائِبِـهِ النَّصْـرُ
فَحُيِّيتَ عبـدَ اللّهِ ما أنتَ كـالذي يَرَى السَّيفَ مَقْروباً فيأخذه الذُّعْرُ[2]
كِـلا أَبَـوَيْـكَ اسْتَنَّ سُنَّـةَ مَـاجِـدٍ فَطِبْتَ وَطَابَـا ، لا خَفَاءُ ولا نُكْـرُ
إذا التمسَ الإسلامُ في كلّ حادثٍ يَضِيقُ بـه ذُخراً ، فـأنت له ذُخْـرُ

---

(١) ابنه عبد الله ، وجاره المذكور في البيت هو الخنجر .
(٢) أي في قرابه .

قدوم هوازن وردّ سبيها عليها

تربص النبي ﷺ بضع عشرة ليلة ينتظر قدوم هوازن فقدموا مسلمين ، وكان قد قسم أموالهم وسباياهم على أصحابه فلما سألوه إياها أخبرهم بما فعل ، وخيرهم بين الأموال والسبي ، فاختاروا الثاني ، وكلم النبي المسلمين في ذلك فردوا ما كان معهم من هذا السبي ثم أنه ﷺ سأل هوازن عن رئيسهم مالك بن عوف النصري : أين هو ؟ قالوا مع ثقيف بالطائف ، فقال : لو جاءني مسلماً لرددت عليه أهله وماله ، وأعطيته مائة من الإبل ، فأخبروه . فجاء وأسلم ، ووفى له الرسول الكريم بما وعد

هَـوَازِنُ أقبِلِي ، مـاذا التَّـوانِي ؟ ... أدينُ العِـزِّ ، أم دِيـنُ الهَـوانِ ؟
خُـذِي السَّبْيَ المـوزَّعَ واشكـريها ... يَـدَاً لِـمُـهَـذَّبٍ جَـمِّ الـحـنـانِ
دَعَـا أصحـابَـهُ بلسـانِ صـدقٍ ... إلى الحُسْنَى ، فيا لَكَ من لِسَانِ
أجـابـوا مُـنعـمـيـن ولم يَـضِنُّـوا ... بمـا ملكـوا من البيضِ الحسـانِ
وقـال محمـدٌ أين ابنُ عَـوْفٍ ؟ ... سَـيَـحْـمَـدُ مُـنـتَـواهُ إذا أتـانـي
لـه إن آثَـرَ الإسـلامَ دِيـنـاً ... عَـطَاءٌ لا تُـجـاوِزُه الأمـانـي
يَـعُـودُ بـأهـلِهِ ، ويُـزادُ مـالاً ... على مـالٍ من الإبلِ الهِجـانِ[1]
فَـأقبـلَ مُسلمـاً ، وَمَضَى بخيـرٍ ... جميـلَ الذكـرِ ، محمـودَ المكـان

* * *

(١) الهجان من الأبل البيض الكرام .

حَلِيمَةُ أنتِ والشَّيْمَاءُ أمٌّ وأختٌ ، فانظرا : ما تَصنعانِ ؟[١]
أما لكما الكرامةُ عند مَوْلَى كريمِ العهدِ مُوفٍ بالضَّمانِ ؟
وهل بعدَ الرِّدَاءِ يُمَدُّ بِرٌّ وتكرمةٌ لِذِي خَطَرٍ وَشَانِ ؟
أَجَلَّكُما، وأجزلَ من عطاءٍ يُعينُ على تَصاريفِ الزّمانِ
رَسُولُ اللّهِ كيف وجدتماه ؟ وماذا بعدَ ذلكَ تبغيانِ ؟
عليهِ صلاةُ ربِّكما جميعاً وَبُورِكَ في الرِّضَاعِ وفي اللِّبَانَ[٢]

* * *

أبا صُرَدٍ لَنِعْمَ العَمُّ يرجو غِيَاثَ النّاسِ من قاصٍ وَدَانِ[٣]
ظَفرتَ ، وفازَ بالنُّعْمَى زُهَيْرٌ وهل لكما سِوَى ما ترجوان ؟
ولم أرَ حين تُلتَمَسُ الأيادِي كمثلِ القولِ يَحْسُنُ والبيانِ
وما مَلِكُ الشآمِ وَمَنْ يَلِيهِ كَمَنْ وَافَيْتُما تَستعطِفَانَ
لقد نالت هَوَازِنُ ما تَمَنّتْ وآبَتْ بالسَّلاَمَةِ والأمانِ

---

(١) كانت حليمة مرضعة النبي الكريم في السبي وابنتها الشيماء (أخته من الرضاع) فلما تقدمتا إليه بسط لهما رداءه ثم أعطاهما نعماً وشاء وغلاماً وجارية، وقيل انه وهب السبي للثانية .
(٢) اللِّبان والرضاع بمعنى .
(٣) كان أبو صرد ويكنى بأبي برقان عم النبي من الرضاع تقدم إليه مع ابنه زهير فشفعا للسبي ، وقال زهير : لو أرضعنا للحارث بن شَمْر ملك الشام ، أو للنعمان بن المنذر ملك العراق ثم نزل بنا مثل ما رأيت لرجونا عطفه .

عجوز عيينة بن حصن

أبى عيينة بن حصن أن يرد عجوزاً كانت عنده من سبي هوازن وقال هذه أم الحي فلعلهم يفدونها بمال كثير . وكانت هذه العجوز أ م زهير بن صَرد ، فجاءزهير وعرض عليه أن يأخذها بمائة من الإبل ، فأبى طمعاً في الزيادة ، فتركه وذهب ، ثم غاب عنه ، ومر عليه معرضاً ، فقال له عيينة خذها بالمائة ، فقال لا أدفع إلا خمسين فأبى ، ثم غاب عنه ومر معرضاً ، فقال خذها بالخمسين ، فقال زهير لا أدفع إلا خمسة وعشرين فأبى . وما زال ذلك دأبهما حتى قال زهير : لا آخذها إلا بست نياق ، واللّه ما ثديها بناهد ، ولا بطنها بوالد ، ولا فوها ببارد ، ولا صاحبها عند فوتها بواجد ولا دَرّها بناكد ـ أي غزير ـ فرضي عيينة وقال: خُذها . لا بارك الله لك فيها .

عُيَيْنَـةُ أمسكتَ العجـوز تُـريـدُهـا   عَتاداً يُفيدُ اليُسْـرَ مَن كان مُعْسِـرَا

ضَنَنْتَ بـأُمِّ الحَيِّ تُغْلِي فِـدَاءَهـا   فَيَـا لَكَ رأيـاً غَيرُهُ كـانَ أَجْدَرَا[1]

تَسُـومُ زُهيـراً أن يَـزيـدَكَ ضُلَّةً   عَلَى مائةٍ ، لو كان غِرّاً لأكثرا[2]

رَمَـاكَ بـه مَكـراً خَفِيّاً فلم يَـزَلْ   يَضِيقُ عليكَ الأمرُ حتى تَعَـذَّرا

لقـد كـان فيمـا قـالَ أَوَّلَ مَـرَّةٍ   غِنَىً لَكَ ، لو كنتَ امـرأً مُتَبَصِّرا

يَظَلُّ يُرِيكَ الزُّهـدَ في شَيْخَةٍ لـهُ   يَـرَاهَـا مِنَ الـدنيـا أجَـلَّ وأكبـرا

فَتَدعوه : أَقْبِلْ، لستُ فيها بِرَاغِبٍ   إذا بَلَغَ الأمـرُ الفِـدَاءَ الميَسَّـرا

---

(١) أغلاه جعله غالياً .

(٢) الضُلة الحذق بالدلالة .

فـداهـا ببِنتٍ لـو أبيتَ لَسُقْتَهـا	إليـه بلا شيءٍ وَحَسْبُـكَ ما تَـرَى
أَلَيْسَتْ كمـا قالَ ابْنُهـا ما لمثلهـا	على الضَّنِّ إلاَّ أن تموتَ فَتُقْبَرَا ؟
أما والذي لو شاءَ لم تَعْصِ أمرَهُ[1]	لقد جِئتَ أمراً يـا عُيَيْنَةُ مُنـكرا
فنفسَـكَ فَـاحْمِلْهـا على البِـرِّ إنّـه	لأربَـحَ مِمّا تَحمِـلُ الأرضُ مَتْجَرَا
ومـا طَمَـعُ الإنسـانِ فيمـا يفـوتـه	إذا ما دَعَا الدّاعِي ، فَوَلَّى وأدبرا ؟

(١) النبي ﷺ ، فقد عصى أمـره في إمساك هذه العجوز .

قسمة الغنائم

بدأ النبي ﷺ بالذين أسلموا يوم الفتح تألفاً لهم، وتثبيتاً للإيمان في قلوبهم، فأعطاهم من هذه الغنائم ما أرضاهم ـ وهم المؤلفة قلوبهم، ومنهم أبو سفيان أعطاه فأجزل، وسأله أن يعطيه لابنيه يزيد ومعاوية ففعل، ومنهم حكيم بن حزام أعطاه مائة من الإبل، ثم سأله فزاده مائة، ثم سأله ثلاثة فكذلك، وقال له يا حكيم إن هذا المال خضر حلو، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه، وكان كالذي يأكل ولا يشبع، واليد العليا خير من اليد السفلى، فأخذ حكيم المائة الأولى وترك ما عداها، وقال: يارسول الله والذي بعثك بالحق لا أرزأ أحداً بعدك شيئاً حتى أفارق الدنيا، فكان أبو بكر يدعوه في خلافته ليأخذ من الفيء فيأبى. وكذلك كان في خلافة عمر رضي الله عنهما، ولم يأخذ الأنصار وكبار المهاجرين شيئاً من هذه الغنائم، فقال رجل من المنافقين: هذه قسمة ما عُدِلَ فيها. وما أُريدَ بها وجه الله تعالى وأُخبر النبي فغضب وقال: إذا لم أعدل فمن يعدل؟ رحم الله أخي موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر، واستأذن خالد بن الوليد وعمر بن الخطاب أن يضربا عنق هذا المنافق فقال: لا تفعلا، فإنه سيكون له شيعة يتعمقون في الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرميّة، لا يتحدث الناس أني أقتل أصحابي.

أرأيت حِكمـةَ سيِّدِ الكُـرمـاءِ؟ وعَـرفتَ شيخَ السَّادةِ الحُكَمـاءِ؟
تلك السيـاسـةُ حَـزْمُهـا ودهـاؤُهَـا نـاهيـكَ من حـزمٍ وفَـرْطِ دَهـاءِ
مُرْ يا محمدُ وَاقْضِ، مالَك عَائِبٌ في كـلّ أمـرٍ تـرتضي وقضـاءِ
وَلرُبَّما خفِيَ الصَّـوابُ، فأسفَـرْت عنـه وُجـوهُ الـرأيِ بعـد خَفـاءِ

***

بَـداً النبيُّ بغيرِ من كـانـوا لــه خَيْرَ الصَّحابـةِ عند كُـلِّ بَـلاءِ
يــرجــو مَــوَدَّتَهم ، وَيبني منهمُ لِـلـدّيـنِ صَـرحَ أمـانـةٍ وَوفـاءِ
أعـطى أبـا سُفيـانَ وَابْنَيْـهِ فمـا أنْـدَى سَجايـا الواهبِ المِعْـطَاءِ[1]
وَحبـا حَكِيمـاً مـا أرادَ ثـلاثـةً ونهى هَـواهُ فكـانَ خيـرَ حِبَـاءِ[2]
وأصـابَهـا مِئـةً لــه من نفعهـا مـا جَـلَّ عن عَـدٍّ وعن إحْصـاءِ
قال: ارْعَوْيتُ فلستُ أرزأُ بَعـدَها أحـداً ،وآلَى حِلفَـةَ الأُمنـاَءِ[3]
يُـدْعَى لِيأخُذَ من أبي بكرٍ ومن عُـمَـرٍ فمـا يَـزدادُ غيـرَ إبـاء

* * *

يـا وَيْـحَ للعَبّـاسِ يَغلبُ حِلْمَـهُ أنْ كـان دُونَ مَراتبِ الـرُؤسـاءِ[4]
أبْدَى الشّكاةَ، فكان صُنْعُ مُحَمـدٍ صُنْعَ الطبيبِ، يُـريدُ حَسْمَ الـدَّاءِ
قـال: اقْطَعُـوا هذا اللِّسـانَ بنفحةٍ عَنّي ،وتلك سَجِيَّـةُ العُـظمـاءِ[5]

* * *

(١) أندى أجود وأفضل .
(٢) الحِباء والحُبوة العطِّية .
(٣) ارعوى كفّ ، وآلى حلف .
(٤) العباس بن مرداس ، أعطى النبي الأقرع بن حابس مائة من الإبل ، وعيينة بن حصن مثلها ، ثم أعطى العباس دون ذلك ، وكان مثلهما رئيساً على قومه فغضب وقال ـ

أتـجعـل نـهبي وَنَهْبَ العُـبَيْـد بـيـن عُـيَـيْـنَـةَ والأقـرعِ ؟
فـمـا كـان حصنٌ ولا حـابِسٌ يفـوقـان مـرداسَ في مجمعِ
وقـد كنتُ في الحرب ذا تـدْرُؤ فـلم أُعْطَ شيئـاً ولـم أُمْـنـعِ
ومـا كنتُ دون امـرىءٍ منهـمـا ومـن تضـعِ اليـومَ لا يُـرفَعِ

فقال النبي : اقطعوا عني لسانه وأعطوه مثل صاحبيه ـ العبيد اسم فرسه .
(٥) النفحة العطيّة .

صَفوانُ أسلمَ فانجلتْ غمراتُه ... وأفاقَ بعد غَوايةٍ وغَباءِ[1]
لمّا رأى الإسلامَ يَسطعُ نُورُه ... كَرِهَ الضّلالَ، وضَاق بالظّلماءِ
ومَشى على الأثرِ الكريمِ يَزينُه ... خُلقُ الهُداةِ، ومَظهُر الحُنَفاءِ[2]
صَفوانُ سِرْ في نُورِ ربِّكَ، إنّه ... يَهْدِيكَ في سَيْرٍ وفي إسراءِ[3]

* * *

يا زَيْدُ قُمْ بالأمرِ ، وَاكْتُبْ وَاجْتَنِبْ ... خَطأ الغُواةِ، وكَبْوَةَ الجُهَلاءِ[4]
أحْصِ الرجالَ ، وآتِ كُلاًّ حَقَّهُ ... مِمّا أفاءَ اللّهُ ذُو الآلاءِ

* * *

ما أكرم الأنصارَ والصَّحْبَ الأُلى ... حُرِمُوا، فَمِن صَبرٍ ومن إغضاءِ[5]
نزلوا على حُكمِ النَّبِيِّ وسَرَّهم ... ما كان من ثقةٍ وحُسنِ رَجاءِ
قَومٌ رسا الايمانُ مِلءَ قُلوبِهم ... وسَما عنَ الشَّهواتِ والأهواءِ
لا تَملِكُ الدنيا عليهم أمرَهم ... في شِدّةٍ من دَهرِهم ورَخاءِ
ماضرَّ مَنْ يَسخو بِمُهجةِ نفسِه ... أنْ لا يفوزَ من امرىءٍ بِسَخاءِ ؟
نالوا بفضلِ اللهِ عند رسولِهِ ... ما لم يَنَلْ أحدٌ من النَّعماءِ[6]

---

(١) صفوان بن أمية .
(٢) جمع الحنيف المتمسك بالاسلام أو الصَحيح الميل اليه .
(٣) الأسراء السير بالليل .
(٤) زيد بن ثابت أمره النبي وكان من أعظم كتابه أن يحصي الذين بقوا بعد المؤلفة قلوبهم ويوزع عليهم ما بقي من الغنائم .
(٥) أغضى عن الأمر سكت وصبر .
(٦) اليد البيضاء .

إنَّ الثَّناءَ إلى الرجالِ يَسوُقه لأجلِّ من إبلٍ تُساقُ وشاءِ[1]

* * *

خَسِرَ الذي آذى النَّبيَّ بِقولِهِ ظَلَم الرجالَ، ولجَّ في الإيذاءِ
أُثِمَ المنافقُ ،إنّها لَكبيرةٌ وكذاكَ يَأثُم ناطِقُ العَوْراءِ[2]
صبراً رسولَ اللهِ لستَ بأوّلٍ ما حِيلةُ الحُكماءِ في السُّفهاءِ ؟
مُوسى أخوكَ أُصِيبَ من أعدائه بأشَدِّ ما تَرمِي قُوَى الأعداءِ
إن أنتَ لم تَعدلْ فمن ذا يُرتجى للعدلِ تحت القُبّةِ الزّرقاءِ ؟
نَفَر الحِفاظُ بخالدٍ ورفيقهِ والموتُ مُصغٍ ، والمهنّدُ راءِ[3]
لولاكَ إذ جاوزْتَ أبعدَ غايةٍ في الحِلمِ ، جاوزَ غايةَ الأحياءِ
قُلتَ: اسْكُنا لا تَقْتُلاهُ فإنّه سيكونُ رأسَ الشّيعةِ النّكراءِ
يُغلون في دينِ الإلّه، فَيخرجُوا مِنهُ خُروجَ السَّهمِ يومَ رِمَاءِ[4]
لا يذكرِ الأقوامُ أنّ محمداً يَجزِي الأُلى صَحبُوه شرَّ جَزاءِ

* * *

تِلكَ النُّبُوَّةُ يا مُحّمدُ فاضْطَلِعْ منها بأعباءٍ على أعْبَاءِ
أدِّبْ وعلِّم، تِلكَ مدرسةُ الهُدَى فُتِحتْ،وأنت مؤدِّبُ العُلماءِ

---

(١) جمع شاة .
(٢) الكلمة القبيحة كأنّها تعور العين .
(٣) الحفاظ الأنفة .
(٤) نضال ومدافعة .

غزوة الطائف

خرج النبي ﷺ من حنين إلى الطائف في ألف من أصحابه، جعل خالد ابن الوليد في مقدمتهم،وكانت ثقيف دخلت حصنها، فنزل الجيش قريباً من هذا الحصن، واقترب خالد ينادي: هل من مبارز ؟ فلم يخرج إليه أحد ونـاداه رجل منهم يقال له عبد يا ليل، إن لدينا طعاماً يكفينا سنين فهل أنت منتظر حتى ينفد فنخرج إليك بسيوفنا مقاتلين ؟ ثم أعملت ثقيف السهام فقتلت من المسلمين رجالا منهم عبد الله بن أمية المخزومي أخو أم سلمة رضي الله عنها وجرحت آخرين وأشار سلمان الفارسي بصنع دبابتين من الجلد دخل فيهما جماعة من المسلمين ومضوا الى الحصن لينقبوا سوره، ففطنت ثقيف لذلك وأرسلت عليهما قطعاً من الحديد المحمى بالنار فخرج من كان فيهما، وصبت عليهم السهام فقتل منهم من قتل، وأشار سلمان كذلك بصنع المنجنيق ورمى الحصن به، وقيل إنه هو الذي صنعه بيده يومئذ، وبقي الحصن محاصراً ثمانية عشر يوماً، ولم يرد الله أن تستأصل ثقيف، فأخرهم حتى جاءوا طائعين مسلمين مع غيرهم من الوفود، وكان جملة من قتل في هذه الغزوة من المسلمين إثني عشر رجلا .

ثَقِيفُ انظري: أين قَصْدُ الطريقْ ؟ وكيفَ يلقَّى النجـاةَ الـغـريقْ ؟؟

مَشَى البأسُ في هَوْلِهِ المستطير لـه لَهَبٌ سـاطِـعٌ كـالـحـريقْ

مَشَى تـرجفُ الأرضُ من حـولِـه فـأين الفِـرارُ. وهـل من مُـطِيقْ ؟

ثَقِيفُ أدْخُلِي الحصن. لا تهلكي ويـا عَبْـدَ ليـل لمـاذا النَّعِيقْ ؟

دَعـا خـالـدٌ يَسْتَفِـزُّ الـرجـال فكـان فَـريقُـكَ شَـرَّ الـفِـريقْ

وكنتَ عليهم شهيداً بما ... يُعابُ العدوُّ به والصَّديقْ
يَضِيقُ على العاجزينَ الفضاء ... وَيَرْحَبُ بالقادِرِينَ المضيقْ
وليس الخليقُ. بحرِّ الجلاد ... غداةَ التَّنادي كغيرِ الخَلِيقْ
رَمَوْا بالسِّهامِ، ولو أنصفوا ... رَمَوْا بالطُّلَى كلَّ عَضْبٍ ذَلِيقْ[1]
حِراصٌ على الأنفُسِ الهالكات ... وذلك منهم خَبالٌ وَمُوقْ[2]
ضِعافُ القلوبِ، قُعودٌ جُمودُ ... يخافون كلَّ سَفوحٍ دَفُوقْ[3]
وما يَسْتَوِي الهِبْرِزِيُّ الجَسُور ... غَداةَ الوَغى، والهَيُوبُ الفَروقْ[4]

* * *

رَأَوْا عَجباً من عَتادِ الحروب ... تَذُوقُ الحصونُ به ما تَذُوقْ
رَماهُمْ فَتاهَا بدبّابَتَينْ ... فيالَكَ من فَارِسيٍّ لَبيقْ[5]
رَمَيْتَ الأُلى حَبَسَ الفاتحون ... بموتٍ حبيسٍ وبأسٍ طليق
وَزِدْتَ، فقلت: اضربوا الكافرين ... وَعلّمتهم صَنعةَ المنجنيقْ
تَظَلُّ الحجارةُ مقذوفةً ... يُشيِّعها من مكانٍ سَحِيقْ

* * *

ونُودُوا: إلينا. فمن جاءنا ... مَنَنَّا عليه بِعَهْدٍ وَثيقْ[6]
فأقبلَ منهم بُغاةُ الأمان ... فكلٌّ مُخلًّى، وكلٌّ عَتِيقْ

---

(١) الطلى الأعناق .
(٢) الموق الحمق في غباوة .
(٣) السفوح الدفوق الذي يسفك الدم ويدفقه .
(٤) الهبرزي الأسد، الفروق الشديد الفزع ، والهيوب الخائف .
(٥) ليّن الاخلاق لطيف ظريف .
(٦) نادى منادي الرسول الكريم ؛ أيما رجل خرج إلينا من الحصن فهو حر . فخرج منهم رجال فاعتقهم ، ودفع كل واحد منهم إلى رجل من المسلمين يمونه .

لهم مَنزِلُ الضّيفِ في المسلمين رُعـاةِ العهـودِ، حُمـاةِ الْحُقـوقْ

* * *

عُيَيْنَـةُ مـا قلت لـلمشـركين ؟ وهل يَقتني الحمدَ إلاّ الصَّدُوقْ ؟
كـذبتَ النبيَّ فـقلتَ الـمحـال وجئتَ من الأمـرِ مـا لا يـليـق
وأزلفْـتَـهـا تـوبـةً تبـتـغـي بهـا الخيرَ، والخيرُ نِعْمَ الـرفيقْ
تـبيَّنْ عيينـةُ عُـقْـبَى الأمـور لـعلَّكَ تعـقـلُ أو تَـستفـيق[1]

* * *

سيـأتي بـهم رَبّـهـم مُـسلمـيـن فمـا من ضلالٍ، ولا من فُسـوقْ
ولـو شـاءَ لاجْتثَّــهم أجمـعيـن فبـادت أصـولٌ، وجفّتْ عُـروقْ

* * *

يقـولُ الفـوارسُ: كيف الـرحيـل ومـا شَرِقَتْ بـالدّمـاءِ الحُلوقْ ؟[2]
رُوَيـداً رُوَيـداً جُـنـودَ الـنـبيِّ فقـد ينفـعُ النـاسَ مـا لا يَـروْق
ولِلهِ مـا شَـاءَ فـيمـا يـسـوق من الحـادثـاتِ ،وفيمـا يَعـوْق

---

(١) عيينة بن حصن ، استأذن النبي أن يأتيهم في حصنهم ليدعوهم إلى الإسلام فأذن له ، وذهب فأوصاهم بالصبر والثبات ، ثم عاد فسأله النبي ماذا قلت ؟ قال دعوتهم إلى الاسلام وأمرتهم به ، وحذرتهم النار ، ودللتهم على الجنة . قال : كذبت . إنما قلت كذا وكذا . قال صدقت يا رسول الله ، وإني أتوب إليك .

(٢) لما أذن بالرحيل قالوا كيف نعود ولما نفتح الطائف ! ،

عين أبي سفيان

أصيبت عين أبي سفيان رضي الله عنه بسهم في هذه الغزوة . فأتى النبيﷺ وعينه في يده. وقال: يا رسول الله هذه عيني أصيبت في سبيل الله ، فقال : إن شئت دعوت فردت عليك ، وإن شئت فعين في الجنة ، قال : في الجنة ورمى بها من يده، وأصيبت عينه الثانية يوم اليرموك في قتال الروم .

هنيئاً أبا سُفيانَ لا الذخرُ هَيِّنٌ ... ولا الأجرُ مَمنونٌ ولا أنت مَغبونُ(١)

هو الغنمُ.لم يُقْدَرْ لغيرِ مُوفَّقٍ ... له مشهدٌ في حَوْمَةِ الحربِ ميمونُ

حملتَ أبا سُفيانَ عَينكَ في يدٍ ... بها الخيرُ في كلِّ المواطنِ مَقرونُ

وجئتَ رسولَ اللهِ لا الوجهُ شاحبٌ ... ولا العِطفُ مُزْوَرٌّ ولا القلبُ مَحزونُ(٢)

تقول له . . عَيني التي أنتَ ناظرٌ ... مَضَتْ في سبيلِ اللهِ، والحافزُ الدِّينُ

فقال: إذا أحببتَ فالردُّ مُمكِنٌ ... بِقُدرةِ ربٍّ أمرُه الكافُ والنُّونُ

وإلاّ فأُخرَى عنده إن لَقِيتَهُ ... وذلك وَعْدٌ عِندَ ربِّكَ مَضمونُ

فآثرتَ هَذِي، ثُمَّ ألقيتَ بالتي ... حَمَلْتَ، وما في الحقِّ أن يُؤثَرُ الدُّونُ

سَتَتْبَعُها في وَقعةِ الرُّومِ أخْتُها ... إذا حانَ منها بعد ذلكمُ الحِينُ

فخيرٌ على خيرٍ، ونُعمى تزيدها ... من اللهِ نُعمى، سِرُّها عنك مَكنونُ

هنيئاً أبا سُفيانَ لا الرُّمحُ آسفٌ ... ولا السّيفُ مكروبٌ، ولا العزمُ مَوْهونُ

عَطاؤُكَ في الهيجاءِ لم يُعْطَ مِثلَهُ ... من النّاسِ إلا صادقُ البأسِ مأمونُ

---

(١) الممنون المقطوع . (٢) العطف الجانب ، ومُزورٌّ مائل كناية عن الأعراض والجفاء .

سراقة بن مالك

عند انحدار النبي ﷺ الى الجعرانة لقيه سراقة بن مالك وهو واضع الكتاب الذي كتب له عند الهجرة بين أصبعيه، ورافع صوته بقوله: أنا سراقة وهذا كتابي، فقال الرسول الكريم: هذا يوم وفاء ومودة. أدنوه مني، ففعل وأسلم رضي الله عنه.

إرفَعْ كِتابَكَ يا سُرا قَةُ. إنّه عَلَمُ النَّجاةِ
هُوَ جُنَّةٌ لك من سُيو فِ الضّارِبينَ طُلَى الكُماةِ
عَهْدُ النّبيِّ فأيُّ ذخـ ـر مثله للحادثاتِ[1] ؟
أسْدَى الجميلَ ومَنَّ يا خُذْ نَفْسَهُ بالمكرماتِ
ويُقيمُ أعلامَ الهُدَى للتابعين مِنَ الهُداةِ
لو شاءَ قتلك يا سُرا قَةُ لم تذق طَعْمَ الحياةِ
إذ جئتَ تطلبُ قتلَهُ وتُطِيعُ فيه هوى الغُواةِ
أرأيتَ حِلْمَ مُحَمدٍ وَعَرفته جَمَّ الأناةِ ؟

---

(١) هذا هو العهد الذي أعطاه الرسول الكريم إلى سراقة بن مالك لما اعتذر إليه من إرادة قتله، وقال له: يا محمد إني لأعلم أنه سيظهر أمرك في العالم وتملك رقاب الناس، فعاهدني على أن تكرمني إذا جئتك يوم ملكك، وهو الذي أشرنا إليه في الجزء الأول من هذا الكتاب بقولنا:

فزت (بالعهد) فاغتنمه وأبشر بسواري كسرى فديت البشيرا

أدْرِكْ بِـدِيـنِ اللهِ نَـفْـ سَـكَ، واستقِمْ قبلَ الـفـواتِ
ديـنِ الـمـفـاخـرِ والـمـآ ثـرِ والـخـلالِ الـصَّـالـحـاتِ
ديـنِ الـغـطارفـةِ الأمـا جـدِ، والـجـهـابـذةِ الـثِّـقـاتِ
ديـنِ الـرشـادِ بـأسـرهِ والـخـيـرِ مـن مـاضٍ وآتِ
اللَّهُ ربُّ الـعـالَـمِـيـ ـنَ، فما اتِّبـاعُ التُّـرهـاتِ؟
إن كُـنـتَ ذا عـقـلٍ فَـحَسْـ ـبُـكَ نـظرةٌ فـي الـكـائـنـاتِ
تـلـكَ الـمـعـالِـمُ واضـحـا تٍ والـشـواهـدُ بَـيِّـنَـاتِ
دَعْ مـا مَـضـى لَـكَ يـا سُـرا قَـةُ من جـنـايـاتِ الـعُـصـاةِ
أيّـامَ تَـضـربُ فـي الـغَـوا يـةِ بـالـعَـشِـيِّ وبـالـغـداةِ
أنـت أتّـقـيـتَ اللهَ ربَّـ ـكَ، فَـاغْتَنِـمْ عُقـبَى التُّقـاةِ[1]

(١) التقاة اسم من التقوى .

غزوة تبوك

كانت في شهر رجب من السنة التاسعة، بلغ النبيﷺ أن الروم جمعوا جموعاً كثيرة بالشام، وأن طلائعهم بلغت البلقاء فاستنفر المسلمين للقائهم، وأوصى بالتعاون على تيسير أسباب هذه الغزوة البعيدة الشقة(١) وسد حاجاتها، فجهز عثمان بن عفان عشرة آلاف رجل ، أنفق عليهم عشرة آلاف من الدنانير. غير الإبل والخيل والزاد، وجاء إلى النبي بألف دينار صبها في حجره، وجاء أبو بكر بجميع ماله، وهو أربعة آلاف درهم، فقال له النبي : هل أبقيت لأهلك شيئاً ؟ قال أبقيت لهم الله ورسوله ، وجاء عمر بنصف ماله، وعبد الرحمن بن عوف بمائة أوقية، والعباس وطلحة بمال كثير وعاصم بن عدي بسبعين وسقاً من التمر. وعلمت النساء فقدمت إلى النبي ما استطاعت تقديمه من الحلي في إيمان قوي، وحماسة بالغة، وتخلف المنافقون ومعهم عبد الله بن أبي بن سلول فلم يخرجوا مع الجيش، وكان عدده ثلاثين ألف رجل ـ وقيل أكثر ـ وعقد النبي الألوية والرايات. فدفع لواءه الأعظم الى أبي بكر ، ورايته العظمى إلى الزبير، وجعل راية الأوس لاسيد بن حضير، وراية الخزرج للحباب بن المنذر، وبلغ الجيش تبوك فعسكر فيها انتظاراً للقاء العدو، فلم تبد له بادية، وبعد بضع عشرة ليلة استشار النبي عمر بن الخطاب، هل يمضي بالجيش لمهاجمة جموع الروم. أم يدعهم الى ميقاتهم فأشار عمر بهذه، وكانت غزوة تبوك. آخر غزواته ، صلوات الله عليه .

لِمَنْ تَجمعُ الرُّومُ أبطالها ؟ وتحملُ للحربِ أثقالَها ؟

---

(١) جاء في السيرة أن المسافة بين المدينة وتبوك أربع عشرة مرحلة .

ألـلجـاعِـلـيـنَ نُـفـوسَ الـعـبـادِ وَدائِـعَ يَـقْـضـونَ آجـالَـهـا ؟
إذا استعجلوهـا بـبيض الـظُّبَـي فلن يملكَ القـومُ إمهـالَهـا[1]
جُـنـودٌ تُـقـدِّمُ أرواحَـهـا وتَـبـذلُ فـي اللهِ أمـوالَـهـا
لئن جـاوزَتْ غـايـةَ الـعـاملين لـقـد بَـارَكَ اللهُ أعـمـالـهـا
وَمَنْ مِثلُ عُثمَانَ يَـرْعَى النُّفوسَ إذا آدَهـا الأمـرُ أو عـالَهـا ؟[2]
كثيـرُ النَّـوالِ، رَحِيبُ المجـال إذا رَامَ مَـنـزلـةً نـالَـهـا
أبـا بكـرٍ اخْتَـرَتَ أبقى الثـراء وجَـنَّبـتَ نَـفْـسَـكَ بَلبالَـهـا
تَـمنَّيتَـهـا نِـعـمـةً سمـحـةً فـألـبـسَـكَ اللَّهُ سِـرْبَـالَـهـا
وإنَّ لِـصحبِـكَ فـي الـبـاذلـين مَـنـاقِـبَ تُـدمِـنُ إجـلالَـهـا[3]

* * *

ألـحَّ الـنِّـسـاءُ عـلى حَلْـيِـهِـنّ وأقـبـلنَ فـي ضَجَّـةٍ يـالـهـا
نَـبِـيَّ الـهُـدَى أتُـلِمُّ الـحـقـوقَ فـنـأبَى، ونُـؤثِـرُ إهـمـالَـهـا ؟
وتـذهـبُ مـنّـا ذَواتُ الـحِجـالِ تُجرجِرُ في الحيِّ أذيـالِهـا[4] ؟
لقـد طـافَ طـائِفُهـا بـالفتـاة فـأرَّقـهـا مـا عَـنـا آلـهـا
فمـا أمسـكَ البُخـلُ دُمْـلُوجَهـا ولا مَلكَ الحِـرصُ خُلخَالَهـا[5]

* * *

مشَى الجحفلُ الضَّخمُ في جحفلٍ يُـحِـبُّ الـحُـروبَ وأهـوالَـهَـا

---

(١) الظُّبى جمع ظبية هي السيف أو السنان ونحوها .
(٢) آده الأمر بلغ منه المجهود . وعاله غلبه وثقل عليه .
(٣) أدمن الرجل الشيء أدامه .
(٤) الحجال جمع الحجل وهو الخلخال وذرات الحجال كناية عن النساء .
(٥) الدملوج حُلْيٌ يُلبس في المعصم .

وخـافَ من الحـرِّ أهـلُ النِّفـاقِ   فقـالـوا: البيـوتَ وأظـلالَهـا[1]
وأهْـلَكَـهُـمْ شَـيْـخُ أشيـاخِـهِـم   بِشَنعـاءِ يَـأثَمُ مَـن قَـالـهـا[2]

* * *

بَـني الأصـفـر استبِقـوا لـلوغى   وخَـلُّوا الـنُّـفـوسَ وآمـالـهـا[3]
وقفتم من الـرُّعبِ، مـا تُقدمـون   ومـا هَـاجتِ الحـربُ أغـوالَهـا
فـكيـف بـكـم بَـيْـن أنْيَـابِـهـا   إذا جَـمَـع اللّهُ آكـالَـهـا ؟[4]
رأى عُمَـرٌ رأيَـهُ في الـرّحيـل   فـلا تُـكْـثِـرِ الـرُّومُ أوجـالَـهـا
لـهـم دَونَ مَـهـلكِـهْـم مُـدّةٌ   مِنَ الـدّهـرِ يَقضـون أحـوالهَـا
تَبـوكُ اشْهَـدِي نَـزَواتِ الـذّئـاب   وحَـيٍّ الأسـودَ وأشـبـالـهـا
أمـا يَـنبغِـي لـكِ أن تَـعـرِفـي   شُيـوخَ الحُـروبِ وأطـفـالهـا ؟

* * *

هي المِـلّةُ الحـقُّ، لن تَـستكيـن   ولـن يـدَعَ السّيفُ أقْتـالَهـا[5]
رأتْ مَلّةَ الكُفـرِ تغـزو النُّفـوس   فـجـاءَتْ تُـمـزِّقُ أوصـالَـهـا

---

(١) قال بعضهم لبعض : لا تنفروا في الحر وكان الحر شديداً عند الخروج إلى هذه الغزوة فنزلت الآية الكريمة ﴿ وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون ﴾ أي نؤثر أو نلزم البيوت وأظلالها على حذف الفعل .

(٢) هو عبد الله بن أبي سلول قال ، يغزو محمد بني الأصفر على جهد الحال ، والحر والبلد البعيد إلى ما لا طاقة له به ، يحسب أن قتالهم معه اللعب والله لكأني أنظر إلى أصحابه مقرنين في الحبال .

(٣) قيل للروم بني الأصفر لأنهم ولد روم بن العيص بن اسحاق نبي الله عليه السلام وكان يسمى الأصفر لصفرة به .

(٤) ملوكها وسادتها جمع آكل والضمير راجع إلى الحرب .

(٥) جمع قِتل ، وهو العدو والمقاتل .

لهـا من ذويهـا حُمـاةٌ شِـداد يُـبـيـدونَ مَـن رامَ إذلالَـهـا

فلن يَعـرِفَ النّـاسُ أمثـالهَـم ولن يَشـهـد الـدّهـرُ أمثالَـهـا

ولـن تَستبِيـنَ سَبِيـلُ الهُـدَى إذا اتّـبـعَ النّـاسُ ضُـلّالـهـا

فَمَنْ كـانَ يُحـزِنُـه أن تَبِيـد قُـوَى الشّركِ، فَلْيَبـكِ أطلالَهـا

لإهـلِ الـمُفَـصَّـلِ من آيـهِ مَـوَارِدُ يُـسقَـوْنَ سِـلْسَـالَـهـا

تَـردُّ الـقُـلوبَ إلـى ربِّـهـا وتَـفـتـحُ لـلنُّـورِ أقـفـالَـهـا

في دار سويلم اليهودي

اجتمع قوم من المنافقين في دار سويلم اليهودي يقولون كما قال عبد الله ابن أبي بن سلول وعلم النبي بأمرهم فأرسل إليهم عمار بن ياسر وقال: أدرك القوم فقد احترقوا . فجاءهم فأنكروا، وجاءوا إليه ﷺ فأخبرهم بما قالوا، فجعلوا يعتذرون ويقولون: كنا نخوض ونلعب، فأنزل الله تعالى ﴿ ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب . . الآية ﴾ .

سِويلمُ ما قَوْلٌ ببيتِكَ يُفْتَرَى ... بألسنةٍ تبغي الفسادَ فَتكذِبُ ؟

ألِابْنِ أُبيٍ رَأيهُ ، ما وَراءَهُ ... لِذي نُهْيَةٍ رأيٌ، ولا عنه مَذْهَبُ[1] ؟

حَقودٌ رَمَى بالشُّؤْمِ كلَّ مُنافقٍ ... فيا لكَ من شَرٍّ على النّاسِ يُجلَبُ

أَحَسَّ رَسولُ اللهِ ما كان منهمُ ... وجَاءَ بَريدُ الله بالحقِّ يدأبُ

فقال لعمَّارٍ أرى القومَ أوقدوا ... لأنفُسِهمْ ناراً بِعَيْني تَلهَّبُ

ألا قُمْ فأدْرِكْهم ولمَّا يُصِبْهُمُ ... عَذابٌ غَليظٌ ما لهم منه مَهْرَبُ

فلّما أتاهم أنكروا، ثم أقبلوا ... بأقوالِ فُجَّارٍ عن الحقِّ ترغبُ

فقالَ رسولُ اللهِ بل قُلتُم الذي ... عَلِمتُ ، وما يخفَى عَليَّ المُغيَّبُ

فقالوا على غَيْظِ النُّفوسِ وَحِقدِها ... ألا إنّما كُنَّا نَخوضُ ونَلعبُ

وعادوا خَزَايا نادِمينَ، وإنّهم ... إلى الشَّرِّ إلاّ أن يَتوبوا لأَقْرَبُ

---

(١) النهية العقل .

الجد بن قيس

ندبه الرسول الكريم للخروج في هذه الغزوة فاستاذنه في التخلف وقال له لا تفتني[1] فوالله لقد عرف قومي أنه ما من رجل أشد عجباً بالنساء، مني، وإني لأخشى أن لا أصبر إذا رأيت نساء بني الأصفر، فأعرض عنه النبي. وأقبل عليه ابنه يقول له: والله ما أخرك سوى النفاق .

خَفِ اللَّهَ يا جَدُّ بن قيسٍ ولا تُطِعْ هَـواكَ وَدَعْهـا خُـطَّةً هِيَ مـاهِيَـهْ

كَـذبْتَ رَسولَ اللهِ تُضمِـرُ غيرَ مـا تقولُ: وما تَخْفَى على اللهِ خافِيَهْ

تَقُولُ لهُ: ائْذَنْ لِي ولا تَبْغِ فِتنتي فَـإنِّي امرؤٌ أُعـطِي النّساءَ عِنَـانِيَـهْ

وإنَّ نِســاءَ الـرُّومِ يَغْلِبْنَنِي على عَفـافِي، فَدَعْني، مالهنّ ومـالِيَـهْ

فـأعرضَ عنهُ غيـرَ راضٍ وسـاءَهُ فُجورُ امرىءٍ يُبدِي الفُجورَ عَلانِيَهْ

وجـاءَ ابنُـه يُصليـهِ نَـارَ مَـلامـةٍ فيا لكِ من نارٍ على المرءِ حَامِيَهْ

يقول له : بل جئتَها جـاهليّةً دعتكَ إليها من نفاقك دَاعَيَهْ

* * *

لك الويل يا جَدُّ بن قيسٍ فإن تَتُبْ وُقيتَ، وإن تَفْسُقْ فمـالـكَ وَاقِيَـهْ

---

(١) ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني ألا في الفتنة سقطوا .. الآية .

البَكّاؤون

هم سبعة من الفقهاء جاءوا الى النبي ﷺ يسألونه أن يحملهم إلى تبوك فقال لهم : لا أجد ما أحملكم عليه فتولّوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً . . ورق لهم قوم من كرام الصحابة فحملوهم .

أَبَوْا أن يقعدوا والجيشُ يُزجَى فَيُوشِكُ أن يكونَ له انْطِلاقُ
وليس لهم سِوَى القُرآنِ يُتلَى فلا خَيْلٌ ولا إبلٌ تُساقُ
فَلاذوا بالنبيِّ وناشدُوه لِيَحْمِلَهُمْ ، فَضاقَ بهم وضاقوا
تَوَلَّوْا تَسْتَهِلُّ على لِحاهُمْ دُموعٌ مِلءَ أعينِهم تُراقُ
أتُعْوِزُهُمْ لَدَى الزَّحفِ المطايا ويَسْبِقُهم إلى اللهِ الرِّفاقُ ؟
فَرَقَّ لهم من الغازِينَ قومٌ رُمُوا مِنهم بخطبٍ لا يُطاقُ
وَجاءَوُا بالرَّواحلِ فاستراحوا مِنَ الهَمِّ المُبرِّحِ واسْتَفاقوا
أمَنْ يَهديهِ إيمانٌ وَتَقْوىً كمن يُرديه غِشٌّ أو نِفاقُ ؟

أبو خيثمة

كان ممن تخلف عن النبي فدخل يوماً على زوجتيه فوجدهما قد رشّتا العريش بالماء ،وهيّأتا طعاما وماء بارداً ، وكان يوماً شديد الحسر ، فقال أيكون رسول الله ﷺ في الحر وأبو خيثمة في ظل بارد، وماءمهيّاً ، وامرأتين ناعمتين ؟؟ والله لا كان هذا، ثم أخذ سيفه ورمحه ولحق بالنبي في تبوك .

لَـكَ اللهُ أقبِـلْ أبـا خَيْثَـمَـهْ ... فِـلّلهِ صُنْعَكَ مـا أكْـرَمَـهْ
قَعـدتَ، فلمـا كَـرِهتَ القُعَـود ... نَـفـرت حَثيثـاً إلى المَلْحَمَهْ
دَخلتَ الـعَريـشَ على نَعجتيك ... فَسُبحـانَ ربِّـكَ مـا أعـظَمَـهْ
نَـعِيـمٌ يَـروقُ، وظِـلٌّ يشـوقُ ... وعَـيشٌ يَسـرُّكَ أن تَـغْـنَـمَـهْ
فـذكـرَّكَ اللهُ حَـرَّ الـجـهـاد ... وألـهَـم قـلبـكَ مـا ألْـهَـمَـهْ
فقلتَ: أيمضي الـرسـولُ الكـريم ... يُـكـابِـدُ في اللهِ مـا جَشَّـمَـهْ
وأبقىَ هُـنـا في هَـوى نَـعْجَتيَّ ... وَحُبِّ العـريشِ كَذِي المـلأمَـهْ؟
وَسِرتَ فـأدركَـتَـهُ في تـبـوك ... وللجيشِ مـن حَـوْلِـه هَمْهَمَـهْ
يقـولـون: مَن ذا؟ ومـا خطبـهُ؟ ... ألا إنّـه أبـو خَـيْـثَـمَـهْ
ألم يَـكُ في المعشرِ القـاعدين؟ ... فمـاذا عـراهُ؟ ومـا أقْـدَمَـهْ؟
هُـوَ اللّهُ يَهـدِي نُفـوسَ الرجـال ... ويَـرزقـهـا الـبِـرَّ والـمَـرْحَـمَـهْ

أبو ذر الغفاري رضي الله عنه

تخلّف به بعيره عن الجيش لما أصابه من الإعياء . فأخذ متاعه وحمله على ظهره ، ثم سار حتى أدرك النبي ، ورآه بعض الصحابة مقبلا فقالوا يا رسول الله، هذا أبو ذر قد جاء، فقال: رحم الله أبا ذر، يمشي وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده، فكان كما قال، فقد مات رضي الله عنه بالرَّبَذَة حين أخرجه عثمان بن عفان في خلافته اليها بعد أن كان في الشام لشكاية من معاوية، ولم يكن معه فيها إلا امرأته وغلامه، فقال لهما عند موته، غسّلاني وكفّناني ،ثم اجعلاني على قارعة الطريق ، وقولا لأول من يمر بي : هذا أبو ذر صاحب رسول الله فأعينونا على دفنه، ففعلا ذلك، وأقبل عبد الله بن مسعود في رهط من أهل العراق، فوجدوا الجنازة على الطريق قد كادت الابل تطؤها ، فقام إليهم الغلام وقال لهم ما أراد أبو ذر أن يقول، فبكى ابن مسعود ونزل هو وأصحابه فواروه ، ومن قول الرسول الكريم فيه: ما أظلّت الخضراء ولا أقلّت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر، وكان من الأقدمين في الإسلام .

أبا ذرٍّ رَحلتَ على بعيرٍ ... لو أنَّ الذَّرَّ يَلْمَسُهُ لَهدَّهْ[1]

بَراهُ السَّيرُ حالاً بعد حالٍ ... فأوْهَنَ عَظْمَهُ، وأذابَ جِلْدَهْ

عَمدتَ إلى متاعِكَ، لم تَدَعْهُ ... عليهِ، ولم يَدَعْكَ الضَّعفُ عِنْدَهْ

شددتَ قُواكَ إذ وَهَنْت قُواهُ ... وَرُضْتَ الأمرَ إذ أبصرتَ جِدَّهْ

---

(١) الذر النمل .

وسِرْتَ، فكنتَ أصلبَ منه عَزماً وأصدقَ هِمّةً، واشَدَّ نَجْدَهْ
مَشَيْتَ تُريدُ وَجْهَ اللهِ حتّى بلغتَ رَسولَهُ ولَقيتَ جُنْدَهْ
رأوكَ تَؤُمُّهُمْ فرداً، فقالوا أخٌ في اللّهِ؛ يخشى اللّهَ جُهْدَهْ

وقال: أتى أبو ذَرٍّ فأهلاً بصاحبِنا الذي ما خان عَهْدَهْ
ألا إنّ الذي يَسْعَى إلينا ليمشي وَحْدَهُ، ويَموتُ وَحْدَهْ
وَيُبْعَثُ وَحْدَهُ مِن بعدِ هذا وَسُبحانَ الذي يَختارُ عَبْدَهْ

طلحة بن عبيد الله

كان طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه في هذه الغزوة مع المسلمين . فنحر لهم جزوراً وأطعمهم منها، وكانوا في حالة شديدة من الجوع، فقال له النبي : أنت طلحة الفياض وسماه يوم أحد طلحة الخير، ويوم حنين طلحة الجود، وذلك لكثرة إنفاقه على العسكر .

طَلْحَةَ الخيرِ، طَلحَة الجُودِ، أَبْشِرْ ... صِرتَ تُدْعى بِطلحَة الفيّاضِ

نَفحةٌ بعد نفحةٍ، وانتهاضٌ ... في مجالِ السَّخاءِ بعدَ انْتِهاضِ

في حُنَيْنٍ يَدٌ، وفي أُحُدٍ أُخْـ ... ـرَى، وهذي تَبوكُ ملأى الوفاضِ

مِن جَزُورٍ نحرتَها تُطعِمُ الجيـ ... ـشَ، وتشفيهِ من أذىً وارْتِماضِ

ذاقَ من شِدّةِ الطَّوَى ما كفاهُ ... وهو مُستحصِدُ العزيمةِ رَاضِ[1]

حَزَبَتْهُ الأمورُ في طاعةِ اللـ ... ـهِ فما هَمَّ مَرّةً باعتراضِ

عَالِمٌ أنّ أفضَلَ المقاديرِ ما شا ... ءَ ، وخيرَ الأمُورِ ما هو قاضِ

لَكَ في المُسلِمينَ يا ابْنَ عُبيدِ اللـ ... ـهِ بَرقٌ مُبارَكُ الإيماضِ

تَستهِلُّ الصنائِعُ الغرُّ إنْ لا ... حَ ، وتَجرِي الصّلاتُ مِلءَ الحياضِ

هكذا المؤمِنُ الموفَّقُ يُغنِي ... في مَرُوآتِهِ غَناءَ المواضي

يَدفعُ الحادثَ الجليل، ويَقْضِي الـ ... ـحقَّ سمحَ اليدينِ قبلَ التقاضي

(١) الطوى الجوع ، ومستحصد من استحصد الحبلُ فتل فتلاً محكماً .

قدوم يحنة بن رؤبة صاحب أيلة
ومعه أهل أذرح وجرباء ومقنا

قدم على النبي ﷺ يحنة بن رؤبة صاحب أيلة ومعه أهل أذرح وجرباء ومقنا من قرى الشام فعرض عليهم الإسلام فأبوا، وصالحوه على الجزية فكتب لهم العهود بذلك، وكان مع يحنة بغلة بيضاء أهداها إليه صلوات الله وسلامه عليه ، فكساه برداً من ثيابه الشريفة .

يُحَنَّـةُ إنْ تؤمِنْ فَخيرٌ، وإن تُـرِدْ ... سِوَى الحقِّ، فَاعْلَمْ أنّ رأيكَ عَازِبُ[1]

أتى بـك من أكنافِ أيلةَ مـا أتى ... وليس لمن يَمَّمتَ في النّاسِ غَالِبُ

دُعِيتَ إلى الإسلامِ ، فاخترْتَ جِزْيَةً ... تَنالُ بها الأمنَ الـذي أنتَ طالبُ

ولو كنتَ ممّن يبتغي جانِبَ الهُدَى ... هُـدِيتَ، ولكنَّ المُضلَّلَ خَـائِـبُ

ومـا رَغِبَ المـأمـونُ فيهـا هَـدِيَّةً ... كساكَ بها البُرْدَ الذي أنت سَاحِبُ

أتيتَ بقومٍ لو رأوا مِنـكَ ناصحاً ... لما عاب منهم خُطّةَ الجِدِّ لاعِبُ

أتـأبـون دِينَ الحقِّ يـا آلَ أذْرُحٍ ... وَجرباءَ حَتّى يجلبَ الخيلَ جالِبُ ؟

ألا فـاشهدوا يـا آلَ مقنا وأيْقِنُـوا ... بأنْ سوفَ تنْهَى الجاهِلينَ العواقِبُ

خُذوا من عهودِ الذُّلِّ ما اللّهُ ضَارِبٌ ... عليكم، وما الدَّاعي إلى اللهِ كاتبُ

وأدُّوا إليـه المـالَ، لا تَبخلُوا بـه ... ولا تغدروا، فالبـأسُ يَقظانُ دائبُ

وَسِيروُا بأهليكم على الخُطَّةِ التي ... رَضِيتُم لهم، إنّ الطريقَ لَلاَحِبُ[2]

* * *

(١) بعيد عن الحق .

(٢) واضح كأنه لُحب أي قُشِرَ عن وجهه التراب .

أخـا البغلةِ البيضـاءِ لَيْتَـكَ كُنْتها   لعلَّكَ تـدرِي كيفَ تعلو المـراتِبُ
أتُعَـطى من العـزِّ البهيمــةُ رِزقَهـا   ويُحَرمُ منه المرءُ؟ تِلكَ العجائبُ
يُحَنَّـةُ هذا مـا قَضى اللّهُ فـاعتبِـرْ   وكيف اعتبارُ المرءِ. والعقلُ ذاهِبُ؟

خالد بن الوليد والأكيدر

أرسل النبي خالد بن الوليد من تبوك إلى دومة الجندل لغزو الأكيدر بن عبد الملك الكندي، فقتل أخاه واستنزله هو من حصنه . ثم جاء به الى النبي فأسلم. وكتب له ولأهل دومة الجندل كتاب دعوا فيه إلى الإسلام فمن أبي فعليه ما على المشركين، ولما قبض الرسول الكريم ارتد الأكيدر فبعث اليه أبو بكر خالداً بن الوليد فقتله .

أخالدُ إنّكَ ذو نَجْدَةٍ ... فَهيَّا إلى دُومةِ الجندلِ
إلى معشرٍ كفروا بالكتاب ... وحَادوا عن المذهبِ الأمثلِ
دَعاكَ الرسولُ فأنت الرسول ... وليس له عنك من مَعدلِ
أمامك حِصنٌ طويلُ الذُّرَى ... فَخُذْهُ بِصَمصامِكَ الأطولِ[1]
وَمُرْ بالأكيدرِ يَقذفْ به ... إليك على كِبرهِ من عَلِ
قتلَت أخاهُ وألقى إليك ... جَناحَ الذليلِ فلم يُقتلِ
وجِئت به سيّدَ الفاتحين ... فأوغلَ في قلبهِ المقفلِ
هَداه إلى اللهِ بعد الضلال ... وبعد العَمى، لم يَكَدْ يَنجَلي
وأعطاه من عهدهِ موئلاً ... يَقيهِ، فيا لك من موئلِ
فَصبراً أُكيدرُ إنّ الزمان ... سيكشفُ عن غدِكَ المقْبلِ

(١) الصمصام السيف لا ينثني .

سَتنقُض عهدكَ دَأْبَ الشَّقيِّ وتجمحُ في غَيِّكَ الأوّلِ
فيرميكَ ربُّكَ بابنِ الوليد ويشفِيكَ من دائِكَ المعضلِ
بصاعقةٍ مَنْ يَذُقْها يَقُلْ كأنَّ الصّواعقَ لم تُرْسَلَ
أتفعلُ وَيْحَكَ ما لو عقلتَ لأعرضتَ عنه ولم تفعلِ ؟
أكيدرُ ليس لنفسٍ وَقاء إذا ما ابتلى اللهُ مَن يبتلي

خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم
عند منصرفه من تبوك

قال عليه الصلاة والسلام :

أما بعد فإن أحسن الحديث كتاب الله ، وخير الغنى غنى النفس ، وخير الزاد التقوى ، ورأس الحكمة مخافة الله عزّ وجل ، والنساء حبالة الشيطان ، والشباب شعبة من الجنون ، والسعيد من وعظ بغيره ، ومن يغفر يغفر له ، ومن يعف يعف الله عنه ، ومن يصبر على الرزية يعوضه الله ، أستغفر الله لي ولكم .

خَطَب الرسولُ فَكُلُّ سَمْعٍ مُنْصِتٌ ... في الخَافِقَيْنِ ، وكلُّ قلبٍ خَاشِعُ[1]

قُلْ يا محمدُ كُلُّ شيءٍ مُطرِقٌ ... يَرجو المزيدَ ، وكلُّ شيءٍ سَامِعُ

قل ما يُعَلِّمكَ الذي هو عَالِمٌ ... أنّ النُّفوسَ إلى الفسادِ نَوازِعُ

أدِّبْ بدينِ اللهِ قَوْمَكَ إنّه ... دِينٌ لأشتاتِ الفضائلِ جامعُ

هذا تراثُ العالمينَ بأسرهم ... يَجري عليهم نَفْعُه المتتابعُ

فلكلِّ عصرٍ منه وِردٌ سائغٌ ... ولكلِّ جِيلٍ منه كَنْزٌ رائعُ

قُل للذي تَرك السَّبيلَ، ألا اسْتَقِمْ ... وعَنِ العَمايةِ فَلْيَزَعْكَ الوازِعُ

فإذا غَوَيْتَ فكلُّ شيءٍ ضائرٌ ... وإذا اهتديتَ فكلُّ شيءٍ نافعُ

اللهُ أنزلَ في المفصَّلِ حُكمَهُ ... والحقُّ يعرفه التَقيُّ الطائعُ

---

(١) الخافقان المشرق والمغرب لأن الليل والنهار يخفقان فيهما .

في العقبة بين تبوك والمدينة

خلا جماعة من المنافقين بأنفسهم وعدّتهم إثنا عشر رجلا لمّا آذن النبي بالرجوع من تبوك فقالوا : إذا عدل محمد عن بطن الوادي إلى العقبة وأبى إلا أن يسلكها وحده تبعناه فزحمناه فيها ، ودفعنا به عن راحلته - يريدون إيذاءه - فنبأه الله بذلك ، فلما بلغ العقبة أشار على المسلمين بسلوك بطن الوادي ، وسلكها هو بعد أن جعل زمام ناقته في يد عمار بن ياسر وأمر حذيفة بن اليمان أن يسير خلفها ، فتسلل المنافقون خلفه ملثمين تحت جنح الظلام لإمضاء ما أجمعوا عليه .

يَقولُ دُعاةُ الشرِّ ليتَ محمداً ... إذا نَحنُ عُدْنَا يسلكُ الجانبَ الوَعْرا

إذن لدفعناهُ إلى الجانبِ الذي ... تَنكَّبَ، نُؤذِيه ونُرهقُه عُسْرا

ونبَّأهُ مَولاهُ فازدادَ قُوّةً ... على قُوّةٍ، واختارَ ما يَقمعُ الشَّرّا

فلما دَنا من يَثربٍ قال قائلٌ ... أطِيعُوا رسولَ اللهِ وامْتثِلُوا الأمْرَا

على السَّهْلِ فامْضُوا، واتركوا الحَزْنَ إنّه ... سَيَسْلُكُه فَرداً يُريدُ بكم يُسْرا

وقال: تقدَّمْ ناقتي يا ابْنَ ياسرٍ ... وسِرْ خَلفَها يا ابنْ اليمانِ فما أحْرَى

وسَارَ فجَاءَ القومُ يَعْدُونَ خَلفَهُ ... وقد نَشر الإظلامُ من حولهم سِتْرا

ونَكَّرَ كلٌّ وَجْهَهُ بلثامِهِ ... وما نَكَّروا إلا الخيانةَ والغَدْرا

رَمَوْا ناقة الهادِي بأشخاصِ جِنَّةٍ ... تَخوضُ إليها اللّيلَ فانتفَضْت ذُعرا

وأمسى رَسولُ اللهِ يَهوِي مَتاعُه ... على الأرضِ إلا ماتماسكَ فَاسْتَذْرَى[1]

---

(١) استذرى بمعنى التجأ او اعتصم . فقد سقط بعض المتاع وبقي بعضه .

وقال: انْطلِقْ يا ابنَ اليمَانِ فَرُدَّهُمْ ... ويا صاحبي لا تبتئِسْ وَالْزَم ِ الصَّبْرا[1]

فَكَـرَّ عليهم كَـرَّةَ اللَّيثِ ضَـارِبـاً ... وُجـوهَ مَطايَـاهُم ، ولَم يالُهُم زَأْرا

إليكم إليكم شِيعـةَ الكُفـرِ إنّكم ... لأعداءُ ربِّ النَّاسِ ، أعظِمْ بِهِ كُفْرا

تولَّوْا سِراعاً، لم يُصِيبُـوا شِفاءهُمْ ... ولم يُطفِئُوا مِن حِقدهِم ذَلِكَ الجَمْرا

وَجـاءَ أُسيدٌ لا يـرى غيـرَ قَتلِهم ... فقالَ رسولُ اللهِ لا تَبْغِهـا نُكْرا[2]

أأقتـلُ قَـومـاً ظَـاهـروني وحَـارَبُـوا ... مَعِي؟ حَسْبُهم أن يَحملوا الإثم والوِزْرا

وجَاءُوا على خوفٍ، يقولونَ، ما بنا ... سِوَى الظَّنِّ ، فاغفِرْ ، إنّها الفِتنةُ الكُبْرى

وضَجُّوا بأيْمـانٍ هِيَ النَّارُ أُوقِـدَتْ ... بـألسنـةٍ ظلّتْ أكـاذيبُهـا تَتْـرى[3]

كَفاهُمْ عِقابُ اللهِ، والـدّعوةُ التي ... يَظَلُّ لَظاها يَنفذُ الظَّهرَ والصَّدرا[4]

---

(١) عمار بن ياسر .

(٢) أسيد بن حضير ، لما أصبح رسول الله ﷺ جاءه فقال له يا رسول الله ما منعك البارحة من سلوك الوادي فقد كان أسهل من سلوك العقبة ؟ فقال : أتدري ما أراد المنافقون وذكر له القصة ، فقال : يا رسول الله قد نزل الناس واجتمعوا فمر كل بطن أن يقتل الرجل الذي همّ بهذا ، فإن أحببت بَيِّنْ أسماءهم ، والذي بعثك بالحق لا أبرح حتى آتيك برؤ وسهم ، قال الرسول الكريم ، إني أكره أن يقول الناس : إن محمداً قاتل بقوم ، حتى إذا أظهره الله تعالى بهم أقبل عليهم يقتلهم ، فقال يا رسول الله هؤلاء ليسوا بأصحاب قال : أليس يظهرون الشهادة ؟

(٣) جمعهم النبي وأخبرهم بما قالوه وما أجمعوا عليه فحلفوا بالله ما قالوا ولا أرادوا الذي ذكر فأنزل الله تعالى ﴿ يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهموا بما لم ينالوا ـ الآية ﴾ .

(٤) دعا عليهم الرسول فقال : اللهم ارمهم بالدبيلة ، وهي سراج من نار يظهر بين الأكتاف حتى ينجم من الصدور ـ وفي لفظ ـ : شهاب من نار يقع على نياط قلب الرجل فيهلكه .

في المدينة ـ النبي يعرض عن المنافقين ويأمر بمقاطعتهم

لما رجع النبي إلى المدينة استقبله المنافقون الذين لم يخرجوا معه إلى تبوك بغير عذر، فأعرض عنهم وقال لأصحابه، لا تكلموا أحداً منهم ولا تجالسوهم حتى آذن لكم، فجعل الرجل يعرض عن أبيه وأخيه، فاشتد الأمر عليهم، وأخذهم من الهمّ والغمّ ما أخذهم .

خَفُّوا يُلاقونَ النبيَّ بيثربٍ ... من بعدِ ما كَرِهوا الخُروجَ فأحْجَموا

فَنأى وأعرضَ ،لا يُريدُ لِقاءَهم ... وَتكشَّفوا، فَمُبَغَّضٌ ومُذَمَّمُ

وَتقطَّعتْ أسبابُهم فكأنّهم ... سَرْحٌ يُبدَّدُ، أو بِناءٌ يُهدَم[1]

سُودُ الوجوهِ، تَرى العُيونُ قَتامها ... فَتظلُّ تُطْعَنُ بالّلِحاظِ وَتُرْجَمُ[2]

يَتلفَّتونَ إذا مَشَوْا ،وإخالهُم ... لو يَقدِرونَ مِنَ الحياءِ تَلثَّموا

يَتقلَّبُ الآباءُ في حَسَراتِهم ... وكأنّما الأبناءُ ليسوا مِنْهُمُ

هَجرٌ وإعراضٌ وَطُولُ قَطيعةٍ ... فالعيشُ سُمٌّ ناقِعٌ أو عَلْقَمُ

هُمْ أجْرَمُوا فَهُوَ الجزاءُ، وهَكذا ... يُجْفَى ويُجْتَنَبُ المُسِيءُ المجرِمُ

وَيْحَ الثلاثةِ إنّهم مما لَقُوا ... لأَشدُّ خَطباً في الرجالِ وأعظمُ[3]

---

(١) السرح المال السائم، تبدد تفرق .

(٢) القتام الغبار .

(٣) هم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية رضي الله عنهم ، لم يكونوا من المنافقين ، وإنما تخلفوا لأمر بدا لهم وقلوبهم مع الجيش وقد أرجأهم الرسول الكريم ينتظر أمر الله =

وَدُّوا لَو انَّ الأرضَ زالتْ فَانْطَوتْ ثُمَّ انْطَوَوْا ، فكأنّهم لم يأثَموا
ضاقت جَوانِبُها، فلا مُتأَخَّرٌ فيها لأنفُسِهم ولا مُتقَدَّمُ

* * *

كلٌّ له في العالَمين جَزاؤُه ومِنَ الجماعةِ حَاكِمٌ لا يَظْلِمُ
يَقْضُونَ إنْ عَقَلوا قَضاءً صالحاً هُوَ للنّفوسِ مُهذِّبٌ ومُقَوِّمُ
فإذا هُمو جَهِلُوا، فليس لدائِهم طِبٌّ ،وليس لمثلِهم أن يَحْكُموا
سُبحانَ ربِّكَ ذي الجلالةِ إنّه لم يُوجِبِ الشُّورى لِمَنْ لا يَفْهَمُ
الرَّأيُ رأيُ ذَوِي المعارفِ والنُّهَى ومِنَ الرجالِ بَهائِمٌ لا تَعْلَمُ

= فيهم ، وهم الذين نزل في شأنهم قوله تعالى ﴿ وآخرون مرجون لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم والله عليم حكيم ﴾ قال كعب . تغير علينا الناس حتى أنكرت في نفسي الأرض ، فما هي بالارض التي أعرف . فلبثنا على ذلك خمسين ليلة ، فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهم يبكيان ، وأما أنا فكنت أشدَّ القوم وأجلدَهم . فكنت أخرج فأشهد الصلاة وأطوف في الأسواق فلا يكلمني أحد إلى آخر ما قال ، وقد عفا الله عنهم وتاب عليهم فأنزل قوله تعالى ﴿ لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رؤ وف رحيم وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلّا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم ﴾ .

مسجد الضِّرار

لما اقترب النبي إلى المدينة علم ان بني غنم بن عوف إخوة بني عمرو بن عوف أصحاب مسجد قباء بنوا مسجداً ينافسون به إخوتهم ويصرفون الناس إليه، وأن أبا عامر الراهب الملقب بالفاسق هو الـذي زين لهم ذلك. فقال لجماعة من المسلمين منهم وحشي قاتل حمزة ؛ انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاحرقوه واهدموه. ففعلوا ما أمرهم به.

يا بَني غُنْمِ بْنِ عَوفٍ ما لكم ... تَجعلونَ الـدِّينَ كَيْداً وضِـرارا ؟

أغَضِبْتُم إذ بَنَى إخوتُكم ... في قُباءٍ مَسجِداً يهدِي الحَيَارى ؟

فاتَّخذتُمْ غَيْرَهُ تَبغونه ... فِتنةً للنّاسِ جَهْلاً وَاغْتِرارا ؟[1]

وَجَمعتم فيهِ من أشياعِكم ... كُلَّ غاوٍ يجعلُ السُّوآى شِعَارَا

مُفْتَرٍ يَهْذِي بقولِ الزُّورِ في ... سَيِّدِ الرُّسْلِ ويُؤذيه جِهارا[2]

يا بني غُنمِ بنِ عَوْفٍ إنّها ... شِيَمُ الحَمْقَى، وأخلاقُ السُّكَارى

إسْتفِيقُوا، إنّه قد جاءكم ... من جُنودِ اللهِ أقوامٌ غَيارى

قال مَولاهم هَلُمُّوا فاهْدِمُوا ... مَسجدَ السُّوءِ جِدَاراً فَجِدَارا

---

(١) ﴿والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراوتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون . لا تقم فيه أبداً .لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه﴾ ـ الآية) .

(٢) كانوا يجتمعون في مسجد الضرار ويعيبون النبي ﷺ ويستهزئون به .

وَابْعَثُوا النَّارَ عليهِ جَهرةً   إنّما المؤمنُ مَنْ يُصْليهِ نارا

* * *

صَدَعُوا بالأمرِ، وَازْدَادَ الأُلى   طَاوَعُوا الفاسِقَ ذُلّاً وصَغَارا[1]

زَيّنَ الفاحِشَةَ الكُبْرَى لهم   فَأَتَوْها ، لا يخافونَ البَوَارا[2]

---

(١) قال لهم أبو عامر الراهب الذي لقبه الرسول الكريم بالفاسق : إبنوا لي مسجداً وأعدوا ما استطعتم من قوة وسلاح فإني ذاهب إلى قيصر ملك الروم فآتي بجند من عنده لإخراج محمد وأصحابه من المدينة . ولما فرغوا من بنائه دعوا النبي للصلاة فيه كما صلى في مسجد قباء فنزلت الآية الكريمة مانعة له .

(٢) البوار: الهلاك .

عَامُ ٱلْوُفُودُ



وَفدُ نصارى نجران

كانوا ستين رجلا وفدوا على النبي ﷺ ،عليهم اردية الحرير وخواتم الذهب، ومعهم هدية بسط فيها تماثيل، ومسوح، فرد البسط وأخذ المسوح، ولما رأى فقراء المسلمين ما عليهم من الزينة تشوفوا الى الدنيا فنزلت ﴿ قل أؤُنَبِّئُكُمْ بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار ﴾ الآيات .

أبوا الإسلام وصالحوه على ألف حلة في صفَر ، ومثلها في رجب، ومع كل حلة أوقية من الفضة ،وقالوا له : أرسل معنا أمينا، فأرسل أبا عبيدة عامر بن الجراح، وقال لهم: هذا أمين الأمة .

وَفدَ نَجرانَ إن أردتَ الرَّشادا فَاتَّقِ اللهَ . واتَّبِعْ ما أرادا

وتأمّلْ، فَتلِكَ حُجَّتُه البيضاءُ لم تُبقِ ظُلمةً أو سوادا

وَضَح الحقُّ، وَانْجَلى الشَّكُ فَانْظُرْ إنّه النُّورُ قد أضاءَ البلادا

إنّه الدِّينُ قَيِّماً يُصلِحُ الأمرَ ، وَيَنْفِي الأذى معاً والفَسادا

جِئتَ في زِينَةٍ، وبَسْطَةِ حالٍ تزدهيك الجِيادُ إذ تَتهادى

وهدايـاكَ من مُسُوحٍ وبُسُطٍ زِيدَ فيها الفنُّ البديعُ وزَادا[1]

صَدقتْ صَنعةُ التصاويرِ فيها وَهْيَ إفكٌ، سَبِيلهُ أن يُعادَى

* * *

---

(١) المسوح جمع المِسْح الكساء من شَعَر .

ردَّهـا الـصَّـادقُ الأمـيـنُ تُـقـاةً وقَـضَـى الأمـرَ حِـكـمـةً وسَـدادا

ودعـاهـم إلى الـتي هِـيَ أهْـدَى فـأبَـى الـظالـمـونَ إلاَّ عِـنـادا

زَعمـوا أنّهم على الحقِّ، ماحـا دوا؛ولـكـنَّـه عـن الـحـقِ حـادا

أيـظنُّ المسيـحَ عَبْـداً وقـدكـا ن إلَهـاً أتى يُـديـنُ العِبـاد[1] ؟

قـال: لا تكـذبـوا عليـه، وتُـوبـوا وَاتْـبَعـوا الـحقَّ مِـلّةً وَاعْـتِـقـادا

إنَّ عِـيسَـى صَـلَّى الإلـهُ عـليـهِ كـان لـلحـقِّ قُـوةً وعَـتـادا

هُـوَ مِـن رُوحِ ربّـهِ مُـستفـادٌ وسَبيـلُ المخلوقِ أن يُستفـادا

كـان في قـومِـه رسـولاً رَضِيّـاً يَـتَّقِي رَبَّـهُ ويَـرْجُـو الـمـعـادا

لا أبٌ كـالـذي زَعمتُمْ، ولا ابنٌ فـدعـوا الشّـركَ وَانْبِـذوا الإلحـادا

وَحِّـدُوا اللهَ، مـالكم منـه وَاقٍ وَاحْذَروا الخيلَ والسُّيـوفَ الحِدادا

ضَـلَّ من يـدَّعِي لِمَنْ هُـوَ فَـردٌ فـي عُـلاهُ الأبـنـاءَ والأنـدادا

فتنتهم أعمـالُـه، وَهْيَ مِنْ قُـدرةِ اللّهِ، وشَـرُّ الضَّـلالِ أن يَتمـادى

رُمِـيـتْ يَـشـرِبٌ بـوفـدٍ جَـمـادٍ هل رأى العالمـون وَفدا جَمـادا ؟

عَدِمَ العقلَ، فهو يُمعِنُ في الجهـ ـلِ ويـأبَى فمـا يُـريـدُ اتّئـادا

أنـزل اللهُ آيـةً، لـو وعـاهـا راحَ بعد اللّجاجِ يُلقِي القِيادا[2]

---

(١) قالوا للنبي ﷺ: ما شأنك تذكر صاحبنا عيسى عليه السلام وتقول إنه عبد الله ، فهل رأيت مثله أو أنبئت به ؟ وقال أحدهم : إنه ابن الله ، لأنه لا أب له ، وقال آخر: هو الله ؛ لأنه أحيا الموتى ، وأخبر عن الغيوب ، وأبرأ من الأدواء كلها وخلق من الطين طيرا ، قال: إنه عبد الله وكلمته ألقاها إلى مريم فغضبوا .

(٢) لما لجّوا في عنادهم أنزل الله تعالى : ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم ﴾ وقوله ﴿ ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم ﴾ الآية وقوله ﴿ فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ﴾ دعاهم إلى المباهلة فأبوا من الهلاك وصالحوه على الجزية .

لم يَكُنْ دُونَ أن يبيدَ مَحِيصٌ لَيْتَهُ بَاهَلَ النبيَّ فَبادا[1]
مَنعتهم آجالهم ، فَتَفَادَوْا ما يودُّ الحريصُ أن يَتفادى
وأتوا مُذعِنينَ، يبغونَ صُلحاً يَدفعُ الويلَ والخطوبَ الشِّدادا
سيّدُ الرسلِ أمّلوُه ففازوا إنّما أمَّلوا الكريمَ الجَوادا
اشترُوا مِنْهُ أنُفساً نَجِساتٍ زادها البيعُ والشِّراءُ كَسَادا
حُلَلٌ لا تكونُ إن هِيَ عُدَّتْ دُونَ ألفٍ، ولا تَجِيءُ فُرادا
يَبعثُ القومُ مِثلَها من لُجَيْنٍ يُعجِبُ النّاظِرينَ والنُّقّادا[2]

* * *

سِرْ حَثِيثاً أبا عُبيدةَ وَامْلأْ أرضَ نَجرانَ هِمَّةً وَاجْتِهَادا
أنتَ أنتَ الأمينُ عَزَّبكَ الصُّنـ ـعُ الذي يرفع الرِّجالَ وسادا
خَلُصَتْ للنبيِّ مِنكَ خِلالٌ أفعمتْ نَفْسَهُ هَوىً ووِدادا

* * *

أخذوا العهدَ رَحْمةً وسلاماً بعد أنْ ضلَّ سَعيُهُم أوكادا
يَبلغُ الحقُّ مُبتغاه وتزدا دُ قُواهُ تَمادِياً واطِّرادا
وأضلُّ الرجالِ من لا يُلبِّي دَاعِيَ اللهِ طائعاً إذ يُنادَى

* * *

أيها المُؤمِنُونَ تُوبوا إلى اللـ ـهِ وكونُوا لِدِيْنِهِ أوتْادا
أَرَغِبْتُمْ إذ أقبلَ الوفد في الدنـ ـيا ، وكنتم من قبله زُهّادا ؟
إنّ خيراً من ذلكم جَنّةُ اللّـ ـهِ فلا تَعْدِلوا بِتقْواهُ زَادا
ما لِنَفْسٍ من غِبْطَةٍ أو سُرورٍ بِمتاعٍ تَخْشَى عليهِ النَّفادا

---

(١) المباهلة . الملاعنة (٢) اللجين الفضّة

وفد الأشعريين

قدموا من اليمن مع جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه في قدومه من الحبشة على النبي ﷺ في خيبر، ومعهم أبو موسى الأشعري، قال لما رآهم: أتاكم أهل اليمن، أرق أفئدة وألين قلوبا، الإيمان يمان والحكمة يمانية يريد أقوام أن يضعوهم ويأبى الله إلا أن يرفعهم :

قُدومٌ من أبي مُوسَى الهُمامِ — وَوفدِ الأشعريِّينَ الكِرامِ
وعَوْدٌ من غريبِ الدارِ ناءٍ — رَمى برحالهِ للبَيْنِ رام[1]
يَفرُّ بدينِه، ويُريدُ ربًّا — أقامَ رسولُه دينَ السّلامِ
أبا مُوسَى لَك البُشرى وأهلاً — بركبِكَ في حِمَى خَيرِ الأنامِ
لَقيتَ مِنَ الأحبَّةِ كلَّ سمحٍ — وفيٍّ العهدِ مأمونِ الذِّمامِ
وَنِلتَ بدارِهم ما رُمتَ منهم — فهل لك بعد ذلكَ من مرامِ ؟
إذا رقَّتْ قلوبُ القومِ كانت — بعافيةٍ من الدّاءِ العُقامِ[2]
تَجولُ حقائقُ الأشياءِ فيها — فَمنِ غَلَقٍ يُفَضُّ ومن خِتامِ[3]
وتُوقِظُها إذا الأكوانُ نامتْ — فما تلهو بأحلامِ النِّيامِ
إلى الإيمانِ والحِكَمِ الغوالي — سما نَسَبٌ بكم عالي المقامِ

---

(١) النائي البعيد، والبين الفرقة .
(٢) الذي لا يُرجى البرءُ منه .
(٣) الغلف ما يُغلق به الباب والختام كل ما يُختم به على الشيء .

شهـادةُ أصـدقِ الشّهـداءِ طُـرًّا وأنـطِقهـم بـمـأثـورِ الـكـلامِ
أبـا مـوسى نَهضتَ إلى محـلٍّ يَشُقُّ على ذَوِي الهِمَمِ الـعِـظامِ
وَفُـزْتَ بهـا حيـاةً، مـا لنفسٍ تُجـانِبُها سِـوى الموتِ الـزُّؤامِ [1]
نِـظامُ الـدّينِ والـدنيـا جميعـاً وهـل شيءٌ يكـونُ بـلا نِظامِ ؟

---

(١) السريع.

وفد ثقيف

كان في رمضان سنة تسع بعد غزوة تبوك، وكان من خبرهم انه لما عاد النبي ﷺ من محاصرتهم تبعه عروة بن مسعود فأسلم، وسأله أن يرجع ليدعو قومه إلى الإسلام ،فقاله له: إنهم قاتلوك، قال: أنا أحب إليهم من أبكارهم وأبصارهم، وذهب إليهم فقتلوه بعد أن أسمعوه كثيرا من الأذى، فسمعه أحدهم يتشهد وقت السحر عند الفجر على غرفة في داره فرماه بسهم فمات، وهو يقول: كرامة أكرمني الله بها، وشهادة ساقها إلي، فليس فيّ إلا ما في الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله ﷺ ، قبل أن يرتحل عنكم، فادفنوني معهم ففعلوا ، وقال الرسول الكريم في حقه: إن مثله في قومه كمثل يس - يريد المذكور في سورة - يس إنه قال لقومه اتبعوا المرسلين ، فقتلوه .

أقامت ثقيف بعد مقتل عروة أشهرا ثم استولى عليها الذعر، فأجمعوا أن يوفدوا رجالا منهم إلى النبي، فجاءوا وفيهم شرحبيل بن غيلان وعثمان بن أبي العاص، وهو أصغرهم سنا، فأسلموا . وسألوه أن يؤمّر عليهم رجلا فكان عثمان، ورجعوا إلى قومهم ، وهم يكتمون إسلامهم كما أمرهم سيدهم كنانة بن عبد ياليل، وأخذوا يخوفونهم فأسلموا .

أَقْبِلُوا راشِدينَ فالأمرُ جِدٌّ ... أيُّ نهجٍ للحقِّ لم يَبْدُ بَعْدُ ؟
أقبلوا راشدين ما لثقيفٍ ... وسواها ممّا قَضَى اللَّهُ بُدُّ
يا ابنَ غيلانَ مَرحباً جِئتَ في الركـ ... ـبِ وحَادِي الهُدَى يَسوقُ ويَحْدُو
أين من قومِكَ الأُلى رَكبوا الغَيَّ ... فلم يُثْنِهم عن الإثمِ رُشْدُ ؟

قتلوا عـروةَ الشّهيـدَ علـى أن   آثـرَ اللهَ، فَهْـوَ لـلشّـركِ ضِـدُّ
جَـاءَ إثـرَ النبيِّ يَشهـدُ أنَّ اللّـ   ـهَ حقٌّ عـالي الجَـلالـةِ فَـرْدُ
وأتـى قَـوْمَـهُ يـظنُّ بـهـم خيـ   ـراً، فمـالوا عن السّبيـلِ وصَدُّوا
هـكـذا أخبـرَ الـنبـيُّ، ولـكـن   لـيس لـلأمـرِ حيـن يُـقـدَرُ رَدُّ
قال: دَعْهم لمالـكِ المُلكِ وَاعْلَمْ   أنّهم قـاتـلوكَ. فـالقـومُ لُـدُّ[1]
غَـرَّهُ رأيـهُ، فـلم يَـكُ حُـبٌّ   غيـر حُبِّ الأذى، ولم يَـكُ وُدُّ
بُورِكَ الوفـدُ إذ أتى الكوكبَ الـدُّ   رِّيَّ فـي نـورِه يَـروحُ ويـغـدو
يَـتلَّقـى السَّـنـا تَبِـينُ بـه السُّبْـ   ـلُ وضَـاءً بعـد الخفـاءِ وتبـدو
وَرد الـدِّينَ صـافيـاً ما يُضـاهيـ   ـهِ لـمن يَبْتَـغِي السَّـلامَـة وِرْدُ
وقَـضَـى أمـرَهُ، فَـعـادَ ومـنـه   حِيـلةٌ أُحكِـمتْ، ورأيٌ أسـدُّ
راح يُخفِي إيمـانَـهُ، ويهـدُّ الـ   ـقـومَ رُعبـاً، وكـلُّ واهٍ يُـهـدُّ
ليس للشـركِ قُـوَّةٌ تعصِمُ النفـ   ـسَ، ولا فيـهِ مَنْعةٌ تُسْتَمـدُّ[2]
قـال: يـا قـوم إنّـه يـتـلظّى   في إبـاءٍ ما ينقضِي منـه وَقْـدُ
سـامـنـا خُـطّةً تَشُقُّ عليـنـا   وهـو عـالٍ في قـومِه مُستَبِـدُّ[3]
نهـدم الـلاّتَ صـاغـرِينَ ونُلغِي   مـادرجنـا عليـهِ، فـالعيشُ رَغْـدُ
هـاجهم جَهلُهم، فقـالـوا: رُويـداً   مـا لنـا بـالـذي تقـولـون عَهْـدُ

---

(1) اللد جمع الألد وهو الخصم الشديد الخصومة.

(2) المنعة القوة التي تمنع من يريد أحداً بسوء.

(3) سألوا الرسول الكريم أن يترك لهم الصلاة، فقال: لا خير في دين لا صلاة فيه وفي لفظ لا ركوع فيه، وأن يترك لهم الزنا والربا وشرب الخمر فأبى ذلك، وسألوه أن يترك لهم الطاغية.. اللات وهي صنمهم لا يهدمها إلا بعد ثلاث سنين، وكانوا يقولون لها الرتبة فأبى فسألوه أن يتركها سنة فأبى ثم سألوه أن يتركها شهرا واحدا فأبى، سألوا ذلك ليدخل الإسلام في قومهم، فلما عادوا إليهم أخبروهم بذلك، وخوفوهم، فأخذهم الرعب ثم أسلموا بعد أن قالوا لهم: استعدوا للحرب إن أبيتم.

قيل: فالحربُ لا هَوادَة فيها   فَاجْمَعوا أمرَكم إذن وَاسْتَعِدّوا

وهفا الذّعرُ بالنفوسِ فلانوا   بعد حينٍ، وللجَهالةِ حَدُّ

أقبلوا يرغبون في مِلّةِ اللّـ   ـهِ فلم يُغنِهم إباءٌ وزُهْدُ

عَجِبُوا للألى رَموهم بمكرٍ   هُوَ أقوى من مكرهم وأشدُّ

سألوهم أن يُسلِموا فأذاعوا   ما أسرُّوا وطاحَ بالهزلِ جِدُّ

رَضِيَ اللهُ عنهمُ ورعاهم   هم جميعاً لملة الحقِّ جُنْدُ

وفد بني عامر بن صعصعة

جاء وفيهم عامر بن الطفيل، وأربد بن قيس(أخو لبيد الشاعر » وجبار بن سلمى وكان عامر قال لأربد: إذا قدمنا على الرجل «النبي » ﷺ فإني شاغل عنك وجهه فإذا فعلت ذلك فاعله بالسيف فلما قدموا جعل عامر يكلم الرسول الكريم وينتظر أن يمضي أربد أمره وقد يبست يده على السيف لم يستطع سله وقال عامر للنبي: مالي إن أسلمت قال: لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم. قال أتجعل لي الأمر بعدك، قال ليس ذلك لك ولا لقومك إنما الأمر لله يجعله حيث يشاء فقال عامر: أما والله لأملأنها عليك خيلا ورجالا. قال: يمنعك الله عز وجل. ومكث أياما يقول: اللهم اكفني عامر بن الطفيل بما شئت، وأبعث به داء يقتله فاستجاب الله له. وأسلم جبار بن أبي سلمى رضي الله عنه فيمن أسلم:

بَني عامرٍ رُدُّوا عَنِ الشَّرِّ «عامرا» ... ولن يَجدَ الباغي على البغي ناصرا

أصابَ هوىً من نفسِ «أربدَ» فابتغَى ... من الأمرِ ما يُعيي الكميُّ المقُامرا[1]

وجاء بمكرٍ لا محالة خائبٍ ... وأخيبُ أهل السُّوءِ من كان ماكرا

أناشِدُكم: هل صاحبَ الوفدُ منهما ... «بني عامرٍ» إلا أثيماً وفاجرا؟

هما أزمعا أن يأخذا اللّيثَ خادِراً ... على غِرةٍ، والجهلُ يُعمي البصائرا[2]

دنا الأحمقُ المخبول منه وهذه ... يَدُ السُّوءِ منه تحملِ السّيفَ باترا

---

(١) الكميّ الشجاع.

(٢) الخادر المقيم في بيته واسد خادر مقيم في خدره أي أجمتة.

يشير إليه ابنُ الطفيلِ أنِ اقْتَحِمْ ... وماذا يَردُّ السيفَ لو كان قادرا ؟
أبىَ اللهُ إلاّ أن يُعزَّ «رسولَهُ» ... ويرجعُ من يبغِي به السّوءِ صاغرا
أطاعَ هَواهُ جاهلاً، وخلا بِه ... يُخادِعُه كيما يرى الدّمَ مائرا[1]
أتسألُه يا ابنَ الطفيلِ خِلافةً ... وَتطمُع أن تُدْعَى الشّريكَ المُشاطِرا ؟
لكَ الويلُ ما هذا الذي أنتَ قائلٌ ؟ ... أكنتَ امرءاً من نفسِه رَاح ساخِرا ؟
«جُبَارُ» اسْتَقِمْ واشهدْ فربُّكَ واحدٌ ... وخُذْ حظّكَ الأوفى من الخيرِ شاكرا
وبَشِّرْ رعاكَ اللّهُ صحبَكَ أنّهم ... أصابوه غُنماً من هُدى اللهِ وافرا
وَدَعْ «عامراً» يهوِي به الداءُ خاسِئاً ... و«أربَدَ» يَلْقَى الحتفَ خَزيانَ خاسِرا[2]
رماه الذي يرمي القُوى فيهدُّها ... فهدَّ قُواهُ، إنّه كان كافرا[3]
بصاعقةٍ ممّا رَمَى اللهُ إذ رمى ... «ثموداً» و«عاداً» والقرون الغوابرا
رَماهُ بها ناريَّة لو تنزّلتْ ... على جبلٍ لانْدَكَّ في الأرضِ غائرا
أبي«عامرٌ» من شيمةٍ جاهليةٍ ... لِقاءَ الرَّدى عند التي جَاءَ زائرا
يقول: أطاعوناً وموتاً بمنزلٍ ... يَضيقُ بأمثالي ؟ إذن لستُ «عامرا»
جَوادِي جَوادِي ليس لي غير مَتنهِ ... أُلاقِي عليهِ عادِيَ الموتِ كابرا
وجاءوا به يُزجيه عزريلُ فاسْتَوى ... على سرجِهِ وانْسَابَ حرّان ثائرا
يَجولُ عليه يَحملُ الرُّمحَ ما يرى ... سِوَى حتفِهِ المقدور قِرناً مُغاوِرا
فما هو إلاّ أن هَوى غيرَ مُعقبٍ ... سِوَى الخزيِ من ذكرٍ لمن كان ذاكرا

---

(١) جاريا .
(٢) أصيب عامر بالطاعون وهو راجع الى بلاده ، فلجأ إلى بيت امرأة من سلول، وجعل يقول لأصحابه يا بني عامر، أغُدّة كغدّة البعير، وموتا في بيت امرأة، ائتوني بفرس ثم ركبه، وأخذ رمحه ، وصار يجول عليه حتى سقط ميتا، وخرج أربد من داره بعد رجوعه ومعه بعير له، فأرسل الله عليهما صاعقة فأحرقتهما .
(٣) الضمير راجع إلى أربد .

مضى الأمرُ لم يَسمعْ عُكاظُ نِداءَهُ ... ولم تشهدِ الأقوامُ تِلكَ المفاخرا[1]
إذا المرءُ لم يُؤمِنْ ولم يَخْشَ ربّهُ ... فليس إلى شيءٍ سوى الخُسرِ صائرا
الحّتْ عليه دعوةٌ من مُحّمدٍ ... رَمتهُ بداءٍ يتركُ الطِّبَ حائرا
رسولُ الهُدَى والخيرِ من يَرْعَ حقَّهُ ... فليس يَرى شيئاً على الدّهرِ ضائرا
لقد كان فيما قال أربدُ زاجرٌ ... عن الشّرّ لويخشَى امرؤُ السّوءِ زاجرا[2]
رأى آيةً تَغتالُ هِمَّةَ نفسِهِ ... وتُذهِلُ منه اللُّبَّ لو كان ناظرا
كِلاءةُ ربٍّ، كلُّ أصيدَ غالبٍ ... يبيدُ ، ويبقى غالبَ البأسِ قاهرا

---

(١) كان لعامر مناد بسوق عكاظ ينادي : هل من راجل فنحمله، أو جائع فنطعمه ، أو خائف فنؤمنه ؟ .

(٢) قال عامر لأربد بعد خروجهما من عند النبي : ويلك يا أربد، أين ما كنت أمرتك به ! قال : والله ما هممت بالذي أمرتني به إلا دخلت بيني وبين الرجل حتى ما أرى غيرك أفأضربك بالسيف ؟ .

ضمام بن ثعلبة رضي الله عنه

بعثت بنو سعد بن بكر ضمام بن ثعلبة وافدا الى رسول الله ﷺ فسأله عن الإسلام، فأكثر، وهداه الله فأسلم، ثم رجع الى قومه فقال لهم: إن الله تعالى قد بعث رسولا، وأنزل عليه كتابا استنقذكم به مما كنتم فيه . وقيل إنه أول ما تكلم سب اللات والعزى، فقال له قومه: مه يا ضمام، اتق البرص، اتق الجذام ، اتق الجنون ، فقال لهم : ويلكم، والله إنهما لا يضران ولا ينفعان، ثم وصل ذلك بما تقدم من القول، ونطق بالشهادتين، فأسلموا جميعا .

أَنِخِ البعيرَ ، فقد بلغتَ المسجدا ... واخشع ضمامُ فأنت في حَرَمِ الهُدَى(١)

أضَلَلْتَ حين سألت : أين مُحَمَّدٌ ؟ ... أفما رأيتَ الكوكبَ المتوَقِّدا ؟

إن كنتَ تعرفُ مطلعَ النّورِ الذي ... صَدَعَ الظلامَ، فقد عَرفتَ محمدا

هو ذاك فاصدَعْ يا ضمامُ بنورِه ... ليلَ العَمى، وحَذارِ أن تَترَدَّدا

إسْألهُ، وَاسْمَعْ ما يقولُ، ووالِهِ ... واتبعْ شريعتَه إماماً مُرشِدا

إجْمَعْ قُواكَ فقد بلغتَ المُنتهى ... وانقعْ صَداكَ، فقد أصبتَ الموردا

قُلْ ما تشاءُ، فلن يَضِيقَ بسائلٍ ... يرجو الصَّوابَ وإن ألحَّ وشَدَّدا

---

(١) جاء على جمل فأناخه على باب المسجد ثم عقله، وكان النبي ﷺ مع بعض أصحابه، فقال: أيكم ابن عبد المطلب أو أيكم محمد، قالوا هذا . الأبيض المشرب بحمرة المتكيء على مرفقه فدنا منه وقال: إني سائلك فمشدد عليك وجعل يسأله فيجيبه على كل شيء .

كـلُّ الـذي قـال النبيُّ وقلتَـهُ ... حقٌّ، وحَسْبُكَ مَغنماً أن تشهـدا
ولقـد سَعِدتَ بهـا شهـادةَ مُؤمنٍ ... ما كنتَ لو كبرتْ عليك لتسعدا
حَمِـدَ النبيُّ وصحبُـه لـك شَيمـةً ... مـا كُنتَ تطمـعُ قبلها أن تُحمـدا
ولـربَّمـا ازْدانَ الفتى بسجيَّـةٍ ... كـانت لـه شَـرَفـاً أشمَّ وسُؤْدَدا

* * *

رضِيَ الهُـدَى دِينـاً وعـادَ بنعمـةٍ ... يـدعـو إلى اللهِ النُّفـوسَ الشُّـردا
وضـحَ السَّبيـلُ لقـومِـه فتـدّفقـوا ... زُمـراً يريـدونَ النَّجـاةَ من الـرَّدى
خلصوا على يده فيا للكِ من يـدٍ ... فتحت لـدينِ اللهِ بـابـاً مُـوصَـدا
أبشِرْ ضمامُ فأنتَ جاوزتَ المـدى ... وبلغتَ في الحُسنَى المكان الأبعدا .

وفد بني عبد القيس من بلاد هجر بالبحرين

جاءوا الى النبي ﷺ قبل فتح مكة، وفيهم الجارود، وكان نصرانيا، وقال له: إن كنت نبيا فأخبرنا بما أضمرنا، فأخبرهم فأسلموا، كان رئيسهم عبد الله بن عوف الأشج، وكان أصغرهم سنا، وفيه دمامة، ولحظ هذا المعنى في نفس النبي: فقال: يا رسول الله، إنه لا يستقي في مسوك ـ جلود ـ الرجال وأنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه.

قال لهم صلوات الله وسلامه عليه: مرحبا بالقوم الذين جاءوا غير خزايا ولا ندامى، ثم أمرهم بإقامة الدين، ونهاهم عن الخمر، فألحوا ليأذن لهم فأبى، وذكر لهم صفة بلادهم فتعجبوا، وكان فيهم شيخ مجنون فمسح على ظهره ودعا له فبرىء، وكسي شبابا وجمالا.

مرحباً بالوفدِ وافى من هَجَرْ ... يَبتغي الدِّينَ، ويأبى من كَفَرْ

لا خَزايا، لا نَدامَى إنّهم ... زُمْرةٌ ما مِثلُها بين الزُّمَرْ

ظفروا إذ قَبَّلوا خيرَ يَدٍ ... وخِيارُ النّاسِ أوْلَى بالظَّفَرْ[1]

نَزلَ الحقُّ على شاعرِهم ... ساطعَ الحُجّةِ وضَّاحَ الأثَرْ[2]

صَدَق الجارودُ إنّ اللهَ قد ... أرسلَ القومَ إلى هادِي البَشَرْ

---

(١) تبادر القوم يقبلون يد الرسول الكريم ورجله.

(٢) الجارود وكان قد قرأ الكتب فعرف فيها صفة النبي فقال فيه أبياتاً فيها:

يا نبي الهدى أتاك رجالٌ ... قطعت فدفداً وآلاً فآلا

تتقي وقعَ شرِّ يومٍ عبوسٍ ... أوجل القلبَ ذكره ثم هالا

جـاء في إنجيـلِ عِيَسى ذِكـرهُ فـأتـى ينـظرُ مِـصَـداقَ الخَبَـرْ
لـم يَـزَلْ يَسـألُـه حتَّى بَـدا من يقينِ الأمـرِ مـا كـانَ اسْتَتر
زَادَهـم مـن عـلمـهِ مـا زادهم ولـديـهِ مـن مـزيـدٍ مُـدَّخَـرْ
كَـشـفَ اللهُ لـه عـمـا انْـطَوى في زوايـا الغيبِ عنـه فَـظَهَـرْ
هـذه الأرضُ، وهـذا نخلهـا تتـراءى فيـه أنـواعُ الثَّمـرْ
آثـروا الإسـلامَ دِينـاً وانْقَضى مـا أضـلَّ القـومَ من دينٍ نُكُـرْ[1]
أُمِـروا بـالخيـرِ طُـرًّا مـالـهم منـهُ بُـدٌّ، ونُهـوا عن كـلِّ شـرّ
لهجـوا بـالخمـرِ، ثُمَّ ازْدَجُـروا وعنِ الخمـرِ غِنـىً للمُـزدجِـرْ
وفْـدَ عبـدِ القيسِ لا تعـدِلْ بكم ظُلمـةُ الـرأيِ عن النَّهْـجِ الأغـرّ
ليس في الخمـرِ شِفـاءٌ لامـرئٍ من سقامٍ، أو وقـاءٌ مـن ضَـرَرْ
إحـذروهـا إنَّهـا المكـرُ الـذي مَكـرَ الشيطانُ في مـاضِي العُصُـرْ
هِـيَ لـلأقـوامِ شَـرٌّ وأذىً وَهْـيَ للبـغـضـاءِ نَـارٌ تَـستَـعِـرْ
لـيس مَـن بَـرَّ فـأرضَـى رَبَّـهُ مِـثـلَ من أرضَـى هَـواهُ وفَجَـر
حَسْبُكم مـا كـانَ مِنهـا وكـفَى مـا رأيتُمْ أو سَـمِعْتُم مـن عِبَـر
فـي رسـولِ اللهِ إذ نَـبَّـأكـم ببـلايـا الخمـرِ آيـاتٌ كُبَـر[2]
انتهُـوا عن كّـل مـا عَنْـهُ نَهى وَافْعَلوا مِن كـلِّ أمـرٍ مـا أمـر

* * *

(١) منكر .

(٢) نهاهم عن شرب الخمر، قال له الأشج: يا رسول الله إن أرضنا ثقيلة وخمة، وإنا إذا لم نشربْ هذه الأشربة عظمت بطوننا، فرخص لنا فأبى، وقال: إذا ثمل أحدكم من شرابه قام إلى ابن عمه فضرب ساقه بالسيف، وكان في القوم رجل وقع له ذلك، وهو جهم بن قثم فعجبوا .

اسـألـوا هــذا الفتَى عن شيخِكم واسـألوني عن أعـاجيبِ القَـدَرْ[1]
صُــورةٌ زالــتْ وأُخــرى بَــرزتْ من تصــاويـرِ المليـكِ المقتــدِر
اسـألوا الحـاضرَ عمَّنْ غـابَ، أو فـاسألـوا الغائبَ عمن قـد حَضَـر
ذَهَبَ المجنــونُ مهــدودَ القُــوى وأتَى العـاقـلُ مَشـــدودَ المِـرَر[2]
قُــدرةُ اللهِ تــجـلَّـتْ فــي يــدٍ لعــظيمِ الـجـاهِ ميـمـونِ الأثَـرَ

---

(١) هو الشيخ نفسه بعد أن صلح أمره ببركة الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه .
(٢) جمع مرة وهي قوة الخلق ـ بفتح الخاء ـ وشدته .

وفد بني حنيفة

جاءوا ومعهم مسيلمة الكذاب يسترونه بالثياب، سأل النبي ﷺ أن يشركه في الأمر« النبوة » وكان في يده عسيب فقال: لو سألتني هذا ما أعطيتكه . ولما عاد إلى اليمامة ادعى انه اشركه معه، وصار يهذي بما يضاهي به القرآن الكريم كقوله: لقد أنعم الله على الحبلى فأخرج منها نسخة تسعى، من بين شغاف وحشا.وقوله: والطاحنات طحنا والعاجنات عجنا، والخابزات خبزا، والثاردات ثردا، اللاقمات لقما .ووضع عنهم الصلاة، وأحل لهم الخمر والزنا، وعمل أعمالا للبركة فكانت شؤما. وكتب إلى النبي يقول له[1]: أما بعد فإني قد أشركت في الأمر معك، وإن لنا نصف الأمر، وليس قريش قوما يعدلون. فكتب إليه ﷺ: بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين .

بَني حَنيفَـة مـا أشقى مسيلمـةً ... ومـا أضلَّ الأُلَى أمْسَـوا لـه تَبَعـا
جئتم بـهِ في ثيـابٍ مِلؤُهـا دَنَسٌ ... تَكـادُ تَلفظُه من هَـوْلِ مـا صَنَعـا
تَـرمِي به الأرضُ شيطاناً وتَقـذِفُه ... رِجْسـاً مُغَطًّى وشـرًّا جاءَ مُبتـدِعـا
يـا وَيْلَهُ إذ تُـريـهِ النَّجمَ في يـدِه ... نَفْسٌ مُضلَّلةٌ هـاجتْ لـه طَمَعـا
رَام النُبـوَّةَ، شَـطْرٌ للذي اجتمعت ... فيهِ، وشطرٌ له، يا سوءَ ما اخترعا

(١) أورد صاحب الديوان نص الرسالتين في الهامش ورأينا أن نضيفهما الى المقدمة .

قال النبيُّ له لو جئت تسألني ... هذا العَسِيبَ الذي عانيتَ لامْتَنعا[1]

أنا النبيُّ ، وما أمري بِمُشتَركٍ ... فَاعْصِ الهَوى وَارْتَدِعْ إن كُنتَ مُرتدِعا

أضلَّهُ غيهبٌ للجهلِ مُرتَكِمٌ ... أحاط بالقومِ حيناً ثُمَّتَ انْقَشَعا[2]

خَفُّوا إلى الحقِّ يرتادونَ مَنْبَتَهُ ... وليس كالحقِّ مُرتاداً ومُنْتَجعا[3]

وَجاءَ في فتنةٍ عَمياءَ زيَّنَها ... له الغُرورُ وسُوءُ الرأيِ فَانْخَدعا

إنَّ الفسادَ جميعاً والضَّلالَ معاً ... إلى اليمامةِ في أجلادِه رَجَعا[4]

تَلقَّفَ النَّاسَ يَغْويهمْ ويَكذِبُهم ... فهل رَأوْا مِثلَهُ من كاذبٍ بَرَعا ؟

يقولُ: إنّ رسولَ اللهِ أشْرَكَهُ ... في الأمرِ يَحمِلُ شطراً منه فَاضْطَلعا

ورَاحَ يدعو إلى دينٍ يُزيِّنُهُ ... أشقَى الدُّعاةِ جميعاً مَن إليهِ دَعا

ألغَى الصَّلاةَ وأعطى النَّاسَ بُغْيَتَهُمْ ... مِنَ الزِّنا ومن السُّمِّ الذُّعافِ مَعا[5]

دِينُ الفجورِ ومَكروهِ الأمورِ ألا ... لابارَكَ اللّهُ في الدِّينِ الذي شَرَعا

لَو راحَ صاحِبُه يرمي به جَبَلاً ... يَعلو الجِبالَ مِنَ الأخلاقِ لاَنْصَدعا

ما الطاحناتُ وتاءات يُردِّدُها ؟ ... لا كانَ مِن فاجرٍ لا يَعرفُ الوَرَعا

صبراً حنيفةُ إنّ اللهَ قاتِلهُ ... ولا مَردَّ لأمرِ اللهِ إن وقَعا

---

(١) العسيب جريدة من النخل كُشط خوصها .

(٢) الغيهب الشديد السواد من الليل .

(٣) المنتجع الموضع يقصده الناس في طلب الكلأ .

(٤) أجلاد الإنسان وتجاليده جماعة شخصه .

(٥) السمّ الذعاف المقصود به الخمر .

عدي بن حاتم

كان عدي بن حاتم شريفاً في قومه يأخذ المرباع ـ ربع الغنائم ـ على عادة سادات العرب فلما سمع بقدوم جيش المسلمين إلى بلاده لحق بالشام ليبقى على دين النصرانية مع أهله وترك اخته سفانة ومعناها الدرة، فلم يأخذها معه . وجيء بها الى النبي ﷺ سبية مع السرية التي أرسلها لهدم «الفلس» صنم طيء والاغارة عليها فقامت اليه تذكر أباها، وما كان له من أعمال مشكورة، وتسأله أن يمن عليها ففعل، فأسلمت وكساها ثم حملها وأعطاها مالا فذهبت إلى أخيها، وأشارت عليه بالدخول في دين الله، فجاء وأسلم .

إلى اللهِ فارْغَبْ يا عَديَّ بن حاتمٍ ... وَدَعْ دِينَ مَن يَبغِي العَمى غيرَ نَادِمِ
إلى اللهِ فارغب وَاتَّبِعْ دِينَهُ الذي ... يدينُ به المبعوثُ من آلِ هاشِمِ
خرجتَ حَذَارَ القتلِ من آل طيّءٍ ... وما أنتَ من بَلوى القَتيلِ بسالمِ
كفى النَّفسَ قَتلاً أن تَضِلَّ حَياتُها ... وتذهبُ حَيْرَى في مَدَبِّ الأراقِمِ[1]
أما ضِقتَ ذَرعاً إذ علمتَ من العمى ... مكانَك، أم أنت امرؤٌ غيرُ عالم ؟[2]
عَدِيُّ اسْتَمِعْ أنباءَ أُختِكَ واسْتَعِنْ ... بـرأيٍ يُجَلِّي ظُلمَةَ الشَّكِّ حَازِمِ

* * *

صَغَا قلبُه فاختارها خُطَّةَ هُدىً ... تُجنِّبُ مَن يَختارُهَا كُلَّ لائِمِ[3]

---

(١) حيث تدّب أي تمشي أخبث الحيّات .
(٢) ضاق بالأمر ذرعاً لم يقدر عليه والذرع بسط اليد .
(٣) صغا قلبه مال، والمعنى أنه مال إلى الإسلام .

وســارت مَـطايـاهُ تَؤُمُّ مُحمّـداً وِضاءَالحوايا والخُطَى والمناسِمِ [1]
فَـأنـزلَـهُ فــي دارِه وأحـلَّهُ مَحّـلاً تَمنَّى مِثلَهُ كـلُّ قـادم[2]
وقـال لـه: إنّي لأعلمُ بـالـذي تَدِينُ بهِ، فَـاشْهَدْ تَكُنْ غيـرَ آثِمِ
ألم تـأخذ المـرباعَ، وَهْـوَ مُحـرَّمٌ كدأبِ الأُلى سَنُّوه من كلِّ ظالم ؟
فقـال: بَلَى، إنّي إلى اللهِ تـائبٌ وإنّي رأيتُ الحقَّ ضـربـةَ لازِم[3]
لأنتَ رسـولُ اللهِ ما فيـك مِـرْيـةٌ لِمن يَمترِي والحقُّ بادِي المعالِمِ [4]
تداركتُ بالإسلامِ نَفْسِي فأصبحَتْ بـعـافيـةٍ مـن دَائِهـا المُتـفاقِم
هُو العِصمةُ الكبرى، إذا لم تَفُزْ بها نُفوسُ البرايا، خَانَها كلُّ عـاصِمِ

* * *

تـأمَّـلْ عَـديٌّ مـا يَقـولُ محمـدٌ وَنبِّهْ مِنَ القومِ العِـدَى كلَّ نـائمِ
سَيبسطُ دِينُ اللهِ في الأرضِ ظِلَّهُ ويحكُم من سـاداتِهـا كُـلَّ حـاكم
وسوف يَفيضُ المالُ في كلِّ موطنٍ وأرضٍ ، فما من آخذٍ أو مُزاحِم

---

(١) الحوايا جمع حوية وهو كساء يحشى بهشيم النبات ثم يوضع حول سنام البعير، ومناسم الإبل أخفاقها .

(٢) انطلق النبي بعدي إلى بيته ، ثم ناوله بيده الشريفة وسادة من أدم محشوة ليفا فأجلسه عليها، وجلس هو على الأرض ،وقال له: أسلم تسلم ثلاث مرات، قال عدي: إني على دين فقال: أنا أعلم بدينك منك ثم ذكر له المرباع وأنه محرم في دين النصرانية ، وقال له : لعلك يا عدي إنما يمنعك من الدخول في هذا الدين ما ترى، تقول إنما اتبعه ضعفة الناس ومن لا قوة له، فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه، ولعلك إنما يمنعك من الدخول فيه ما ترى من كثرة عددهم ، أتعرف الحيرة، قال عدي: لم أرها، وانما سمعت بها، قال. فوالله وفي رواية والذي نفسي بيده ليتمن هذا الأمر حتى تخرج الظعينة من الحيرة تطوف بالبيت من غير جوار أحد،إلى آخر ما قال صلوات الله وسلامه عليه .

(٣) لازماً ثابتاً .

(٤) المرية الشكّ .

وتخرجُ ذاتُ الخِدْرِ ما إن تَروُعها إســاءةُ جانٍ، أو مَضـرّةُ جَـارِمِ [1]
فتُقبِلُ من بَصرى إلى البيتِ مالها على الضَّعفِ والٍ من حُماةِ المَحارِمِ
هو اللهُ، فاعْـرِفْ يا عـديُّ سَبِيلَهُ وَدَعْ خطراتِ الوهمِ من كلِّ واهمِ

---

(1) مُذنب .

عُروة بن مسيك المرادي

واسمه فروة في بعض الروايات

ترك ملوك كندة وراء ظهره، ووفد على النبي ﷺ، وكان بين قومه مراد وبين همدان قبيل الإسلام وقعة أصابت فيها الثانية من الأولى ما أرادت في يوم يقال له الروم، فقال له النبي: هل ساءك ما أصاب قومك يوم الروم؟ قال: يا رسول الله، من ذا يصيب قومه ما أصاب قومي يوم الروم، ولا يسوءه؟ فقال له: أما إن ذلك لم يزد قومك في الإسلام إلا خيراً، وقد استعمله على مراد وزبيد، وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص على الصدقة فكان معه في بلاده حتى توفي رسول الله ﷺ.

تَـرَكَ المُلوكَ مُلوكَ كِنْدَةَ وانْتَحى	مَن يَتـركُ التِّيجَـانَ واهِيـةَ العُـرَى
حُيِّيتَ عُـرَوةُ، إنّـه لـكَ مَقْـدِمٌ	يُمنٌ، وحَسْبُكَ ما تُشاهِدُ أو تَرى
عَـطفَ النبيُّ عليكَ وانْبَسَـطتْ له	نَفْسٌ تُـريـكَ مكَـانَـهُ والمـظهـرا
مـا كَـان يـومُ الـرّومِ من أوطـارِه	بـل هـزَّ نَفْسَـكَ واعِـظاً ومُـذكّـرا
ما أورثَ الإسلامُ قومَك، زادهم	خَيـراً، وكـان لهم أجـلَّ وأكبرا[1]
الجـاهليـةُ قـد عـفَتْ آثـارُهـا	فيهم، وأصبحَ عهدُهـا قـد أدبـرا
كـانت لهم مَـوتـاً، فَتِلكَ حَيـاتُهم	في دولـةِ الإسلامِ عـاليـةُ الـذُّرى
هـذا رفيقُـك مـا لقـومِـكَ غيـرُه	نِعمَ الـرفيقُ إذا اللّبيـبُ تَخَيَّـرا
إنّي جعلتُ لخـالـدٍ صَـدَقـاتِهم	تُجبَى إليَّ، فمـا أحقَّ وأجـدرا
ولقـد أقمتُكَ عـاملاً، فَكُن امْـرءاً	للخيـرِ في كـلِّ الأمـورِ مُيسَّـرا
سِيَـرا على بَـرَكـاتِ ربِّكمـا ولا	تَنِيَـا إذا أحـدٌ ونَى أو قَصَّـرا[2]

(١) البيت وما بعده مسوق على لسان النبيى صلى الله عليه وسلم.
(٢) ونى فتر وضعف وكلّ وأعيا.

وفد بني زبيد

جاءوا ومعهم عمرو بن معد يكرب الزبيدي، وقد كان قال لابن أخيه قيس المرادي: إنك سيد قومك، فانطلق بنا إلى محمد لنبلو أمره، فإن كان نبيا كما يقول فلن يخفى عليك، فأبى عليه قيس وسفه رأيه، وجاء عمرو فأسلم، فلما علم قيس قال: خالفني وترك أمري ورأيي، وتوعد عمرا فقال عمرو من أبيات.

فَمن ذا عاذِري مِن ذِي سَفاهٍ   يُريدُ بنفسِه شَدَّ المزادِ
أريدُ حياته، ويريدُ قتلي   عذيرَكَ من خليلكَ من مُرادِ

وَفَد الفارسُ الذي تَفرُقُ الأبطـ   ـالُ مِنهُ، وتَفزَعُ الفُرسانُ
جاءَ عَمروٌ وأيُّ قَرمٍ كعمرٍو   حِينَ تُدعى القرومُ والشُّجعانُ[1]
ماله في الرجالِ كُفؤٌ إذا ما   حَمِيَ الضربُ وَاسْتَحرَّ الطِّعانُ[2]
رَاعَ صَمصامُه وشاع له في الأر   ضِ ذِكرٌ مُجلجِلٌ رنّانُ[3]
قال: يا قيسُ أنتَ سيِّدُ قومٍ   ليس فيهم لغيرِكَ اليومَ شانُ
أيُّما خُطَّةٍ أردتَ فلا مَعْـ   ـدَلَ عنها. وحيثما كنتَ كانوا
سِرْ معي نَنظُر الذي رَاحَ يَنْهَى   أن تُقامَ الأصنامُ والأوثانُ
إنّه إنْ يَكُنْ نبيًّا فلن يَخْـ   ـفَى علينا الدّليلُ والبُرهانُ

---

(١) القرم السيد العظيم الكريم.
(٢) استحرَّ اشتدّ.
(٣) مجلجل بعيد الصوت.

ومن الحقِّ أن يكون مُطاعاً فعلينا الولاءُ والإيمانُ
قال: يا عمروُ هل أصابكَ مَسٌّ فتمادَى الهُراءُ والهَذيانُ[1]؟
ما أنا بالذي يَلينُ عِناني لابنِ أُنثى إنْ لانَ مِنكَ العِنانُ[2]
إن تكنْ مُذعِناً لمن فَتن النّا سَ فما بي لمثلِهِ إذعانُ
ذَهَب الفارسُ الزبيديُّ فَرْداً وتَقضَّى البَذاءُ والبُهتانُ[3]
يطلب السّاحة التي يُطلَبُ الخيـ ـرُ بأرجائِها، ويُرجَى الأمانُ
مَهبطُ الوحيِ، يَرتعُ الرّوحُ فيها كلَّ حينٍ ويَسطعُ الفُرقانُ[4]
رَضِيَ البرَّ والمُروءةَ ديناً فصَفتْ نَفسُه وطابَ الجنانُ[5]
زالَ عنه الأذَى، فما خطبُ قيسٍ؟ إنّ قيساً لثائرٌ حَرّانُ
قال: يا ويَحهُ، أ آمره أمـ ـري، فَمِنْهُ الإباءُ والعِصْيانُ؟
لأُذِيقنَّهُ الجَزاءَ أليماً فيرى موضعِي، وكيفَ يُدانُ[6]

* * *

هكذا تصنع الجهالةُ بالنّا سِ، فتعمَى العقولُ والأذهانُ
وَمِنَ النّاسِ مُبصرِونَ يَرْونَ الحـ ـقَّ حقّاً ومِنهمُ عُميانُ

---

(١) الهراء الكلام الكثير الفاسد، والهذيان التكلم بغير معقول .
(٢) سير اللجام، ولان عنانه انقاد .
(٣) تقضّى البذاء انقضى الفحش والسَفَه .
(٤) الروح جبريل عليه السلام، والفرقان القرآن .
(٥) القلب .
(٦) يُجازَى ويُحاسب .

وفد كندة

كانوا ثمانين أو ستين رجلا، فيهم الأشعث بن قيس، جاءوا وعليهم جبب الحرير الحبرة من صنع اليمن، وقد سرحوا شعورهم، فلما دخلوا على النبي ﷺ، حيوه تحية الجاهلية « أبيت اللعن » فقال: لست بملك، وإنما أنا محمد بن عبد الله ، قالوا : لا نخاطبك باسمك ، قال أنا أبو القاسم ، فقالوا : يا أبا القاسم إنا خبأنا لك شيئا فما هو ؟ وكانوا خبأوا عين جرادة في ظرف سمن ليختبروه ، فقال: سبحان الله إنما يفعل ذلك بالكاهن، قالوا: كيف نعلم أنك رسول الله، فأخذ كفا من حصباء وقال: هذا يشهد أني رسول الله فسبح الحصى في يده، فأسلموا وتلا عليهم ﴿والصافات صفا﴾حتى بلغ قوله تعالى﴿رب المشارق والمغارب﴾فسكت ودموعه تجري، فقالوا: أمن مخافة من أرسلك تبكي ؟ قال: إن خشيتي منه أبكتني ، بعثني على صراط مستقيم مثل حد السيف، إن زغت عنه هلكت ، ثم تلا : ﴿ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك﴾ الآية، ثم نهاهم عن لبس الحرير، فشقوه من أعناقهم وألقوه .

ألا إنّ هـذا وَفْدُ كِنـدَة قـد أتى	عليـه من النَّعمـاءِ أرديـةُ الحِبَـرْ
رُواءٌ من العيشِ الرخيِّ وبَهجةٌ	من الكُحْلِ في الأجفانِ أو مُرْسَلِ الشَّعَرْ[1]
دَنـا ثمَّ حيًّا سيِّـدَ الـرُّسْـلِ بـالتي	تُحيًّا بها أهلُ الصَّوالجِ والسُّرُرْ[2]

---

(١) الرواء حسن المظهر .

(٢) الصوالج جمع الصولج والصولجان والصولجانة العصا المعقوفة الرأس ومنها صولجان الملك .

يَقولُ: أبيتَ اللَّعْنَ قَوْلَ الأُلى خَلَوْا   من المعشرِ الضُّلَّال في سَالِفِ العُصُرْ[1]
أبــاهــا رَسـولُ اللهِ منهم تحيّـةً   رآها من اللَّغوِ المُـذَمَّمِ والهَذَرْ[2]
وقــال :دَعُـوهـا عـادةً جـاهليّـةً   فلا أنا ذُو مُلْكٍ، ولا بِيَ من أشَرْ[3]
خُـذوا هـذِه عَنّي، فـإنّي مُحْمـدٌ   وإنّي ابنُ عبدِ اللهِ من ذلك النَّفَرْ
فقالوا له: ندعوك باسِمـك ؟؟ إنّه   لَعمـرِكَ أمـرٌ مـا يُـلائمُنـا عَسِـرْ
فمـاذا به تُكنَى ؟ فقـال لهم: أنا   أبو القاسمِ ادْعوني بها كُنْيَةٌ تَسُرْ
دَعَوْهُ ، فقالوا يا أبا القاسمِ استجْب   أأنتَ رسولُ اللهِ يهَدِي بكَ البَشَرْ ؟
فإن يَكُ حقًّا ما تقولُ، فما الذيَ   خَبَـأْنا من الأشيـاء، نبلو ونَخْتَبِرْ ؟
فقـال: رُويداً، إنّني لستُ كـاهِناً   ومَهْلاً، فهذا شاهدٌ صـادقُ الخَبَرْ
ومَـدَّ يمينَ الخيـرِ يَملؤُهـا حَصىً   فلم يَكُ فيها بالعَيِيِّ ولا الحَصْرِ[4]
قضــوا عجبـا ممَّــا يُسبِّــحُ ربَّــهُ   وقال: شَهِدْنا، ما بِكَ الآنَ من نُكُرْ
هــداهمَ إلى دينِ الحياةِ وزادهم   هُدىً من كتابٍ مُحكَم الآي والسُّوَرْ
تَـلا ما تَـلا، فالقلبُ للهِ خـاشِـعٌ   مِن البِرِّ والإيمانِ، والدَّمعُ مُنْهَمِـرْ
فقالوا: أمِن خوفِ الذي أنتَ مُرسَلٌ   إلى النَّاسِ منه دَمْعُ عَينَيْكَ يَبْتَدِرْ ؟
فقـال: أجل، إنّي أخـافُ عذابَـهُ   وأيـةُ نفسٍ تـأمنُ اللّهَ إن مَكَـرْ[5]
بُعِثْتُ بـدينٍ إنْ أمِلْ عن صراطِه   فما لِيَّ من واقٍ يَقِيني ولا وَزَرْ[6]
صِراطٌ كحدِّ السيفِ لا يبرحُ الفتى   وإن جَدَّ كلَّ الجِدّ منه على خَطَرْ

(١) أبيت اللعن تحيّة الملوك في الجاهلية أي لا فعلت ما تستوجب به اللعن أيها الملك .
(٢) اللغو مالا يقيّد به من كلام أو غيره، والهذر الهذيان .
(٣) الأشر البطر وهو التكبرّ ونكران النعمة .
(٤) العيِيّ والحَصِر بمعنى .
(٥) مكر الله هو جزاء المكر والخداع من مَكَر اللهُ فلاناً وأمكره جازاه على المكر .
(٦) الوزر الملجأ والمعقل .

فـلا تَغْتَرِرْ نفسي بشـاهِـد حـالِهـا | فلله عِلمُ الغيبِ، والغيبُ مُنْتَـظَرْ
مِن الخيرِ فاسْتَكْثِرْ لنفسِكَ واسْتَزِدْ | وما تَسْتَطِعْ من صالحِ الأمرِ فادَّخِرْ
لِكـلِّ امرىءٍ من شـأنِه مـا أعـدَّهُ | كَذلِكَ يجزي اللَّهُ من بَرَّ أو فَجَرْ
نَهَى القومَ عن لبسِ الحريرِ نَبِيُّهم | ولا شيءَ إلا ما نَهى عنه أو أمَـرْ
أطـاعـوه لا يبغـون غيـرَ سبيلِه | إذا اتّبعـوهُ ـ من سبيـلٍ ولا أثَـرْ
وإنّ الذي يَنْهَى النُّفوسَ عن الهوى | هو الدّينُ لا دينُ المخيلةِ والبطَرْ[1]
أَدَأْبُ الألى في الحربِ يصلون نارَها | كدأبِ اللواتي في المقاصيـرِ والسُّتُر ؟
إذا تـرك القـومُ الجهـادَ رأيتهم | وإن أشبهوا الأحياءَ مَوْتَى من الخَوَر[2]
وإن لم تكن أظفـارُهم جُنَّـةً لهم | تقلَّب في أحشائِهم كلُّ ذِي ظُفُر[3]

---

(١) المخيلة المَظِنَّة، والبطر الكراهة لمن لا يستحقها، أو هي الاستخفاف والنكران بالنعمة.
(٢) الضعف.
(٣) الجُنّة السّترة وكل ما وقى من سلاح.

وفد أزد شنوءة (1)

قدم على الرسول الكريم جمع من الأزد، وفيهم صرد بن عبد الله الأزدي، وكان أفضلهم، فجعله أميرا على من أسلم من قومه، وأمره أن يجاهد بهم من يليه من المشركين من قبائل اليمن، فخرج حتى إذا أتى مدينة جرش من مدائنهم حاصرها بمن معه من المسلمين قريبا من شهر، ثم رجعوا عنها، فظن أهلها أنهم ارتدوا منهزمين، فانطلقوا وراءهم، فأدركوهم عند جبل يقال له شكر فقتل المسلمون منهم خلقا كثيرا .

هُنا يا سَراةَ الأَزْدِ، خُطُّوا رِحالَكُمْ ... فما أطيبَ المثوَى ، وما أشرفَ الحِمَى
هنا البِرُّ والتَّقوى، هُنا الخيرُ كُلُّه ... لِمَنْ كانَ يرجو أن يفوزَ ويَغنما
هُنا المنزلُ الميمونُ ، ما من مُوَفَّقٍ ... يُريدُ سِواهُ مَنزلاً أو مُخَيَّما
أجِلْ يا ابنَ عبدِ اللهِ عينَيْكَ واقْتَبِسْ ... مِنَ النُّورِ ما يَجلو الغياهِبَ عنهما
تبيَّنْ هَداكَ اللهُ، إنّكَ ناظِرٌ ... أجلَّ بني الدُّنيا جميعاً وأعظما
هَداكم به رَبٌّ تَدارَكَ خَلْقَهُ ... فجادَ بهِ نُوراً مُبيناً وأنْعَما
وولّاكَ أمرَ القومِ تمضِي مُجاهِداً ... بهم مَنْ يَلِيهم من رجالٍ ذَوِي عَمَى
شَكَتْ جَرَشٌ طولَ الحِصَارِ وما اشْتَكَتْ ... لكم هِمَمٌ يرمِي بها اللّهُ مَن رَمَى
رجعتم تُريدونَ المكيدة، فَاعْتَرى ... أذى الوهمِ من عُمَّارِها من تَوهَّما

---

(1) الأزد قبيلة عربية تفرع منها اربعة بطون : ازد عمان، أزد السراة في اليمن، أزد شنوءة وهي ناحية في اليمن ، أزد غسان .

رأى شَكَرٌ من خطبِهم وبلائِكُمْ مشاهِدَ هَزَّتْهُ، فحيَّا وسَلَّما
أكنتم كما ظنّوا تخافونَ بأسَهُمْ ؟ ألم يَكْفِهِمْ أن يُضحِكوا السَّيْفَ والدَّما ؟
هُمُ البُدْنُ بُدْنُ اللهِ ضَلَّتْ فمالها سِوَى النَّحر تَلْقاهُ قضاءً مُحَتَّما[1]
كذلك قال الصادقُ البَرُّ إنّه لَيُلْقِي الذي يُلْقِي من القول مُلْهَمَا
أكانَ حديثاً للرسولَيْنِ ساقه لقومِهما، أم كان جَيْشاً عَرَمْرما ؟
هُما نبّآهم، فَارْعَوَوْا عن ضلالِهم وقالوا رسولٌ جاءَ بالدِّينِ قيِّما
وأصبح نورُ اللهِ مِلءَ ديارِهم يُضِيءُ لهم ما كانَ من قِبلُ مُظْلِما

---

(١) بعث أهل جرش رجلين إلى النبي ﷺ يتحسسان أخباره، فسألهما بأي بلاد الله شكر ؟ فقالا : إن ببلادنا جبلا يقال له كشر، قال ليس بكشر وإنما هو شكر، قالا فما شأنه ؟ قال : إن بدن الله لتنحر عنده الآن وأخبرهما الخبر، فرجعا إلى قومهما ، فوجداهم قد أصيبوا، في اليوم والساعة اللذين تلقيا فيهما الخبر، وذكرا لهم ذلك، فجاءوا فأسلموا .

رسول ملوك حمير وحامل كتابهم

جاء رسول ملوك حمير وحامل كتابهم إلى النبيﷺ بعد غزوة تبوك، وفي الكتاب إخبار باسلام الحارث بن عبد كلال والنعمان ومعافر وهَمدان «قبيلة» وأنهم قتلوا المشركين، فكتب إليهم يوصيهم بالصلاة والزكاة وجمع الكلمة على الحق، وأنه قد أرسل إلى زرعة ذي يزن يوصيه خيرا برسله، معاذ بن جبل وعبد الله بن زيد ومالك بن عبادة، وعقبة بن نمر ومالك بن مرارة وأصحابهم، وأنه قد جعل أمرهم إلى معاذ فلا يرجعن إلا راضياً.

جَاءَ الرّسولُ كِتابُه بيمنهِ ... واليمنُ في فمهِ وَفَوقَ جَبينِه

وَافَى إمامَ المُرسلِينَ مُبشّراً ... بالمؤمنينَ من الملوكِ بدينهِ

بعثوا إليه رسولهم وكتابَهم ... أن ليس مُتَّبَعٌ لهم مِن دونه

قالوا اعْتَصمنا باليقينِ فَزادُنا ... دِينُ الهُدى، والمرءُ عِندَ يقينهِ

ولقد قتلنا المشركِينَ نُريدُه ... فتحاً يَشُجُّ الشِّركَ في عِرْنِينهِ[1]

أقيالُ حِمْيرَ لاَنَ جانِبُ عِزِّهم ... لِمُسلِّطٍ لِينُ الظُّبَى مِن لِينهِ[2]

سَنَّ السَّبيلَ بِسيفِه وَلِسانِه ... فتهافتَ الأقوامُ في مَسْنُونُه

---

(١) شجّ كسر، والعرنين الأنف كله أو ما صلب منه .

(٢) أقيال جمع قيْل الملك من ملوك حمير يتقيّل من قبله من الملوك أي يشبهه ، والظُبى جمع الظُبة حدّ السيف أو السنان .

لا شيءَ كـالحقِّ المُسلَّحِ للفتـى ... يَشفِيهِ من كَلَبِ الهَوى وجُنـونِه[1]

الـلّيثُ فـي مِحـرابـهِ وكـتـابـه ... واللّيثُ فـي أشبـالِـه وعَـرِينـهِ

رَجَع الرسولُ على هُدَىً بـرسالـةٍ ... فيهـا الهُدَى يَمحُـو الظَّلامَ لِحينـهِ

فيها قُوى الإسلامِ مُحَكَمةُ العُرَى ... لِمَن ابْتَغى الخيـراتِ في تمَكينـه

فيهـا شَعـائِـرهُ ومَـظهـرُ مجـدِه ... ونـظامُ دَولـتِـه وأُسُّ شُـوؤنِـه

أخَـذ الملوكَ بواضـحٍ من هَـدْيـهِ ... مُـتبـلِّجٍ لـم يَـأْلُ فـي تَـبْيينـهِ

وَرَمى إليهم بـالـوصِّيـة سمحـةً ... يَقضِي الأمينُ بهـا زِمـامَ أمينـه

أن أكْـرِموا رُسلِي الـذين تَـرَوْنَهم ... يـرجـون فضـلَ الله عِنـدَ دِيُـونِـه

أُوصيتُ زرعةَ أن يكونَ لهم يـداً ... كَيَـدِ القرينِ يَشُـدُّ أزْرَ قـرينـه

ولقـد جعلتُ إلى معـاذٍ أمـرهُمْ ... فـجعـلتُـه لِـزَعيمـهِ وضَميـنِـه

* * *

لا يــرجــعنَّ إلــيَّ إلاّ راضـيـاً ... والله عَـوْنُ نَـصيـرِه وَمُعيـنِـه

* * *

يـا حارثُ اشْكُـرْ فَضْلَ رَبِّـكَ إنهّ ... أعـطاكَ حَـظاً زَادَ في تَحسينِـه[2]

أوَ لستَ أوّلَ مُسلمٍ من حِمْيَـرٍ ... وَرَدَ الهُدى، وَمَضى بِصَفْوِ مَعينِه ؟

وأقـامَ للشـركِ المـذمَّمِ مَـأتمـاً ... يَستعـذِبُ الإسـلامُ رَجْـعَ أنينـه ؟

أبْشِـرْ بخيـرٍ غيـرِ مقـطوعِ الجنَى ... مِن ربِّـكَ الأعلى، ولا مَمنْـونـه

---

(١) الكلب داء يشبه الجنون يصيب الكلاب .

(٢) كان الحارث أول من أسلم وقاتل المشركين من حمير فأثنى عليه النبي في كتابه وقال له أبشر بخير .

رسول فروة بن عمرو الجذامي

وفد رسول فروة على النبي ﷺ يخبره بإسلامه، وحمل إليه هديته، وهي بغلة بيضاء يقال لها فضة، وحمار يقال له يعفور، وفرس يقال له الظرب، وثياب معها قباء مرصع بالذهب. وكان فروة عاملا للروم على من يليهم من العرب، فلما أسلم أخذوه وحبسوه، ثم ضربوا عنقه وصلبوه بعد أن قال له الملك. ارجع عن دين محمد، ونحن نعيدك إلى ملكك، قال: لا أفارق دينه فإنك تعلم أن عيسى عليه السلام بشّر به، ولكنك تضنّ بملكك.

هَذا السّبيلُ، فأينَ يذهبُ من أبى ؟ … أوَ ليس نُور اللهِ قد كشفَ الدُّجَى ؟

ليس الذي رَكِبَ الغَوايةَ فالتَوى … كَمَن استقامَ، ولا الضَّلالةُ كالهُدَى

أحسنَت فروةُ إنّ دِينَ مُحمدٍ … لَهُوَ الذي يَشفِي القُلوبَ مِنَ العَمى

هذا رسولُك جَاءَهُ بِهَدّيةٍ … فيها لنفسِك كلُّ ما تَهَبُ المُنىَ

أنت السّعيدُ بها، ولو اتبْعَتْها … كُلَّ الذي لكَ لم تَزِدْ إلاَّ غِنَى

ماذا يغيظُ الرُّومَ من مُسْتَبْصِرٍ … صَرَفَ العِنانَ عن الغوايةِ وارْعَوَى ؟

سجنوه حين رَأوْهُ يُطلِقُ نفسَهُ … في المعشرِ الطُّلَقاءِ من سِجنِ الهَوى

وتكنَّفوهُ ليفتنُوه فزادَ في … إيمانِه ما جَرّعُوه من الأذَى

لو يعقِلُ الملكُ الغَبيُّ لمَا رأى … رَأْيَ الأُلى ضلّوا السّبيلَ، ولا غَوَى

قالَ: اعْتَزِلْ دِينَ الذينِ هُمُ العِدَى … إن كُنتَ تُؤثِرُ أن تُرَدَّ على رِضَى

لك عند قومِكَ ما تحبُّ وتَشتهِي … في ذلكَ الحَرمِ المُمنَّعِ والحِمَى

المجدُ والشرفُ الرفيعُ، ومـا ترى من نعمــةٍ خضـراءَ دانيــةِ الجَنى

قال: اقْتصِدْ ما أنْتَ أنْتَ ولا أنا أنا، قد مَضى من أمرِنا ما قد مَضى

إنّي اصطفيتُ مُحمـداً وهـو الـذي أوصى بـه عِيسَى فَنِعمَ المُصطفى

وأراكَ تَعلمُ غيــرَ أنّــك مُــولَــعٌ بـالمُلكِ تكرُه أن يكـونَ له مـدَى

قــال: اقـتلوُه، فــراحَ يَـلقى ربَّــهُ فَـرِحاً ،بمـا حَفِظَ الأمـانـةَ وَاتَّقى

صَلبُـوه من حَنَقٍ عليـه، فـويحهم أفَلَمْ يكنْ في قتلِ فروةَ ما كَفَى؟

نِعْمَ الشهيدُ، وبِئْسَ ما صَنعوا به وسيعلمــون لِمَنْ يكــونُ المُنتهى

تِلكَ العقيــدةُ حكمُهــا وسبيلُهــا إمّــا سبيــلُ المؤمنينَ أوِ الــرَّدى

وفد بني الحارث بن كعب

بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد الى بني الحارث بن كعب بنجران، وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم، فخرج حتى قدم عليهم، وبعث الركبان يضربون في كل وجه، ويقولون :أيها الناس أسلموا تسلموا، فأسلموا، وقام فيهم يعلمهم شرائع الإسلام، وكتب بذلك إلى النبيِّ ، فكتب إليه أن يوافيه ومعه وفدهم فجاءوا وفيهم قيس بن الحصين . «ذو الغصة» . وحين اجتمعوا به قال: بم كنتم تغلبون من قاتلكم في الجاهلية ؟ قالوا: كنا نجتمع ولا نتفرق ولا نبدأ أحداً بظلم ، قال: صدقتم وأقر عليهم زيد بن الحصين . ومات ﷺ بعد رجوعهم إلى قومهم بأربعة أشهر .

يا بَني الحارثِ بن كَعْبٍ سَلامُ ... أذْهَبَ الرِّجْسَ عَنكُم الإسلامُ[1]
جاءكم خالدٌ بدعوةِ حقٍّ ... فاستجبتم، ما عابكم إحجامُ
عَظُمَتْ نِعمةُ النبيِّ عليكم ... فاعرفوا دِينَهُ وكيف يُقامُ
كلُّ ما تَكَرهُ النّفوسُ من البَغْـ ... ـيِ وَسُوءِ الصّنيعِ فيه حَرامُ
لا يحلُّ القتالُ إلا بحقٍّ ... وَهْوَ حَقٌّ مؤكّدٌ وذِمامُ
أنتمُ القومُ ما عليكم مَلامُ ... قُضِيَ الأمرُ وَاسْتَراحَ الحُسامُ
وعجيبٌ إذا بَدا الحقُّ طَلْقاً ... أن تَضِلَّ العقولُ والأحلامُ
يا بَني الحارثِ بنِ كعبٍ نزلتم ... في حِمَى اللهِ مَنزلاً لا يُرامُ

---

(١) الرجس القَذَر والعمل القبيح .

ها هُنا، ها هنا يَطيبُ المقام هـذه يَشـربُ وهـذا الإمـامُ

أرأيـتـم عِـزَّ الـنبـوَّةِ فـيـمـا عَـرفَ النّـاسُ أو رَأى الأقوامُ؟

لا النبيُّـونَ أوّلَ الـدهـرِ نـالـوا بعضَ هـذا ولا الملوك العِظامُ

قـالَ وهـو العليمُ إذ كلَّم القـو مَ، ومِنْ مثلهِ يَطيبُ الكـلامُ

بِمَ كُنتم في الجاهلّيـةِ تستعـ ـلون بالنصرِ حين يُحمَى الصِّدامُ؟

فـأجـابـوه : ذلـك أنّنـا كنـ ـنـا جَميعـاً تضمُّنـا الأرحـامُ

صادِقي البأسِ، للقلوبِ اتّحادٌ حِينَ تَمضِي، وللصُّفوفِ الْتِئامُ

صَخْـرَةٌ مـا تَطِيـرُ أو تَتفـرَّى إن تَفرَّى الحصَى وطَارَ الرَغامُ[1]

ثم كنَّا لا نَبدأُ النّاسَ بالظلـ ـمِ نَعافُ الذِي يَعافُ الكِرَامُ[2]

نَكـرهُ الشَّـرَّ قـادِريـنَ ونـأبـا هُ،وللشَّرِّ في النُّفوسِ اضْطِرامُ

قـال: حقًّا لقد صدقتم، وما كا نَ لِيُـرجَى للظالِميـنَ دَوامُ

إنّ زيـداً أميـركـم فـاعْـرِفُـوه وَاسْتَقِيمـوا، لكـلِّ أمـرٍ نـظام

سُـنَّـة اللهِ ليس للقـومِ بـدٌّ من رئيسٍ يُلْقَى إليه الـزمـامُ

عُدْ بخيرٍ يا ابنَ الحصينِ ونُعمَى إنّـك اليـومَ للرئيسُ الهُمـام

---

(١) تفرّى تشقّق وانشق، والرغام التراب .

(٢) عاف الشيءَ كرهه فتركه .

رفاعة بن زيد الخزاعي

وفد على الرسولﷺ ،وأهدى إليه غلاما كان معه . وأسلم وحسن إسلامه، فأرسل معه كتابا إلى قومه بأنه موكل بدعوتهم إلى الإسلام لمن يجيب الدعوة مهلة شهرين فأسلموا .

أَقْبِلْ رِفَاعَةُ لا مُعَرَّجُ لِامْرِىءٍ ... يَبغِي الـذي تَبغِي ولا مُـتَلَوَّمُ[1]

جِئتَ الرسـولَ المجتبَى من ربِّـهِ ... وقـدِمتَ تتبعُـه فـنِعمَ المَـقـدِمُ

أكـرمتَ نفسك فـانـطلقت تُـريـدُه ... دِيناً هو الشّرفُ الأجـلُّ الأعـظَمُ

يَبني الحيـاةَ على أسـاسٍ ثـابتٍ ... مـن قُـوةِ اللهِ الـتـي لا تُـهْـدَمُ

إن شِئتَ أن ترقى بنفسِكَ صاعِداً ... فعليـكَ بـالإيمـانِ فهـو السُّلَّمُ

وَهْـوَ الجناحُ فـإن ظَفِرتَ بـه فَطِرْ ... وَاطْوِ الجواءَ فأنتَ أنتَ القَشْعَمُ[2]

لا تنهضُ الهِمَمُ الكِبـارُ بغيـرِه ... سبباً ولا تَسمُـو النُّفـوسُ الحُـوَّمُ

سَعِدَ الغُلامُ كمـا سَعِدَت وربّمـا ... خَـدَم السَّعيدُ فكـان مِمّن يُخْـدَمُ

عَـزَّت بسيّـدِه العـوالم أرضُهـا ... وسمـاؤُهـا وهْـوَ الأعـزُّ الأكـرمُ

أَفْضَى إليكَ بأمرِ قومِكَ، فَاضْطَلِعْ ... وَاعْـزِمْ رِفـاعـةُ إنّ مثلَكَ يعـزِمُ

وَخُذِ الكتـابَ مُبـاركـاً مـا مثلُه ... كتبـتْ يَـدٌ فيمـا يُخَطُّ وَيُـرقَـمُ

---

(١) المعرّج المُقام من تعّرج على المكان حبس مطيته عليه وأقام فيه، والمتلوّم المكث والانتظار .

(٢) النسر الضخم .

إقــرأه مُـتَئِّـدا عليـهم، وَادْعُـهـم ... أن يتبَعــوكَ إلى التي هِيَ أقْــوَمُ

وَلِمَنْ عَصاكَ مدًى ، فإنْ بلغوا المدَى ... فــاللّهُ يَـقْـضِي مـا يشــاءُ ويَحكمُ

أوَ مـــا كفى شــهـــرٌ يَجــرُّ وراءَهُ ... شَهـراً لِمن يبغِي المحجَّةَ مِنهمُ ؟

* * *

للهِ قَــومُــكَ يـــا ابنَ زيـــدٍ إنّهم ... سمعوا الكِتابَ فشـايعوكَ وأسلمـوا

نُــورٌ عـلى نــورٍ ونُعْـمى زادهـــا ... من فضلِه الأوفى الكـــريمُ المنعِمُ

عَلِمَتْ خزاعةُ بعد جهلٍ فَاهْتَدتْ ... وإلى الحقــائقِ يهتَـدي مَن يعلم

إن يـذكروا فَضْـلَ الرجـالِ وأيُّهم ... أرْبَى فــأنتَ الســابقُ الـمتـقــدّم

وفد همدان

وفد منهم على النبيّ ﷺ جَمعٌ فيهم مالك بن نمط، وكان شاعرا مجيدا، فلقوه عند مرجعه من تبوك عليهم مقطعات من الحبرات « ثياب قصار من برود اليمن » وعمائم عدنية، على الرواحل المهرية والأرحبية، وجعل مالك يرتجز بين يديه.

إليك جاوزنا سواد الـريفِ   في هَبواتِ الصّيف والخريفِ

مُخطماتٍ بحبال الليفِ

وقد أمّرَهُ الرسول الكريم على من أسلم من قومه، وفي رواية مرجحة أنه أرسل إليهم خالد بن الوليد يدعوهم إلى الإسلام، فأقام ستةُ أشهر وهم لا يجيبون فبعث إليهم عليّا كرم الله وجهه، وأمر خالدا بالرجوع إليه، فصفّ عليّ أصحابه وقرأ عليهم كتاب النبي فأسلموا جميعا، وكتب بذلك إليه فخرّ ساجدا ثم رفع رأسه وقال: السلام على هَمْدان مرتين: -

هُـوَ وَفدُهم، وهمُ الفـريقُ الطَّيِّبُ   مـا فَـاتَهم من كـلِّ خيـرٍ مَـطْلَبُ

طـابت مَنـابِتهُم، فـطابَ صَنِيعُهم   إنّ الـرجـالَ إلى المنـابتِ تُنْسَبُ

إلاّ يُـطيعـوا خـالـداً إذ جَـاءهم   فـلكـلِّ أمـرٍ مَـوعِـدٌ يُـتَـرَقَّبُ

سَـدُّوا السّبيـلَ عليـهِ ستّةَ أشهـرٍ   وأتى عَليٌّ بـالكتـابِ فـرحَّبُـوا

هَمْـدانُ أهـلٌ للجميـلِ وعِنـدهم   غَوْثُ الصَّريخِ، ونَجدةٌ ما تكذب[1]

---

(١) جاء في السيرة أنه ﷺ قال: نعم الحي همدان، ما أسرعها إلى النصرة وأصبرها على الجهد. وفيهم أبدال وفيهم أوتاد، والصريخ المستغيث.

نَصـرُ الحُماةِ الصّادِقين وصَبْرهُم والحـربُ حَرَّى والفـوارِسُ هُيَّبُ
شَهِـدَ النبيُّ لهم فتلكَ صِفـاتُهم تُـمْلِي مَـحـاسِنَهـا عَليَّ وأكْـتُبُ
يَـرضـونَ مِلَّتَــهُ فيسجدُ شـاكـراً لله جـلَّ جـلالُـه يَـتـقَّـربُ
ويُـذيقُهم بَــرْدَ السّــلامِ مُـردَّداً عَذْباً كماءِ المُزْنِ أو هُـوَ أعْذَبُ[1]
أوتـادُ هـذِي الأرضِ أو أبـدالُهـا مِنهم، فمشرِقُها لهم والمغـرِبُ[2]
يَمضِي الـزمانُ وهم وُلاةُ أمـورِهـا فـي دولـةٍ أبـديَّـةٍ مـا تَـذْهَبُ
تِلكَ الـوَلايـةُ، لا وَلايـةُ معشرٍ يَبْقَـوْنَ مـا غَفـل الـزمـانُ القُلَّبُ
جـاءوا، عـليهـم رونقٌ ونـضـارةٌ يَصِفُ النّعيمَ لبـاسُهم والمـركبُ
صَنَـع البُرودَ لهم فـأحسنَ صُنْعَهـا وأجـادَهـا صَنَـعُ اليَـدَيْنِ مُـدَرَّبُ[3]
تَهفُــو يمـانيــةً على أجســادِهـم فَتكـادُ حُسْنـاً بـالنّـواظِـرَ تُنْهَبُ
من كـلِّ وضّـاحِ الجبينِ مُعمَّمٍ وكـأنّـه ممـا يُهـابُ مُعصَّبُ[4]
زَانـوا الـرِحـالَ بمـا أفـاءتْ مَهْـرَةٌ من نَسْلِها الغالِي وأنْجَبَ أرْحَبُ[5]
جـاءوا بِشـاعِـرهم فَمِنْ أنفـاسِـه أرَجٌ كَنَفْحِ الطِّيبِ أو هو أطْيَبُ[6]

---

(١) المزن السحاب أو ذو الماء منه .

(٢) أوتاد الأرض جبالها واوتاد البلاد رؤ ساؤ ها جمع وتد، والأبدال جمع البدل وهو العوض أو الخلف ويقولون إن الابدال قوم من الصالحين لا تخلو الدينا منهم فاذا مات واحـد أبدل الله مكانه آخر .

(٣) يقال رجل صنع اليدين وصناع اليدين إذا كان حاذقا في الصنعة .

(٤) متوّج .

(٥) الرواحل المهرية تنسب إلى قبيلة أو بلدة يمنية يقال لها مهرة وهي نجائب تسبق الخيل وأرحب قبيلة أو مكان تنسب إليه النجائب الأرحبيات .

(٦) هو مالك بن النمط ومن شعره :

حلفت بربِ الراقصات إلى مِنىً صَوادِرَ بالـركبانِ من هَضْبِ قـرددِ
بـأنّ رسـولَ الله فينـا مُصـدَّقٌ رَسولٌ أتى من عندِ ذي العرش مُهتدِ
فما حملتْ من ناقـةٍ فوق رِحلهـا أشـدَّ على أعدائـه من محمـدِ

حيَّـا رسـولَ اللهِ يُـظِهـرُ حُبَّـهُ ... إنّ الكـريمَ إلى الكـريمِ مُحبَّبُ
حيَّا الشّمائِلَ كالخمـائلِ، فـالرُّبَى ... تُبدِي البشاشةَ والخمائِلُ تَطْرَبُ[1]
حَيَّـاهُ مُـرْتَجِـزاً، وإنَّ لمـالـكٍ ... لأعـزَّ ما مَلَكَ البَيَـانُ المُعْجِبُ
قُـلْ يا أخـا هَمْدَانَ واشْهَـدْ أنّـه ... لَـلحقُّ مـالَـك دُونَـهُ مُـتَـنَكَّـبُ
هُـوَ ذلكم ما مِنْ رسـولٍ غيره ... فَيميـلُ عنه أخـو الرَّشـادِ ويَـرْغَبُ
مـا فيـه من شـكٍّ، وليس كمثِله ... لِـلعـالَـمِـينَ مُـعـلِّمٌ ومُـهَـذِّبُ
أنتَ الأميرُ على الألى اتّبعوا الهُدَى ... والحقُّ من هَمْـدَان أو أنتَ الأب
خُـذْهم بـآدابِ الكتـابِ وَكُنْ لهم ... مَثَـلاً من الشِّيَمِ الرّضِيَّـةِ يُضْـرَبُ
وَاعْمَـلْ لـرِّبـكَ جَـاهِـداً، لا تَـأْلُـهُ ... دَأبـاً، فليس يفـوزُ من لا يَـدْأَبُ

---

(١) الشمائل جمع الشميلة وهي الطبع .

وفد تجيب

تجيب ويجوز فتح تائها: قبيلة من كندة، جاء وفدها إلى النبي ﷺ وكانوا ثلاثة عشر رجلا يسوقون صدقات أموالهم. فسرَّ بهم وأكرم مثواهم وقالوا إنا جئنا بحق الله في أموالنا، فقال: ردّوها فاقسموها على فقرائكم قالوا: ما جئنا إلا بما فضل عنهم، فقال أبو بكر: ما قدم علينا مثلهم. قال الرسول الكريم: إنّ الهدى بيد الله عز وجل فمن أراد به خيرا شرح صدره للايمان وسألوه عن القرآن والسنن فزاد سرورا بهم، واستأذنوه في الرجوع، ودعوه، فأرسل إليهم بلالا بأسنى الجوائز، وقال: هل بقي منكم أحد؟ قالوا: غلام خلفناه على رحالنا، قال: أرسلوه: فأقبل يقول: قد قضيت للناس حوائجهم، فاقض لي حاجتي، وهي أن تسأل الله أن يغفر لي ويرحمني، ويجعل غناي في قلبي، ففعل وأمر له بجائزة.

تُجَيْبُ بعثتِ الوفَد، أمّا سبيلُه ... فَسمحٌ، وأمّا مُنتوَاهُ فَصالحُ

أتى في ذمامِ اللهِ يُؤتيهِ حَقَّهُ ... من المالِ يَهديه سَناً منه وَاضِحُ[1]

فأكرمَ مثواهم، وأعلى مكانَهم ... رَسولٌ لِمَنْ يَبغِي المحجَّةَ ناصِحُ

وقال لهم: ما بِي إلى المالِ حاجةٌ ... وَحَسْبِي من الخيراتِ، ما اللهُ مانح

خذوه فردُّوهُ على فُقرائِكم ... فَينعمُ مكروبٌ، وينَهض رازِحُ

فقالوا: كفيناهم، فما منهمُ امرؤٌ ... له حاجةٌ تُطوى عليها الجوانِحُ

وقال أبو بكرٍ: هُمُ القومُ ما رأت ... كمقَدمِهم منّا العيونُ اللّوامِحُ

(١) السنا الضياء، أو البرق.

وسَــرَّ رَســولَ اللهِ حسنُ صَنيعِهم فمـا مِثلُه إذ يمـدح القـومَ مـادح
فلّمــا استـزادُوه من الحقِّ زادهم ولَنْ تسأمَ الحقَّ العقولُ الـرواجح
رَأَوْا مَـورداً عذبـاً فألقـوا بـأنفسٍ ظِماءٍ بها من وَقدةِ اللُّوحِ لافح[1]
فمـا مثلهم فيمن هَـدَى اللَّهُ وارِدٌ ولا مثله فيمن شَفى الدّاءَ نَاصِحُ
هُم اسْتـأذنُوه في الإيـابِ وودَّعـوا تُشيِّعُهم منـه العطَايـا الـدَوالِـحُ[2]
بلالُ انْطَلِقْ خَلفَ الرجالِ فأعطهم جَـوائِـزهَم، إنّ التـقىَّ لـرابـح
وسَلْهُم: أفيهم من تَـأخّـرَ رِفـدُه؟ فَيُعْطَى، ويَلْقَى قومَهْ، وَهْوُ فارح[3]
فقالوا: غُلامٌ في الرحـالِ مُخلَّفٌ على وجههِ وَسمٌ من الخيرِ لائـح
وجـاء يقـولُ القـولَ بِـرًّا وحِكْمـةً فـواعَجبي، أين النُّهى والقرائـح؟
قَضيتَ رسـولَ اللهِ حاجـةَ قَـومِنـا ولي حـاجةٌ بـالبابِ، اللَّهُ فـاتـح
سَلِ اللَّهُ أن يَرْضَى، فيغفَر حَوْبَتِي ويرحمني، إنّي إلى ذاكَ طامح[4]
بِهـذَيْنِ فَادْعُ اللّهَ لي، ثمّ بـالغِنَى غِنَى القلبِ، إنّ المُعدِمَ القلبَ طائح
دعــا بـالـذي وَدَّ الفَتى وأجــازَهُ فلم يَبْقَ من حاجاتِه ما يُطارح[5]
صفـا قلبُه من كـلِّ شيءٍ يَشـوبُـه وطابَـتْ بِتقَوى اللّهَ منـه الجـوارح
وإنّ لــه بعــد النبيِّ لَـمشـهـداً يَهونُ به عادٍ من الخطبِ فادح[6]
سيكفي أبــا بكــرٍ تَقَلُّبَ قــومِــه إذا جَهِلَ الأقوامُ والجهـلُ فاضـح

* * *

(١) اللوح العطش .
(٢) الدوالح جمع الدالح السحابة الكثيرة الماء، والعطايا الدوالح أي الجسيمة
(٣) الرفد العطاء .
(٤) الحوبة الإثم .
(٥) طارحه الكلام ناظره وجاوبه فيه .
(٦) لما ارتد من ارتد بعد وفاة النبي قام في قومه يذكرهم الله والإسلام فلم يرتد منهم أحد .

همُ النّفرُ الأخيارُ ما في رِحالِهم — شَقِيٌّ ولا ناءٍ عن الرُّشدِ جامح

أقاموا كِراماً ثم عادوا أعِزَّةً — لهم شرفٌ عالٍ، مُقيمٌ وبارح

فما فاتَهم خيرٌ ولا نالَ سَعْيَهم — من النّاسِ غادٍ في البلادِ ورائح

ألا إنّه الإسلامُ لا مجدَ مثله — وإن صاحَ بالبهتانِ والإفكِ صائح

أُغنّي به فَلْيَطْرَبِ الدّهرُ وَلْتَدَعْ — تَطارِيَبها هذِي الطيورُ الصّوادح

وإنّي لأقضِي للعروبةِ حَقّها — وإن لجَّ مفتونٌ، وأرجفَ كاشح[1]

وماذا على الأعداءِ إن قام ماجدٌ — يُناضِلُ عن أحسابِها ويُنافح[2] ؟

نَصبتُ لها نفسي فما لاَنَ جانبي — وجُلْتُ فما ضَاقْت عليَّ المنادح[3]

لك الحمدُ ربّي إنّها لكَ نعمةٌ — وإنّي لِمَا يُرضِيكَ منّي لَكادِحُ

فيا ربِّ هل للشّعرِ بعدي خليفةٌ — يقوم به إن غيَّبتني الصَّفائح ؟[4]

أرى الجدّ أودى إذ أبى الجِدَّ أهلُه — فلم يَبْقَ إلاّ ما تَعوَّدَ مازح

ألحُّوا على الأخلاقِ فانقضَّ رُكْنُها — وحاقتْ بأبناءِ البلادِ الجوائحُ[5]

---

(١) الكاشح العدو الباطن العدواة .

(٢) يدافع .

(٣) الأراضي الواسعة البعيدة .

(٤) الاحجار العريضة والمقصود بها القبر .

(٥) جمع الجائحة وهي البليّة والداهية العظيمة .

بقيّة الوفود

تَـوالتْ وفـودُ اللهِ تَختـارُ دِينَـهُ ... وتـرضـاهُ ربًّـا مـالهـا غيـره ربُّ
دَعـاها فلبَّتْ تَبتغي الحقَّ مَـذهبـاً ... وجاءت يَظَلُّ الرَّكبُ يتبعَه الـرَكبُ
هَـداها إلى الإسـلامِ رأيٌ مُسـدَّدٌ ... فلا شَغَبٌ يُؤذِي النُّفوسَ ولا حَرْبُ
إذ المرءُ لم يَزْجُرْ عن الغَيِّ نفَسهُ ... فلا الطعنُ يهديه السَّبيلَ ولا الضَّربُ
وشَرُّ سجايا النَّفسِ أن تُؤثِرَ العمى ... وتَكـره أن يستـلَّ أدواءهـا الـطِبُّ
تَـرامَتْ بهم آمـالهـم ومَـطيُّهـم ... إلى واسـعِ الأكنافِ مَنـزلُه رَحْبُ
جَليـلِ الأيـادِي، مـا يَغُبُّ نَـزيلَهُ ... قِرىً فاضلٌ من جُودِه، وندىً سَكْبُ[1]
إذا جَـاءَهُ المكـروبُ والهمُّ جـاثِمٌ ... كفَى ما به، حتَّى كأنْ لم يكُنْ كَرْبُ
وإن راحَ يَسْتَسْقِي به الغيثَ مُسنِتٌ ... تَقَشَّعَ عنه الجدبُ، واطَّرَد الخِصْبُ[2]
لَكَمْ جـاحدٍ لمَّـا رأى نُورَ وَجْهِهِ ... تجلّى العَمى عن عَيْنِه وصحا القلبُ
به عَرفَ القومُ السَّبيلَ إلى الهُدَى ... فلا مَسْلَكٌ وعرٌ، ولا مَرْكَبٌ صَعْبُ
وفي ظلِهِّ الممـدودِ حَطُّوا ذُنـوبهم ... فَعـادوا ولا وِزْرٌ عليهم ولا ذَنْبُ
طَهارَى عليهم من سَنا الحقِّ بَهجةٌ ... لها وَهَجٌ باقٍ على الدّهرِ لا يَخْبُو[3]

---

(١) غبّ القومُ جاءهم يوماً وتركهم يوما، وندى سكب أي جودٌ وفضلٌ وخيرٌ منسكبٌ .

(٢) أسنت القوم أصابهم الجدب، وهكذا كان بنو فزارة عند مجيء وفدهم فدعا لهم النبي فأمطروا .

(٣) وهج رائحة طيّبة منتشرة .

بَني الدّهرِ ناموا آخرَ الدّهرِ أو هُبُّوا تكشّفَتِ الظُّلُماء، وَانْجابت الحُجْبُ
أبــىَ اللّهُ إلاّ أن يُـؤيّــدَ دِيــنَــهُ فليس لِمن يـأباهُ عَقْـلٌ ولا لُبُّ
إذا أخــذ الـسّيــلُ الأَتِيُّ سبيلَه فلا الشّرقُ مَسْدودُ الفجاجِ ولا الغربُ[1]
وما الدّينُ إلا مّا محا الشرَّ والأذَى فـلا أُمَّةٌ تشكـوُ الشّقاءَ ولا شعب
وما يَستوِي البحـرانِ: هذا مـذَاقُه أُجاجٌ، وهذا طعمُه سائِغٌ عذب[2]
قضـاها لنـا ربُّ السّمـاءِ شَـريعةً مُطَهَّرَةً، لا الظلمُ منها ولا الغَصْبُ
لنــا دِينُنـا نسمــو بِـه، وكتــابُنــا إلى حيثُ لا الأديانُ تَسمو ولا الكُتْبُ
رَعى اللهُ قوماً مـا رَعَوْا غيـرَ حقِّهِ ولا رَاعهَم فيــه مَـلامٌ ولا عَتْبُ
يُـحبِّــونَــهُ حُـبّــا تَلِيـنُ قـلوبُـهـم بـهِ وَهْوَ فيهـا مِثلُ إيمـانِها صُلْبُ
فَمن يكُ عن حالِ المُحِبّينَ سائلاً فتلكَ سجاياهم، وهذا هُوَ الحُبُّ
تَعلَّمْ سجايا القومِ واسْلُكْ سَبِيلَهم أُولئكَ حِزبُ اللّهِ، مـا مثلَهُ حِزْبُ

---

(١) الأتيّ الذي يأتي من حيث لا يُدرك .
(٢) الأجاج الملح المرّ .

كتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى الملوك

أرسل النبيّ ﷺ ثمانية كتب إلى تسعة من الملوك يدعوهم إلى الإسلام، فمنهم من أسلم ومنهم من أخذته العزّةُ بالإثم، وهم هرقل ملك الروم على يد دحية الكلبي، وكسرى ملك فارس على يد عبد الله بن حذافة، والنجاشي على يد عمرو بن أمية الضمري، والمقوقس ملك القبط بمصر على يد حاطب بن أبي بلتعة، والمنذر بن مساور العبدي بالبحرين على يد العلاء بن الحضرمي ،وجيفر وعبد ابنا الجلندي ملكا عمان على يد عمرو ابن العاص، وهوذة بن علي صاحب اليمامة على يد سليط بن عمرو العامري، والحارث بن أبي شمر الغساني بدمشق على يد شجاع بن وهب .

الكُتْبُ تَتْرَى، والكتائبُ تَدلِفُ ... والبأسُ بينهما يَثورُ ويعصِفُ
الله وكَّلَ بالملوكِ رَسولَهُ ... فإذا العروشُ بهم تَميدُ وتَرجُفُ
أهِيَ القلوبُ تَلَجُّ في خَفَقاتِها ... أم تِلكَ أجنحةٌ تَظلُّ تُرفرِفُ ؟
رُسُلُ النبيِّ بكلِّ أرضٍ جُوَّلٌ ... تَرمِي بهم هِمَمٌ نواهِضُ قُذَّفُ
حَملوا القُلوبَ الصُّمَّ يَعصِمُهم بها ... دِينٌ لهم صُلْبٌ ورأيٌ مُحْصَفُ[1]
تَرمِي الجَلامِدَ والحديدَ بِقوّةٍ ... تمضِي فتصدعُ ما تشاءُ وتَقصِفُ[2]

---

(١) المحصف المحكم .

(٢) الجلامد جمع الجلمد الصخر، وتقصف تكسر .

يَخْشَى العَتِيُّ المُسْتَبِدُّ نَكالَها ويَهابُها المُسْتَكبِرُ المُتَغطرِفُ[1]

سِرْ في ذِمامِ اللهِ دِحْيَةُ إنَّها لك حاجةٌ ما دونها مُتخَلَّفُ

أيْقِظْ هِرَقْلَ فقد تطاولَ نومُه وأبَتْ عَمايتُه فما تَتَكَشَّفُ

أيْقِظْهُ إنّ اللّهَ ليس كَدِينِه دِينٌ، وليس له شَرِيكٌ يُعرَفُ

أخَذَ الكتابَ وراحَ يسألُ كلّما وَضَح اليقينُ لهُ يُلِحُّ ويُلْحِفُ[2]

ماذا أرادَ اللّهُ؟ ما شأنُ الذي بَعثَ الكتابَ؟ بأيِّ شَيءٍ يُوصَفُ؟

قُلْ يا أبا سُفيانَ لا تُطِعَ الهَوى وَدَعِ المَلامَ لِمن يَجورُ ويَجْنِفُ[3]

أبدى هِرقلُ لقومِه أنْ قد صَغا مِنهُ إلى الإسلامِ قلبٌ مُنصِفُ[4]

غَضِبُوا فَقالَ: رُوَيْدَكُم ما بي سِوَى أن استبِينَ، وأين مِنّا المَصْرَفُ؟

بَعثَ الكتابَ فقالَ: إنّي مُسلِمٌ لكنّهم قومي الأُلى أتَخوَّفُ

وَاخْتارها مِمّا يُحِبُّ هَدِيّةً ألقى بها من مَكْرِهِ يَتزلَّفُ[5]

قال النبيُّ: رِسالةٌ من كاشحٍ يُبدِي الرِّضى، ومُنافِقٍ يَتكلَّفُ[6]

---

(١) المتغطرف المتكبر .

(٢) كان هرقل يومئذ ببيت المقدس وعنده أبو سفيان . . قبل إسلامه، وبعض أصحابه . فسألهم عن أقربهم نسبا إلى النبيﷺ ، فقال أبو سفيان أنا أقربهم إليه فإنّه ابن عمي قال له: أُدْنُ مني، وَصفّ أصحابه وراءه ليردّوه عمّا يخالف الحق من مقالته، وأقام ترجمانا يسأله عن نسب النبي وأخلاقه وأعماله وعن الذين يتبعونه فقال الحق ونطَق بالصواب .

(٣) يجور ويجنف بمعنى يميل عن الطريق .

(٤) رُوِيَ أن هرقل لما عاد إلى حمص . وكانت دار ملكه أمر مُنادياً ينادي ألا إن هرقل قد آمن بمحمد واتّبعه، فخف الجنود في سلاحهم وطافوا بقصره يريدون قتله، فأرسل إليهم أني أردت اختبار صلابتكم في دينكم ، وقد رضيت فرضوا عنه . وثمت رواية أخرى تتفق وهذه الرواية في معناها وإن خالفتها في بعض ألفاظها، وصغا إليه مال بسمعه إليه .

(٥) قبل النبيّ هديته وقسمها بين المسلمين .

(٦) كتب الى النبي يقول : إني مسلم ولكني مغلوب على أمري ، فقال : كذب عدوّ الله ليس بمسلم وقد حارب المسلمين في غزوة مؤتة .

وهَـدِّيـةٌ سَـاءتْ وسَـاءَ حَـدِيثُهـا   فـالـزّورُ من أسمـائهـا والـزُّخْـرُفُ

* * *

كِسَرى لكَ الويلاتُ ،ماذا تَبتغِي ؟   ماذا تظنُّ ؟ بِمَنْ تُغاثُ وَتُسْعَفُ ؟

مَـزقّتَ من كُتبِ الـنبيِّ تميمـةً   فيهـا مَنـابِعُ رَحمـةٍ لا تَنْـزَفُ(١)

وذخيـرةً يَجِـدُ الـذَّخـائِـرَ كُلَّهـا   بِيَـدَيـهِ حِينَ يُصيبُهـا المـتلقِّفُ

أطلبتَ من بـاذانَ رأسَ مُحَمّدٍ ؟   إن لم يَتُبْ ؟ بل أنتَ غاوٍ مُسرِفُ

سَترَى اليقينَ على يَدِ ابنكِ فَانْتَبِهْ   لَـكَ مَـوْعِـدٌ عمّـا قليـلٍ يَـأزَفُ

صَـدقَ النبيُّ وذاقَ كِسـرَى حتفَـهُ   مِن شِيـروِيـه فمـا لـه من يَعطِفُ

وَرأى الهُـدى باذانُ بعـد ضـلالـةٍ   فمضَى على البيضـاءِ لا يتعسَّفُ

نَبَذ الهَوى فَصَحا، وأصبحَ مُسلماً   ودَعـا الألَى معـه فلم يَتخلَّفـوا

لا خـابَ جَـدُّ القـومِ إنّ إلَههم   جمعَ القلوبَ على الهدى فتـألَّفوا

وأتى النجَاشيَّ الكتابُ فلم يكن   مِمّن يَصُدُّ عنِ الصَّوابِ ويَصدِفُ(٢)

شَـرَفٌ أُتِـيـحَ لـه وعِـزٌّ زانَـهُ   إنّ التقـيَّ هـو الأعـزُّ الأشـرف

وأبى المُقْـوقِسُ أن يُفـارِقَ دِينَـهُ   يَخْشَى الذي يَخْشَى الغَبِيُّ المُترَفُ(٣)

---

(١) مزق كسرى كتاب النبي وكتب إلى باذان أحد أمرائه باليمن أن سر فاستتب الرجل الذي يزعم أنه نبي ويكتب إلي، فإن أبى فابعث برأسه . فبعث باذان كتاب كسرى إلى النبي مع قهرمانه ومعه رجل آخر طالبا أن يذهب معهما إلى كسرى فأخبرهما بان ابنه شيرويه سيقتله ورجعا بالخبر إلى باذان فلما قتل أسلم هو ومن معه [هنا ما يفيد أن هذا التعليق من عمل « نعيم »] ولا تنزف أي لا تنقطع ولا تنفد .

(٢) بعث النبي ﷺ بكتابه إلى النجاشي يدعوه إلى الإسلام، وقد سأله في كتاب آخر أن يزوجه من أم حبيبة رضي الله عنها ففعل .

(٣) ارسل النبي كتابه الى المقوقس عند منصرفه من الحديبية فلما قرأه قال لحاطب بن أبي بلتعة : إن كان نبيا فماله لا يدعو على من خالفه فيهلكوا ؟ قال له حاطب: وما بال عيسى لم يدع على الذين أخذوه ليقتلوه ؟ قال: أحسنت، حكيم جاء من عند حكيم، ثم بعث إليه =

بَعثَ الهـدايـا يَتَّقي بحسـانِهـا — مـا يتقّي ذُو البِغْضَـةِ المتلطِّفُ(١)
ضَنَّ الخبيثُ بِمُلكـهِ وغَـداً يـرى — يـد غَيْـرِه في مُلْكـهِ تتـصـرَّف
هـذا الـذي قـال النبيُّ وهكـذا — صَنَعَ الذي يبني العُروشَ وينسِفُ
والمنـذرُ اتَّخـذَ السّبيـلَ مُسـدَّداً — قَبْلَ الكتابِ يُخِبُّ فيه ويُوجِفُ(٢)
سـألَ النبيَّ فقالَ ما أنـا فـاعـلٌ — بـالقوم إذ ضَلُّوا السّبيـلَ وَزَيَّفُوا ؟
فَقضَى إليـهِ الأمـرَ يـأخـذُهم بـهِ — ويُـقيمُـه بـالحقِّ لا يَـتـحـرَّفُ
للمسلمِيـنَ أمـوُرهم، ولـه عـلى — مَن ضلَّ جزيـةُ عـادلٍ لا يُجحِفُ
وطـحـا بجـيفـرَ جَـهلُه وعِنـادُه — فأبَى على عمروٍ وأعرضَ يأنَفُ(٣)
ورآه يَهـدِرُ بـالـوعيـدِ ،فـراعـه — وأتـىَ غَـدٌ فـانْقَـادَ لا يَتـوقَّفُ
وَانْسَـاقَ يَـتـبَـعُـه أخـوُه وإنّـه — لَمُهَـذَّبٌ سَمْـحُ الخِـلالِ مُثقَّفُ
وأتى اليمـامـةَ بـالكتـابِ رَسَـولُهـا — فكذاكَ يهَذِي الطّامِحُ المتعَجْرِفُ(٤)
طُغيـانُ شاعِـرها وجَهْـلُ خـطيبهـا — وغرورُ صاحِبهـا المُبيدُ المُتلِفُ(٥)

= هدايا ومنها مارية أم ولده ابراهيم وكتابه الذي قال النبي حين قرأه، ضنّ الخبيث بملكه ولا مُلكَ له، والمترف الذي أطغته النعمة وأفسدته .

(١) البغضة البغض الشديد .

(٢) أسلم المنذر قبل مجيء كتاب الرسول الكريم إليه ،وكتب يخبره بذلك ويقول: إن عنده قوما من المجوس واليهود، فماذا يفعل فجاءه كتابه: أن اترك للمسلمين ما أسلموا عليه ومن أقام على مجوسيته أو يهوديته فعليه الجزية، وأخب الرجل فرسه وأوجفه حمله العدو والسرعة .

(٣) لقي عمروعبدا أخا جيفر وكان أسهل الرجلين فجرى بينهما حديث لان له قلب عبد ولكنه قال الأمر لأخي جيفر فهو أكبر مني سنا، فوصل إليه وقرأ الكتاب فأغلظ في القول فهدده عمرو فاستمهله الى الغد فلما كان الغد أسلم هو وأخوه .

(٤) المتعجرف المتكبر والذي يركب الناس بما يكرهون من الأمور .

(٥) لما قرأ الكتاب قال: إني خطيب قومي وشاعرهم والعرب تهابني، فليجعل لي بعض الأمر فلما عاد سليط وأخبر النبي، قال: لو سألني سيابة . . قطعة من الأرض . . ما فعلت بار وبار ما في يديه ، مات بعد ذلك بمدة قصيرة .

طَلبَ المحالَ من النبيِّ ولـم يَـزَلْ ذُو الجهلِ يُولَعُ بالمحالِ وَيُشْغَفُ

يَهْـذِي ببعضِ الأمـرِ يَقـطعُـه لـه والأمـرُ ما قـطع الحُسامُ المُـرهَفُ

والحـارثُ المـأفـونُ طـاحَ بِلُبِّـهِ خَبَـلٌ تُصابُ بِـه العقولُ فَتَضعُفُ

ألقى الكتابَ وقالَ: مُلكي ليس لي كُفْؤٌ فَيَنْـزِعُ من يَديَّ ويُخْـطَفُ[1]

أُنْظُرْ شُجاعُ الخيـلَ والجُندَ الأُلى . تَلْقَى العـدوَّ بهم تَكُـرُّ وتَـزحَفُ

وَاذْكُـرْ لِصاحِبـكَ الحديثَ فَـرُبَّمـا كَفَّ المناجِزُ، وارْعَوى المُسْتَهدِفُ

ثم استعـدَّ وجـاءَ قيصـرَ وافـدٌ بصحيفـةٍ منه تَصِـرُّ وتَصْـرُفُ[2]

حَمْقاءَ يَطغى الغيظُ بين سُـطورِها وتَشُبُّ بـالشَّنـآنِ منهـا الأحـرُفُ[3]

رَكِبَ الغُـرورَ وقـال: إنِّي قَـاذفٌ بـالجيشِ يثربَ فَهْيَ قـاعٌ صَفْصَفُ

قَالَ: ازْدَجِرْ، مـا أنتَ من أكفائهـا واسْكُنْ فـإنَّـك لَلغـوِيُّ المُـرجِفُ

فـأفـاق واتَّخـذَ الخِـداعَ سَجِيَّـةٍ لا يَسْتَـحِي منهـا ولا يَـتعـفَّـفُ

بَعثَ السلامَ مع ابنِ وَهْبٍ وَادَّعَى دَعْوَى الذي يُرخِي القِناعَ ويُغْدِفُ[4]

قال: ادَّخرني يـا شُجاعُ فـإنّ لي قلبـاً إلى دينِ الهُـدَى يَتشَّـوفُ

إنـيّ لمـتبِـعٌ سبيـلَ مُـحـمّـدٍ وإليكَ رِفْـدُك بـالكرامـةِ يُـرْدَفُ

سَمِـع النبيُّ حـدِيثَـهُ فتكَّشـفتْ نَـفسٌ مُقـنَّعـةٌ، وقـلبٌ أغْـلَفُ[5]

---

(١) لما قرأ الكتاب رمى به وقال: من ينزع عني ملكي ؟ إني سائر إليه ولو كان باليمن لجئته ثم أمر بالناس وبالخيل، فلم تزل تعرض عليه حتى الليل ثم قال لشجاع : أخبر صاحبك بما ترى، وكتب بذلك إلى قيصر وكان عنده دحية الكلبي بكتاب رسول الله ﷺ فنهاه قيصر عن المسير .

(٢) تصر وتصرف تصوت كناية عن الحدة والغيظ .

(٣) الشنآن البغض مع عدواة وسوء خُلُق .

(٤) أمر الحارث لشجاع بمائة مثقال ذهب وقال له: سلّم على النبي ، وقل له: إني متبع دينه فلمـا سمع النبي قوله قال: بار ملكه . وأغدقت المرأة قناعها على وجهها أرسلته كناية عن المداجاة والمغالطة .

(٥) لا يعي ولا يفهم كأنّه غُشِّيَ بغلاف .

مُلكٌ يبيـدُ ومـالِـكٌ يُـرجَى إلى ... أجلٍ يَحينُ وموعَدٍ ما يُخْلَفُ[1]

يَـأْبَى الغوِيُّ الـرُّشدَ يـرفعَ شـأنَـهُ ... فـإذا هَـوى ألـفـيـتَـهُ يَتـأسَّـفُ

لِـلحقِّ مِئـذنـةٌ وَدَاعٍ مُـسمِـعٌ ... في كـلِّ شيءٍ بـالخـلائِق يَهتِفُ

عَجِبَ الملوكُ لِكابرينَ سَمَتْ بهم ... هِممٌ تَميلُ عنِ العُروشِ وَتعـزِفُ

المُتـقّـونَ هُمُ الـملوكُ وإن أبَـوْا ... رَغْـدَ الحيـاةِ ولينَهـا فَتقشّـفـوا

عَكَفوا على آيِ الكتابِ فـأفْلَحُوا ... والجـاهلونَ على المـآثمِ عُكَّفُ

---

(١) يرجى يرجأ وحذف الهمزة لغة .

السَّرَايَا

سرايا زيد بن حارثة

السرية الأولى

كانت عقب وقعة بدر على عير لقريش فيها أبو سفيان ، وصفوان بن أمية وعبد الله بن أبي ربيعة ، وحويطب بن عبد العزى ، وكانت العير ذاهبة إلى الشام عن طريق غير التي تسلكها من قبل فخرج إليها زيد بن حارثة في مائة راكب فأصابها وهرب القوم وبلغ الخمس ما قيمته عشرون ألف درهم ، وكان دليلهم رجلا من أسارى بدر ثم هرب ، جيء به إلى النبي ﷺ فعرض عليه الإسلام فأسلم : -

نَهَضَ الغُزَاةُ فأين تَمْضِي العِيرُ ؟ ... أَعَلَى الغمامِ إلى الشآمِ تَسِيرُ ؟

زَيْدُ بْنُ حارثةٍ يَطِيرُ وَرَاءَها ... مَا ظَنُّهَا بَالنَّسرِ حِينَ يَطِيرُ ؟

مَهْلاً أبا سُفْيَانَ إنَّ طِلاَبَكُمْ ... عَسِرٌ وإنَّ مُصَابَكم لَكَبِيرُ

صَفْوَانُ يُرْعِدُ خِيفةً وحُوَيْطِبٌ ... مِمَّا عَرَاهُ مُرَوَّعٌ مَذْعُورُ[1]

زُولُوا بأنفسِكم فتِلْكَ حُتوفُها ... غَضْبَى إليها بالسّيوفِ تُشِيرُ[2]

هِيَ غارةُ البَطَلِ المُظَفَّرِ مالكم ... مِنه إذا خَاضَ الغِمَارَ مُجِيرُ[3]

ظَنُّوا الظُّنونَ بهِ فلمَّا اسْتَيْقَنُوا ... زَالوا عَنِ الأموالِ ، وَهْيَ كَثِيرُ

أَمْسَتْ تُساقُ إلى النبيِّ غَنيمةً ... لِلَّهِ فيها فَضلهُ المشكُورُ

---

(١) أرعد الرحل أصابه رعد .

(٢) الحتوف جمع الحتف الموت .

(٣) الغمار الشدائد ، والمجير المغيث والمنقذ .

هـذا دليـلُ العِيـرِ غُـودِرَ وَحْـدَهُ خَلْفَ الأُلَى خَـذَلُوهُ ، فَهْـوَ أَسِيـرُ

اللّهُ أطلقَـهُ عـلى يـدِ مُنْقِـذٍ هُـوَ لـلأُسـارَى المرهَقِينَ بَشِيـرُ

عَقَـدَتْ مِنَ الإسلامِ فـوقَ جَبينِـهِ تـاجـاً عليـهِ من الجـلالـةِ نُـور

مَن علَّمَ القومَ العُكوفَ على الهوى أنَّ الحيـاةَ جَـهـالـةٌ وغُرور[1] ؟

تِلكَ المغـانِمُ ، مـا لهـا كَمُحَمَّـدٍ في النّـاسِ من أَحـدٍ إليـهِ تَصِيـرُ

هِـيَ قُـوَّةٌ لِلمُسْلِمِيـنَ وَمَـظهـرٌ للقـائِمِينَ على الجهـادِ خَـطِيـرُ

بُـورِكْتَ يا زيـدُ بنُ حـارثـةٍ فمـا لكَ في الموالِي الصَّـالِحِينَ نَظِيـرُ

إيــهٍ أميـرَ الجنــدِ ليس كـمثلِهِ جُـنـدٌ ولا مِثْـلَ الأميـرِ أميـرُ

---

(١) العكوف جمع العاكف المقيم .

السّرية الثانية

كانت إلى بني سليم بالجموم « اسم لناحية من بطن نخل » سار في جنده إلى ذلك المحل ، فأصابوا فيه امرأة من مُزَينة دلّتهم على محلّه من محال القوم ، فأصابوا فيها إبلا وشاءً وأسروا منها جماعةً منهم زوج المرأة ، ثم عادوا إلى المدينة ، فوهب النَّبيّ ﷺ لها نفسَها وزوجهَا : -

بَني سُلَيمٍ أَعُدُّوا الخيلَ وَاحْتَرِسُوا ... إن كـانَ يَنفعُكُم كَـرٌّ وإقـدامُ

زيـدُ بنُ حارثـةٍ ، زيدُ بنُ حـارثةٍ ... خَطبٌ جليلٌ ، وجُرحٌ ليس يَلتامُ[1]

هـل عِنـدَكم إنْ تغشَّتْكُم سَـرِيَّتُـهُ ... للسّيفِ سَيْفٌ ، وللضِرغَامِ ضِرغامُ ؟

مَشَى إليكم ، فهل قَرَّتْ منازلُكم ؟ ... وَاسْتَمسكَتْ مِنكُمُ الأعناقُ والهامُ ؟

لولا التي انطلَقَتْ تَهْدِيهِ ما عُرِفَتْ ... مِـنكـم ومـنـهـنَّ آيـاتٌ وأعـلامُ

فمـا الجَمـومُ ومـا ضمّتْ مَنـازِلُـهُ ... إلّا ظـنـونٌ خَـفِـيَّـاتٌ وأوهـام

أين الأناسيُّ ؟ جَلَّ اللّهُ ، هل مُسِخُوا ... لمّا رَأَوْكَ فَهُمْ - يا زيـدُ - أنعامُ ؟

مـا ثَمَّ إلاّ الأُلَى أدركتَهم قَنصـاً ... لم يُغنـهِ إذ هَوَى خَـوْفٌ وإحجامُ

عُدْ بالأُسارَى وبالغَنَمِ التي قَسَمَتْ ... لَكَ القواضِبُ ، إنّ الغُنْمَ أقسامُ[2]

يا زيدُ ما حقّ مَن دَلَّتكَ إذ صدَقَتْ[3] ... أسْـرٌ تَضِيقُ بـه ذرعـاً وإرغـامُ

---

(١) التأم الجرح التحم وبرىء .

(٢) الغَنَم الأولى الشاء ولا واحد لها من لفظها : والغُنْم الثانية الغنيمة .

(٣) بياض بالمصورة .

مَنَّ النَّبيُّ عليها ثم أكرمَها في مشهدٍ كُلِّهِ مَنٌّ وإكرامُ[1]
نالتْ بنِعْمَتِهِ مِن بَعلِها هِبَةٌ زَالَتْ لها كُرَبٌ شتَّى وآلامُ

* * *

بَني سُلَيمٍ ، أَفي دِينِ الفُسوقِ لكم إلاَّ ذُنوبٌ تَغَشَّاكُمْ وآثامُ ؟
ما أخيبَ النفسَ في الدُّنيا وأخسَرَها إن أخطأ النفسَ إيمانٌ وإسلامُ
يا للبَلاءِ ، أَيُعْصَى اللّهُ ليس له كُفوٌ وتُعْبَدُ أوثانٌ وأصنامُ ؟

---

(١) منّ عليها أنعم عليها .

السَّرِيَّةُ الثَّالِثَةُ

كانت إلى العيص وهو محل بينه وبين المدينة أربع ليال ، أقبلت عير لقريش من الشام فيها أبو العاص بن الربيع زوج بنت النبي ﷺ ، فخرج إليها زيد في سبعين ومائة راكب ، فقدموابه وبالعير إلى المدينة ، واستجار بزينب فأجارته ، وسألت النبيّ أن يردَّ عليه ماله ، ففعل ، وعرض عليه بعضهم الإسلام ليغنم أموال أهل مكة فأبى ، وذهب إليهم ، فأعطى كلَّ ذي حقٍّ حقَّه ، ثم أعلن إسلامه هناك ، وقدم على النَّبيّ فردّ عليه زينب .

يا أبا العاصِ ، أيَّ أرضٍ تُريدُ ؟ إنّ ما تَبْتَغِي لَصَعْبٌ شَدِيدُ

سُدَّتِ السُّبلُ يا أبا العاصِ فَانْظُرْ أينَ تمضِي إذنْ وأينَ تَحِيدُ ؟

أرأيتَ الحديدَ يُزجِيهِ زَيْدٌ مُستَطِيرَ السَّنا ، عليهِ الحَدِيدُ ؟

إيهِ يا ابنَ الربيعِ تِلكَ جُنودٌ تَتهاوَى عن جَانِبَيْهَا الجُنُودُ

ليس للعيرِ غيرُها فَدَعِ العِيـ ـرَ وَعُدْ سالماً وأنتَ حَمِيدُ

بَعُدَتْ مَكَّةُ . فلا تَرِدَنْها وإلى يثربٍ فَثَمَّ الوُرودُ

* * *

جاء صِهرُ النبيِّ في نَابِ مَولا هُ ولِلَّيْثِ حُكمُهُ إذ يَصِيدُ

رَامَ من زَيْنَبَ الجِوارَ فقالتْ إنّ في ذَا الحِمَى يُجارُ الطَّرِيدُ

وَمَشَتْ تُخْبِرُ الرسولَ وترجو عِندَهُ الخيرَ والفُؤادُ كميدُ[1]

---

(١) حزين مغموم .

قـال : إنّـي أجـرتُـهُ فـله مـا ... شِئْتِ عِنـدِي ، ومَـالُـهُ مَـرْدُودُ
أَكْـرِمِيـهِ فمـا عَـلَيـكِ جُنـاحٌ ... وَامْنَحِيْـهِ الجَمِيـلَ وَهْـوَ بَعِيـدُ
إنّـه مُـشْـرِكٌ ، فـأنـت حَـرامٌ ... شِرعَـةُ اللّهِ ، فَلْيَكُنْ مـا يُرِيـدُ

* * *

قالَ قومٌ : أَسْلِمْ يا أبا العاصِ تَغْنَمْ ... مَـالَ قـومٍ هُـمُ العَـدُوُّ اللَّدُودُ
قـالَ : كـلّا ، فلستُ أبـداً دِيني ... بـالتي يَـأنفُ الشَّـريفُ الـرَّشيـدُ
وَتَـولَّـى فجـاءَ مَـكّـةَ مـا يُـجْـ ... ـحَـدُ فيهـا مَقَـامُـهُ المشهـودُ
قال : يا قومُ ليسَ بي من جُحودٍ ... إنّـه مَـالُكُـم إلـيكـم يَعـودُ
فَخـذوهُ ، فقـد وَفَيْتُ ، وَرَبُّ الـ ... ـبيتِ سُبحـانَـهُ عَـليَّ شَهِيـدُ
أَشْـهَـدُ الآنَ مُـوقِنَـاً مُـطمئِنّـاً ... أنّـه الـلّهُ رَبُّـنـا الـمـعـبـودُ
بَـعَثَ الـصّـادِقَ الأمينَ رَسـولاً ... يَـهـدِمُ الشِّـركَ دِينـهُ فَـيَبِيـدُ
بِكتـابٍ فيـه الشّـرائعُ تَهـدِي الـ ... ـنـاسَ أعـلامُهـا ، وفيهـا الحُـدُودُ
ما حياةُ الشعوبِ في الشّركِ فَوْضَى ؟ ... الـحيـاةُ الإيـمـانُ والتَّـوحِيـدُ

* * *

يـا أَبـا العـاصِ عُـدْتَ بَـرّاً تَقِيّـاً ... فَهنيئـاً لـكَ المَعَـادُ السَّعِيـدُ
اعتزلْ ما مَضَى لِنَفْسِكَ في دُنْـ ... ـيا الخطايَا ، فأنتَ خَلْقٌ جَدِيدُ
أنتَ صِهـرُ النبيِّ لا الوُدُّ ممنـ ... ـوعٌ ، ولا البابُ مُوصَدٌ مَسْدُودُ
زَالَ ما كان من حجابٍ فلا الإِسْـ ... ـلامُ ، يَنْهَى ، ولا الكِتابُ يَذُودُ
ليس من حاجَةٍ لم تُتَحْ لَكَ بعـ ... ـدُ ، ولا ثَمَّ مَـطلبٌ مَنْشُـودُ
سَاعَفَتْكَ المُنى ، وطاب لك العيـ ... ـشُ ، ألا هكذا تُواتِي الجُدودُ

السّرية الرابعة

كانت إلي بني ثعلبة بالطَّرف «مكان» بعثه النبي ﷺ في خمسة عشر رجلا فلم يجد أحدا ، لأنهم ظنوا أن الغازي لهم هو الرسول الكريم ، فهربوا ، وأصابت هذه السرية نعما وشاء عادت بها إلى المدينة ، وقد خرج القوم في طلب زيد بن حارثة فلم يدركوه .

بنـي ثـعـلبـة هُـبّـوا فـإنّ الـليـثَ قـد عَـزَمَـا
رمـاكـم بـابـن حـارثـةٍ رسـولُ الـلهِ حِـيـنَ رَمَـى
زعـمـتـم أنـه هـو، زَعْـمَ من يَـهْـذِي ومـا عَـلِمـا
فَـطَارَتْ قَـبـلَ مَـقـدمِـهِ نـفـوسٌ أُشعِـرَتْ لَـمَـمَـا[1]
ونِـعـمَ أخـو الـوغَـى زيـدٌ إذا مـا جَـدَّ فَـاقْـتَـحَـمـا
يَـخـوضُ الـنّـقـعَ مُـرتَـكِـمـاً ويَـحمِـي السـيفَ والـعَـلَمَـا
تَـولَّـى جَـمـعُـهُـم فَـرَقـاً ولَـو لاقـاهُ مـا سـلِما[2]
لَـبِئْسَ الـجـمـعُ مـا صَدَقَتْ قُـواهُ وبئسَ مـا زَعَـمـا
تـلمَّـسَـهُ ابـنُ حـارثـةٍ فـلا صَـدَدَاً ولا أَمَـمَـا[3]
تَـسَـرَّبَ فـي مَـخـابئِـهِ فـكـان وُجُـودُه عَـدَمـا

---

(١) أي غشيها اللمم وهو جنون خفيف أو طرف منه يلمّ بالانسان .
(٢) الفرق الفزع .
(٣) الصدد والأمم القرب والقبالة .

هَلُمَّ هَلُمَّ يا زيدُ هَلُمَّ الشاءَ والنَعَمَا
رُوَيْدَ القومِ هل طلبوا سِوَى ما يُعجِزُ الهِمَمَا ؟
مَضُوا في إثرِهِ، ومَضَى يَجُرُّ حُسامَه قُدُما
فما بَلغُوه إذ جَهَدوا ولا رَزأُوهُ ما غَنِمَا[1]
رُوَيْداً عابِدِي الأَصْنا مِ، إنَّ اللّهَ قد حَكَما
رَضِيتُمْ ظُلمَ أنْفُسِكُمْ فأَرْدَاكُمُ وما ظَلَمَا[2]

---

(١) رزأه المال اصاب منه شيئاً مهما كان، أي نقصه .
(٢) أرداه أهلكه .

السَّرِيَّةُ الخَامِسَةُ

كانت إلى جُذام بمحل يقالُ له « حِسْمَى » وراء وادي القرى ، سببها أن دحية الكلبي رضي الله عنه أقبل من عند ملك الروم ، ومعه من عنده مال وكساء ، فلما كان بهذا المحل لقيه الهُنَيْد وابنه في ناس من جُذام فقطعوا عليه الطريق وسلبوه ما معه ، فسمع بذلك نفر من مسلميهم من بني الضبيب فنفروا إليهم واستنقذوا منهم ما أخذوه من دحية، فأخبر النبي ﷺ فبعث زيدا في خمسمائة رجل ، وردّ دحيه معهم فأقبل حتى هجم على الهنيد ورجاله فقتلوهم جميعاً ، وأخذوا من النعم ألف بعير ، ومن الشاء خمسة آلاف ، ومائة امرأة وصبي ، وجاء بنو الضبيب . فقال رجل منهم لزيد : إنّا مسلمون، فقال له : اقرأ أم الكتاب إن كنت صادقاً فقرأها ، وذهب منهم جماعة إلى النبي يقولون مثل ذلك ، فأرسل عليا بن أبي طالب بسيفه إلى زيد ليطلق سباياهم ، ويرد عليهم الإبل والشاه ففعل .

أمـا وَمَضـارِبِ البيضِ الـرقـاقِ ... تُضِيءُ النَّقْـعَ لِلجُـرْدِ العِتـاقِ[1]

لقـد غَـرَّ الهُنَيْـدُ بني جُـذَامٍ ... فـمـا لـلقـومِ مِـمّـا جَـرَّ واقِ

دَعَـا سُفهـاءَهُـم فَمشُـوا إليـه ... ومـا التفَّـتْ لهم سـاقٌ بسـاقِ

لصـوصٌ ما يُبـالـون الـدنَـايـا ... إذا عَـقَـدوا الـعـزائـمَ لانْـطِلَاقِ

أحـاطَ بِـدحـيـةٍ مِنهـم أُنـاسٌ ... تَعُـدُّهُم الـذّئـابُ مِن الـرِّفـاقِ

مَضـوا بِحبَاءِ قَيْصَـرَ وَهْـوَ جَمٌّ ... فمـا منه لَـدَى الكلبيِّ بـاقِ[2]

---

(١) البيض الرقاق السيوف الرقيقة ، والنقع غبار المعركة ، والجرد العتاق الخيول السبّاقة .
(٢) الحباء والحبوة العطيّة .

أتى مُستصرِخاً فأصاب مَولىً | يُغيثُ صَريخَهُ ممّا يُلاقي
وما لمحمدٍ كُفْؤٌ إذا ما | سَقى الأبطالَ كأسَ الموتِ ساقِ
دَعَا زَيْداً فَأقبلَ في جُنودٍ | تَبيتُ إلى الملاحمِ في اشْتِيَاقِ
إلى حِسْمَى فما للداءِ حَسْمٌ | إذا لم تَرْقِهِ بدمٍ مُراقِ[1]
إليهِ يا ابنَ حارثةٍ إليه | فَثَمَّ البغيُ مُمتَدُّ الرُواقِ
لِدحيةَ حَقّهُ والسّيفُ ماضٍ | وما لِبَنِي جُذَامٍ من إباقٍ[2]
عَبيدُ الشِّركِ أَوْثَقَهُمْ فَقَرُوا | بِدارِ الهُونِ ، يا لَكَ من وَثاقِ
ألا إنّ الهُنَيْدَ أُديلَ منه | فهل وَجَدَ الرَّدى عَذْبَ المذاقِ ؟[3]
وهل نَظَرَ ابْنَهُ لمّا تَرَدَّى | وَعايَنَ روعةَ الموتِ الذُّعاقِ[4]
تَوالى القومُ في الهيجاءِ صَرْعَى | كأن سِرَاعَهُمْ خَيْلُ السّباقِ
فأهلاً بالشَّوِيِّ تُساقُ نَهْباً | وأهلاً بالجِمالِ وبالنِّياقِ[5]
ويا ويحَ الحلائِلِ والذَّرارِي | تُعاني البَرْحَ من أَلَمِ الفِراقِ[6]

* * *

أتى النفرُ الأماجدُ من ضَبِيبٍ | وقد شدَّ البلاءُ عُرَى الخِناقِ[7]
فقال إمامُهُم إنّا جميعاً | مِنَ الدينِ القويمِ على وِفَاقِ
هُوَ الإسلامُ يَجمعُنا فَلَسْنَا | بحمدِ اللهِ من أهلِ الشِّقاقِ

---

(١) رقاه استعمل الرُقية نفعاً له .
(٢) هروب من أبق العبد هرب من سيّده .
(٣) أديل منه أي جُعِلَت الكرّة والدُّولة عليه .
(٤) الذعاق . الكريه الذي لا يطاق.
(٥) الشويّ جمع الشاة الواحدة من الغنم .
(٦) البرح الشدّة والأذى .
(٧) العنق ، والعري وجمع العروة ما يُوثق به .

ألا اكْشِفْ ما بنا يا زيدُ عَنَّا	فليسَ بِمُستطاعٍ أو مُطاقِ
وجاء من الكتابِ ببيِّناتٍ	فما يُرمَى بكفرٍ أو نِفاقِ
وسارَ إلى رسولِ اللهِ منهم	بُغاةُ الخيرِ والكَرَمِ الدُّفَاقِ[1]
فقال : إلى السريَّةِ يا ابنَ عَمّي	فإنْ تَلحقْ ، فنِعْمَ أخو اللَّحاقِ
وذَا سَيْفِي فَخُذْهُ دَليلَ صدقٍ	فيا لكَ من دليلٍ ذي ائتلاقِ
مَضَى أمرُ النبيِّ فيا لخطبٍ	تَكشَّفَ ليلهُ بعد اطّراقِ[2]
أيُنْصَرُ كلُّ لصٍ من جُذَامٍ	وَيُقْهَرُ رافعُ السّبعِ الطّباقِ ؟
تَعالَى اللهُ لا يَرْقَى إليهِ	من العالِينَ فَوْقَ الأرضِ رَاقِ

---

(١) يقال سيل دفاق إذا ملأ الوادي .

(٢) إطّرق الليل ركب بعضه بعضا .

السرية السادسة

كانت إلى مدين قرية سيدنا شعيب صلاة الله وسلامه عليه . وهي تجاه تبوك وقد أصابت هذه السرية سبيا عادت به إلى المدينة ، وفرّق المسلمون في بيعه بين الأمّهات والأولاد وسمعهم النبي يبكون فأمر ألا يفرّقوا بينهم : -

يَمينَاً ما لِمَدْيَنَ من قَرَارِ ... فَبُعْدَا للقطينِ وللدّيَارِ[1]
شُعَيْبُ كيفَ أنتَ ، وأينَ قَوْمٌ ... عَصُوكَ ؟ وما الذي فَعَلَ الذَّرارِي ؟
هُمُ اتّخذُوا الهَوَى رَباً وسَارُوا ... من العهدِ القديمِ على غِرارِ[2]
أتى الإسلامُ، فَاجْتَنبوه حِرصاً ... على دِينِ المهانةِ والصَّغارِ[3]
وصَدُّوا عن سبيلِ اللهِ بَغياً ... وكان البَغْيُ مَجلبةَ الدَّمارِ
سَمَا زَيْدٌ إليهم بالمنايا ... تُريكَ مَصَارِعَ الأُسْدِ الضَّواري
تَأمّلْ يا شُعيبُ أما تَرَاهُ ... شديدَ البأسِ ، مُلتَهِبَ المغار ؟[4]
تَوَقَّى القومُ صَوْلَتَهُ فَضَنُّوا ... بِأنْفُسِهِم ، وجَادوا بالفِرَارِ[5]
لَبِئْسَ الجُودُ تَلْبَسُهُ سَوَاداً ... وُجُوهُ القومِ من خِزْيٍ وعَارِ

---

(١) القطين جمع القاطن المقيم بالمكان .
(٢) الغرار المثال والطريقة .
(٣) الذلّ .
(٤) الغارة .
(٥) الصولة الجولة والحملة في الحرب .

تَـلفَّتـتِ النّـسـاءُ ولا رِجـالٌ سِوَى السُّرُجِ الزواهِرِ كالدّراري[1]
وَضَجَّتْ تـستـغيـثُ ، ولا غِيَـاثٌ سِـوَى العبـراتِ والمُهَـجِ الحِرَارِ

* * *

تَـوَلَّى الجُندُ بـالسَّبْيِ المُخَلَّى وبـالنَّصْـرِ المُحَجَّـلِ والفَـخَـارِ
فيـا لبـضـاعَـةٍ للكُـفـرِ تُـزْجَى ويـا للشّوقِ يَجمـعُ كُـلَّ شـارِ
ويـا لـكَ من بُكَـاءٍ كـان حقّـاً لِـديـنِ الـلهِ دَاعِـيَـةَ افْـتِـرَارِ[2]
أَتُمْسِـي الأمُّ تُعـزَلُ عـن بَنِـيهـا لِمَـوْلَىً غـيـرِ مـولاهم وجَـارِ ؟
أَبَى البَـرُّ الـرَّحيمُ فقـال : رِفْقَـاً وتـلكَ إهـانـةُ الهِـمَمِ الـكِبـارِ
فـأمسَـكَ كـلَّ دَمْـعٍ مُستَهِـلٍّ وَسَـكَّـنَ كـلَّ قـلبٍ مُسـتـطَارِ
تـتـابعـتِ المـواهـبُ والعـطـايـا عـلى قَـدَرٍ مِن الـرحـمن جـارِ
فَـغُنْـمٌ بعـد غُـنْـمٍ ، وَانْـتِـصَـارٌ يُنِيْـرُ المَشْـرِقَيْنِ عـلى انتِـصَـارِ
أَصَـابَ الـدّهْـرُ بُغْيَتَـهُ ؛ وأمستْ تَجَلَّتْ حِكمـةُ الـفَلَكِ الـمُـدَارِ

---

(١) السّرج جمع السراج وزواهر مشرقة مضيئة كناية عن المسلمين .
(٢) من افترّ الرجل ضحك ضحكاً حسناً .

السَّرِيَّة السَّابِعَة

كانت في رمضان من السنة السادسة. وسببها أن زيد بن حارثة رضي الله عنه خرج في تجارة الى الشام، ومع بضائع لأصحاب النبي ﷺ فلما كان بوادي القرى لقيه ناس من فزارة فضربوه هو وأصحابه. وأخذوا ما كان معهم، ثم قدم على النبي فبعثه إليهم في جيش داهمهم. وأعمل فيهم القتل.

أمنكِ فَزارةُ انْبعثَ الغُزاةُ؟ ... فما تُغني السُّيوفُ ولا الحُماةُ؟
لَعمُركِ ما ابنُ حارثةٍ بِحِلٍّ ... وإن زَعَم القَراصِنَةُ الجُفاةُ[1]
أثاروا الشرَّ لاهُوَ يبتغيه ... ولا أصحابُه الغُرُّ الهُداةُ
أصابوهم على ثِقَةٍ وأمنٍ ... فلا سَيفٌ يُسَلُّ ولا قَناةُ
وجَاءوا يَشتكونَ إلى أبيٍّ ... على الأعداءِ تُحرِجُه الشَّكاةُ[2]
رَسولُ اللهِ ليس له كِفاءٌ ... إذا التقتِ الفَوارِسُ والكُماةُ[3]
دَعا زَيداً هَلُمَّ إلى قِتالٍ ... تُنالُ بهِ من القومِ التِّراتُ[4]
قُدِ الأبطالَ للهيجاءِ وَاصْبِرْ ... فَنِعَم الصَّبرُ فيها والثَّباتُ

(١) القراصنة اللصوص والجفاة الغلاظ القلوب والطباع، والحلّ الحلال والمقصود أن دمه حلال مُستباح.
(٢) رسول الله ﷺ.
(٣) الكفاء الكفء.
(٤) الترات جمع ترّة وهي الذحل أو الظلم فيه.

إليهــا يــا ابــنَ حــارثــةٍ إليــهــا   ولا يَحـزُنْـكَ مــا صَنـعَ الــطُّغـاةُ

* * *

مشى البــطَلُ المقــذَّفُ لا اتّئــادٌ   تَضِيقُ بــه السُّيــوفُ ولا أنــاةُ[1]

يَخِفُّ بهــا إلى الأعــداءِ بِيضــاً   عليهــا من مناقِبهــا سِمــاتُ

أقامتْ حــائطَ الإســلامِ ضَخْمــاً   تَــدِينُ لــه الجِبــالُ الرّاسِيــاتُ

وجــاءت بــالفُتــوحِ مُـحجَّــلاتٍ   لــه في ظِلِّهــا الضّــافِي حَيــاةُ

تــوقَّـتهــا فَــزارةُ وهَــيْ حَتْــمٌ   فمــا عصمتْ مقــاتِلهــا التُّقاةُ[2]

رأوهــا بعــد مــا هجعوا بلَيْــلٍ   لهــا فِيهم ولــلقــدرِ انْصــلاتُ[3]

هــداهَا في الــدُّجى منهم دليــلٌ   تُــســدِّدهُ الأواصــرُ والصِّــلاتُ[4]

لَــواهُ عن السَّبيــلِ قَضــاءُ ربٍّ   لــه الحِكَم الصَّــوادِعُ والعِــظاتُ

يســوقُ الأمــرَ ظــاهــرهُ عَنــاءٌ   وبــاطنُـه كمــا اقتــرحَ العُنــاةُ[5]

كــمثــلِ الــوِرْدِ ، أوّلُــه أُجــاجٌ   وآخــرِ مــائــهِ عَــذْبٌ فُــراتُ

ظُبىً طَــرَقَتْ جَمـاجِمَهم بَيــاتــاً   ومــا خِيفَ الطُّروقُ ولا البَيــاتُ[6]

تَــوثّبتِ الـحتــوفُ ، فــلا فِــرارٌ   وأبــرقتِ السُّيــوفُ ، فــلا نَجــاةُ

نَقِيــعُ شقــاوةٍ يُســقــاهُ قــومٌ   همُ الشَّــربُ المُــذمَّمُ والسُّقــاةُ

---

(١) المقذّف الذي يُقذف به كثيراً إلى الوقائع والغارات .

(٢) التقاة اسم من الاتقاء .

(٣) المنصلت الماضي في شأنه لا يلوي على شيء، ومن السيوف القاطع الصقيل .

(٤) كان دليل السرية رجل من بني فزارة ، وكانوا قد جعلوا لهم ناطورا يقعد على جبل عال فيقول لهم حين يصبحون : اسرحوا اسرحوا لا بأس عليكم ، فإذا أمسوا قال لهم . ناموا لا بأس عليكم وكان ينظر مسيرة يوم . فلما كانت السرية على مسيرة ليلة من القوم أخطأ دليلها الطريق وسارت في طريق آخر فإذا هي بمقربة منهم فأخذتهم بالسيوف .

(٥) العناء النصب والتعب ، واقترح اشتهى ، والعناة جمع العاني : المُتعب .

(٦) البيات أخذ العدو ليلا .

تَـردَّوْا في مصَـارِعِهم، فـأمسـوا | كَسِربِ الوحش، صَـرَّعه الـرُّمـاةُ
وحــاقَ بـأُمِّ قـرفــةَ مــا أرادتْ | بــأكـرمِ مَن تُـفَدَّى الأُمهّـاتُ[1]
أرادتْ قَـتـلَهُ فـجـرَى عـليـهـا | قضـاءُ القتـلِ، وانْتصَف القُضـاةُ
فيــا لـكَ منـظراً عجبـاً تنـاهتْ | بــه الصُّـوَرُ الـرّوائـعُ والصّفـاتُ
أُحِيطَ بهــا وبـابنتهـا جميعـاً | فمــا نَجتِ العجــوزُ ولا الفَـتـاةُ
لِتلكَ جَـزاؤُهـا المُـردي، وهَـذِي | لهــا الأسـرُ المُبَـرِّحُ والشَّتـاتُ[2]
تُـسـاقُ ذلـيـلةً مـن بَـعـدِ عِـزٍّ | كمــا سِيقَتْ غَـداةَ النّحــرِ شـاةُ
هُـوَ ابنُ الأكوعِ البَـطلُ المُـرجَّى | سَبـاهـا حِينَ أسْلَمهـا الـرُّعـاةُ[3]
قَنِيـصــةُ نـافـذِ الأظفـارِ ضَـارٍ | لــه في كـلِّ ذي ظُفُــرٍ شَبـاةُ[4]
هِيَ الهبــةُ الكـريمــةُ صـادَفتْهـا | يَـمِينُ مــا تُفـارِقُهــا الهِبـاتُ
يَـمـيـنُ مُـحَـمـدٍ لا خـيـرَ إلاّ | لــه فـيـهـا مَـعـالِـمُ بَـيِّـنـاتُ
حَبـاهـا خـالَـهُ في غَيـرِ ضَنٍّ | وأينَ من الضَّنينِ الـمَكْـرُمَـاتُ ؟
رَسـولُ اللهِ أكـرمُ مـن أنـاخـتْ | بــهِ الآمــالُ وَانْتَجَــع العُفَـاةُ[5]
بَنى دِينَ السَّــلامِ بكـلِّ مـاضٍ | بــهِ وبـمـثـلِه ارْتَـفـع الـبُـنـاةُ

---

(١) كانت أم قرفة هذه سيدة في قومها وهي بنت ربيعة بن بدر الفزاري ضرب بها المثل في المنعة فقيل أمنع من أم قرفة ، كان يعلق في بيتها خمسون سيفا لخمسين رجلا كلهم لها محرم ، ومن أخبارها أنها جهزت ثلاثين راكبا من ولدها وولد ولدها وقالت لهم : اغزوا المدينة واقتلوا محمدا ، أخذت وربطت رجلاها بحبلين شدا إلى بعيرين فشقاها وسبيت ابنتها .

(٢) المُردِي المُهلِك .

(٣) سلمة بن الأكوع هو الذي أسر الفتاة بنت أم قرفة . سألها رسول الله ﷺ فوهبها له ، ووهبها هو لخاله حزن بن أبي وهب فولدت له عبد الرحمن بن حزن .

(٤) القنيصة المقنوصة ، والشباة حدّ السيف وغيره .

(٥) أناخت نزلت وأقامت ، وانتجع فلاناً أتاه طالباً معروفة ، والعفاة جمع العافي كل طالب فضل أو رزق .

لإنقاذِ النُّفوسِ من البلايا تُلِحُّ على مَباضِعِها الأُساةُ[1]
تأمّلتُ الحياةَ وكيف تَبْقَى حقائقُها وتَمضِي التُّرهَّاتُ[2]

* * *

فأدَّبني اليقينُ وهَذَّبَتْني وصاةُ اللهِ بُورِكَتِ الوَصاةُ[3]
هَنِيئاً يا ابنَ حارثةٍ وأنَّى ؟ وما تَرْقَى إليكَ التَّهنِئاتُ[4] ؟
سَمَوْتَ فما تُطاوِلُكَ الأماني ولا ترجو مَداكَ النَيِّراتُ
ظَفِرْتَ من النبيِّ بخيرِ نُعْمَى تَطِيب بها النّفوسُ الصّالحاتُ
بِلَثْمٍ زانَ وَجْهَكَ وَاعْتناقٍ شَفَاك، فما بجارحةٍ أذاةُ
على النُّورِ الذي انْجَلتِ الدّياجِي به وعَليكَ يا زَيْدُ الصَّلاةُ

---

(١) ألحّ على الشيء واظب عليه ، والمباضع آلات يشقّ بها الجلد والأساة الأطباء .
(٢) الترهات جمع التُّرهة الأباطيل والدواهي .
(٣) الوصيّة .
(٤) جاء زيد بن حارثة رضي الله عنه فقرع باب الرسول الكريم فقام إليه يجر ثوبه حتى اعتنقه وقبله وسأله فأخبره بما وهب الله من النصر والغلبة.

سرايا خالد بن الوليد رضي الله عنه

وهي ثلاث، أولاها لهدم العُزّى، والثانية إلى بني جُذيمة، والثالثة إلى أُكَيْدر بدومة الجندل، وقد ذكرت الأولى في الفتح الأعظم، والأخيرة في غزوة تبوك. بُعِثَ خالد في خمسين وثلاثمائة رجل الى بني جُذيمة بناحية « يلملم » ليدعوهم إلى الإسلام، وكان النبي ﷺ يومئذ بمكة، وكانوا قد قتلوا الفاكه عم خالد في الجاهلية وأخاه وقتلوا والد عبد الرحمن بن عوف، وكانوا شِراراً يُسمَّون « لَعَقة الدم » وكان في هذه السرية جمع من بني سُليم قوم مالك بن الشريد الذي قتله بنو جذيمة قبل ذلك هو وأخواه في موطن واحد، فنشأت عن ذلك حالة كان لها أثرها في أنفسهم، فلبسوا السلاح وخرجوا إلى خالد ومن معه، يَظنّون شرا ويُظَنّ بهم كذلك، وكانوا قد أسلموا فلم يعلم النبي وأصحابه بإسلامهم، فلما دعاهم خالد إلى الإسلام، قالوا: صبأنا، يريدون أنهم رجعوا عن جاهليتهم إلى الإسلام، ولكن هذا المعنى لم يقع في نفسِ خالد على الوجه الذي أرادوه، فأعمل فيهم القتلَ والأسرَ. وذهب جماعةٌ منهم إلى النبي يذكرون خبرهم، وما صنع خالد بقومهم فغضب وبعث عليا بن أبي طالب، ومعه مال يَدِي به قتلاهم ورسالة إلى خالد أن يكف عنهم، ويطلق أساراهم :

بَنِي جُذَيْمَةَ ما في الأمرِ من عَجَبِ ... جَرى القضاءُ على ما كَان من سَبَبِ

أظَلَّكُمْ خـالـدٌ لا شيءَ يَبعثُـه ... إلا الجِهـادُ يـراه أعـظمَ القُـرَبِ

لمَّا دعاكم إلى الإسلام حينَ دَعا ... قُلتم: صَبأْنَا، فلم يَأْثَمْ، ولم يَحُبِ[1]

---

(١) أثم وحاب بمعنى .

إن كانَ للمرءِ من أعمامِه نَسَبٌ فالدِّينُ عِندَ ذويهِ أقربُ النَّسَبِ
بَنُو سُلَيمٍ وإن خِفْتُم فليس بهم وبابنِ عوفٍ سِوَى الأوهامِ والرِّيبِ
فيا لها غَمرةً ما أسْوَدَّ جانبُها حتى تَجلَّتْ سِراعاً عن دَمٍ سَرِبِ[1]
سِيءَ النبيُّ بها فالنفسُ آسِفةٌ والقلبُ مّما أصابَ القومَ في تَعَبِ[2]
المُسلِمونَ دَمٌ للهِ أو عَصَبٌ ما مِثلُه من دمٍ جارٍ ولا عَصَبِ
هُمْ في الحوادِث إن قَلُّوا وإن كثروا بَأسٌ جَميعٌ، ورأيٌ غيرُ مُنْشَعِب
كلٌّ حرامٌ على كلٍّ فإنْ فِئَةٌ بَغَتْ على فِئةٍ، فاللّهُ في الطَّلَبِ
أثارها خالِدٌ شَعْواءَ عاصِفَةً ما كان فيها لدينِ اللهِ من أرَبِ[3]
رَمَى، بها، وغَواشِي الظنِّ تأخذُه من كلِّ صَوْبٍ، فلم يَرْشُدْ ولم يُصِبِ
أليكَ أبرأُ ربِّي من جنايتِه وأنتَ فيما عناني منه أعلمُ بي
قُمْ يا عليُّ فوافِ القومَ مُعتذراً وَانْشُرْ عليهم جناحَ العاطِف الحَدِبَ
وَخُذْ من المالِ ما يَقْضِي الدِّياتِ وما يُرضِي النُّفوسَ ويشفيها من الغَضَبِ
حَقٌّ علينا دَمُ القتلى، ونحن على عَهْدٍ وثيقٍ وحَبْلٍ غيرِ مُنْقَضِبِ[4]
القومُ أُخوتُنا في اللهِ، يَجمُعنا دِينُ الإخاءِ على الأيامِ والحِقَبِ

***

رَدَّ الإمامُ نُفوسَ القومِ فائْتَلَفتْ وَاسْتَحكَم الوُدُّ وَانْحَلْت عُرَى الشَّغَبِ
بالجاهليةِ مِمّا هِيضَ جانبُها ما ليس يَنفدُ من همٍّ ومن وَصَبِ[5]
سَلْها، وقد رجعتْ حَسْرَى مُذمَّمةً هل زادها اللّهُ إلاّ سُوءَ مُنْقَلَبِ ؟

---

(١) سائل من سرب سال وجرى .
(٢) سِيءَ مبنى للمجهول من ساءَه .
(٣) حاجة .
(٤) منقطع .
(٥) الوصب المرض ، والوجع الدائم والنحول وقد يطلق على التعب .

سرايا محمد بن مسلمة رضي الله عنه

السرية الأولى

كانت إلى القُرَطاء، وهم من بطنٍ من بني بكر بن كلاب، خرج إليهم محمد بن مسلمة في المحرم من السنة السادسة ومعه ثلاثون راكبا فيهم عابد بن بشير فأغار عليهم، وأخذ منهم نَعَماً وشاءً وسبياً، ولم يتعرض للنساء، ثم عادت السرية ومعها ثمامة بن أثال الحنفي نسبة إلى حنيفة سيد أهل اليمامة أسيراً، فربط بساريةٍ من سواري المسجد وأمر النبي أهله بإطعامه، وجعل له لبن ناقة يأتيه صباحا، ومازال يتعهده ببره وفضله، ويقول: ما عندك يا ثمامة فيقول: إن تقتل تقتل ذا كرم، أو ذا دم، وإن تعف تعف عن شاكر، فإنه جاءه قبل ذلك رسولا من مسيلمة ليغتاله. فعصمه الله منه، وقد أمر باطلاقه فاغتسل وأسلم وذهب إلى مكة معتمرا، فأخذته قريش وقالت لقد صبأت عن ديننا، فقال: إنما أسلمت وتبعت خير دين، ولن تصل إليكم بعد اليوم حبة حنطة من اليمامة حتى يأذن رسول الله، فهمُّوا بقتله ثم رأوا أن يخلوا سبيله، فحبس عنهم ما كان يأتيهم من اليمامة حتى أضرّ بهم الجوع، وأكلوا العلهز وهو الدم يخلط بأوبار الإبل فيشوى، فكتبوا إلى النبي يناشدونه الرحم، فبعث إليه يأمره أن يخلى بينهم وبين ما يريدون ففعل، وفي ذلك نزل قوله تعالى﴿ ولقد أخذناهم بالعذاب ﴾.

مُحمّدُ يا ابنَ مَسلمةٍ سَلامٌ ... وَحْمدٌ من شعائره الدَّوامُ

إلى القُرَطاءِ لا كانوا رِجالاً ... هُمُ البُرَحاءُ والدّاءُ العُقَامُ[1]

رِجالُ السُّوءِ، لا حَقٌّ يؤدَّى ... لخالِقهم ولا دِينٌ يُقامُ

---

(١) البرحاء الأذى والشرّ، وداء عُقام لا يُرجى البرء منه.

تَنبَّهتِ القواضِبُ والعَوالِي — بأيدِي الفاتِحينَ، وهَمْ نِيامُ
بَني بَكْرٍ ألَّما تُبصِرُوها — يَشُبُّ ضَرامَها البطَلُ الهُمامُ ؟[1]
ألا إن السرِّيةَ فاحْذَرُوها — لِيرهَبَ بَأسَها الجيشُ اللُّهامُ[2]
هُمُ الأبطالُ عِدَّتهمُ قليلٌ — ومَشهدُهم كَثيرٌ لا يُرامُ
تَقدَّمَ عابِدٌ ومَشى إليهم — عِبادُ اللهِ، وَاسْتَعَر الصِّدامُ[3]
فَتِلَك جَماجِمُ القَتْلَى وَهذِي — فلولُ القومِ ليس لها نِظامُ
وخُلِّيتِ النِّساءُ فلا ذِمارٌ — لِبَكْرِيٍّ يُصانُ ولا ذِمامُ
وليسَ لِعرضِ مَغلوبٍ وقاءٌ — ولكنَّ الألى غلبوا كِرامُ
أُعِفَّاءُ النُّفوسِ ذَوِي حِفاظٍ — عليهم كلُّ فاحشةٍ حَرامُ
هُوَ الإسلامُ إحسانٌ وَبِرٌّ — وأخْذٌ بالمُروءةِ وَاعْتِصامُ
تَخَلَّوْا عن حَلائِلهم فرُدَّت — عليهم، تِلكُم المِنَنُ الجِسامُ
بَني بكرٍ غَدَا الوادي خَلاءً — فأين الشَّاءُ والكُومُ العِظامُ ؟[4]
وأين ثُمامةُ بنُ أثالِ هَلاّ — حَمَتْهُ حَنِيفَةُ ممَّا يُسامُ ؟
يُسامُ الهُونَ ما جزِعَتْ عليهِ — ولا بَكتِ اليمامةُ إذ يُضامُ
أما بَصُرتْ بسيِّدها ذليلاً — عَبُوسَ الوجهِ يَعْلُوه القَتامُ[5] ؟
أصابَ مِنَ الرّسولِ حِمىً مَنِيعاً — وكَهْفاً فيه للهِمَمِ ازْدِحامُ
أصابَ قِرىً يُحدِّثُ عن جَوادٍ — يُصيبُ الرِيَّ من يَدِه الغَمامُ
أصابَ كرامةً وأفادَ خيراً — فلا مَثْوىً يُذَمُّ ولا مُقامُ

---

(١) شبّ النار أوقدها ، والضرام الحطب يرمى به في النار .
(٢) العظيم كأنه يلتهم كل شيء .
(٣) عابد بن بشير رضي الله عنه بعثه محمد بن مسلمة في طليعة السرية ثم ركبها وراءه .
(٤) الكوم جوع الأكوم وهو البعير الضخم السنام .
(٥) الغبار الأسود أو هو السواد .

تَعَهَّدَهُ كَرِيمٌ أرْيَحِيٌّ　　لَهُ في كلِّ آونةٍ لِمامُ[١]
ثُمامةُ كيفَ أنتَ وأيُّ نُعْمَى　　ظَفِرْتَ بها فأعْوَزَها التَّمام ؟[٢]
أما مُكِّنتُ مِنك، وكنتَ خصماً　　تفاقَم شَرُّه، وطَغى العُرامُ[٣] ؟
طَحَا بِكَ مِن مُسَيْلَمةٍ خَبالٌ　　فلا رَسَنٌ يُرَدُّ ولا زِمامُ[٤]
يَقولُ: لئن أردت اليومَ قتلي　　فلا شكوىَ لديَّ ولا مَلامُ
وإن يَكُ مِنكَ مغفرةٌ وعَفْوٌ　　شكرتُكَ والقَوِيُّ له احْتِكامُ
هَداهُ إلى سَبيلِ اللهِ هادٍ　　له بِمَخائلِ الخيرِ اتِّسامُ
ثُمامَةُ لا تَخَفْ ما عِشتَ شَرًّا　　تَجلَّى النُّورُ وانْقَشَع الظَّلامُ
إلى البيتِ العتيقِ فَسِرْ رَشيداً　　ولا يَحْزُنْكَ عَتْبٌ أو خِصامُ
تأجَّجَ في صُدورِ القومِ غيظٌ　　له في كلِّ جانحةٍ ضِرامُ[٥]
أتُسلِمُ يا ثمامةُ إنَّ هذا　　وإنْ كَذَّبْتَنا لَهُوَ الأثامُ[٦]
ثُمامةُ خُنْتَنا وَصَبأْتَ عَنّا　　فليس لِصَدْعِ أنفُسِنا الْتِئامُ
لأنتَ لنا عدوٌّ نتَّقيهِ　　فلا صُلحٌ يكونُ ولا سَلامُ

* * *

ألا فَدَعُوا الجَهالَةَ وَاسْتَفِيقُوا　　فما يُغْنِي عَنِ الغَيْثِ الجَهامُ[٧]
حذار فَما ثُمامةُ غيرُ عَضْبٍ　　لكم في حَدِّه الموتُ الزُّؤامُ[٨]

---

(١) اللمام الزيارة القصيرة .
(٢) البيت وما بعده مسوق على لسان النبي الكريم .
(٣) الشراسة والأذى .
(٤) الرَسَنُ الحبل يُجعل في رأس الدّابة .
(٥) الضِرام الاضطرام والأتقاد .
(٦) الإثم .
(٧) السحاب لا ماء فيه .　(٨) العضب السيف القاطع ، والزؤام السريع أو الكريه .

يَقــولُ لكم: لئن لـم تَتْبَعُــوني ... لســوفَ يُبيــدُكم مــنِّي انتقــامُ
أسُــدُّ عليكـمُ الأســواقَ حتّـى ... يَصِيحَ جِياعُكم: أينَ الطّعامُ؟
أبَــوْا فــأذَاقهـم مــنــه عَــذابــاً ... غَــرامــاً مــا لــدائِبتِـه انْصِــرامُ[1]
أذابَ الجــوعُ أنفسَهـم فَضَـجُّــوا ... وَضَـجَّتْ فـي جُلودِهْـم العِـظامُ
أهــابــوا بــالـنبيّ، ألا أغِـثْـنــا ... فمــا يُـرضِيــكَ أن يَشْقَى الأنـامُ
أغِثْنــا أنّـهــا يــا خيــرَ مَــولـى ... عُـرَى الأرحامِ ليس لها انْفِصامُ
رُمِينــا من ثُمــامــةَ بــالـدَّواهِـي ... وفي يَــدِكَ الكِنانــةُ والسّهــامُ[2]
نَهــاهُ فـلا دَمٌ في الحيِّ يُشْـوَى ... ولا شَـيْــخٌ يَـجـوعُ ولا غُــلامُ
تَــدارَكَ فَـضلُه مـنـهـم نُـفـوسـاً ... تَمنَّتْ لـو تَـداركَهـا الحِمـامُ[3]
فــأمسى الأمـرُ فيهـم مُستقيمــاً ... ولــو عَـرَفــوا المحجَّةَ لاسْتَقــامـوا

---

(١) الغرام اللازم من العذاب والشرّ الدائم قال تعالى ﴿ إنّ عذابها كان غراماً ﴾ أي مُلحّاً دائماً مُلازماً وقال ابو عبيدة: أي هلاكاً ولزاماً لهم .

(٢) الكنانة جعبة من جلد او خشب تُجعل فيها السهام .

(٣) الموت .

السّريّة الثانية

وتسمى سرية ذي القَصَّة « موضع قريب من المدينة » كانت إلى بني ثعلبة وبني عوال ولما بلغهم أن محمداً بن مسلمة وأصحابه كمنوا لهم، انقضّوا عليهم وهم نيام فاعملوا فيهم الرماح . وجرحوا محمدا ثم جردّوه من ثيابه ، وهم يظنون أنه قد مات ، ومرّ به بعض المسلمين فاسترجع ، فلما سمعه تحرك فحمله إلى المدينة . وبعث النبيﷺ أبا عبيدة بن الجراح فلم يجد أحدا من القتلى، ووجد نَعماً وشاءً فرجع بها .

وَيْحَ ذِي القَصَّةِ ماذا يَشْهَدُ ؟ وَيْحَهُ من وَقْعَةٍ لا تُحمَدُ
يا بني ثَعْلَبَةٍ ما خَطبُكم ؟ أكذا تُقْرَى اللّيوثُ الهُجَّدُ ؟[1]
إنّه الجبنُ وأخلاقُ الأُلى يَحسبونَ الخَتْلَ حَرباً تُوقَدُ[2]
فَقَدُوا البأسَ فدبُّوا خِفيةً وَانْتَضُوها أنفُساً لا تُفْقَدُ[3]

* * *

يا جريحَ الحقِّ، هل مِتَّ وهَلْ قُضِيَ الأمرُ، وحُمَّ الموعِدُ ؟
فَرِحَ القومُ، فقالوا: مَغنماً ساقَهُ الجَدُّ ورأيٌ مُحصَدُ[4]

---

(١) قرى الضيفَ أضافه .
(٢) الختل : الخداع .
(٣) انتقي السّيفَ سلّه .
(٤) مُحكَم .

جَـردُّوا الـفـارِس مـن أثـوابِـه　　ليتَ شِعـري أيَّ سَيْـفٍ جَـرَّدوا
عَـرفَ السَّيَف فتىً من قـومِـه　　ضَـجَّ يسـتـرجـعُ ممّـا يَشْـهَـدُ
أيّهـا المَـيْتُ تَـحـرَّكْ لا تَخَـفْ　　حَضـر الفـادِي ، وجَـاءَ المُنجِـدُ
بُـورِكَ الحـامـلُ ، مـا أحسَنَهـا　　من يـدٍ مَعـروفُـهـا لا يُجْـحَـدُ

* * *

يـا رسـولَ اللهِ بُشْـرَى إنّهـا　　نِعمـةٌ تُـزجَى، وخَيـرٌ يُـوفَـدُ
وبَـريـدٌ مـن بَـنـي ثـعـلبةٍ　　وعَـوالٍ بـالـغـوالي يُـبْـرَدُ[1]
جَعلوا لـلسيفِ فيـهـم حُكـمَهُ　　فله من هَـامِهِم مـا يَحْصُـدُ[2]
لَـيْتَـهُـمْ كـانـوا رجـالاً فـأبَـوْا　　إذ دَنـا مـوعـدُهم أن يَبْـعـدوا

* * *

ذهب الحشـدُ فلم يَنظُرْ سِـوَى　　نَـعَمٍ تُـزجَى، وشَـاءٍ تُـحشَـدُ
سَـاقَهـا، مـا جُعِلَتْ من هَمِّـه　　هَـمُّـه تِلكَ النُّفُـوسُ الشُّـرَّدُ
اللّواتي تَـبعـثُ الشـرَّ فـإن　　عَصَـفَ الشَـرُّ تـولَّتْ تَـركُـدُ
بِئْـسَـمـا تُـورِدُهـا أهـواؤُهـا　　مِن حيـاضٍ مُـرَّةٍ، مـا تُـورَدُ
فِتنـةُ الشّـرِكِ، ومـا من فتنـةٍ　　مثلُهـا بيـن البـرايـا تـوجَـدُ
لـيس غيـرَ اللهِ فـي سُلطانِـه　　مـن إلَـهٍ يُـتَّـقَـى أو يُـعْـبَـدُ
مَـالِـكُ الملكِ، تعـالى مـا لَـهُ　　في عُـلاهُ مِن شـريـكٍ يُـعْهَـدُ

---

(١) البريد الرسول، ويبرد يُرْسَلَ .
(٢) الهام جمع الهامة الرأس .

السرية الثالثة لقتل كعب بن الأشرف

كانت في ربيع الأول من السنة الثالثة، وكان كعب من أشد الناس عداوة للرسول الكريم وللمسلمين، وكان يهجوه ويحرّض المشركين على قتاله، عاهده على ألا يُعَين عليه أحداً فنقض العهد، وخرج بعد وقعة بدر إلى قريش يبكي قتلاهم، ويستفزّهم للحرب، ومن سيّئاته أنه صنع طعاما، ودعا إليه النبي على نية الفتك به، فنبأه الله فلم يأكل منه، وكان لعنه الله كثير المال، يعطي الأحبار ويَصِلهم، فلما قدموا عليه بعد هجرة النبي سألهم: ما يظنّون به ؟ قالوا: هو الذي كنّا ننتظره، فغضب ولم يعطهم ثم رجعوا إليه وخدعوه بما يرضيه من القول، فرضي عنهم ووصلهم، قال النبي: من ينتدب لقتل كعب بن الأشرف ؟ فقال محمد بن مسلمة: أنا يا رسول الله، فقال له: إن كنت فاعلا فشاور سعد بن معاذ، فأشار عليه سعد أن يذهب إليه يشكو حاجته، ويطلب أن يسلفه طعاما، فمكث ثلاثة أيام لا يأكل ولا يشرب، وأتى أبا نائلة، وعباد بن بشر، والحارث بن أوس، وأبا عباس بن جبر أن يصحبوه، ثم جاءوا الى النبيﷺ يستأذنونه في أن يقولوا لكعب ما يرضيه، فأذن لهم، وذهبوا اليه فقتلوه وحملوا رأسه الى النبي، وجاءه اليهود مذعورين يقولون: قتل سيدنا. وعقدوا صلحا:

يا ناقضَ العهدِ لا شَكْوَى ولا أَسَفُ ... اللّهُ مُنتقِمٌ والسّيفُ مُنتصِفُ
تهجو النبيَّ وتُغرِي المُشرِكينَ بهِ ... مَهْلاً، لكَ الويلُ، ماذا أنتَ مُقترِفُ ؟
كم جيفةٍ خرجتْ من فيكَ مُنكَرَةً ... لمّا تردَّتْ ببدرٍ تِلكمُ الجِيَفُ
إنّ الوليمَة أخزى اللّهُ صانِعَها ... كانت ضِراراً، فلا وُدٌّ ولا لَطَفُ

أتحسَبونَ رسولَ اللهِ يَجهلُها مَكِيدةً فَضَحَتْ أسرارَها السُّجُفُ ؟[1]

بل أظهرَ اللهُ ما تُخفونَ فانكشفَتْ يا وَيلكم، أيُّ خافٍ ليس يَنكشِفُ ؟

لقد هَممتُمْ بمن لا حَيَّ يَعدِلُه إن نُوزِعَ المجدُ بين النّاسِ والشَّرفُ

يا ويلُ من ظنَّ أن اللهَ يَخذُله وأنّه من يمينِ اللهِ يُختَطَفُ

يا كعبُ مالَكَ تُؤذيهِ وتُنكِرُه وما الوُلوعُ بقولِ الزّورِ، والشَّغَفُ ؟

جعلتَ مالَكَ للأحبارِ مفسدةً يُمتاحُ فيها الأذَى حِيناً ويُغترَفُ[2]

رَمَوْك بالحقِّ لمّا رُحتَ تسألُهم وأعلنوا من يقينِ الأمرِ ما عَرَفوا

فقلتَ: عُودوا، فما عندِي لكم صِلَةٌ جَفَّ المَعِينُ، فلا قَصْدٌ ولا سَرَفُ

حَسْبِي الحقوقُ، فمالِي لا يجاوزُها إلى الفُضولِ، وما عن ذاكَ مُنصرَفُ

عادوا يقولونَ: ما أشقاهُ من رَجُلٍ لا يرتضِي القولَ إلا حينَ ينحرِفُ

ثم انثَنوْا ينطقون الزُّورَ، فانقلبوا بالمالِ يَصدِفُ عنه المعشرُ الأُنُفُ[3]

بِئسَ العطاءُ وبِئسَ القومُ، أمرُهُم وأمرُ سيِّدهم في الغَيِّ مُؤتلِفُ

هُمُ اليهودُ، لَو انَّ المالَ لاح لهم في عَيْنِ مُوسى كليمِ اللهِ ما صَدَفوا

هبَّ ابنُ مسلمةٍ للحقِّ يَنصرُه وللرسولِ يُريه كيفَ يَزدهِفُ[4]

فقال: دُونكَ سعداً إن هممتَ بها شَاوِرْهُ فيها، فَنِعمَ الحاذقُ الثَّقِفُ[5]

---

(١) الأستار .

(٢) جاءه أحبار اليهود ليأخذوا صلتهم على عادتهم ، فقال لهم : ما عندكم من أمر هذا الرجل « النبي » قالوا : هو الذي كنا ننتظره ، ما أنكرنا من نعوته شيئاً . قال : قد حرمتم كثيرا من الخير ارجعوا الى أهليكم فإن الحقوق في مالي كثير، فرجعوا عنه خائبين، ثم رجعوا إليه، وقالوا: إنا عجلنا فيما أخبرناك به، وليس هو المنتظر فرضي عنهم ووصلهم. وجعل لكل من تابعهم من الأحبار شيئاً من ماله . ومنح الماءَ وامتاهه نزعه .

(٣) جمع أُنوف وهو الشديد الأنفة .

(٤) ازدهف تقحم في الأمر ،والحمل احتمله ،والشيء ذهب به وأهلكه ،وللكلمة معان أخرى .

(٥) الحاذق والثّقف بمعنى .

قَضى ثـلاثـةَ أيـامٍ على سَغَبٍ   وللمجـرِّبِ ذي التدبيـرِ مـا يَصِفُ
وجـاءَ في صحبهِ يستـأذنـون على   تَقْوَى من اللهِ، ما مالوا ولا جَنَفُوا
قال الرسولُ لكمُ في القولِ مأربُكم   ماذا على الدُّرِّ ممّا يُوهِمُ الصَّدَفُ ؟
هِيَ القلوبُ فـإن طابتْ سَـرائرُهـا   فمـا بأفـواهِكم عَيْبٌ ولا نَـطَفُ[1]

* * *

مَضْوا فقالوا لكعبٍ : أنت مَوئِلُنا   أنتَ الحِمى المُرتجى في الأَزْلِ والكَنَفُ[2]
أمـا ترانـا جِيـاعـاً، لا طعـامَ لنـا   حتّى لقد كادَ يَغْشَى أهلَنا التَّلَفُ[3] ؟
لم يُبقِ صـاحِبُنا شيئـاً نَعيشُ بـهِ   فـالزّادُ مُنتَهبٌ ، والمـالُ مُجتَرفُ[4]
إن أنتَ أسلفتَنـا مـا نَستـعيدُ بـه   رُوحَ الحياةِ، فَغَيْثٌ ودَقْهُ يَكفُ[5]
قال: الحلائلُ رَهْنٌ ، لا طعامَ لكم   إلا بهّن، فقالوا: مَـطلبٌ قُذُفُ[6]
تـأبَى علينـا سَجـايـانـا، ويمنعُنـا   هذا الجمالُ الـذي أُوتيتَ والتَّرَفُ
قال: البنونَ، فقالوا: لا تَكُنْ عَسِراً   البؤسُ أهونُ ممّا رُمْتَ والشَّـظَفُ
خُـذِ السِّـلاحَ وإن كَلّفتَنـا شَـططاً   إنّ الشدائدَ فيهـا تَسْهُلُ الكُلَفُ[7]

---

(١) النطف العيب والشر والفساد .

(٢) الأزل الشدة والضيق .

(٣) قال له أبو نائلة : كان قدوم هذا الرجل علينا بلاء من البلاء ، عادتنا العرب ورمتنا عن قوس واحدة فقطعت عنا السبيل حتى جاعت العيال وجهدت الأنفس ، وسألنا الصدقة ، ونحن لا نجد ما نأكل ، وسائر ما عندنا انفقنا على هذا الرجل وعلى أصحابه إني أريد أن تبيعني وأصحابي طعاما ونرهنك ونوثق لك ، قال : ارهنوني نساءكم ، قالوا كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب ولا نأمنك عليهن ، قال فأبناءكم، قالوا : هذا عار علينا ، نرهنك السلاح فرضي .

(٤) اجترف الشيءَ ذهب به كلّه او معظمه .

(٥) الودق المطر ، ووكف سال قليلاً قليلاً .

(٦) القذف من الأمكنة والمواضع ما يُزلّ عنه ويُهوَى والشيء يبعد ويتقاذف .

(٧) جمع الكلفة المشقّة .

لم يَدْرِ مأْربَهم، إذ يسخرونَ بهِ ... وإذ يُريدونَها دَهماءَ تُلتَحَفُ[1]

قال: ارتضيتُ، فقالوا: غُمَّةٌ ذَهبت ... عنّا غياهِبُها، وَانْجابتْ السُّدُفُ[2]

وأرجأوهُ إلى إبّانِ مَوْرِدِه ... يَعُبُّ من سُمِّهِ المُردِي ويَرتشِفُ[3]

جاءوه باللّيلِ مَسروراً بغرفته ... وليس يُنْجِي الفتى من حَتفِه الغُرَفُ[4]

وَرَنَّ صَوتُ أخيهِ عندَ مضجعهِ ... أُخرُجْ إلينا، أما تَنْفَكُّ تَعْتَكِفُ ؟

فَهبَّ يركضُ، وَارْتاعتْ حَلِيلَتُه ... مَهْلاً، فإنَّ فُؤادِي خائفٌ يَجِفُ[5]

أنت امرؤٌ ذُو حروبٍ لا يُلائِمُه ... أن يستجيبَ ذَوِي الأضغانِ إن دَلفوا

إنّي لأسمعُ صَوْتاً لستُ آمنهُ ... كأنّه الدمُ يَجرِي أو هُوَ الجَدَفُ[6]

قالَ: اسْكُنِي، ودَعِيني، إنّه لأخي ... يَخْشَى عليَّ فَيرعانِي وينعطِفُ

وراحَ يلقاهُ، والإسلامُ مُبتسِمٌ ... والشّركُ مُتّسِمٌ بالحزنِ مُرتجِفُ

وافاهُ في صَحْبَهِ يُدني الخُطَى عَبِقاً ... كأنّه ذاتُ دَلٍّ زَانها هَيَفُ[7]

---

(١) الدهماء الداهية .

(٢) السدف الظُلم جمع سدفة .

(٣) يعبّ يشرب بلا تنفس ، والمُردِي المُهلِك .

(٤) انتهوا إلى حصن كعب، وكان قريب عهد بعرس ، فهتف به أبو نائلة ـ وهو أخوه من الرضاع ـ فوثب في ملحفته ، فأخذت امرأته بطرفها . وقالت : إنك رجل محارب ، وإن أصحاب الحرب لا ينزلون في هذه الساعة ، إني أسمع صوتا كأنه يقطر منه الدم ، قال : إنه أبو نائلة ولو وجدني نائما ما أيقظني ، ونزل ينفح منه ريح الطيب فتحدث معهم ساعة ، ثم قالوا : هل لك يا ابن الأشرف أن نمشي إلى «شعب العجوز» اسم موضع كان قريباً منهم ، نتحدث به بقية ليلتنا . وكانت ليلة مقمرة ، فقال : إن شئتم ، ثم مشوا ساعة ، وأدخل أبو نائلة يده في باطن رأسه ، ثم شم يده ، وقال : ما رأيت كالليلة طيبا أعطر ، ثم عاد لمثلها فاطمأن، ثم أخذ في الثالثة بشعره وقال : اضربوا عدو الله ، فضربوه ، وصاح صيحة منكرة ، وصاحت امرأته يا آل قريظة والنضير مرتين فلم يبق حصن إلا أوقدت فيه النار .

(٥) وجف القلب خفق .

(٦) الجدف القبر .

(٧) العَبِق الذي تفوح منه رائحة الطيب ، والدلّ الدلال ، والهَيَف : ضمور البطن ورقّة الخصر .

قالوا: أتمشِي إلى شِعبِ العجوزِ ففي … هذا الخلاءِ جَنًى للنفسِ يُخْتَرفُ ؟[1]

وَانْظُرْ إلى القمرِ الزَّاهِي وبَهجتِه … وَاعْجَبْ له بعد هذا كيفَ يَنكسِفُ

ساروا إلى الشِّعبِ، والأقدارُ تَتبعُهم … على هُدى اللهِ، ما زَاغت، ولا اعْتَسَفُوا

حتّى إذا قعـدوا ظَلَّتْ بمـوقِفهـا … وأقبـلَ المـوتُ عن أيمـانِهـا يَقِفُ

وتِلكَ كفُّ أخيـهِ فَـوْقَ مَـفْرِقِـه … كـأنّهـا من جَنيٍّ الـزّهـرِ تَقْتَـطِفُ

يَشُمُّهـا، ويقـولُ القـولَ يَخدَعُـه … في الطِّيبِ، وَهْوَ له من خلفهِ هَدَفُ

ظَلَّتْ سيـوفُ رسولِ اللهِ تأخـذُهُ … تَشُقُّ مـا ضـربت منـه وتَنْتَقِفُ[2]

يا حُسنَها صَيحـةً من فيهِ يُـرسِلُها … كـادتْ تَخِرُّ لهـا من داره السُّقُفُ

لم تستـطع عِرسُـه صَبْراً فجاوَبها … صَوْتٌ يُجلجِلُ: أودَى السّيدُ اللَّقِفُ[3]

بَني قَـريظةَ هُبُّـوا من مَضاجِعكم … بني النَّضيـرَ انْفِرُوا للثـأرِ وَازْدَلِفُوا

عَدا الرجـالُ على كعبٍ، فوالهفـا … أين الحماةُ ؟ وماذا يَصنعُ اللَّهَفُ ؟

تَبكِي عليـه، وماذا بعـدَ مصرعِـه … إلّا البكاءُ، وإلّا الأدمعُ الـذُّرُفُ ؟

إنّ الذي كان يَثْنِي عِـطْفَهُ صَلَفـاً … أمسى صَرِيعاً، فلا كِبْرٌ ولا صَلَفُ

عـادوا بهـامتِـه، تُلْقَى مُـذمَّمـةً … عِندَ الرسولِ ومنه الصَدُّ والنَّكَفُ[4]

طـار اليهـودُ على آثارهم، فـأبَتْ … أن يُدرَكوا، هِمَمٌ تَرْمِي بهم عُصُفُ

---

(١) اخترف الثمر جناه .

(٢) نقف الشيء أو انتقفه بمعنى شقه ، وكان محمد بن مسلمة ابن أخيه من هذه الناحية .

(٣) العرس امرأة الرجل ، واللقف الحاذق .

(٤) جزوا رأسه واحتملوه في مخلاة كانت معهم ، واجتمعت اليهود من كل ناحية فأخذوا على غير الطريق ففاتوهم ، فلما بلغوا بقيع الفرقد كبروا ، وقد قام النبي ﷺ تلك الليلة يصلي ، فلما سمع تكبيرهم وعرف أنهم قتلوه ، ثم انتهوا إليه ، فأخبروه بمقتله ، فقال : أفلحت الوجوه ، قالوا : ووجهك يا رسول الله ، ورموا برأسه بين يديه ، فحمد الله على قتله ، ونكف عنه : أنف منه .

اللهُ أكبرُ والحمدُ الجزيلُ لـه نَصرٌ جديدٌ، وفضلٌ منهُ مؤتَنَفُ[1]
رِيعَتْ يهودُ ، فجاءَتْ تَبتغِي حِلفاً عُودِي يَهودُ، فنعمَ العهدُ والحَلِفُ[2]
هَيهاتَ، مالكِ من عهدٍ ولو حَمَلَتْ مِلءَ البسيطةِ من أيْمانِكِ الصُّحفُ
عَبّادُ، قُلْ إنّ في الأشعارِ تذكرةً وإنَّ أحسنَها ما أورثَ السَّلَفُ[3]
غَنِّ الرِّفاقِ بِوَحيِ الحقِّ تُنشِدُه مَضى النعيبُ ، وأودَى الشاعِرُ الخَرِفُ[4].

---

(١) المؤتنف بمعنى المستأنف أي الجديد المبتدأ .
(٢) الحِلف العهد والصداقة والحَلِف اليمين .
(٣) عباد بن بشر رضي الله عنه : قال في هذه الواقعة :

صَرختُ بـه، فلم يعرض لصوتي ووافى طالعاً من رأسِ خِدْرِ
بعثت لـه . فقال مَنِ المُنادِي ؟ فَقُلتُ : أخوكَ عَبّادُ بن بشرِ
وهذِي دِرعُنا رهناً فخذها لشهرٍ إن وفى أو نصفِ شهرِ
فقال معاشرٌ سغبوا وجاعوا وما عدموا الغنى من غيرِ فقرِ
فأقبلَ نحونا يهوي سريعاً وقال لنا : لقد جئتم لأمرِ
وفي أيمانِنَا بيضٌ حدادٌ مجربة بها الكفار نفري
فعَانقه ابنُ مسلمةَ المُرَدَّى به الكفّارُ كالليثِ الهِزَبْرِ
وشدَّ بسيفِهِ صَلْتاً عليهِ فقطّره أبو عبس بن جَبرِ
وكان اللهُ سادَسنا فَأُبْنَا بأنعمِ نعمةٍ وأعزِ نصرِ
وجاء برأسه نَفَرٌ كرامٌ همو ناهيكَ من صدقٍ وبِرِّ

(٤) النعيب صوت الغراب ، والخرف الضعيف العقل والمَقصود هو كعب .

سرايا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه

السرية الأولى

كانت إلى بني سعد بن بكر بفدك « قرية بينها وبين المدينة ست ليال » بلغ النبي ﷺ أنهم يريدون أن يمدوا يهود خيبر على أن يجعلوا لهم تمرها فلما اقترب الإمام والذين معه وكانوا مائة رجل من هذه القرية. وجدوا رجلا فسألوه عن بني سعد، فقال: لا علم لي بهم فشددوا عليه، فأقر انه عين لهم، ثم دل المسلمين عليهم، ولكنهم خافوهم فلم يظهروا للقائهم، وغنمت السرية خمسمائة بعير وألفي شاة .

يـا بني سَعْـدِ بنِ بكـرٍ مـرحبـا　　بـادروا القـومَ فُـرادَى وثُـبَى[1]

غَـشِيَـتْكُـم مـن يَـهـودٍ فِـتـنـةٌ　　كالحَبِيِّ الجَوْنِ يُـرخِي الهيدبـا[2]

إنّ في خَيبَـر من سُمْـرِ القنـا　　عَدَدَ التّمرِ، ومن بيضِ الظُّبَى[3]

هِيَ لـلأبـطالِ أزكى مـطعـمـاً　　يـا بني سعـدٍ وأشهى مَشـربـا

هـل تـرون اليـومَ إلا مِقـنبـا　　من حُمـاةِ الحقِّ، يتلو مِقنبا[4] ؟

إنّـه يـومُ «عـليٍّ» فـاصْـبِـروا　　أو فَحِيـدوا عنه يـومـاً أشهبا ؟[5]

---

(١) الثبى :الجماعات .

(٢) الحبي السحاب المتراكب يشرف من الأفق على الأرض والجون الأسود أو الأبيض ، وكلاهما من صفات السحاب والهيدب ما يرى كأنه فويق الأرض من السحاب إذا تدلى .

(٣) سمر القنا الرماح ، والظبى جمع الظبة حدّ السيف .

(٤) المقنب ـ جماعة الخيل .

(٥) يوم أشهب وأمر أشهب: أي صعب .

يـا «بني سعدِ بن بكـرٍ» إنّـه — مـارِجُ الهيجاءِ يُـزجِي اللَّهبا[1]

احـذروهـا وارْحـمـوا أنفسَكـم — لا تكـونـوا في لَـظاهـا حَـطَبـا

دَلَّـهُ مـنكـم عـليـكـم رَجُـلٌ — خَشِيَ القتـلَ، وخـافَ العَـطَبـا

«عَينُـكم» صيَّـرهـا عينـاً لكـم — فَـاعْجَبـوا لـلامـرِ كيف انْقلبـا

زحَـف الجيشُ فَـذُبْتـم فِـرَقـاً — وارْتَمى البـأسُ، فَطِرْتُم هَـرَبـا

ليس غيـر النَّهـبِ، مـا يمنعـه — منكـم اليـومَ امـرؤٌ أن يُنْهَبـا

«نكبـةُ التَّمـرِ» فلولا شؤمُـه — لـم يَـذُقْ آلامَهَـا من نُكِـبـا

أفمـا جَـرَّبـتمُ القـومَ الألـى — خُـلِقُـوا لـلشّـرِّ فيـمن جَـرَّبـا؟

هم وبـاءُ الأرضِ ، أو طاعـونُهـا — شـرعوا السُّحْتَ ودانـوا بالـربـا[2]

غَـضَـبَ اللّهُ عـليـهـم، فَـرَضَـوْا — رَبَّ زِدْهـم كـلَّ يـومٍ غَـضَبـا

هـالـكٌ من ظنَّ ممّن يَعتـدِي — ويُـعَـادِي اللّهَ أن لـن يُـغْـلَبـا

وأضـلُّ النَّـاسِ في دنيـاهُ مَنْ — وَضَـح الـحقُّ، فـولَّـى وأَبـى

---

(١) المارج النار لا دخان فيها .

(٢) السحت المال الحرام ، والكسب الدنيء يجلب العار ، سمي بذلك لأنه مسحوت البركة أو لأنه يسحت ، أي يستأصل صاحبه بشؤمه .

السرية الثانية

كانت لهدم «الفُلس» صنم طيىء والإغارة عليها، بعث إليهم في خمسين ومائة رجل من الأنصار فهدموا الصنم وأحرقوه واستاقوا الشاء والنعم والسبي وكان في السبي أخت عدي بن حاتم الطائي واسمها «سُفَّانة» ومعناها الدّرة مرّ عليها النبي ﷺ فقامت اليه وذكرت له أباها وما كان له من أعمال مشكورة ثم سألته أن يمنّ عليها ففعل وأسلمت فكساها ثم حملها وأعطاها مالا فذهبت إلى أخيها وأشارت عليه بالقدوم على النبي ليدخل في دين الله فجاء وأسلم[1] وقد وجدوا في خزانة الصنم ثلاثة أسياف معروفة عند العرب وهي الرَّسوبُ واليماني والخِذم وثلاثة أدراع آلت إلى النبي ﷺ :

إلى طَيِّىءٍ يا ابنَ عمِّ النبيِّ ... إلى معشرٍ يعبدون الصَّنَمْ
إلى الفُلسِ في جُندِكَ الغالبين ... فلن يَلبثَ الشِّركُ أن يُصطلَمْ[2]
أضلّ العُقولَ، وأعْمَى القلوب ... وأشقى النُّفوسَ وهدَّ الهِمَمْ
أرى طَيِّئاً خَذلتْ ربَّها ... فما من مَلاذٍ، ولا مُعتصَمْ
فيا لكَ ربًّا يذوقُ الهوان ... فَيُغضِي عليه ولا يَنْتَقِمْ
مضى عزُّه، وانطوى مجده ... فَزالَ الجلالُ وبادَ العِظَمْ

---

(١) هذه القصة مذكورة في باب الوفود .

(٢) اصطلم الشيء استأصله .

وأصبح تَذْرُوه هُوجُ الرياح | فَتلكَ تَفارِيقُه ما تُلَمّ
وهاتيك أسلابُه أُطلِقَتْ | وكانت حبائسَ منذُ القِدَمْ
سُيوفٌ بَقينَ طِوالَ العُصور | ودائعَ للوارثينَ الأُمَمْ
مَلَلْنَ لدى الفُلسِ عهدَ الظَّلام | فأصبحن مِيراثَ ماحِي الظُّلَمْ
أضاءَ الرَّسُوبُ به واليماني | وأشرقَ في راحَتَيْهِ الخَذِمْ
وما نَظرتْ أعينُ الدَّراعين | كأدراعهُ الغالياتِ القِيَمْ
رَجعْتَ بها يا ابنَ عمٍّ النبيّ | وبالشاءِ مجلوبةً والنَّعَمْ
وبالسَّبْيِ مُغتَنماً، ما رأى | حُماةَ المحارمِ إذ يُغْتَنَمْ
ومَرَّ النبيُّ بِسُفَانَّةٍ | فقامَتْ إليه تَبُثُّ الأَلَمْ
وقالت: نَشدتك فأمْنُنْ عليّ | فما حقُّ مِثلَيَ أن يُهْتَضَمْ
أنا ابنةُ مَن كانَ في قومِه | عَقِيدَ السّخاءِ حَليفَ الكَرَمْ
وما بِكَ في حاتمٍ رِيبةٌ | بلى إنّه للجوادُ العَلَم
يَفُكُّ العُناةَ، ويُعطِي العُفاةَ | ويكسو العُراةَ، ويَحمِي الحَرَمْ
ويُفْشِي السّلامَ ويرعى الذِّمامَ | ويَقْرِي الضُّيوفَ ويَشْفِي القَرَمْ(١)
فقال لها: صِفةُ المؤمنين | فلو أنّه كان فيهم رُحِمْ
كريم يُحبُّ حِسانَ الخِلال | ويَكرهُ مِن حُبّها أن يُذَمّ
مَننتُ عليكِ، فإن تفرحي | فغَيرُكَ أولى بحُزْنٍ وَهَمّ
فقالت شَهِدتُ مع الشّاهدين | فذلِك دينُ الهُدى، لا جَرَمْ
رأيتُ السّبيلَ فآثرتُه | وفارقتُ دِينَ العَمَى والصَّمَمْ

* * *

كَسَاها وأركَبها واستهلّ | عليها بغَمرٍ من المالِ جَمٍّ(٢)

(١) القرم شهوة اللحم .

(٢) الغمر الكثير .

فـراحـت بخـيـرٍ، وراح الثـنـاءُ   يَجـوبُ السُّهولَ ويَـطِوي الأكم[1]
وجـاءت أخـاهـا فقـالت عـديٌّ   أرى الـحـقَّ أخـلقَ أن يُـلتَـزَمْ
وإنّـي استـقـمـتُ عـلى واضـحٍ   من الأمـرِ يـا ابنَ أبي فَـاسْتَقِمْ
دَعِ الشِّـركَ، واذهبْ إلى يثـربٍ   فثَمَّ هُـدَى اللهِ بـاري النَّسَـمْ[2]
هُـنـاك هُـنـاكَ جَـلاءُ الـعَـمَـى   ورِيُّ الصَّـدَى، وشِفـاءُ الـسَّقَـمْ
هُنـاكَ النبيُّ الـعـظيمُ الـجـلال   هنـاك الرّسـولُ الكـريمُ الشِّيَمْ
هُنـاك النجـاةُ لِهَلْكَى الـنُّفـوس   فَـطُوَبى لمـن رَامهـا فَـاعْـتَـزَمْ

---

(١) الأكم جمع أكمة وهو التل يكون دون الجبل ، أو الموضع يكون أكثر ارتفاعا مما حوله .
(٢) الباري الخالق ، والنسم جمع النَسَمَة : الإنسان أو كل دابّة فيها روح .

السَّرِيَّةُ الثَّالِثَة

كانت إلى بلاد مِذحِج . « أبو قبيلة من اليمن » وهي من بلاد اليمن بعث إليها في ثلاثمائة فارس عقد النبي له لواءً وعممه بيده، فلما بلغها فرق أصحابه فأتوا بنهب وغنائم وأطفال ونساء ونعم وشاء وغير ذلك، ثم لقيهم فدعاهم إلى الإسلام فأبوا ورمـوا المسلمين بالنبل والحجارة، فصفّ أصحابه، ودفع لواءه إلى مسعود بن سنان، ثم حمل عليهم فقتل منهم عشرين رجلا فانهزموا وتفرقوا، فكف عنهم، ثم دعاهم إلى الإسلام فأسرع إلى إجابته ومتابعته نفر من رؤ سائهم، وقالوا : هذه صدقاتنا فخذ منها حق الله تعالى ونحن على من وراءنا من قومنا . فعاد فوافى النبي بمكة في حجة الوداع .

بَني مِـذْحـجٍ مـا ثَمَّ من مُتـردَدٍ ... هُوَ الدّينُ أوَ حدُّ الحُسامِ المُهنَّـدِ

ألا فـانظروا سيفَ الإمـامِ وبأسَـهُ ... تَرَوْا عجَباً من مشهدٍ ليس بالدَّدِ[1]

بُلِيتُـمْ بمـعقــودِ الـلّواءِ على يـدٍ ... يَشُـدُّ عليها مـالـكُ المُلكِ بـاليـدِ

بني مِـذْحِجٍ مـا ظنُّكم بِمُـدجَّـجٍ ... تُعِمَّمـهُ للحـربِ كفُّ مُحمَّـدِ ؟

غزاكم بمن لا تَعرِفُ الحربُ غيرَهم ... إذا انتسب الأبـطالُ في كلّ مَشهـدِ

أصابوا من الأسلاب والسَّبْي ما ابْتَغوا ... وأنتم بمنـأىً بين صَـرْعَى وهُجَّـدِ

فلمـا لَقُوكم قـال صاحبُ أمـرِهـم ... هوُ الحقُّ مَن يُؤثِرْهُ يَرْشَدْ ويهتـدِ

فــإن تُسْلِمُـوا فــالله بيني وبينكم ... وإن تُعرِضُوا فالسّيفُ عَضْبُ المجرَّدِ

---

(١) الدّد اللعب .

صددتم صُدودَ الجاهلينَ وَردُّكم ... عَنِ الحقِّ رأيُ طائشٍ لم يُسدَّدِ

جَرى النّبلُ يَهوِي وَاسْتطارْت حِجارةٌ ... تتابعُ شتَّى بين مَثنىً ومَوْحَدِ

رَمَيْتُم بها جُندَ النبيِّ وإنّما ... رميتم بأحلامٍ عَوازِبَ شُرَّدِ[1]

مضى السّيفُ يَجزيكم على الشرِّ مِثلَهُ ... فلا دَمُكم بَسْلٌ ولا هُو مُعتَدِ[2]

فَولّيتمُ الأدبَار ، وارتدَّ جَمعُكم ... شرادِمَ شتّى كالشَّعاعِ المُبدَّدِ[3]

وآمنَ منكم معشرٌ عادَ جَدُّهم ... سعيداً، ومن يرغبْ إلى اللهِ يَسْعَدِ

وجاءوا، فقالوا: هذه صدقاتنا ... فَخُذْها بإحسانٍ ، وإن شئتَ فازْدَدِ

نَدِينُ بأنّ البِرَّ لا شيءَ مثله ... ونبذلُ حقَّ اللهِ غيرَ مُنَكَّدِ[4]

وأنّا لكم عَونٌ على ما وراءنا ... نناجِزُ منهم كلَّ غاوٍ ومُفْسِدِ

وندعو إلى الإسلامِ نَنشرُ نورَهُ ... ونُورِدُ منه قومَنا خيرَ مَورِدِ

لك الشكرُ، فَارْجِعْ يا عليُّ مظفَّراً ... وبَشِّرْ رسولَ اللهِ يَشكُرْ ويَحْمَدِ

---

(١) أحلام عوازب أي عقول خالية أو زاهية من عزب غاب وبعد وذهب .

(٢) البسل الحَرام .

(٣) شراذم جماعات ممزّقة ، والشعاع المتفرّق من كل شيء .

(٤) المنكد القليل العسر .

سرية أبي سلمة إلى قطن

هو عبد الله بن عبد الأسد القُرَشي المخزومي ، بعثه النبي ﷺ إلى قَطَن ، « جبل بناحية فَيْد ـ اسم ماء لبني أَسَد » في المحرّم من السنة الرابعة ، ومعه مائة وخمسون رجلا من المهاجرين والأنصار ، منهم أبو عبيدة ، وسعد ، وأسيد بن حضير وأبو نائلة لطلب طلحة وسلمة ابني خويلد الأسديين لأنهما كانا يدعوان قومهما ومن أطاعهما لحربه ، وكان قيس بن الحارث ينهاهما عن ذلك فلا ينتهيان ، فلما بلغت السرية أرض بني أسد خاف القوم فهربوا وأصاب المسلمون إبلا وغنما فأخذوها .

يَـا ابْنَيْ خُـوَيْلِدَ أيَّ شَرٍّ هِجْتُما ؟ ... إن كـانَ مَن يَبغِي المُحالَ فـأنتما
أَفَتَـدْعُـوانِ إلى قتـالِ مُحمَّـدٍ ؟ ... هَـلَّا إلى غيـرِ القتـالِ دَعَـوْتُمـا ؟
ما كان قيسٌ في النصيحةِ جاهـلًا ... بـل كان أعلمَ بـالصَّوابِ وأَحْـزَما
ينهـاكمـا أن تفعـلا ، ويَخـافُهـا ... مشبـوبـةً تَجـرِي جَـوانِبُهـا دمـا
بَعَثَ النبيُّ الجيشَ تَحتَ لـوائِـهِ ... بـطلٌ إذا نَكَصَ الفـوارسُ أقـدمـا
هـو ذاك عبـدُ اللهِ في أصحـابِـهِ ... يَمشِي إلى قَـطَنٍ قَضاءً مُبْـرَمَـا
فتـأهَّبـا يـا ابْنَيْ خُـويلدَ وَاجْمَعَـا ... للحـربِ جَمْعَكمـا . ولا تَتنـدَّمـا

* * *

سـر يا دليـلَ الجيشِ في بَرَكَـاتِهِ ... وَاسْلُكْ إلى فَيْدَ الطريقَ الأقومَا[1]

---

(١) هو الوليد بن زبيد الطائي .

هِيَ مُنتواهُ فليس يَبغِي غيرَها ... لِشَبَا القواضِبِ مُنتوىً ومُيمَّما[١]

يا دائباً يَصِلُ الدياجِرَ بالضُّحَى ... سِرْ في سبيلِكَ إن أردتَ المغنما[٢]

إنّ الأُلَى جعلوكَ رائدَهم أَبَوْا ... إلّا السَّخاءَ ، فما أبرَّ وأكرما

دَرجوا على دينِ الفِدَاءِ فما بهم ... عِندَ الحفيظةِ ما يُعابُ ويُحْتَمَى

أين الرجالُ ؟ ألا فتىً ذو نَجدةٍ ... يَرمِي بِمُهجَتِهِ العجَاجَ الأقتما ؟[٣]

أين الرجالُ ؟ أَفَارَقُوا أوطانَهم ... أم أصبحوا مِلءَ المضاجِعِ نُوَّما ؟

يا ابْنَيْ خُوَيْلِدَ جَرِّدا سَيْفَيْكُما ... حَذَرَ العِدَى ، وَتَقدَّما لا تُحجِما

يا ابني خُويلدَ أين ما أعددتُما ... للحربِ ، تَسْتَلِبُ الكَمِيَّ المُعلَمَا ؟[٤]

أعددتما الجُبنَ المُذِلَّ لتسلما ... فهلكتما ، وكذاك يَهلَكُ ذو العَمَى

أسلمتما النَّهبَ السليبَ ، وإنّه ... لأجلُّ منزلةً ، وأعظمُ مِنْكُما

رَجَعَ الغُزَاةُ به كراماً ، ما لقوا ... كَيْداً يُرَدُّ ، ولا أصابوا مُجرِما

اللّهُ طهَّرهم وصانَ سُيوفَهُم ... سُبحانَهُ، أَسْدَى الجميلَ وأنعما

هم حِزبُهُ ، لا حِزبَ إلّا دونهم ... وَلَو انَّهُ اتَّخَذَ الكواكبَ سُلَّما[٥]

* * *

(١) شبا جمع شباة حدّ كل شيء والقواضب السيوف القاطعة .

(٢) أعطي من الغنيمة ما أرضاه .

(٣) العجاج الغبار .

(٤) الشجاع الموسوم بسيماء الحرب .

(٥) دون هنا بمعنى تحت أو بعد أو خلف .

عبد الله بن أنيس الأنصاري رضي الله عنه

بعثه النبي ﷺ وحده في المحرم من السنة الرابعة لقتل سفيان بن خالد الهزلي الذي جمع الجموع لحربه ، ولم يكن عبد الله يعرفه ، فقال . صفه لي يا رسول الله فقال : إذا رأيته هبته وفرقت منه ، ووجدت له قشعريرة وذكرت الشيطان ، ثم استأذنه أن يقول له ما يرضيه فأذن له وأمره أن ينتسب إلى خزاعة ، وكان بموضع قريب من عرفة يقال له عرنة ، فأخذ سيفه وخرج إليه فوجده كما وصف ، وقال له ما أرضاه حتى اطمأن إليه فقتله وجاء برأسه إلى النبي :

سَرِيّةٌ أنتَ وَحْدَكْ فاجْعَلْ سَجَاياكَ جُنْدَكْ
لَا تَخْشَ يا ابنَ أُنيسٍ فليس سُفيانُ نِدَّكْ
أَحْشُدْ قُواكَ وَخُذْهُ فليس يَسْطِيعُ حَشْدَكْ
إن غَرَّهُ حَدُّ عزمٍ فَسَوفَ يَعرِفُ حَدَّكْ
يَهولُ في الوصفِ جِدّاً حَتَّى لَيَعْظُمُ عِنْدَكْ
لَكِنَّهُ اللهُ أعلى عليهِ في البأسِ جَدَّكْ
أَقْبِلَ فتى البأسِ أَقْبِلْ وَاعْمَلْ لربِّكَ جُهْدَكْ

* * *

أَخَذْتَهُ بِخِلابٍ كَذَبْتَهُ فيه وُدَّكْ[1]

---

(١) الخلاب الخداع بلطيف الكلام .

أوردتَــهُ الــقَــولَ حُــلواً ولــو دَرى عَــافَ وِرْدَكْ[1]
وَيْــلُمِّــهِ مــن غَــبــيٍّ لــو كــان يــعــرف قــصــدَكْ[2]
أحْــبِــبْ بِــهِ مــن رســولٍ لِــقَــتْــلِهِ قــد أعــدَّكْ
يَــظنُّ أنّــك ضِــدٌّ لــه ، فَــدُونَــك ضِــدَّكْ[3]
بُــورِكْــتَ يــا ابــنَ أنــيسٍ مــن فــارسٍ مــا أشــدَّكْ
ضَــرَبْــتَــهُ فــتَــرَدَّى وكــان ذلــك وَكْــدَكْ[4]
وَعُــدْتَ لا مَــجــدَ إلّا أراهُ يَــحْــسُــدُ مَــجْــدَكْ

* * *

سُــفــيــانُ هــل كــنــتَ طَــوداً فــمــن رَمــاكَ فَــهَــدَّكْ ؟
أم كُــنْــتَ لــلشــرِّ ذُخــراً تَــخشــى الــطّواغيــتُ فَقْــدَكْ ؟[5]
أوْدَى بِــكَ ابــنُ أنــيسٍ فَــأقــفَــرَ الــحــيُّ بَعْــدَكْ
وَرَدَّ عِــزّكَ ذُلّاً فــمــا تُــصَــعِّــرُ خَــدَّكْ[6]
مَــلأتَ صــدركَ حِــقــداً فــهــل شَفَــى السّيفُ حِقْــدَكْ ؟
وَمِــتَّ مِــن قَــبــلُ وَجــداً فهــل مَحَــا المــوتُ وَجْــدَكْ ؟
أيــن الــجــمــوعُ؟ أتَــدرِي مَــن خطَّ في الــتُّــربِ لَحــدَكْ ؟
وأيــنَ رأسُــك ؟ هــلّا صَــدقْــتَ نــفــسَــكَ وَعْــدَكْ ؟
أغــواك جَــهــلُكَ حَــتّــى لَــقِــيــتَ فــي الــنّــارِ رُشْــدَكْ

---

(١) عافه كرهه فتركه .

(٢) ويلمه أصلها ويل لأمّه .

(٣) الضدّ المثل والنظير .

(٤) الوكد المراد والقصد .

(٥) الطواغيت جمع الطاغوت وهو الشيطان وكل معبود دون الله .

(٦) صعّر خده أماله عن النظر الى الناس تهاوناً وكبراً .

أنضَجتَ نفسَكَ غَيظَاً فاليومَ تُنضِجُ جِلْدَكْ
يَغيظُكَ الدّينُ حَقّاً فأنتَ تَقدحُ زَنْدَكْ[1]
هَيَّجْتَ للشرِّ وَقْداً فأينَ غادرتَ وَقْدَكْ ؟[2]

* * *

يا صاحِبَ الغارِ مَن ذَا بِنَصرِهِ قد أَمَدَّكْ[3] ؟
أليس ربُّكَ ؟ فَاجْعَلْ لهُ على الدّهرِ حَمْدَكْ
رَدّ العِدَى ، لم يفوزوا وأنتَ بالفوزِ رَدَّكْ
أَلْقِ الهديّة[4] وَاسْحَبْ في ساحَةِ الفَخرِ بُرْدَكْ
دَعَا الرّسولُ وأثْنى فَاحْمَدْ ـ لكَ الخَيرُ ـ رِفْدَكْ[5]
وقل : تباركتَ ربِّي يَسَّرْتَ للخيرِ عَبْدَكْ

---

(١) الزند العود الأعلى الذي يقتدح به الناس .
(٢) الوقد النار .
(٣) أسرع القوم خلف عبد الله بن أنيس رضي الله عنه بعد أن قتل سفيان فاختبأ في غار كان في طريقه ونجاه الله منهم .
(٤) هي رأس سفيان ألقاها بين يدي النبي ﷺ ففرح وأثنى عليه .
(٥) الرفد بفتح الراء النصيب وبكسرها العطاء .

سرية عكاشة بن محصن

بعثه النبي ﷺ إلى الغَمْر « غمر مرزوق » وهو ماء لبني أسد على ليلتين من « فَيْد » ومعه أربعون رجلا ، في ربيع الأول من السنة السادسة . فخافهم القوم وتركوا مساكنهم وأصاب المسلمون غنما وإبلا فعادوا بها إلى المدينة : ـ

عُكَاشَةُ ما في الغَمْرِ من مُتَخلِّفِ ... خلا الغَمْرُ من عُمَّارِهِ فَهْوَ مُقْفِرُ
تَنَاذَر أهلُوهُ سُيوفَكَ ، فَانْجَلوا ... وغُودِرَ وَحْشاً خَالياً ليس يُعمَرُ[1]
خُذِ الشّاءَ والإبلَ السّمانَ ، فإنّهم ... إلى أجلٍ ، ما دُونَهُ مُتأخَّرُ
فإمّا حِمَى الإسلامِ ، أو حَدُّ قاضبٍ ... على مَتْنِهِ مِنهم دَمٌ يَتَفَجَّرُ[2]
عُكَاشَةُ عُدْ بالجندِ غيرَ مُخَيَّبٍ ... كفى القومَ خِزْيًا أن يَفِرُّوا ويُدبِرُوا
لِكُلِّ امرىءٍ من نفسِهِ ما تَودُّهُ ... وما يكُ من شيءٍ ، فربُّكَ أكبَرُ
له الدّينُ والدّنيا ، وما بعدَ هذِهِ ... فلا شَيءَ إلاّ ما يَشاءُ ويَقْدِرُ

---

(١) تناذر القوم أنذر بعضهم بعضا، والوحش القَفْر .
(٢) القاضب السيف القاطع .

سرية عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل

وهي حصن وقُرىً من طرف الشام بينها وبين دمشق خمس ليال ، وبينها وبين المدينة خمس عشرة ليلة ، كانت هذه السرية في شعبان من السنة السادسة ، سيّرها النبي ﷺ بعد أن عمّم أميرها عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ، بيده الشريفة ، ثم أمر بلالا أن يدفع إليه اللواء ، وقال له ولمن معه : اغزوا جميعا في سبيل الله . فقاتلوا من كفر بالله ، ولا تغدروا ولا تمثّلوا ولا تقتلوا وليدا ، فهذا عهد الله وسيرة نبيه فيكم ، فمكث عبد الرحمن ثلاثة أيام يدعو القوم إلى الإسلام فيأبون إلا السيف ، ثم أسلم رئيسهم الأصبغ بن عمرو الكلبي ، وكان مسيحيا . وأسلم معه كثيرون، وتزوج عبد الرحمن ابنته ماضر وقدم بها المدينة . فولدت له بعد عشرين سنة وبضع من الهجرة أبا سلمة الحافظ الثقة والعالم الكبير .

يَا ابْنَ عَوْفٍ سِرْ حثيثاً باللِّواءْ ... وَاقْدِمِ الجيشَ بعزْمٍ وَمَضاءْ

سِرْ حَثيثاً يا ابنَ عوفٍ إنّها ... دُومَةُ الجندلِ والقومُ البِطاءْ

سُبقوا للحقّ ، ما يأخذهُم ... ذلك النّورُ ، ولا هذا الرُّواءْ[1]

وَيحَهُم ماذا عليهم لو رَضَوْا ... شِرْعَةَ اللهِ ، ودينَ الحُنَفَاءْ ؟

اتّقِ اللّهَ ، ولا تَبْغِ الأذى ... وَاتَّبِعْ ما قال خيرُ الرُّحَمَاءْ

إنّ للحربِ لديه أدباً ... يَزَعُ السَّيْفَ ويَحمي الضُّعَفَاءْ[2]

---

(١) حسن المنظر .

(٢) وزعه كفّه ومنعه .

مَنْ يَـدَعْهُ لا يَنَـلْ مَجـداً وإن فَتَـحَ الأرضَ ، وأقـطَارَ السَّمـاءْ

* * *

أعـرضَ القـومُ ، وقـالـوا : دِينُنـا يا ابنَ عوفٍ ، دِينُنا ، لا ما تَشاءْ
ليس غيـر السيفِ يقضي بـينـنـا وَهْوَ أَوْلَى يا ابنَ عـوفٍ بالقَضـاءْ
وَرَأَى سَـيِّـدُهـم مـا هَـالَـهُ من أمـورٍ لا يـراهـا الجُـهَـلاءْ
إنّـهُ الأصـبـغُ لا يَـخـدعُـهُ باطلُ الـوَهْمِ ، ومكْروهُ الهُـراءْ[1]
قَالَ : أسلمتُ ، فيا قومِ اشْهَدُوا وَاهْتَـدُوا ، فاللهُ حَقٌّ لا مَـرَاءْ
شَـرَعَ الـدِّينَ الـذي وَصَّى بـهِ عُمـدَةَ الرُّسْـلِ وشيخَ الأنبياءْ[2]
هُـوَ دِينُ اللهِ حَـقّـاً ، مـا بِـهِ إن رَضِينَـا أو أَبَيْنَـا من خَفَـاءْ

* * *

أَسْلَمَـتْ مـن قـومِـهِ طـائـفـةٌ وَأَبَـتْ طـائـفـةٌ كُـلَّ الإبـاءِ
مـا على ذي هِمَّـةٍ من حَـرَجٍ إن تَرَاخَى الجِدُّ ، أو زَاغَ الرَّجاءْ
كـلُّ أمـرٍ ، فَـلَهُ مِـيـقـاتُـه طـابتِ الأنفسُ ، أم طـالَ العَنـاءْ

* * *

يـا ابنـةَ الأصبـغِ هـذا مـا قَضَى ربُّـكِ الأعلى ، فَفُـوزِي بـالـرَّفَـاءْ
مِـلَّةُ فُضْـلَى ، وبَـعـلٌ صـالـحٌ حَبَّذَا القَسْمُ ، وما أسنَى العَطَاءْ[3]
إنّـه أمـرُ الـنـبـيِّ الـمُـجتَبَى معدنِ التّقوى ، وَمَـوْلَى الأتقياءْ[4]

---

(١) الكلام الفاسد .
(٢) سيدّنا ابراهيم عليه السلام .
(٣) القَسم العطاء، وحبّذا تستعمل للاستحسان .
(٤) قال الرسول الكريم لعبد الرحمن بن عوف ان استجابوا لك فتزوج ابنة ملكهم .

يا ابنَ عوفٍ ، لو رأى الغيبَ امرؤٌ لَــرَأتْ عيناك مــا تَحتَ الغِـطَاءْ
لَـــكَ مـن زَوْجِــكَ كَـنــزٌ جَــلَلٌ مِن كُنــوزِ الـلّهِ أغنى الأغنيــاءْ
يُـستـمَــدُّ العِـلمُ مِنــهُ والـهُــدَى ويُـقــامُ الــدِّينُ قُــدْسِـيَّ البِـنــاءْ
نِــعــمَــةٌ لــلّهِ ، مــا أعــظَمَـهــا فـله الحـمــدُ جَميعــاً والـثَّـنــاءْ

سرية عبد الله بن عتيك الخزرجي الأنصاري

كانت لقتل أبي رافع عبد الله، أو سلّام بن أبي الحُقَيق اليهودي، وهو من الذين حزّبوا الأحزاب يوم الخندق وأعان المشركين بالمال الكثير، بعثه النبي ﷺ في شهر رمضان سنة ست ، وقيل في ذي الحجة سنة خمس بعد وقعة الأحزاب، ومعه عبد الله بن أنيس، وأبو قتادة واسمه الحارث بن ربعي ، والأسود بن خزاعى، ومسعود بن سنان الأسلمي « من الخزرج » فذهبوا إلى خيبر فلما أمسوا جاءوه في حصن له، فقال ابن عتيك لأصحابه دعوني احتال للدخول عليه، ثم تقنّع بثوبه، فظنّه البواب من أهل الحصن الذين خرجوا لطلب حمار فقد منه فأدخله، ثم أخذ المفاتيح التي علقها البواب وراء الباب بعد إغلاقه، فلما ذهب عن أبي رافع أهلُ سَمره صعد إليه ابن عتيك يفتح الأبواب ويغلقها وراءه، ثم انتهى إليه فاذا هو وسط عياله في بيت مظلم. وقال لأمراته ، إنّي جِئْته بهديّة، ثم ضربه فلم يقتله، وصاح أبو رافع، فخرج ابن عتيك ثم عاد، وقد غيّر صوته يسأله عن سبب صياحه، ثم قتله، وخرج فسقط وانكسرت ساقه فاختبأ ، وخرج اليهود باحثين ، ثم عادوا وهو كامن ،وبقي إلى أن يسمع الناعي، فلما نُعِيَ انطلق إلى أصحابه، ثم عادوا ،ومسح النبي على رجله فكأنها لم تصب .

أبَا رافعٍ لا يَرفعُ اللّهُ طاغيا ... ولا يَدَعُ الخَصْمَ المُشاغِبَ نَاجيا

جمعتَ من الأحزابِ ما شِئتَ، تَبتغي ... لنفسِكَ من تلكَ العقابيلِ شَافيا[1]

وَرُحتَ تَصُبُّ المالَ في غيرِ هِينَةٍ ... تُرِيدُ بدينِ المسلمينَ الدَّواهيا[2]

---

(١) العقابيل الشدائد وبقايا العلّة او العداوة جمع العقبول والعقبولة .

(٢) الهينة السكينة والوقار .

هو ابنُ عتيكٍ إن جَهِلتَ وصَحبُه فلستَ بلاقٍ من حِمامِكَ واقيا[1]

يَـدُبُّ وقـد جُنَّ الـظَّلامُ مُقنَّعـاً يُـريـدُك مُغتـالاً، ويلقـاكَ غـازيـا

كـأنّ جمـارَ الحصنِ أُوتِيَ رُشـدَهُ فـأجمعَ ألا يصحبَ الـدَّهرَ غـاويا

أعان عليكَ السَّيفَ يكرهُ أن يرى دماً فاجراً في مَسْبَح الكُفر جاريـا

يقول له البّوابُ: مالـك جالِسـاً ؟ وقد دخل الرَّهطُ الذي كُنتَ رائيا ؟[2]

إلى الحصنِ فَادْخُلْ، لَسْتُ تاركَ بابِه لأجلِكَ مفتـوحاً، ودَعْني لما بيـا

فقـامَ ولـو يَـدرِي خَبيئةَ نَفسـه أعضَّ وَريدَيْهِ الحُسـامَ اليمانيـا[3]

ولاحت لِعيَنْيـهِ الأقـاليـدُ فَـانْتَحى يَضُمُّ عليها مِخلَب اللّيثِ ضَاريا[4]

فلمَّـا غَفا السُّمـارُ أقبـلَ صَـاعِـداً إلى الأخرقِ المغرور، يَعلو المراقيا[5]

سَقـاه بِحَـدٍّ الهَنْدَوانِيِّ حَتْـفَـهُ فَبُورِكَت من سيفٍ، وبُورِكَ سـاقيا

* * *

هَـوتْ رِجلُه من زَلَّـةٍ قَـذفْت بـهِ إلى الأرضِ في ظَلماءَ تُخفي الدراريا[6]

فما بَرحتْ حتّى أُصِيبَ صَميمُهـا بِصَدْعٍ فأمَسى وَاهِنَ العَظمِ واهيا

---

(١) الحمام الموت .

(٢) ظنّه البواب من أهل الحصن . فقال له : إن كنت تريد أن تدخل فادخل فإني اريد أن أغلق الحصن فدخل فاختبأ يتربص لحاجته .

(٣) يريد بواب الحصن، وأعضّه الحُسامَ جعل الحسامَ يعضّه .

(٤) الأقاليد المفاتيح .

(٥) الأخرق الأحمق، والمراقي الدرجات جمع المرقى والمرقاة .

(٦) قال ابن عتيك رضي الله عنه يذكر ما حدث له بعد قتل أبي رافع . . فجعلت أفتح الأبواب بابا بابا حتى انتهيت إلى الأرض فوقعت فانكسرت ساقي، فعصبتها بعمامة ثم خرجت فكمنت في موضع وأوقدت اليهود النيران وذهبوا في كل وجه يطلبون حتى إذا آيسوا رجعوا فلما صاح الديك صعد الناعي على السور ينعي أبا رافع، قال فأتيت أصحابي أحجل . . الخ .

وبـاتَ يُـواري نَفسَهُ في مكـانِـه ... ويـزورُّ في بُرديه يَخشَى الأعاديا[1]
تَنـادَوْا: فقالـوا فاتـكُ من عَـدُوِّنـا ... رَمى السَّنَد الأعلى، فلا كان راميا
مَتى جاءَ ؟ كيفَ انسلَّ في غَسَقِ الدُّجَى ؟ ... وماذا جَرى من كان للحصنِ حاميا؟[2]
مِنَ الجِنِّ هذا أم من الإنس، يا لَهُ ... مُصاباً يُنسِّينـا الخُطوبَ الخـواليا ؟
وراحـوا سِراعـاً مُهـطِعينَ يَهيجُهم ... طِلابُ الذي ما زال في الحِصْنِ ثاويا[3]
فما تركـوا في أرضِ خَيبرَ بقعةً ... ولا غـادروا ممّـا هُنـالِـكَ واديـا
وعـادُوا يَعُضُّونَ البَنـان، ولـو رَأَوْا ... مكانَ الرَّدى المجتاحَ أَلْفَوْهُ جَـاثيا
فما زالَ حتّى أذَّنَ الدِّيكُ، وانْبَرى ... مِنَ القومِ داعٍ يَرفعُ الصَّوتَ ناعيا
هُنـالِـكَ وافى صَحبُـه، فتحـدَّبُـوا ... عليه، وكان الظنُّ أن لا تلاقيا[4]
فَتىً يركبُ الأهوالَ لا يتَّقِي الرَّدى ... ولا يتـوقَّى الحتفَ يَلقـاهُ عـاديـا
قُصـارَاهُ أن يَـرْعَى أمـانـةَ رَبِّـهِ ... ويلقى رسولَ اللهِ جَذْلانَ راضيا[5]
شَفَى رِجلُه مّمـا بها، فكـأنَّهـا ... بِخَيبرَ لم تُكسَرْ، ولم يَكُ شاكِيـا

* * *

أبـا رافـعٍ، مـا ذا لَقِيتَ بحُفـرةٍ ... طَوَتْ منكَ جبّاراً قضَى العُمرَ عاتيا ؟
عَكفتَ على البَغْيِ المُذمَّمِ والأذَى ... فَذُبْ أسفاً، واعْكُفْ على النّارِ صَاليا

---

(١) يزوّر اي يميل وينكمش للاستخفاء .
(٢) غسق الدجى ظلمة الليل .
(٣) المهطع من ينظر في ذلّ وخضوع .
(٤) تحدّب عليه تعطّف وحنا .
(٥) القُصارى الجهد والغاية وقصاراه أن يفعل كذا اي غاية جهده وآخر أمره وكل مستطاعه هو أن يفعل كذا .

سرية عبد الله بن رواحة الأنصاري
إلى أسير بن رزام اليهودي بخيبر

لما قُتل أبو رافع أمّرت اليهود عليها أُسَيْر بن رِزام فغضب لقومه وسار في غطفان وغيرهم يجمعهم للحرب. وبلغ النبيﷺ ذلك فوجّه عبد الله بن رواحة وبعض أصحابه في رمضان من السنة السادسة يستطلعون الخبر، وعادوا بعد ثلاثة أيام يذكرون ما رأوا وسمعوا، فبعثه إلى أُسير في ثلاثين رجلا، فعرضوا عليه أن يسير معهم إلى النبي ليحسن إليه ويستعمله على خيبر فشاور قومه فرضي بعض وأبى بعض، وسار ومعه جمع منهم، فلما كان في الطريق ندم على سيره، وأراد الفتك بابن رواحة فقتله، وقتل المسلمون من كان معه إلا رجلا اشتدّ في الهرب، وكان ذلك في شوال من السنة السادسة.

أأنت يا ابنَ رِزامٍ تَغلِبُ القَدَرا؟ جَرِّبْ لك الويلُ من غِرٍّ وسوف ترى
جَرِّبْ أُسَيْرُ ولا تَجزَعْ إذا عَثرتْ بك التجاريبُ، إنّ الحُرَّ من صبرا
كذبتَ قومكَ، إنّ الحقَّ ليس له من غالبٍ، فَاعْتَبِرْ إن كنتَ مُعتَبِرا[1]
هيهاتَ مالكَ إلا الغَيُّ تتبعُه والغيُّ يتبعه في النّاسِ من فجرا
بِئسَ الأميرُ وبئسَ القومُ إذ جعلوا لك الإمارَة كيما يُداركوا الظَّفرا

(١) قال لهم والله ما سار محمد إلى أحد من يهود ولا بعث أحدا من أصحابه إلا أصاب منهم ما أراد ولكني أصنع ما لم يصنع أصحابي، قالوا: وما عسيت أن تصنع؟ قال أسير في غطفان فأجمعهم ونسير إلى محمد في عقر داره، فإنه لم يُغْزَ أحد في عقر داره إلا أدرك منه عدوه ما يريد.

الظَّافِرونَ بنو الإسلام، لا فَزَعاً يرى العِدَى في الوغَى منهم ولا خَوَرا[1]
همُ الأُلَى يُلبِسونَ الحربَ زِينَتهَا إذا تَعَرَّتْ وَولَّى الذّادةُ الدُّبُرا
ماذا تُحاوِلُ بالأشياعِ تَندبُهم ؟ حاولت يا ابنَ رِزامٍ مطلباً عَسِرا
ظَنَنْتَها غزوةً تَخفَى مكائدها فما احتيالُك في السِّرِّ الذي ظَهَرا ؟
لو لم يُوافِ رَسولَ اللهِ مُخبِرهُ وافاهُ مِن ربِّهِ مَن يحمِلُ الخبَرا
كم فَضَّ جِبريلُ مِن صَمَّاءَ مُغْلَقةٍ أنْحَى على سِرِّها المكنونِ فاشتهرا[2]

* * *

على أبي رافعٍ، فَلْتَبكِ مِن أَسَفٍ وَاسْتَبْقِ نفسَكَ إنْ كُنْتَ امْرَأً حَذِرا
ذَلَّتْ يهودُ فما يُرجَى لها خَطرٌ على يَدَيْ من نَهَى فيها ومن أَمَرا
دَعْها أُسيْرُ لكَ الويلاتُ من رجلٍ ضَلَّ السَّبيلَ، فأمسى يَركبُ الغَرَرا[3]
ألستَ تُبصِرُ عبدَ اللهِ في نَفَرٍ أعْظِمْ به وبهِمْ من حَولِه نَفَرا ؟
جاؤوك يا ابنَ رِزامٍ لو تطاوعُهم لأذهبَ اللّهُ عنكَ الرِّجس والوَضَرا[4]
لكنّك المرءُ لو ترميهِ صاعقةٌ تَنهاه عن نَزعاتِ الغَيِّ ما ازْدجَرا
رَدُّوا لكَ الخيرَ تُسدِيه إليكَ يدٌ ما مِثلُها من يدٍ نَفْعاً ولا ضَرَرا
قالوا: انْطَلِقْ معنا إن كنتَ مُنطلقاً فأْتِ الرّسولِ وَسَلْهُ تبلغِ الوَطَرا
ما شِئتَ مِن سُؤْدُدٍ عالٍ ومن شَرَفٍ على اليهودِ ويَجزِي اللّهُ من شكرا
أبىَ وراجعهُ من نفسه أَمَعلٌ أغراهُ بالسّيرِ حتَّى جَدَّ مُبتَدِرا
ثُمَّ انثنَى يَتمادَى في وَساوِسه يَظنُّ ذلك رأياً منه مُبتَسَرا[5]

---

(١) الفزع الذعر، والخور الضعف .

(٢) أنحى على الشيء أقبل .

(٣) الغرر التعريض للهلكة .

(٤) الرجس القَذَر، والوضر الوَسَخ .

(٥) خرج أسير ومعه ثلاثون رجلا من اليهود مع رجل رديف من المسلمين وكان هو رديف عبد =

واختـارَهـا خُـطَّةً شَنعـاء مـاكـرةً ... فحاقَ بالجاهلِ المأفونِ مـا مكرا

أرادَ شـرًّا بعبـدِ اللهِ، فَـانْبعثتْ ... مِنْه صَريمةُ عادٍ يَنقُضُ الـمِـرَرا[1]

رَآهُ أخْـوَنَ مِـن ذئـبٍ فَعـاجَـلَهُ ... بالسّيفِ، يُورِدُه مِنـه دماً هَـدَرا[2]

وَانْقضَّ أصحـابُه يَلْقُـونَ من معـهُ ... مِن قومه فاستحـرَّ القتـلُ وَاسْتَعـرا

لم يتركِ السيفُ منهم وَهْوَ يأخذُهم ... إلا حُشَاشَة هـافٍ يَسبقُ البصرا[3]

مَضَى مع الرّيحِ لا يأسَى لمهلِكِهم ... ولا يُبالي قضاء اللهِ: كيفَ جَـرَى

كذلك الغدرُ يَلَقَى الويـلَ صاحِبُـه ... وكيف يأمنُ عُقْبَى السُّوءِ من غدَرا ؟

= الله بن رواحة ، حتى إذا كانوا بقرقرة . موضع على ستة أميال من خيبر ندم أسير على مسيره، وأراد الفتك بابن رواحة ففطن له وهو يريد السيف، فاقتحم به عبد الله ثم ضربه فسقط . ومال أصحاب النبي ﷺ على أصحابه . ورأى مبتسر أي غير ناضج .

(١) الصريمة العزيمة، والمرر جمع المِرّ وهو الحبل ونقضه أي حلّه كناية عن نقض العهد .

(٢) هَدراً أي باطلاً .

(٣) هو الرجل الذي هرب، أفلت على رجليه وأعجز المسلمين شدًّا، والحُشاشة بقية الروح في المريض والجريح، والهافي المُسرِع .

عمرو بن أمية الضمري يوفد إلى مكة لقتل أبي سفيان

اختار أبو سفيان رجلاً من أجرأ الناس وأقدرهم على الشر، ثم أعطاه نفقة وبعيرا وبعثه لقتل النبيّ ﷺ ، فخرج يحمل خنجرا حتى جاءه فانحنى عليه يريد أن يفعل فأخذته الرهبة وكان أسَيْد بن حضير مع النبي فشد على خناقه حتى ظهر الخنجر، إذ كان يخفيه في ثيابه، وقد استجار بالنبي فعفا عنه وأسلم ثم ذهب فلم يعرف اسمه ولم يُـرَ بعد ذلك .

أرسل النبي عمرو بن أمية الضـمري لقتل أبي سفيان، وكان فاتكا في جاهليته شجاعا في إسلامه . فأخذ خنجرا ، وخرج معه رجل آخر أُختلِف في اسمه، فقيل هو سلمة بن أسلم، وقيل جبار بن صخر، فجعل عمرو يتنكر بمكة حتى لا يعرفه أحد لشهرته فعرفه معاوية بن أبي سفيان وأشاع خبره، فخف الناس يطاردونه، فاختبأ في غار وخرج فقتل رجلاً من الكفار، ورأى رجلين منهم في طريقه الى المدينة يتجسسان على المسلمين فقتل أحدهما برمية سهم، وأسر الآخر .

أبـا سُـفـيـانَ أيَّ دَمٍ تُـرِيـدُ ؟ هِيَ العنقـاءُ مَـطلبُهـا بَعيـدُ[1]

بَـلِ العنقـاءُ أقـربُ من مـرَامٍ هُـوَ الأمـلُ المُخَيَّبُ أو يَـزِيـدُ

أغـرَّكَ خِنْجَـرٌ بِيَـدَيْ شَقِـيٍ ؟ ومـا يُـدرِيـكَ، أيّكمـا السّعيـدُ ؟

رأى جبلاً تـرى الشُّمُّ الـرَّواسي جَـلالَتَـه، فتـرجـف أو تَمِيـدُ

فـلم تـنـفَـعْـهُ مـن فَـزَعٍ قُـواهُ ولم ينهضْ بـه البـأسُ الشّـديـدُ

(١) العنقاء طائر مجهول الجسم لم يوجد .

وشُـدَّ خنـاقـهُ بِيَـدَيْ أَسَيْـدٍ فلولا الـرفقُ لأنْـقَـطَعَ الـوريـدُ
تَـلقّـاهُ بِـمـخلبٍ مُـكْـفَـهّـرٍ يَـثـورُ فـتـقـشعـرُّ لـه الجُـلودُ
وأظهـرَ مـا يُـوارِي من سِـلاحٍ يَـدُبُّ بمثِله الشَّنِفُ الحَقـودُ[١]
وأيـقـنَ أنّ دِيـنَ اللهِ حَـقٌّ فمـا يُجدِي الضَّـلالُ، ومـا يُفيـدُ
أصـابَ الخيـرَ من بَـركـاتِ رَبٍّ هَـداهُ رسولُـه الهـادِي الـرّشيـدُ
وجـاءك يـا أبـا سُفيـانَ عمـروٌ فأينَ تَزِيـغُ ،وَيْحَكَ، أو تَحِيـدُ؟
هـو البـطلُ الـذي عـرفتْ قُـريشٌ فـلا نُـكْـرٌ بـذاكَ ولا جُـحـودُ
يُخـادِعهم، ومـا تَخْفَى عـليهـم مكيـدةُ مَن يُخـادِع أو يَكِيـدُ[٢]
بـدا لهمُ المغيَّبُ فَـاسْتَـرابـوا وَلـجَّ الذُّعـرُ، واضطرمَ الـوعيدُ[٣]
وأبْـصَـرهُ مُـعـاويـةٌ فَـجَـلَّى سَـرِيـرَةَ نفسـهِ النّظرُ الحـديـدُ
وقـالـوا: فـاتـكٌ يـرتـاد صيـداً ومـا كنّـا فـريسـةَ مَن يصيـدُ
وشَـدُّوا خَـلفَـهُ فـإذا سُـلَيْـكٌ أُعِيـرَ جنـاحَـهُ البـطلُ النَّجيـدُ
وغـيَّبـهُ بـبـطنِ الأرضِ غـارٌ فمـا يَدرونَ أين مَضَى الطَّريـدُ؟
أُعِينَ بـصـاحبٍ لا عَـيْبَ فيـهِ فَنِعم الصّـاحبُ الثَّبْتُ الجليـدُ[٤]
وجـاءَ لِحَيْنِـهِ منـهـم غَـوِيٌّ لـه في الشّعـر شيطانٌ مَريـدُ[٥]

---

(١) الشنف المبغض.
(٢) دخل مكة ليلا هو وصاحبه، سلمة بن أسلم أو جبار بن صخر، ومضى عمرو يطوف بالبيت فرآه معاوية بن أبي سفيان فعرفه وأشاع خبره، فقال أبو سفيان ورجال قريش والله ما قدم عمرو إلا لشرٍّ، وطاردوه.
(٣) استراب وقع في الريبة والشك، ولجّ الذعر الحَّ عليهم ولازمهم واضطرم اشعل وكأنّه نار.
(٤) سلمة بن أسلم أو جبار بن صخر، والثبت الجليد الثابت ذو القوة والصبر.
(٥) رجل قتله أمية لقوله: ـ
ولستُ بمسلم ما دمتُ حيًّا ولستُ أدينُ دينَ المسلمينا
والحين الهلاك، والمريد الخبيث الشّرّير.

يُـديرُ الكفـرَ في فمـهِ نَشيـداً يُـردِّدهُ، فيـعـجبُـه الـنَّشيـدُ
أصـاخَ لـه، فـأوقـد منـه نـاراً لهـا من كـلِّ جـارحـةٍ وَقـودُ[1]
تَـلهَّبَ واسْـتَـطارَ ،فيـالـنفسٍ طَغَتْ حِينـاً، فـأدركهـا الخمـودُ
رَمَـاهـا في لهيبِ البـأسِ رَبٌّ لهـا في نـارِه الكُبْـرى خُـلودُ

* * *

كِـلاَ الـرَّجُلَيْن يـا عَمروٌ عَـدُوٌّ فَـدُونَـكَ إنّـه صَيْـدٌ جَـديـدُ[2]
هُمـا عَيْنـا الخيـانـةِ من قُـريشٍ وأنـتَ يَـدُ الـنبـيِّ بـهـا يَـذُودُ
رَمَيْتَ عنِ النبيِّ فـمن صـريـعٍ أراقَ حيـاتَـهُ السَّهمُ الـسَّـديـدُ
ومن فَزِعٍ مَضيتَ بـه أسيـراً على جَـزَعٍ، يَـذلُّ ويَسْتَقيـدُ[3]
جَـلبتَ عـلى أبي سُـفيـانَ شَـرًّا فـأصبـحَ وَهْـوَ محـزونٌ كَمِيـدُ[4]
تَجـرَّعَ ثُكْـلَ من فُقِـدا زُعـافـاً وأهلكـه الأسَى، فَـهْـوَ الـفـقيـدُ
ستـدركـهُ الحيـاةُ، ولا حيـاةٌ لـغيـرِ الـمُـؤمـنيـنَ، ولا وُجـودُ
رِجـالٌ لا تُـبِيـدُهُـم الـمـنـايـا وكـلٌّ من بَنِي الـدُّنيـا يَـبِيـدُ
هُـوَ الإيمـانُ،لا دُنيـا حَـلوبٌ يُعـاشُ لهـا، ولا مُـلكٌ عَتِيـدُ

---

(١) أصاخ أصغى واستمع .
(٢) دونك اسم فعل بمعنى خُذْ.
(٣) الفَزِع الخائف، والجَزَع الحزن والكدر، واستقاد ذلّ وخضع .
(٤) الكميد الذي مرض قلبه من الكُمدة أي الحزن والغمّ الشديد .

سَرِيَّةُ أبي بكر رضي الله عنه إلى بني كلاب

ويقال إلى بني فزارة بناحية « هَزِيّة » بنجد، خرج إليهم في شعبان من السنة السابعة في رجال منهم سلمة بن الأكوع، فبعد أن صلوا الصبح شنوا الغارة عليهم فقتلوا وسبوا وكان من السبايا امرأة استوهبها سلمة من أبي بكر فجعلها له ثم استوهبها النبيﷺ من سلمة، فوهبها له، فأرسلها صلوات الله وسلامه عليه إلى مكة ففدى بها أسرى من المسلمين كانوا عند المشركين .

جَـرِّدِ السَّيفَ أبـا بكـرٍ فـمـا ... طُبِـعَ السّيفُ لِيبقَى مُغمـدا[1]

تِـلكَ نجـدٌ خَيَّمَ الـكُفْـر بـهـا ... فَـاسْتَعِنْ بالله ، واذْهَبْ مُـنجِـدًا

جـاهِـدِ القـومَ وزَلْـزِلْ دِينَـهُمْ ... أينَ دِينُ الكُفـرِ من دينِ الهُدَى ؟

سِـرتَ في بـأسٍ بعيـدِ المُـرتَمَى ... مـالـه فـي اللهِ حـدٌّ أو مَـدَى

إنهـا الحـربُ، فَسِـرْ لا تَتَّـئِـدِ ... وَدَع السَّـيفَ وأعنـاقَ الـعِـدَى

فَـارْمِ بِـابْنِ الأكـوعِ القَـوْمَ فمـا ... خُـلِقَ الـمِخـلبُ لِـلَّيثِ سُـدَى

هَـدَّهـم أسْـراً وسَبْيـاً ،وسَقَـى ... مَن سقى مِنهُم أفـاويقَ الـرَّدى[2]

جـالَ فـيهـم جـولـةً عـاصفـةً ... فَهَـوَوْا صَـرْعَى وأمْسَـوْا هُمَّـدا

صَـدفـوا عن ربِّهـم سُبحـانَـهُ ... وأبَـوْا أن يُـتَّـقَـى أو يُـعـبَـدا

---

(١) طبع السّيف عمله وصاغه .

(٢) أفاويق جمع فِيقة: اللبن يجتمع بين الحلبتين .

فجزاهم من نَكالٍ ما لَقَوْا وَيْ كأنَّ اللهَ يَجزِي المُفسِدا[1]

* * *

يا أبا بكرٍ وأنتَ المُرتَجى أعْطِهِ المرأةَ يَشكُرْها يَدا[2]
إن تكن سَيِّدةً في قومِها فكفاها أن أصابتْ سيِّدا
عاد منصوراً، وسارت معه فَرقداً ،يَتبعُ منه فَرقدا
نَظَر اللهُ إليها فَبَدا لرسولِ اللهِ فيها ما بدا
قال: هَبْها لي، فلم يَبخلْ بها ومضى من أمرِها ما سَدَّدا
هَبطتْ مَكَّةَ في حاجتِهِ فَهْيَ للصَّحبِ من الأسرِ فِدَى
سَرَّهُ أن أطلقَ الشركُ بها من نفوسٍ حُرّةٍ ما قَيَّدا

* * *

اذهبي ما أنتِ من شأنِ الأُلَى أوردوا قومَكِ ذَاكَ المَوْرِدا
كذبَ الجُهّالُ فيما زَعموا ما المباتيرُ المواضِي كالمُدَى[3]

---

(١) وي كأنّ: بمعنى ألم تَـرَ أو أما ترى ، والبعض يقول معناه اعلم ،والبعض يقول معناه ويلك اعلم .

(٢) زعم بعض الرواة أن هذه المرأة أم قرفة التي ورد ذكرها في سرية زيد بن حارثة رضي الله عنه، وهو من أوهامهم .

(٣) المباتير جمع مِبتار صيغة مبالغة من الباتر أي القاطع .

سرايا غالب بن عبد الله الليثي

السرية الأولى

كانت في شهر رمضان سنة سبع إلى أهل الميفعة بناحية نجد وهي على ثمانية بُرُدٍ[1] من المدينة، خرج إليها في مائة وثلاثين رجلا، فهجموا على أهلها في مساكنهم . وقتلوا من تصدّى لهم، واستاقوا النَّعم والشاء، وفي هذه السرية قَتَل أسامة بن زيد رضي الله عنهما نهيك بن مرداس الأسلمي وقيل الغطفاني، بعد أن قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فلامه النبي ﷺ فقال: إنما قالها تعوذاً من القتل، قال: هلّا شققت عن قلبه فتعلم أصادق هو أم كاذب ؟ قال أسامة. لن أقتل بعده من قالها، وفي ذلك نزل قوله تعالى ﴿ يا ايها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا، ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا. الآية ﴾ وورد أن النبيﷺ دفع الدية الى أهله ، وأمر أسامة أن يعتق رقبة : ـ

إسألي يا نَجدُ أهلَ المَيْفَعهْ ... كيف أمسَوا بعد أمنٍ وَدَعَهْ ؟

وانْظِري ما صَنَع الكُفرُ بهم ... من أذىً يُعجبه أن يصنَعهْ

هو صِنْوُ الشّرِّ أو تَوأمُهُ ... ما ثوىَ في موطنٍ إلّا مَعَهْ

ما الذي يعصمُهم من غالبٍ ... جُذوَةِ الحربِ وليثِ المَعْمَعَهْ ؟[2]

جاءهم يقدمُ من أبطالِه ... كلَّ ماضٍ لا يُبالي مَصْرَعَهْ

يَمنعُ الإسلامَ من أعدائهِ ... بدمٍ يأبَى له أن يَمنعَهْ

---

(١) جمع بريد وهي مسافة تبلغ ١٢ ميلا تقريباً .

(٢) الجذوة الجمرة الملتهبة، والمعمعة الحرب .

لــو تمشّى المــوتُ في بُــرْدَتِــه   حين يمشِي للوغَى مــا رَوَّعَــهْ
أخــذوهــم أخْــذَةً رابَــيــةً   صَــادفْت منهم نُفــوســاً فَــزِعَــهْ
ثم آبــوا كــالنُّجــومِ الــزُّهــرِ في   نِعمــةٍ ممّــا أصــابــوا وَسَعَــهْ

* * *

يــا ابنَ زيدٍ، قَــدِّم العُــذَر، وقُــلْ   يا رسولَ اللهِ، هــل مِن تَبِعه؟[1]
رَجــلٌ أجْــمَــعَ أن يــخــدعــني   فجعلتُ السّيفَ يَعلو أخْــدَعَــهْ[2]
أعــلنَ الإســلامَ يَحْــمِــي دَمَــهُ   ولــه بــالكفُــرِ نَفْسٌ مُــولَعَــهْ
قــال: هــل شَقَّ الفتى عن قلبــهِ   فَيــرى السِّرَّ، ويَــدْري مَــوضِعَــهْ؟
يــا ابنَ زيــدٍ، يــا لــه من خُلُقٍ   لستَ بــالــمؤمــنِ حتّــى تَــدَعَــهْ
ســاءَهُ الــلّومُ، فــقــلبٌ آســفٌ   يَتَّقِــي اللهَ، ونفسٌ مُــوجَــعَــهْ
تــابَ مــمّــا سَــوَّلَ الــظنُّ لــه   وأبــاهــا سُــنّــةً مُــبْــتَــدعَــهْ
لــيس للمــرءِ مــن الأمــرِ سِــوَى   مــا رآه ظــاهِــراً أو سَــمِــعَــهْ
وخــفَــايــا الــغَــيــبِ للهِ الــذي   يَعلمُ السّــرَ، ويَــدري مَــوقِعَــهْ
إحتــرِسْ، مــا الــظنُّ إلا شُبهــةٌ   تــتَّقِــيــهــا كــلُّ نَــفْسٍ وَرِعَــهْ
وَاتْبَــعِ الحــقَّ فــهــذا حُــكــمُــه   جــاء في القُــرآنِ كيمــا تَتبَعْــه

* * *

مــا سبيــلُ المرءِ يَرتــادُ الهُــدَى   كسبيــلِ المــرءِ يَبْغِي المــنفَــعَــهْ
مــا نَــأى المؤمــنُ عن عــاداتِه   حين ينــأى عن هَــوانٍ وَضِعَــهْ

* * *

---

(۱) التبعة ما يترتب على الفعل من الخير او الشرّ إلا ان استعماله في الشرّ أكثر .
(۲) الأخدع واحد الاخدعين وهما عرقان من صفحتي العنق .

السرية الثانية

كانت إلى بني الملوح بالكَديد « إسم ماء بين عسفان وقديد » خرج إليها في صفر من السنة الثامنة ، وكان من رجال هذه السرية جندب بن مكيث الجهني رضي الله عنه قال : لما بلغوا قديد وجدوا الحارث بن مالك الليثي المعروف بابن البرصاء فأخذوه ، فقال : إني جئت أريد الإسلام وما خرجت إلا لرسول الله ﷺ فقالوا : إن تكن مسلما فلن يضرك رباط يوم وليلة ، ثم وضعوا عليه حارسا . وأمروه أن يقتله إذا ظهر منه سوء ، وساروا حتى اتوا الكديد ، فجعله أصحابه « جندب بن مكيث » ربيئة لهم ، فأشرف على رأس تل فرآه رجل من بني الملوّح فرماه بسهمين ، وقع الأول بين عينيه فنزعه ، والثاني في منكبه فكذلك ، ثم نام القوم فحمل المسلمون عليهم سَحَراً ، فقتلوا منهم من قتلوا واستاقوا النعم ، واستصرخ القوم . فاجتمع عدد كثير وحملوا على المسلمين فأرسل الله السَّيْل في الوادي « وادي قديد » من غير سحابة ولا مطر فحال بينهم أسلم ابن البرصاء وهو صحابي توفي آخر خلافة معاوية .

بَـنِي الـمُلَوَّحِ لا حَـامٍ ولا واقِ ... طَافَ الرَّدَى ، وتَلاَقَى الشَّرْبُ والسَّاقِي[1]

أتتكُمُ المـرهفـاتُ البِيضُ زائـرةً ... فـاستقبلوهـا بهـامـاتٍ وأعنـاقِ

مشى بها غالبٌ في غيـرِ ما وَهَنٍ ... يَـلُفُّ للحـربِ آفـاقـاً بـآفـاقِ

رَمَتْ بـه هِمَمُ الإيـمـانِ مُمعنـةً ... فالشِّرْكُ يَرجُفُ من خوفٍ وإشفاقِ

ما خطبُ هذا الذي لاقَتْ فوارسُهُ ... عِندَ القديدِ ، أيَمضِي غير مُعتاقِ ؟

(١) الشرب جمع الشارب .

كلَّا فان يَكُ حقّاً ما يقولُ فما فيما يُريدُونَ من ظُلمٍ وإرهاقِ
يُقيمُ حتى يَعودوا ثم يَصحبُهُم إلى الرسولِ على عهدٍ وميثاقِ
وإن يكن كاذباً فالسَّيفُ صاحبُهُ والسّيفُ صاحبُ صدقٍ غيرِ مَذَّاقِ[1]

* * *

جاءوا « الكَدِيدَ » فما يَغْفى رَبيئَتُهُم والنّومُ يلهو بأجفانٍ وأحداقِ[2]
ولاح باللّيلِ فوقَ التَّلِّ مَنظَرُهُ لساهرٍ قام من ذُعرٍ على سَاقِ
رَمَى بِسهمَيْنِ لم يُخْطِىء له نَظَرٌ ولم يُجاوِزْهُ فِي نَزْعٍ وإغراقِ[3]
إنْزَعْهُما ابنَ مكيثٍ لا تَكُنْ جَزِعاً ولا تُرَعْ لِدَمٍ في اللهِ مُهرَاقِ
ويا سيوفَ رَسولِ اللهِ لَا تَدَعِي للعاكِفِينَ على الأصنامِ من بَاقِ
النّازِلينَ وَراءَ الحقِّ منزلةً ما اختارَها غيرُ فُجّارٍ وَفُسَّاقِ
ما يُنكِرُونَ من الدّينِ الذي كرهوا ؟ هل جاءَ إلّا بآدابٍ وأخلاقِ ؟
دِينُ السجايا العُلَى تَمضِي بهم صُعُداً ما تستطِيعُ مَدَاهَا هِمَّةُ الرّاقِي[4]
دِينٌ هو الغُلُّ يَنْهَى كلَّ مُبتَدِعٍ يرمي النُّفُوسَ بأغلالٍ وأطواقِ[5]
لا يَحبسُ النَّفسَ إلا حينَ يُطلِقُها وليس يَظلِمُ في حَبْسٍ وإطلاقِ

* * *

بَنِي الملوِّحِ رُدُّوا مِن غَوايَتِكم فالحقُّ ذُو وَضَحٍ بادٍ وإشراقِ[6]

---

(١) مذّاق غير مخلص .
(٢) الربيئة الطليعة أو العين .
(٣) نزع الرامي وأغرق جذب وتر القوس ليستوفي مدّها .
(٤) الصاعد .
(٥) الغل واحد الاغلال .
(٦) الوضح الضوء وبياض الصبح .

هــو الشِفَـاءُ لأدواءِ النّفــوسِ إذا ... حَارَ الطبيبُ ، وأَمْسَى رَهْنَ إخفاقِ

أتَصْدِفُونَ عَنِ المُثلى وقـد هَتَفَتْ ... بهـا الدُّعـاةُ ، فَلَبَّى كـلُّ سَبَّـاقِ ؟

لولا العَمَى مَا اقْتَدَيْتُمْ في ضَلاَلَتِكُم ... بمعشـرٍ من قُـريشٍ غيـرِ حُـذّاقِ

والنّاسُ من زُعماءِ السُّوءِ في خَبَلٍ ... يُؤذِي الطبيبَ ، ويُعيي حِكمةَ الرَّاقِي[1]

يا وَيْلَكُم إن رَضِيْتُمْ جَوْفَ مُظلِمَةٍ ... مَسْجُورةٍ ذاتِ أطـواءٍ وأعمـاقِ[2]

ماذا صنعتم بخيلِ اللهِ حين دعا ... يَسْتَصرِخُ الحيَّ منكم كلَّ نَعَّاقِ ؟

طـارت بكم غارةٌ حَـرَّى فأطفـأها ... وَادي قَـديـدٍ بِسَيْـلٍ منه دَفَّـاقِ

لا تنكــروا وقضـاءُ اللهِ يُــرسِـلُهُ ... مـا كانَ من دَهَشٍ جَمٍّ وإطـراقِ

أعـظِمْ بهـا آيــةً لـولا جَهـالَتُكُمْ ... كـانت لخيرِ البـرايا خيرَ مِصدَاقِ

سيقتْ لِنُصْـرَتِـهِ الأقـدارُ تَمنَعُكُم ... أن تُدرِكُوا جُنْدَهُ من كُلِّ مُنسـاقِ

وأنتَ يـا أيّهـا المُـزْجي مَـطِيَّتَـهُ ... إلى الرسولِ يُوالي سَيْرَ مُشتاقِ[3]

أصبتَ من نِعمةِ الإسلامِ كَنْزَ هُدَىً ... أغنــاكَ ربُّـك منــه بَعْـدَ إمــلاقِ

فَاسْعَدْ برزقِكَ ، وَاشْكُرْ مَن حَبَاكَ به ... سُبحانَهُ مِن عـظيمِ الفَضْلِ رَزَّاقِ

---

(١) من يصنع الرُّقية .

(٢) المسجورة الموقدة والاطواء الآبار .

(٣) هو الحارث بن مالك الليثي .

السّريّة الثالثة

لما عاد غالب بن عبد الله الليثي رضي الله عنه من الكديد أرسله النبي ﷺ إلى موضع مصاب أصحاب بشير بن سعد « بِفَدَك » في صفر سنة ثمان ومعه مائة رجل فأغاروا على بني مُرّة فقتلوا وغنموا ، وكان بشير رضي الله عنه قد سار إليهم في شعبان سنة تسع ، ومعه ثلاثون رجلا فما رأوا منهم أحداً ، وعادوا بالنعم والشاء فأدركوهم وجعلوا يرمونهم بالنبل ، فقتل من قتل وولى الباقون إلا بشيرا ، فقد ثبت لقتالهم حتى جرح فسقط وبه رمق ،وعمد القوم إلى اختباره بضربة في كعبه فلم يتحرك ، فظنوا أنه قد مات ، وانصرفوا عنه لنعمهم وشائهم ،فتحامل هو فذهب في الليلة التالية إلى فَدَك فأقام فيها عند بعض اليهود حتى قَوِيَ ثم عادَ إلى المدينة بعد أيام : ـ

بَني مُرَّةَ اقْضُوا أمركم قبل غَالِبِ ... وَذُوقُوا مَنَايا القَومِ مِن كُلِّ ذاهبِ

بَشِيرُ بنُ سعدٍ والذين أصابَهم ... أذاكم رَمَوْكُمْ بالقُرُومِ المصاعِبِ[1]

جَهِلْتُم جزاءَ البَغْيِ والبَغْيُ مَركب ... لذِي الجهلِ يُؤذِي شُؤمُهُ كلَّ راكبِ

خُذُوهُ جَزاءً مِن يدِ اللهِ عادلاً ... يُدَمِّرُ منكم كلَّ راضٍ وغاضِبِ

بُليتُم بِخَصمٍ لا تَنامُ سيوفُهُ ... عن الوَتْرِ إن نامتْ شِفَارُ القواضِبِ[2]

أبيٍّ على الكفّارِ يَسقِيهِمُ الرَّدى ... ويأخذُهم بالخسفِ من كلِّ جانبِ[3]

---

(١) القرم والمصعب بمعنى وهو الفحل ويطلق على السيد العظيم .

(٢) الوتر الانتقام، وشفار جمع شفرة وهي حدّ السيف .

(٣) الخسف : الاذلال .

حَفِيٍّ بـدينِ اللهِ يَمنـعُ حَـوْضَـهُ ... ويكفِيهِ أضغانَ العَدوِّ المُشَاغِبِ[1]
هُوَ الدّمُ لا يَشْفي من الجهلِ غيرُهُ ... إذا لم يُفِدْ فيه ضـروبُ التجارِبِ
أَجَلْ يا ابنَ عبدِ الله إنّ الوغى لها ... رجالٌ يَرَوْنَ الحزمَ ضَربَةَ لازبِ[2]
شَدَدْتَ قُوى الأبطالِ بالموثقِ الذي ... عَقَدْتَ على تلك القُوى والجواذِبِ[3]
فَعَهـدٌ على عهـدٍ من اللهِ ثـابتٍ ... وإلفٌ على إلفٍ من الدينِ راتِبِ[4]
أَخٌ لأخٍ جَمٌّ الـوفـاءِ وصـاحبٌ ... أمينُ الهَوَى يَرْعَى الذِّمامَ لصاحِبِ
ويـا لَكَ إذ تُلْقِي بمـا أنتَ قائـلٌ ... على الجندِ آدابَ الكميِّ المحاربِ
أخذتَ رُماةَ النَّبْلِ بالسَّيْفِ ما رَمَى ... بغير المنايا عن يَدَيْ كـلِّ ضارِبِ
سقاهمْ نقيعَ الحَتْفِ من كل ماجِدٍ ... جَرَى الحتفُ صِرْفاً في دمٍ منه ذائبِ
لذي الحِلم مِن حُسْنِ المثوبَةِ ما ابْتَغَى ... وللجاهِلِ المغـرورِ سُوءُ العـواقِبِ
دَعَاكَ رسولُ اللهِ أصـدَقُ من دَعَا ... إلى الحقِّ تَرمِي دُونَهُ غيـرَ هائبِ
فكنتَ أمـام الجيشِ أكـرمَ قـادمٍ ... وكنتَ وَراءَ النَّهـبِ أكـرمَ آيِبِ[5]
مَقَـامٌ تمنَّـاهُ الـزُّبيرُ، ومَـطلبٌ ... يَراه الفَتى المِقدامُ أَسْنَى المطالِبِ[6]
ظَفِـرْتَ بِهِ يـا توأمَ النَّصرِ تَـوْأَمـاً ... لما نِلتَ من مجدٍ على الدّهرِ دائبِ
مَضَى لكَ يومٌ في الكديدِ مُشَهَّـرٌ ... يُحَدِّثُ عن جِدِّ امْرِيءٍ غيرِ لاعبِ
فيـا حُسْنَهـا من وَقعـةٍ غـالبيـةٍ ... ويا لَكَ من يومٍ جليلِ المنـاقبِ

---

(١) الحفي المبالغ في الاكرام .

(٢) اي لازماً ثابتاً .

(٣) عن حويصة رضي الله عنه قال: بعثني ﷺ في سرية مع غالب إلى بني مرة فأغرنا عليهم مع الصبح، وقد أخذ علينا أميرنا أن لا نتفرق وآخى بيننا، وقال: لا تعصوني، فإنه ﷺ قال: من أطاع أميري فقد أطاعني ومن عصاه فقد عصاني .

(٤) دائم ثابت .

(٥) النهب الغنيمة .

(٦) روي انه ﷺ هيأ الزبير بن العوام رضي اللهعنه، وقال له: سر حتى تنتهي إلى مصاب أصحاب بشير وهيأ معه مائتي رجل، فلما رجع غالب بن عبد الله من الكديد مؤيدا بالنصر استبقى الزبير وبعثه هو .

سَرِيَّةُ بشير بن سعد رضي الله عنه

وهي السرية الثانية له بعد التي ورد ذكرها في السرية السابقة ، كانت إلى عين وجبار وهي أرض لغطفان وقيل لفزارة ، خرج إليها في شوال سنة سبع ومعه ثلاثمائة رجل ، وسبب خروج هذه السرية أن عيينة بن حصن أعد جمعا بأرض غطفان للإغارة على المدينة ، فلما بلغهم مسير بشير إليهم هربوا ، وأصاب هو وأصحابه نعما كثيرة لهم فغنموها ، ثم لـقوا الجمع وهو لا يشعر بهم فانهزم بغير قتال وتبعوهم ، فأسـروا منهم رجلين أسلما وخُلِّي سبيلهما .

عُيَيْنَةُ ماذا أنتَ ـ وَيْحَكَ ـ صَانِعُ ؟ ... وما ذلك الجمعُ الذي أنتَ جَامِعُ ؟

رُوَيْـدَكَ هل يغـزو المدينـةَ حـانِقٌ ... ويـطمعُ فيهـا يـا عُيينَـةُ طـامِـعُ ؟

هي الصَّخرةُ العظمى فلا البأسُ نافعٌ ... إذا جِئْتَ تَبغيها ، ولا السَّيفُ قاطِعُ

لهـا من جَلَالِ اللهِ حِصْنٌ مُمنَّـعٌ ... يَـرُدُّ الأذَى عنها ، وجَيْشٌ مُـدافِعُ

وفيهــا رسـولُ اللهِ والنَّفَـرُ الألى ... يَهُـونُ عليهم أن تَهُـولَ الـوقـائِـعُ

إذا وَرَدوا الهيجَـاءَ فـالنَّقـعُ قـاتمٌ ... وإن صَدَرُوا بالخيلِ ، فالنّصرُ لامِعُ

بَشيـرُ بنُ سعـدٍ يــا عُيينَـةُ قــادِمٌ ... فهل أنتَ بالجمعِ المضلَّلِ راجِعُ ؟

أتـاكم على بُعْـدِ المَـزَارِ حَـديثُـهُ ... فـلا قَلْبَ إلا واجفٌ منه جَــازِعُ

فَـرَرْتُم تُرِيْـدونَ النّجـاةَ وقـد بَـدَا ... لكم منـه يومٌ هَـائلُ البـأسِ رَائِعُ

وغـادرتمُ الأنعـامَ تَعْـوِي رُعـاتَهـا ... وتَنــدبُهـا آثـارُهـا والمــراتِــعُ[1]

---

(١) تعوى تدعو، والمراتع جمع المرتع موضع الرتع .

فيـا لـكَ من نَهْبٍ تَـوَلَّى حُـماتُـهُ   وأقبـلَ يُـزجَى سِـربُـهُ المتتـابِـعُ
ويـا لـلأسِيـرَيْنِ اللذين نَهـاهمـا   عن الشِرْكِ ناهٍ من هُدَى اللهِ رادعُ
هُما أسلما ، لما بَدَا الحقُّ واضحاً   وللحقِّ نـورٌ لـلعَمَـايَـةِ صـادعُ
أطـاعـا رسـولَ اللهِ فَاهْتَدَيـا بِـهِ   وما يَسْتَوِي في النَّاسِ عاصٍ وطائعُ
عُيَيْنَةُ من يَنْزَعْ إلى الرُّشْدِ لا يَزَلْ   على لاحبٍ منه ، فهل أنت نازِعُ ؟[1]

---

(١) اللاحب الطريق البيّن ، ونزع إلى الشيء ذهب إليه .

سرية عمرو بن العاص رضي الله عنه إلى بلاد بلي وعذرة

تقع هذه البلاد وراء وادي القرى ، بينها وبين المدينة عشرة أيام ، وبَلِيّ قبيلة كبيرة تنسب إلى بلي بن عمرو بن إكاف بن قضاعة ، وتنسب عذرة إلى عذرة بن سعد بن قضاعة ، وتسمى هذه السرية «ذات السلاسل» ، لأن المشركين ارتبط بعضهم إلى بعض مخافة أن يفروا ، والمراد أنهم تجمعوا وانضم بعضهم إلى بعض ،وقيل لأن بهذه البلاد ماء يسمى « السلسل » . كانت في جمادى الآخرة سنة ثمان ، وسببها أن جمعا من قضاعة أرادوا الإغارة على المدينة . فبعثها النبي ﷺ تحت إمرة عمرو بن العاص وعددها ثلاثمائة رجل من سراة المهاجرين والأنصار ، فلما اقترب من القوم بعث رافع بن مكيث الجهني إلى النبي يستمده ، فبعث إليه أبا عبيدة بن الجَرّاح في مائتين من أكابر المهاجرين والأنصار ، فيهم أبو بكر وعمر ، وأوصاه بطاعة عمرو ، فأراد أن يؤم الناس في الصلاة ، فأبى عمرو ، وقال : أنا الأمير ، فأطاع أبو عبيدة ، وما زال عمرو يصلي بالناس ، وحمل المسلمون على العدو ، فهربوا بعد أن اقتتلوا ساعة ، فقتلوا وغنموا ، وأمر عمرو أن لا يوقدوا نارا ، فأنكر عمر ذلك ، فقال أبو بكر : دعه ، فما بعثه النبي إلا لعلمه بالحرب وأرادوا أن يتبعوا العدو ، وهو يُدبر فمنعهم ، فلما عاد سأله النبي فقال : كرهت أن يوقدوا نارا فيرى العدو قلّتهم ، وأن يتبعوهم فيكون لهم مدد .

إلى ذاتِ السَّلاسِلِ مِن بَلِيٍّ ... وعُذْرَةَ فَامْضِ ، بُورِكَ مِن مُضِيٍّ

تَدَفَّقْ بالأُلى جاشَتْ قُواهُم ... إليكَ تَدَفُّقَ السَّيْلِ الأَتِيِّ[1]

---

(١) جاشت تدفقت وفاضت، والأتي يأتي من حيث لا يُدرك .

إلى قومٍ من الأعداءِ تُطوَى جَوانِحُهُم على الدّاءِ الدَوِيِّ[1]
تَألَّبَ جَمعُهُم من كُلِّ أوْبٍ يُحاوِلُ بالسّيوفِ حِمَى النَّبيِّ[2]
أهزلٌ من قُضاعةَ أم خيالٌ غَويٌّ جَالَ في جَوٍّ غَوِيٍّ ؟
تَوَلَّى الكفرُ أمرَ القومِ فيه فسوفَ يَرَوْنَ عاقِبَةَ الوَليّ
جَمعتَ لحربهم يا عمروُ بأساً يُزلزِلُ كلَّ جَبّارٍ عَتِيٍّ
رأيتَ جُموعَهم شتَّى فهذا رَسولُكَ جاء بالمَدَدِ القويِّ
عليه أبو عُبَيْدَةَ في سلاحٍ يَمُجُّ عُصارَةَ الموتِ الوَحِيِّ[3]
نَهاهُ مُحمّدٌ عن كلِّ أمرٍ تَضِيقُ بهِ ، وما هو بالعَصِيِّ
يُنازِعُكَ الإمامَةَ ثم يَرْضَى وتلكَ سَماحةُ الخُلُقِ الرَّضِيِّ
رَميتَ الكافِرينَ بكلِ ماضٍ مِنَ الأبطالِ يَعصِفُ بالرَّمِيِّ
فزالوا عن حظائرِهِمْ سِراعاً ولم تُغْنِ الرِّباقُ عن الشَّوِيِّ[4]
تَوَاصَوْا بالثَّباتِ فَزَلْزَلَتْهُم صَوَاعِقُ ما تَكُفُّ عَنِ الهَوِيِّ[5]
هُوَ البأسُ اسْتَطَارَ فلا ثَباتٌ لِغيرِ السَّيفِ والبَطَلِ الكَمِيِّ
قَضَيْتَ السُّؤْلَ من قَتلٍ وغُنْمٍ وَنِلْتَ ذُؤابَةَ الشَّرفِ العَلِيِّ[6]
وكنتَ القائدَ الفَطِنَ المُلَقَّى فُنونَ المكرِ والكَيْدِ الخَفِيِّ
مَنعتَ النّارَ خِيفةَ أن تُعَرِّى جُنودُكَ ، شِيمَةَ الحَذِرِ الذَّكِيِّ
تُدافِعُ دُونَ عِدَّتِهم عَدُوّاً تُخادِعُهُ عنِ الأمرِ الجَلِيِّ

(١) اللازم مكانه لا يبرحه
(٢) الأوب الجهة .
(٣) الوحيّ السريع، ويمجّ يرمي .
(٤) الرباق حبال بها عرى والشوي الشاء .
(٥) الانقضاض .
(٦) ذؤابة كل شيء أعلاه .

ولم تَتْبَـعْ قُضَـاعَـةَ إذ تَـوَلَّـتْ وإذ ذَهَـلَ الصَّفِـيُّ عَنِ الصَّفِـيِّ
تُقَـاتِلُهـا بسيـفٍ من دَهـاءٍ يُـمـزِّقُهـا بِـحَـدٍّ لَـوْذَعِـيٍّ[1]
رَمى الفـاروقُ من عَجَبٍ بقـولٍ يُثيـرُ حَـمِيَّـةَ الـرَّجُـلِ الأبِـيِّ
فقـال لـه أبـو بكـرٍ : رُوَيْـداً ولا تَعْـدِلْ عَنِ السُّنَنِ السَّـوِيِّ
رسـولُ اللهِ أكثـرُ مِنـكَ عِلمـاً بصـاحِبِـهِ ، ولستَ لـهُ بِسِيٍّ[2]
ومـا لـلحـربِ إلا كـلُّ طَـبٍّ يُصـرِّفُـهـا بـرأيٍ عَبْـقَـرِيٍّ[3]

* * *

أميـرَ الجُندِ يـا لـكَ من سَرِيٍّ أصـابَ إمـارةَ الجُنـدِ السَّـرِيِّ
مَشَى الصِّـديقُ والـفـاروقُ فيـه على أدبٍ من الـخُلُقِ السَّنِيِّ
وهـل يُقضَى على اسمِ اللهِ أمرٌ فَـيُنكِـرُهُ التَّقِيُّ عـلى الـتَّقِـيِّ ؟
إذا استـوتِ المراتِبُ وَهْيَ شَتَّى فمـا فضـلُ اللَّبِيبِ على الغَبِيِّ ؟
أجَـلْ يا عمـروُ ما بِكَ من خَفَاءٍ إذا فَـزَعَ الـرجـالُ إلى الكَفِيِّ[4]
شَـأوتَ السّـابِقِينَ إلـى مَحَـلٍّ يُجـاوِزُ غَـايَـةَ الأمَـدِ القَصِيِّ[5]
وذلـك فضـلُ ربِّـكَ ، زِيـدَ فيـهِ على يدِهِ ، لِذِي الجَدِّ الحَظِيِّ[6]

---

(١) اللوذعي الذكيّ الحديد الفؤاد كأنه يلدغ من ذكائه .
(٢) السيّ المساوي والمثل .
(٣) الطبّ الحاذق الماهر .
(٤) الذي يكفيك ويُغنيك عن غيره .
(٥) شأى القوم سبقهم .
(٦) الذي أحبّه الناس ورفعوا منزلته .

سرية أبي عبيدة بن الجراح

وتسمى سرية الخَبْط ، وذلك لما أصابها من الجوع فألجأها إلى أكل الخبط ، وهو ورق السَّلَم ؛ فإنها خرجت للجهاد ، ولم يكن معها من الزاد سوى جراب تمر زوّدها النبي ﷺ إياه ، وسمّاها البخاري : سرية «سيف البحر » أي ساحله ، بعث أبو عبيدة في رجب من السنة الثامنة بعد أن نقضت قريش عهد الرسول الكريم ، وقبل فتح مكة ، ومعه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا من المسلمين فيهم عمر بن الخطاب إلى أرض جُهَينة ليلقى عيراً لقريش ، ويحارب حيّاً من هذه القبيلة ، فلما اشتدّ بهم الجهد ابتاع قيس بن سعد بن عبادة من أحد رجال جهينة خمس جزر بخمسة أوسق من التمر يؤديها أبوه عنه بالمدينة ، فنحر لهم ثلاثا . وبقي اثنتان عاد بهما إلى المدينة يتعاقب المسلمون عليهما : ـ

هَمْ سَادَةُ الحربِ من شِيبٍ وشُبّانِ ... ساروا سِراعاً فما في القومِ من وَانِ[١]

جِيدي جُهَيْنَةُ أو بِيدي مُذَمَّمةً ... حُمَّ القضاءُ ، وخَفَّتْ أُسْدُ خفّانِ[٢]

سريّةُ اللهِ ترمي عن يَدَيْ بطلٍ ... عالي اللواءِ ، رفيعِ القَدْرِ والشّانِ

أبا عُبيدَةَ أوْرِدْها مُظَفَّرَةً ... مَوارِدَ النّصرِ ، تَشفِي كلَّ حَرّانِ

ما للحفِيظَةِ إن جاشَتْ مَراجِلُهَا ... إلّا القواضِبُ تُسقَى بالدّمِ القاني

خانت قُرَيشُ وأمسى عَهدُها كَذِباً ... فَبادِرِ العيرَ وَاضْرِبْ كُلَّ خَوَّانِ

(١) ضعيف .

(٢) موضع أشب الغياض كثير الأسد، وقال الجوهري: هو مأسدة .

لا يعجبنّ جُناة الشرّ إن حَصَـدوا ... ما يزرعُ الشُّؤْمُ من بَغْيٍ وعُدوانِ
لا تبتئسْ بجـرابِ التمـرِ يحملُهُ ... أولـو الحميَّةِ من صَحْبٍ وإخـوانِ
أُعجوبةٌ ما لها في الدّهرِ من مَثَلٍ ... لكنَّ ربَّـك ذُو فضـلٍ وإحســانِ
إن يَنفَـدِ الـزّادُ أغنـاكم وزوّدكم ... مـا ليس يَنفدُ من تَقـوىً وإيمـانِ
كُلُوا مِنَ الخَبْطِ ، نِعمَ الخَبْطُ من أُكُلٍ ... لكـلِّ ذي سَغَبٍ في اللهِ طَيَّانِ[1]
حيّـاكُمُ اللهُ من صِيـدٍ غَـطَارِفَـةٍ ... يلقون في البؤسِ عيشَ النّاعمِ الهاني
هِيَ النّفوسُ بناهـا اللهُ من شَممٍ ... نِعمَ البنـاءُ ، وجَلَّتْ قـدرةُ البـاني
وأنتَ يـا قيسُ فَانْحـرها مُبَـارَكَـةً ... تَجنِي بها الحَمْدَ يَسْتَعْلِي به الجاني
أسديتَها يا ابنَ سعدٍ خيـرَ عارفـةٍ ... جاءَتْ على قَدَرٍ في خيـرِ إبّانِ[2]
ما في صَنِيعِكَ من بِدْعٍ ولا عَجَبٍ ... قَيسٌ ووالـدُهُ في الجـودِ سِيّـانِ
كِـلاَكُما ، وسيـوفُ اللهِ شـاهـدةٌ ... غَوْثُ اللّهيفِ.وَروْحُ البائِسِ العاني[3]
مـا أقربَ الحقَّ ممّـا يَبتغي عُمَـرٌ ... لـو لم تكنْ لأبٍ للحقِّ صَـوَّانِ
يَقضِيـهِ عنكَ ، وإن أربيتَ تجعلُهُ ... ما تحملُ الأرضُ من إبْلٍ ومن ضَانِ
مـا مِثلُ مـا قَدَّمَتْ للهِ منك يـدٌ ... ما قدَّمَ النّـاسُ من هَدْيٍ وقُـربانِ

* * *

أبـا عُبَيْـدَةَ لـولا أن عـزمتَ على ... قـيسٍ لأمعـنَ قـيسٌ أيَّ إمـعــانِ
يَقـولُ إذ رُحتَ تَنهـاهُ وتَمنعُـهُ ... أبـا عُبيدَةَ مَهْـلاً ، كيف تنهاني ؟
أنا ابنُ سعدٍ ، وسعدُ أنتَ تعرِفُـه ... مَوْلَى العشيرةِ من قاصٍ ومن دانِ
يَكفي المُهِمَّ إذا ضـاق الكُفاةُ بـه ... ويُـطعِمُ النّاسَ من مَثْنَى وَوُحـدَانِ

---

(١) جوعان .
(٢) إبان الشيء أوّله أو حينه .
(٣) الرَوْح الرحمة أو النصرة .

أأصنعُ الصُّنْعَ محموداً فَيخذِلُني ... أبٌ أراه لغيري خيرَ مِعوانِ ؟
لا يُبعِدِ اللهُ منه والداً حَدِباً ... سمحَ الخلائِقِ ، أرعاه ويرعاني
يا قيسُ إنّ رسولَ اللهِ شاهِدُهُ ... فَعَدِّ[1] نفسَكَ عن وصفٍ وتِبيانِ

* * *

رَمَتْ جُهَيْنَةُ بالأبْصَارِ من فَزَعٍ ... فلم تَجِدْ غيرَ أبطالٍ وفُرسانِ
لاذَتْ بأكنانِها القُصوى ، ولو قَدرتْ ... لاذتْ من الزّاخرِ الطّامِي بأكنان[2]
وولّتِ العِيرُ ، يخشى أن يُحاطَ بها ... من الأُلَى هُمْ ذَووها كلُّ شيطانِ
ماذا على القَوْمِ يرضَى البأسُ إن غَضبوا ... أن لا يفوزوا بأكفاءٍ وأقرانِ ؟
آبوا بخيرٍ ، وآبتْ كلُّ طائفةٍ ... من الأُلى كَرِهوا الحُسْنَى بِخُسرانِ

* * *

للحقّ سُلطانُهُ ، فليأتِ مُنكِرُهُ ... إنِ اسْتَطَاعَ لَه رَدّاً بِسُلطَانِ
ما حُجَّةُ الشِّركِ ، والأكوانُ شاهِدَةٌ ... بواحدٍ سَرْمَدِيِّ المُلكِ دَيّانِ ؟
سُبحانهُ، لن يُصِيبَ الجاهلون على ... طُولِ التوهُّمِ من ربٍّ لهم ثانِ
طاحَتْ بهم غَمرةٌ ما تَنجَلِي ، وطَغَتْ ... على عُقولٍ لهم مَرْضَى وأذهانِ
تلك البراهينُ تترى كلَّ آونةٍ ... لو كان ينتفعُ الأعمى بِبرهانِ

* * *

أخا جُهَيْنَةَ ، عُدْ في منظرٍ بَهِجٍ ... عَوْدَ امرىءٍ مَرِحِ الأعطافِ جَذلانِ
تَمْرٌ وكُسْوَةُ مِعطاءٍ ، وراحلةٌ ... بُشْرَى الصّديقِ وبؤْس[3] الحاسدِ الشّاني

---

(١) عدّى فلاناً عن الأمر صرفه عنه .
(٢) جمع كنّ وهو البيت ووقاء كل شيء وستره .
(٣) بياض بالمصورة، والشاني من شانه أي عابه .

عَـرَفَت قيساً فتَى مجـدٍ ومكـرمـةٍ صـدقتَ ، إنَّكَ ذو علمٍ وعـرفانِ
نَبِّيءْ جُهَيَنَةَ واذكرهـا يداً عـظمتْ فليس في الحقِّ أن تُجزَى بنسيانِ

* * *

إذا تــدفَّقَ دِينُ المــرءِ في دمِـهِ سَـرَتْ معانيـهِ في رُوحٍ وجُثمـانِ
ما الدينُ يُشرَعُ من صدقٍ ومن وَرَعٍ كـالـدينِ يُشــرَعُ من زورٍ وبُهتـانِ

سرية بشر بن أبي سفيان رضي الله عنه إلى بني تميم

أرسله النبيّ صلّى الله عليه وسلم إلى بني كعب لأخذ صدقاتهم، وكانوا مع بني تميم على ماء فمنعه هؤلاء من أخذها، فعاد إليه بخبرهم، فأرسل معه عيينه بن حصن « بعد إسلامه » في خمسين فارسا فأغار على بني تميم، وأخذوا منهم رجالا ونساء وصبيانا، وعادوا الى المدينة فجاء في أثرهم جماعة من رؤسائهم منهم عطاء بن حاجب، والزبرقان بن بدر، والأقرع بن حابس، وأخذوا ينادون النبي وهو في داره: أن أخرج الينا نفاخرك ونشاعرك[1] وكان يستعد لصلاة الظهر، فلما خرج للصلاة تعلقوا به، وبعد أن قضاها عاد إليهم ،فتكلم خطباؤهم وشعراؤهم، وأذن لثابت بن قيس وحسان بن ثابت، فخطب الأول، وقال الثاني شعرا، ثم إنهم أسلموا فرد الأسارى إليهم، وأعطوا الجوائز السنية، وأقاموا مدة بالمدينة يتعلمون القرآن .

سَبيلَك في مَرضاةِ ربِّكَ يا بِشرُ وفي حقِّه فَادْأَبْ وإن فَدَح الأمرُ
عليكَ بني كعبٍ فَخُذْ صَدقَاتِهم ولا تَأْلُهم نُصحاً، لهم ولك الأجرُ
أطاعوكَ في ذاتِ الإلـه، وأقبلوا كِراماً، يرونَ الدّينَ أن يُبذَلَ البِرُّ[2]

(١) نزل في هذه الواقعة قوله تعالى ﴿ إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ، ولو انهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم ﴾ .

(٢) أخذ بشير صدقات بني كعب، فقال له بنو تميم ـ وكانوا معهم على ماء ـ : لم تعطوهم أموالكم ؟ فقالوا لهم: إنا قد أسلمنا ولا بد في ديننا من دفع الزكاة، فأخذوا سلاحهم ومنعوا بشراً من أخذ الصدقة وقالوا: والله لن ندع بعيرا واحدا يخرج .

فمـا لتميمٍ سـاء مـا صنعتْ بَنُـو ... تميمٍ أما للقومِ رأيٌ ولا حِجْرُ[1]؟
أبَوْا أن يُؤدُّوا الحقَّ واهْتاجَ جَمعُهم ... فَعَبَّ عُبابُ البغيِ وَاحْتَدَم الشّـرُّ
يَقـولُ بنـو كعبٍ، دَعـونـا وَدِينَنـا ... وهيهاتَ لجَّ الشّركُ واستكبرَ الكُفْرُ

* * *

لك اللّهُ يا بِشرُ، فَعُدْ غيـرَ آسفٍ ... لِـربّكَ فيهم حُكمـهُ، ولكَ العُـذْرُ
أتيتَ رسـولَ اللهِ تَـروِي حـديثَهم ... فهيَّجتَ بـأساً مِثلما يَقِـدُ الجَمْـرُ
أعـدَّ ابنَ حِصـنٍ للوغَـى وأمـدَّهُ ... بكلِّ شديـدِ البأسِ، مَـطعمُه مُـرُّ
إذا ذاقـه في غمرةِ الحـربِ قِرْنُـه ... تنكَّـبَ يلوِي أخْـدَعْيـهِ ويـزوَرُّ
أغـارَ عليهم فَـاسْتَبـاحَ نُفـوسَهم ... وأموالَهم، فَلْيَنظروا: لِمَن الخُسْرُ؟
تُسـاقُ سَبـايـاهُم وأنعـامُهم معـاً ... بـأعينِهم من كـلِّ أوْبٍ وهُمْ كُثْـرُ
تَـودُّ لـو انَّ القـومَ يَستنقِـذُونهـا ... وهيهاتَ لَجَّ الرُّعْبُ واستفحلَ الذُّعْرُ
أقـامـوا على غَيْظٍ وعـادَ عُيينَـةُ ... مَـغـانِـمـهُ شتَّـى، وآثـارهُ غُـرُّ
عليـه من النّصرِ المحجَّـلِ بَهجةٌ ... إذا ائتلفَت أوضاحُها، ضَحِكَ النَّصْرُ
يَظلُّ أسارىَ القومِ في دارِ «رَملةٍ» ... مجازيعَ مما يصنعُ الحبسُ والأسرْ[2]
رأوا سـوءُ عُقباهم، فـأقبلَ وفـدُهم ... وضَجَّ الأسارى: إنّـنا مسَّنا الضُـرُّ
تُصِيـحُ ذراريهم وتَبكِي نِسـاؤُهم ... وجهدُ الأسى أن تَهطِلَ الأدمُع الغُزْرُ
أتوا دارَ أمضَى النّاسِ رأياً وهِمّةً ... لنـائبةٍ تُعتـادُ، أو حـادثٍ يَعْـرُو[3]
يُنـادونـه في ضجّـةٍ من وَرائِهـا ... ولـو ملكوا صبـراً لأغناهم الصَّبْـرُ
ألا اخْرُج إلينا، وانـظرِ اليومَ أيُّنـا ... له الشّرفُ العالي الذُّرى وله الفَخْرُ؟
فلّمـا رأوه خـارجـاً عَلِقـوا بـهِ ... ولم يُثنِهم صَوتُ الأذينِ ولا الزَّجْرِ[4]

---

(١) الحجر العقل .
(٢) هي رملة بنت الحارث .
(٣) النائبة النازلة والمصيبة ، واعتادته انتابته، ويعرو يُلمّ .
(٤) كان بلال يؤذّن لصلاة الظهر .

قضاها صلاةً يحملُ الرُّوحُ نَشْرَها ... فلا أرَجٌ يحكي شذاها ولا نَشْرُ[1]

وعاد حميداً يَنظرُ القومَ حولَه ... لهم صَلفٌ ما يَنقضِي، وبهم كِبْرُ

يقولون قولَ الجاهلين، وقلّما ... يُفيدُ الهُراءُ القومَ أو يَنفعُ الهُجْرُ[2]

عُطارِدُ مَهْلاً، وانْهَ صَحْبَكَ، إنّما ... أردتُم مقاماً دُونَه الشّعرُ والنّثْر[3]

ألا إنّ قَولَ الصِّدقِ ما قال ثابِتٌ ... وحَسّانُ فاشْهَدْ إنّما يشهدُ الحُرّ

خطيبُ رسولِ اللهِ ما فيه مِرْيَةٌ ... وشاعرُه ما مِثلهُ شاعِرٌ بَرُّ

غُلبتم فأسلمتم فَبُشْرى بنعمةٍ ... حباكم بها ربٌّ له الحمدُ والشُّكْرُ

خُذوا السَّبْيَ والأسرَى وهذا عطاؤكم ... عطاءُ كريمٍ مالآلائهِ حَصْرُ

أحِبُّوا رسولَ اللهِ يا قومُ إنّه ... مَحبَّتُه غُنْمٌ، ومَرضاتُه ذُخْرُ

عَطوفٌ على ذِي الضّعفِ، يُؤتيهِ فَضلَهُ ... عَفُوٌّ حليمٌ، ما يَضيقُ له صَدْرُ

أقِيموا على الفُرقانِ، تتلونَ آيَهُ ... فذلك نورُ اللهِ ما دونه سِتْرُ

كتابٌ يُضِيءُ السُّبْلَ في كلِّ مطلعٍ ... لكلّ ابن ليلٍ من مطالعه فَجْرُ

خُذوا زادَكم منهُ، وعُودوا لقومِكم، ... فما ثَمَّ زادٌ مثله أيّها السَّفْرُ[4]

---

(١) الروح جبريل عليه السلام، والنشر الريح الطيّبة، (٢) القبيح من الكلام.

(٣) قال عُطارد، وقيل غيره من خطبائهم: الحمد لله الذي له علينا الفضل وهو أهله، الذي جعلنا ملوكا: ووهب لنا أموالا عظاما نفعل فيها المعروف، وجعلنا أعز أهل المشرق عددا، فمن مثلنا في الناس.. الخ. ومما قاله ثابت بن قيس بن شماس خطيب رسول الله: الحمد لله الذي خلق السموات والأرض مضى فيهن أمره ووسع كرسيُّه علمه، جعلنا ملوكا واصطفى من خير خلقه رسولا أكرمهم نسبا وأصدقهم قلبا وأفضلهم حسبا، فأنزل عليه كتابه وائتمنه على خلقه. وقال الزبرقان:

نحن الكرامُ فلا حيٌّ يُعادِلُنا ... منّا الملوكُ وفينا تُنصَبُ البِيَعُ

وقال الأقرع بن حابس:

ولّنا رُؤُوس الناسِ من كل معشرٍ ... وأن ليس في أرض الحجازِ كدارمِ

وقال حسان:

نصرنا رسولَ اللهِ والدينَ عَنوةً ... على رغمِ عاتٍ من بعيدٍ وحاضرِ

(٤) المسافرون.

سرية أبي سفيان والمغيرة بن شعبة رضي الله عنهما لهدم اللات

أرسلهما النبي ﷺ بعد رجوعه من تبوك، لهدم اللات « صنم ثقيف » فذهبا في بضعة عشر رجلا فهدموها، وأراد المغيرة أن يسخر بثقيف، فلما علاها ليهدمها بالمعول ألقى بنفسه، فقالوا قتلته . وخرج النساء حُسّراً يبكون عليها .

هدموها وأخذوا حليتها وكسوتها، وما كان فيها من ذهب وفضة وطيب، وأقبلوا على النبي فحمد الله : ـ

ثَقِيفُ اجْمَعِي للاّتِ ما شِئْتِ من عَزْمِ ... ولا تُسلِميهـا للمعـاولِ والهَـدْمِ

أتـاها أبـو سفيـانَ يـرمي كِيـانَهـا ... بخطبٍ يَزِيدُ الكُفرَ رغماً على رَغْمِ [1]

وإنّ لهـا عِنـدَ المغُيـرةِ هِمّـةً ... تَبيتُ لها الكُفّارُ صَرْعَى من الهَمِّ

عـلاهـا بنعليـهِ، وألقى بنفسـه ... يُخـادِعُ مَن لا يستفيقُ منَ الوَهْمِ

ظَننتُمْ بـه شـرًّا ، وقلتم أصـابَهُ ... من اللاّتِ ما يَنْهَى الغَوِيَّ عن الإثـمِ

ألا فانظروها، كيف أضحْت صخُورها ... تَطيرُ فُضاضاً من صِلابٍ ومن صُمٍّ [2]

تُهَـدُّ وتبكيهـا العقـائـلُ حُسَّـرا ... فهل عندها بالمأتمِ الضخمِ من عِلْمِ [3]

وهـل منعتْ أسلابَهـا إذ أصـابَهـا ... رَسولُ هُدىً يَزدادُ غُنماً على غُنْمِ ؟

---

(١) ذُلّ .

(٢) الفضاض ما تفرّق من الشيء عندكسره، وتطير فضاضاً أي قطعاً متفتّتة متفرّقة .

(٣) العقائل جمع العقيلة من النساء الكريمة المخدّرة .

لـه من دمِ الكُفّارِ مـا شـاءَ ربُّـه ومن مالهم، في غيرِ بَغْيٍ ولا ظُلْمِ
هُم البغيُ والـظُّلمُ المُذَمَّمُ والأذَى ومـا ثَمَّ من عيبٍ شنيعٍ ومن ذمٍّ
عَلتْ قُبَّةُ الإسلامِ ، واعتـزَّ جندُه فَمِن شَرَفٍ وافٍ، ومن سُؤْددٍ جَمِّ
هو الدينُ، لا دِينُ الجهَالةِ والعَمى وهل يستحِبُّ الجهلَ من كان ذا حِلْمِ ؟
قَضى اللّهُ ألا يَعبـدَ النـاسُ غيـرَهْ فمـا لِسـواهُ من قضـاءٍ ولا حُكمِ
وليس لـه غيرُ الـذي عـاب دينَـهُ وأعرضَ عنه من عدوٍّ ولا خَصْمِ
سَيُصليه ناراً، يُنضِجُ الجلدَ حَرُّها ويَذهبُ يومَ الدِّينِ باللّحمِ والعظمِ

سرية أسامة بن زيد بن حارثة رضي الله عنهما

كانت هذه السرية إلى « أُبْنَى » ناحية بالبلقاء من أرض الشام، وهي آخر السرايا، أمره النبي ﷺ يوم الإثنين السادس والعشرين من صفر من السنة الإحدى عشرة بالتهيؤ لغزو الروم فلما كان من الغد دعاه، وقال له: سر الى موضع قتل أبيك فأوطئهم الخيل، وقد ولّيتك أمر هذا الجيش، فلما كان يوم الأربعاء حُمَّ وصُدع صلوات الله وسلامه عليه، فلما أصبح يوم الخميس عقد له لواءً وقال له: أُغز باسم الله وفي سبيل الله، وخرج اسامة فدفع اللواء الى بُريدة بن الحُصيَب، وتهيأ المهاجرون والأنصار للخروج، وفيهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح، وسعد بن أبي وقاص، واستنكف قوم من تأمير أسامة، وقالوا: غلام، وكان سنه ١٧ او ١٩ أو ٢٠ سنة، وبلغت النبي مقالتهم، فغضب كثيراً، وخرج، وقد عصب رأسه فصعد المنبر وقال: -

« أما بعد، أيها الناس، فما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة؟ ولئن طعنتم في إمارته فقد طعنتم في إمارة أبيه من قبله، وأيم الله إن كان لخليقا بالإمارة وإن ابنه من بعده لخليق بالإمارة، وإن كان من أحب الناس إليّ، وإنه لمظنّة كل خير، فاستوصوا به خيراً فإنه من خياركم » وكان ذلك يوم السبت عاشر ربيع الأول، وأمر النبي أبا بكر بالتخلف ليصلي بالناس، فلما كان يوم الأحد اشتد وجعه، فجاء أسامة وطأطأ فقبله، ثم رجع إلى معسكره « بالجرف » ثم عاوده يوم الإثنين فقال له: أُغدُ على بركة الله، فودّعه وخرج، وأمر الجيش بالرحيل، فأرسلت اليه امرأته فاطمة بنت قيس تقول: لا تعجل، فإن المرض قد اشتد على الرسول، فأقبل وأقبل معه عمر ابن الخطاب، وأبو عبيدة، وانتهوا إليه ﷺ - وقد تُوفي - وعاد الجيش الى المدينة، وعاد بُريدة باللواء، فغرزه عند النبي، فلما بويع لأبي بكر أمر بريدة أن يذهب باللواء إلى بيت اسامة، وأن يمضي أسامة لما أمر به، فخرج وسار أبو بكر رضي الله عنه يودّعه ماشيا؛ وقد نصره الله وأيّده: -

سر يا أُسامةُ ما لجيشكَ هَازِمُ أنت الأميرُ وإن تعتَّب وَاهِمُ
قالوا: غلامٌ للكتائبِ قائدٌ وفتىً على الصِّيدِ الخضارم حَاكمُ[1] ؟
غَضِبَ النبيُّ وقال: إنّي بالذي جَهِلَ الغِضابُ السّاخطونَ لعالِمُ
إن يجهلُوه فقد عَرفتُ مَكانَهُ والعدلُ عِندي، لا محالةَ قائِمُ
ولئن رموه بما يسوءُ فقد رموا مِن قبلُ والدَه ولَجَّ النّاقِمُ
نقموا الإمارَة فيهما، وهُما لها أهلٌ، فكلٌّ أحوذِيٌّ حازِمُ[2])
الخيرُ فيه وفي أبيهِ فآمِنوا يا قومِ، وَانْطلِقوا لما أنا عازِمُ

* * *

ساروا وظَلَّ مع النبيِّ خَليلُه والخطبُ بينهما مُقِيمٌ جاثِمُ
يَنتابُ مَضجَعُه وينظرُ ما الذي صنعَ القضاء فَهمُّه مُتراكِمُ
مَرضُ النبيِّ طَغَى عليه، فَقلبُه يَغشاهُ مَوجٌ للأسى مُتلاطِمُ
ودَرَى أسامةُ فانثنَى في جيشهِ والحزنُ طامٍ والدُّموعُ سَواجِمُ[3]

* * *

مات الرّسولُ المجتبى، ماتَ الذي أحيا نُفُوسَ الناسِ، وهْيَ رَمائِمُ
مات الرسولُ فكلُّ أُفقٍ عابسٌ أسفاً عليه، وكلُّ جَوٍّ قاتِمُ
مات الذي شَرعَ الحياةَ كريمةً والنّاسُ شرٌّ، والحياةُ مآثِمُ
مات الذي كانت عجائبُ طِبِّهِ تَشفِي العُقولَ، وداؤُها مُتفاقِمُ
طَاشتْ لمصرعِه عُقولٌ رُجَّحٌ وَوَهَتْ قُوىً مشدودةٌ وعَزائِمُ
دنيا الممالكِ بعد عصرِ مُحَمدٍ حُزْنٌ يُجدَّدُ، والعصورُ مآتِمُ

(١) الخضارم جمع الخِضرم وهو الكثير العطاء .
(٢) الأحوذي الحاذق السريع في كل ما أخذ فيه .
(٣) طما اشتدّ، وسجم سال وانصب .

صلّى عليكَ اللّهُ إنّ قضاءَهْ حَتْمٌ، وإنْ زَعَم المزاعِمَ حَالِمُ

* * *

عاد ابنُ زيدٍ بالكتائبِ مالوَى من عزمِه الحَدَثُ الجليلُ العَارِمُ[1]
يَمشِي الخليفةُ لائذاً بركابِهِ وكأنَّما هو سائِقٌ أو خادِمُ
وأبى الأميرُ، فقال: دُونَكَ مَركبي لا تَمْشِ إنّي إن فَعلتَ لَغانِمُ
ولئن أبيتَ لأنزلَنَّ كَرامةً لكَ، فاقْضِ أمرَكَ، لانَبَا لَكَ صَارِمُ[2]
قال الخليفةُ: ما أراكَ بِمُنصِفي دَعْنِي فللاسلامِ حَقٌّ لَازِمُ
أنا من جُنودِك لو ملكتُ رأيتني تحت اللّواءِ، فهالكٌ أو سالمُ

* * *

قُضِيَ الوَداعُ، وعادَ مَشكورَ الخُطَى يَرعاهُ للإسلامِ رَبٌّ راحِمُ
سِرْ يا أُسامةُ فالقواضبُ لم تَمُتْ هِيَ ما ترى، وَهْوَ الجهادُ الدّائِمُ
وإذا البواتِرُ واللهاذِمُ أعوزَتْ فالمسلمونَ بواترٌ ولهاذِمُ[3]
يا لائِمَ القمرِ المنيرِ مُودّعاً هل كان قبلكَ للكواكب لائمُ؟
هِيَ يا أخا الشّوقِ المبرِّحِ قُبْلَةٌ ما ذاق لذَّتها مَشُوقٌ هائِمُ
ولقد تكونُ وفي حلاوتها أسىً مُرٌّ مَذاقتُه، ووَجْدٌ جاحِمُ[4]

* * *

زلْزِلْ جُنودَ الرُّومِ، وَاهْدِمْ مُلكَهُمْ في عِزّهِ العالي، فنعِمَ الهادِمُ

---

(١) الشرس المؤذي.
(٢) الصارم السيف القاطع، ونبا السيف كلّ وارتدّ ولم يقطع.
(٣) سيوف حادة قاطعة.
(٤) شديد الاشتعال.

قتلوا أباك، فلا تَدَعْهُمْ، وَاعْتَصِمْ منهم بربّك، إنّه لكَ عاصِمُ
ولقد هَزمتَ جُموعَهم، فتفرّقوا وشَفاكَ منهم جَيْشُكَ المُتلاحِمُ
وأجَلْتَ خيلكَ في عِراصِ دِيارِهم وفعلتَ فِعلَك، والأنوفُ رَواغِمُ[1]
قتلٌ وأسرٌ، هَدَّ من عَزَماتِهم وأذلَّهم، وكذاكَ يُجزَى الظَّالِمُ
ولَئِنْ أزلتَ دِيارَهُم ونَخِيلَهَم من بَعدِ ما ظلموا، فمالكَ لائِمُ

* * *

عُدْ يا ابنَ زيدٍ باللّواءِ مُظفَّراً وَانْعَمْ، فَبالُ مُحَمدٍ بكَ ناعِمُ
هذا أبو بكرٍ مَشَى في صحبهِ يلقاكَ مُبتهِجاً، وركُبك قادِمُ
هُمْ هنَّأوكَ، وأنت أهلٌ للذي صنعوا، وحَسْبُكَ أن يُفيق النّائمُ
أُشكُرْ صَنيعَ اللهِ يا شيخَ الوغَى إنّ الذي عابَ الغُلامَ لنادِمُ
حِبُّ الرسولِ لكَ البَشارةُ، إنّه شرَفٌ له فوقَ النُّجومِ دَعائِمُ[2]
ماذا يقولُ ذَوُو الحفيظةِ بعد ما شكَرْت أُميّةُ ما صَنَعْتَ وهاشِمُ؟
عفواً فَتلِكَ حَمِيَّةٌ عَربِيَّةٌ أعيا الأوائلَ عهدُها المُتقادِمُ
للمرءِ من نُورِ الحقائِق ما يَرى لا ما تُريهِ وساوِسٌ ومَزاعِمُ
والنّاسُ عِندَ فِعالِهم، إنْ يفعلوا خَيراً فأحرارُ النّفوسِ أعاظِمُ
لا حُكْمَ للأنسابِ أو للسنِّ في ما قالَ فِيهِم مادحٌ أو واصِمُ[3]

---

(١) العِراص جمع العرصة ساحة الدار .
(٢) الحِبّ : المُحِبّ والمحبوب .
(٣) عائب .

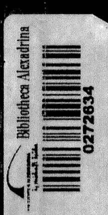


محتويات الكتاب

من منشورات « مكتبة الفلاح »

- دراسات في السنة النبوية الشريفة .... د . صديق أبو الحسن
  د . محمد نبيل غنايم
- الكون والإنسان في التصور الإسلامي .... د . حامد صادق قنيبي
- العقيدة في الله .... عمر سليمان الأشقر
- الرسل والرسالات .... عمر سليمان الاشقر
- عالم الجن والشياطين .... عمر سليمان الاشقر
- عالم الملائكة الابرار.................. عمر سليمان الاسفر
- معالم الشخصية الإسلامية .... عمر سليمان الاشقر
- الإسلام لاشيوعية ولارأسمالية .... البهي الخولي
- الخمر في ضوء الشريعة الإسلامية .... شحدة عقيلان عيد
- بنو اسرائيل في القرآن الكريم .... د . محمد عبد السلام محمد
- موسوعة فقه عمر بن الخطاب .... د . محمد رواس قلعجي




Bibliotheca Alexandrina
0272634